



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تيارت

University of Tiaret, Algeria

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مخبر التّوطين: مخبر الخطاب الحجاجي، أصوله ومرجعياته وأفاقه في الجزائر.

## مدرسة باريس السيمبائية بين النظرية والتطبيق في الجزائر (عبد الحميد بورايو أنموذجا)

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه - الطّور الثالث (LMD) في إطار مشروع  
اتّجاهات النّقد المعاصر في الجزائر، تخصص دراسات نقدية

إعداد الطّالِب:

محمد دقي

إشراف:

أ.د - رشيد بن يمينة

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الصّفة	اسم الجامعة
01	علي كبريت	أ.ت. العالي	رئيسا	جامعة تيارت
02	رشيد بن يمينة	أ.ت. العالي	مشرفا ومقررا	جامعة تيارت
03	فضيلة قوتال	أ.ت. العالي	مشرفا مساعدا	جامعة تيارت
04	قادة عقاق	أ.ت. العالي	مناقشا	جامعة س. بلعباس
05	بشير محمودي	أ.ت. العالي	مناقشا	جامعة تيارت
06	محمد دبيح	أستاذ محاضر "أ"	مناقشا	جامعة تيارت

أشكر الله أولاً وأخيراً على آلائه ونعمه

﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ ، فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾

لقمان : 1

- ثم أستاذي المشرف، الأستاذ الدكتور رشيد بن يمينة، الذي لم يخل علي بالنصح والتوجيه.
- الأستاذة الدكتورة الفاضلة فضيلة قوتال، والتي كان لها نصيب هي الأخرى من الإرشاد والتشجيع.
- الأستاذ الدكتور علي كبريت، الذي كان نعم الناصح والمرافق طيلة مدة التكوين وإعداد هذا العمل.
- إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة، شاكرهم لقبول قراءة ومناقشة وتقييم وتقديم وإثراء هذا العمل.

## بهدراء

- لى روح والدي " الحاج دقي " رحمة الله عليه، الرجل الذي كان محبنا للعلم، مشجعا لأبنائه وأحفاده على تحصيله وهو الذي عانى الويلات للأجل حفظ كتاب الله في صغره خلال زمن البؤس والحرب، في ظل الاحتلال الفرنسي ثم مدرسه منذ زمن الثورة التحريرية إلى آخر أيام حياته، فتخرجت أجيال وأجيال من الحفظة على يديه .

- لى والدي حفظها الله، وأدام نعمته الصحة والعافية عليهما .

- لى الغالية زوجتي وأبنائي الذين تحمّلوا جزءا من همّ إنجاز هذا العمل، على حساب حقوقهم علي .

- لى الأحبّة ( أخي وأخواتي) أدامهم الله لي سندا في هذه الحياة .

- لى كل الأصدقاء الطيبين الذين شاركوني هذا العمل بالإفادة أو الدعم و التشجيع .

# مقدمة

## بسم الله الرحمن الرحيم

### والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين

لقد عُدت السيميائية بمختلف إتجاهاتها ثورة معرفية ومنهجية، أفادت واستفادت منها مختلف العلوم الإنسانية ولا تزال، حيث شهدت ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، طغيان الخطاب السيميائي كمجال معرفي عُدد الأكثر شيوعاً في الأوساط النقدية العالمية، نظراً لما أتاحه هذا الخطاب من إتساع في تناول مختلف أشكال النصوص بالنقد والدراسة، ومع ميلاد السيميائية السردية لمدرسة باريس بزعامة أليجيرداس جوليان غريماس (A.J.Greimas)، عرفت النظرية تحولاً إبستمولوجياً مهماً تأسست وفقه جملة المقولات والقواعد والمفاهيم التي من شأنها أن تسهم في تفكيك وتحليل مختلف الخطابات السردية.

لقد كان لزاماً انفتاح النقد العربي على ما طرحه الآخر الغربي من نظريات حديثة أكثر فاعلية ومن ذلك النظرية السيميائية السردية (مدرسة باريس)، التي حظيت باهتمام النقاد المغاربة بشكل لافت (ومنهم النقاد الجزائريون)، بعدما أثبتت المناهج النقدية التقليدية قصورها وفقر أدواتها ومحدودية إجراءاتها في مقارنة النص الأدبي .

إنّ إشكالية تلقي المناهج النقدية الحديثة في الجزائر ومنها النقد السيميائي، لا تزال مطروحة في ظل محاولة التأسيس لمرحلة جديدة، وسط قوى جذب متصارعة بين خطاب نقدي يحاول جاهداً الانحياز لهويتنا الحضارية (وربما يجعله ذلك رهيناً لدوغمائية الموروث الثقافي)، أو الانفتاح على المناهج النقدية الغربية الوافدة (حيث التوجس من الوقوع في شرك خيانة التقليد والالانتماء)، وبين هذا وذاك يحاول توجه آخر - يدعى الوسطية - تبني نقد ذي خصوصية جزائرية، غير متكرر لهويتنا الحضارية ولا ملغياً لتلك المناهج الغربية التي فرضت رؤيتها المعرفية والمنهجية عالمياً، ومن ثم الخروج بتجربة نقدية ناضجة، (تتكئ على التراث وتأخذ من الآخر الغربي)، ثم تحاول تجاوز ذلك سعياً منها للتفرد .

من هنا أخذت رسالتنا عنوان "مدرسة باريس السيميائية بين النظرية و التطبيق في الجزائر- عبد الحميد بورايو أنموذجا -" حيث سنحاول الإحاطة بالمرجعيات الفكرية المركزية التي انبنت عليها النظرية السيميائية لهذه المدرسة، ورصد مبادئها ومفاهيمها الأساسية وأهم المآخذ التي سجلت عليها، ثم تتبع هجرتها في عملية مثاقفة عسيرة مع ثلة من النقاد الجزائريين الذين حاولوا تمثل مقولاتها واصطلاحاتها بعد تلقيها من مظانها الغربية، ومن ثم إخضاع آلياتها التطبيقية على العديد من النصوص السردية الجزائرية والعربية .

وتكمن أهمية موضوع البحث في اعتقادنا، في أنّ مدرسة باريس السيميائية عُدّت من بين أهم النظريات النقدية والتحليلية الأكثر رواجاً خلال العقود الأخيرة من القرن الماضي، بعدما استطاعت أن تمتلك مقومات العلم الدقيق القائم على التجريب، للوصول إلى نتائج يمكن تلمسها حتى تحولت إلى درجة من التضخم المعرفي الذي يستدعي وقفة للتأمل في ما أنجز بالمدونة النقدية الجزائرية في جملته النظرية والتطبيقية - في إطار هذه النظرية - .

أمّا عن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع، فلاعتقادنا بأنه جديرٌ بالبحث، ويمكن أن يثري رصيدنا المعرفي، كما أنّه عُدّ من جملة المواضيع المحدودة المقترحة من طرف صاحب المشروع ضمن عنوان " اتجاهات النقد المعاصر في الجزائر " .

وعن إشكالية الموضوع، فتتمحور حول فكرة مركزية تتعلق بمدى تمثل النقد الجزائري المعاصر لسيميائية مدرسة باريس تنظيراً وتطبيقاً (حيث لقاء النظرية بالتطبيق)، وهو ما يطرح إشكاليات فرعية عدة منها: هل تمّ ذلك التمثل بوعي نقدي مدرك لمقولات هذه النظرية ومصطلحاتها وآلياتها وتشعباتها وأبعادها المختلفة ؟ فضلاً عن مرجعيتها الفكرية والفلسفية ؟ ثم ما مستوى فاعلية الإستراتيجية النقدية والتحليلية للنص المقارب عند تطبيق مقولات هذه النظرية وآلياتها عليه ؟ وكيف تعامل هؤلاء النقاد مع إشكالات عديدة تفرّعت من الإشكالية المركزية، من قبيل إشكالات المصطلح السيميائي، التأصيل المنهجي، الإجراءات التطبيقية...، ثم إلى أي مدى أسهمت التجربة النقدية للنماذج المختارة في رقي الأعمال الإبداعية ؟

وسعيًا منا للبحث في مجال تطبيقي يصلح أن يكون مختبرًا لدراسة هذه الإشكالات، وقع اختيارنا على مدونة نقدية مختلفة الرؤى في تلقي المنهج السيميائي السردى، ركزنا فيها على المنجز النقدي "لعبد الحميد بورايو"، كواحد من الرعيل الأول الذي تبنى هذا التوجه النقدي مبكرًا .

يندرج موضوع هذه الأطروحة ضمن ما يسمى " بنقد النقد "، وهو توجهٌ منهجي وموضوعاتي لا يخلو من مخاطرة على باحث مبتدئ يصبو إلى أن يحيط بملايسات وأبعاد موضوع كهذا، لكنها في النهاية محاولة لا بد من خوضها، رغم أنّ " الكلام على الكلام صعب " على حدّ تعبير أبي حيان التوحيدي .

في أثناء إعدادنا لهذا البحث اعترضت سبيلنا صعوبات عدّة، لعلّ أهمها صعوبة الإطلاع على النظرية السيميائية في لغتها الأصلية، وهو ما قد يوفر للدارس الإضافة النوعية التي تخدم البحث وتتقصّى الحقيقة العلمية من مصادرها، وكذا طبيعة الموضوع ذاته فالسيميائيات حقلٌ معرفيٌ متشعب المشارب، متضارب المصطلحات، متعدد المدارس، لا يزال مفتوحًا على مختلف الاجتهادات حتى في مظانه الغريبة، فضلًا عن اختلاف الأعمال الترجمة واضطرابها لدى المتلقي العربي .

كما أنّ قلة الدراسات ذات العلاقة بالموضوع ( إلاّ فيما رشح لدينا من أعمال قد تفيد في إعداد بعض المباحث) زاد من صعوبة الأمر، فالمطلع على المكتبة النقدية الجزائرية المعاصرة يلاحظ - في حدود بحثنا- ندرة المراجع التي تناولت مسألة تلقي النظرية السيميائية السردية - مدرسة باريس - إلاّ ما تيسر من مقتطفات مجتزأة يمكن الإفادة منها في نقاط بعينها.

وعموما استندنا في إعداد هذا البحث على الأعمال التالية:

أ - المصادر النقدية السيميائية لرواد مدرسة باريس أنفسهم، في محاولة منّا لتتبع مؤلفات هذه المدرسة في لغتها الأصلية، على غرار دراسات ألجيرداس جوليان غريماس (A. J. Greimas) وتلميذه جوزيف كورتيس (J. Courtés)، وجون كلود كوكي (J. C. Coquet) وآن إينو (A. Hennault) وغيرهم، ومن ذلك:

-Sémantique structurale (Greimas)

-Analyse Sémantique des Textes ( Groupee d'entrevernes )

-Dictionnaire de la Théorie du langage ( Greimas , courtès )

ب- الترجمات العربية للمصادر الفرنسية لمدرسة باريس السيميائية بما في ذلك المعاجم والقواميس التي اشتغل عليها العديد من النقاد المغاربة في هذا الحقل ( سعيد بنكراد، محمد مفتاح، رشيد بن مالك عبد الحميد بورايو... ) ومن ذلك : السيميائية (مدرسة باريس ) لجان كلود كوكي ترجمة: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص لرشيد بن مالك، المنهج السيميائي (الخلفيات النظرية وآليات التطبيق) لغريماس وآخرون، ترجمة عبد الحميد بورايو.

ج - مجموعة من الدراسات التي قامت حول النظرية السيميائية لمدرسة باريس ومنها: السيميائيات السردية وتحليلاتها في النقد المغربي (مخطوط أطروحة دكتوراه لقادة عقاق)، المقاربة السيميائية عند رشيد بن مالك (مخطوط رسالة دكتوراه للعجال لكحل)، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر - قراءة في مشاريع: بورايو، مرتاض، بن مالك ، (مخطوط رسالة دكتوراه لحمزة بسو) .

د - مراجع أفادت البحث في مواضيع مختلفة ومن ذلك : إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ليوسف وغليسي، الخطاب السيميائي في النقد المغربي لقادة عقاق، مباحث في السيميائية السردية لنادية بوشفرة، السيورة السيميائية ومشروع الدلالات المفتوحة لسعاد بن سنوسي الدرس السيميائي المغربي (دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح لمولاي علي بوخاتم).

إضافة إلى مختلف أعمال النماذج المختارة من النقاد ( مرتاض، بن مالك، بورايو )

إنّ منهجا واحدا في نظرنا غير كافٍ، لدراسة هذا النوع من البحوث المتشعبة الرؤى والمفاهيم لذلك آثرنا لأجراً رسالتنا منهجا وصفيا استقرائيا مقارنا مفتوحا، حيث النظرية السيميائية السردية لمدرسة باريس والمدونات النقدية المختارة، يستدعيان وصفا وتفسيرا لوقائعهما، فيما يتطلب المنهج الاستقرائي عملا تركيبيا تعميميا بعمده الرجوع الى الواقع أيضا، كما أنّ المقارنة في بعض المواضع تفرض نفسها كإجراء منهجي بين هذه المدونات المختارة للدراسة، محاولين في كل ذلك ما أمكن



الابتعاد عن الأحكام التقريرية الجاهزة، التي من شأنها أن تتعسف في تناول هكذا موضوع بالدراسة والتحليل .

وقد انبنى البحث وفق الخطة التالية:

مدخل : اخترنا له عنوان " المنهج السيميائي الغربي : الأصول والمرجعيات "

وقد تناولنا فيه مبحثاً أولياً يتعلق بنشأة السيميائيات ومفهومها وموضوعها، عرّجنا من خلاله على السيميائيات القديمة عند العرب، فسيمولوجيا دي سوسير (F.De. Saussure) وسيميائية بيرس (C.S.Peirce)، ثم قضية المصطلح، لنختتم هذا المبحث بموضوع السيميائية وغايتها. وفي المبحث الثاني، تطرقنا إلى الأصول الفلسفية للسيميائية ( بداية من السفسطائيين، مروراً بالرواقيين، وانتهاءً بمجموعة من الفلاسفة القدامى )، ثم الأصول اللسانية للنقد السيميائي وأصوله الشكلانية .

الفصل الأول : أوردناه بعنوان " نظرية غريماس: المرجعية الفكرية، المفاهيم، والمآخذ "

تناولنا في المبحث الأول، المرجعية الفكرية لهذه النظرية، ممثلة في مجموعة التصورات والأعمال والمدارس الفكرية .

وفي المبحث الثاني، تطرقنا إلى المبادئ والمفاهيم الإجرائية، التي قامت عليها نظرية غريماس ممثلة في البنيتين العميقة والسطحية وما يندرج تحتها من مفاهيم، ثم نختتم هذا الفصل بأهم المآخذ، التي سجلت على هذه النظرية من قبل مجموعة من النقاد الغربيين والعرب .

الفصل الثاني : عنوانه بت : " تجليات النقد السيميائي السردي عند عبد الملك مرتاض "

وتناولنا بمبحثه الأول، مختلف الروافد التي ساهمت في التكوين النقدي لـ"عبد الملك مرتاض" وبالمبحث الثاني تناولنا المصادر السيميائية التي اتكأ عليها في بناء تصوره النقدي السيميائي، ثم رؤيته للمصطلح النقدي السيميائي.

ثم مبحث ثالث، تناولنا فيه تجربته النقدية السيميائية، لنختتم هذا الفصل بالتطرق إلى تجليات النقد السيميائي السردي في الممارسة التطبيقية للناقد، من خلال تناول أنموذج تطبيقي .

الفصل الثالث : وقد وسمناه بـ : " تجليات النقد السيميائي السردى عند رشيد بن مالك " تناولنا في مبحثه الأول روافد التجربة السيميائية عند "رشيد بن مالك"، و بالمبحث الثاني تناولنا قضية المصطلح السيميائي لدى الناقد، من خلال التعرّيج على إشكالية هذا المصطلح، ثم قراءة في مؤلفه " قاموس التحليل السيميائي للنصوص ".  
وبالمبحث الثالث، تطرقنا إلى موضوع الترجمة عند الباحث، ثم مبحث رابع، تناولنا فيه المقاربة السيميائية لبن مالك، من خلال عدّة مستويات خطائية، لنختتم هذا الفصل بتناول مقاربة سيميائية تطبيقية للناقد على نص سردي .

الفصل الرابع : وقد أوردناه بعنوان : " تجليات النقد السيميائي السردى عند عبد الحميد

بورايو "

أ - في المستوى النظري:

بعد مدخل تعريفى بالناقد ومؤلفاته وترجماته، خصصنا مبحثاً أولاً، لتناول الأصول المعرفية لتجربته النقدية، بداية من التحليل البنيوي الوظائفى لفلادمير بروب (V.propp)، مروراً بكل من البنيوية الأنثروبولوجية لكلود ليفي ستاروس (C.Lévi-strauss)، والبنيوية التكوينية للوسيان غولدمان (L. Goldman)، وانتهاءً بالسيميائية السردية لغريمانس .  
وخصصنا المبحث الثاني، لكيفية تناول "عبد الحميد بورايو" لبعض المصطلحات السيميائية السردية الأكثر شيوعاً .

وفي مبحث الرؤية النقدية عند الباحث تناولنا بالدراسة قضايا عدة، تتعلق بإشكالية المنهج لدى الناقد، والتركيب الذي يقترحه لدى مقارنته لنصوص سردية عديدة، ثم نظرتة لعلاقة المنهج النقدي بخصوصية النص المقارب .

وفي مبحث خامس، تناولنا موضوع المقاربة المنهجية في التحليل السيميائي للباحث، بينما أوردنا مبحثاً أخيراً يتعلق بمستويات الخطاب النقدي السيميائي عند الناقد .

الفصل الخامس : " تجليات النقد السيميائي السردى عند عبد الحميد بورايو "

## ب - في المستوى التطبيقي:

حاولنا في هذا المستوى إجراء قراءة استقرائية استنطاقية لعدد من مؤلفات الناقد (في جانبها التطبيقي خاصة)، من خلال تتبع كيفية ومدى التزامه بالآليات الإجرائية لنظرية غريمانس السردية ثم حاولنا رصد مجموعة من النتائج أو الخلاصات التي توصلنا إليها بعد كل قراءة .

الخاتمة : وقد شكّلت عرضاً لأهم النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة.

كما ألحقنا البحث، بحوار أجريناه مع الناقد الأستاذ الدكتور "عبد الحميد بورايو" .

إننا نحسب هذا البحث، بداية لنا لمعرفة كسفية حاولت استقراء مدرسة باريس السيميائية كما حاولت أيضاً استقراء مدونات النماذج النقدية المختارة، التي تبنت هذه النظرية نظرياً وإجرائياً على أمل أن تكون إشكالية هذه الدراسة، فاتحة ندلف من خلالها البحث في هذا النوع من الخطاب النقدي، بشكل أوسع وأكثر عمقا مستقبلاً .

ومع تمنياتنا بأن نكون قد حققنا بعض التوفيق، حيث نعلم يقيناً أنه عملٌ يعتره الكثير من النقص نطمح أن يُسدَّ بالملاحظات والتوجيهات التي تصوّب أوده من قبل السادة أعضاء لجنة المناقشة .

وإذا كانت هذه الدراسة قد حققت بعض الأهداف التي سَطَّرت لها، فإنَّ الفضل يعود بعد الله إلى السيد المشرف، الأستاذ الدكتور "رشيد بن يمينة" وإلى الفاضلة الأستاذة الدكتورة "فضيلة قوتال" اللذين تتبعا مراحل إنجاز هذا البحث، ولم يبخلا علينا بتوجيهاتهما، فجازاهما الله كل خير .

الطالب: محمد دقي

تيسمست في: 28 أوت 2020

مدخل:

منهج السيميائي الغربي

الأصول والمرجعيات

## 1- السيميائيات: النشأة، المفهوم والموضوع

## 1-1- السيميائيات القديمة:

لقد كان ظهور الرمز حاسماً في حياة الإنسان، فمن خلاله استطاع أن ينظم تجاربه الحياتية في انفصال عن العالم، ومن ثمة إمكانية انفصاله عن اللحظة (هنا- الآن). وكان تداول الحصييلة الترميزية سبباً وراء تخلصه من عبء الأشياء والتجارب المباشرة اللصيقة بالزمان والمكان، ومن ثمة الاختلاف عن كل الموجودات الأخرى، من حيث القدرة على التخلص من المعطى المباشر، والقدرة على الفعل فيه، وتحويله وإعادة صياغته وفق غايات جديدة. ويختلف الإنسان عن الموجودات الأخرى أيضاً، من حيث القدرة على الحياة ضمن عوالم من نسيج أحلامه وآماله، مفصلاً عن الواقع المعيش.

فالإنسان هو الكائن الوحيد، الذي تعلم كيف يحوّل الأصوات إلى لغة تستعمل أداة للتواصل وإنتاج الفكر وتداوله، وهو الوحيد الذي استطاع ضبط علاقاته مع غيره، من خلال سنّ القوانين والشرائع، والاحتكام إلى الأعراف والأخلاق، وهو الوحيد الذي يسمي آلامه ويتعرف عليها ويميّز بينها، وهو الوحيد أيضاً الذي خلق عوالم جديدة، هي غير ما تراه العين لتمييز المتخيل عن الممكن والقابل للإسقاط، إنه فعل ذلك كله ليكتشف مع حالات الترميز الموضوعي المتتالية، قدراته الهائلة على التصرف في كل ما تمدّه الحواس ويأتيه من الطبيعة.

لقد خرج عن طوع كل شيء ولم يعد يكتفي بما تقدمه الطبيعة خاماً، كما لم تعد ترضيه أعضائه ومجهوداته الحسية الهشّة.<sup>1</sup>

فالقيام بحركات المشي أو النظر أو الأكل، سلوك مشترك بين الكائنات الحية كلها، وهو سلوك خالٍ من أي معنى أو تفكير مسبق، أمّا السلوك السيميائي، فينظر إليه باعتباره صياغة جديدة للتجربة الإنسانية خارج إكراهات الحضور المادي للأشياء.

<sup>1</sup> - ينظر: سعيد بنكراد، السيميائيات: النشأة والموضوع، مجلة عالم الفكر، ع: 03، م: 35، يناير، مارس، 2007، ص 07، 08.

ويمكن أن نتمثل لذلك بوظيفة العين التي تبصر، لكنّها حين تغمز تنزاح عن هذا المعطى البيولوجي، وتنتج فعلاً دلاليّاً يحتاج إلى معرفة لا علاقة لها بفعل البصر، فسلوك الغمز ليس فطرياً في حركات العين، ولا يمكن معرفة هذه الحركة البسيطة، إلّا من خلال استحضار المخزون الثقافي الذي يحيل على الدلالة المشتركة بين فئة اجتماعية معينة وثقافة ما.<sup>1</sup>

فسعيد بنكراد يعتبر السيميائيات نشاطاً معرفياً يستمد أصوله وامتداداته من مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية، أما موضوعاته فهي غير محددة،<sup>2</sup> إذ يمكن رد مرجعياتها إلى أصول عديدة ومتنوعة كما صاغها غريماس (A.J. Griemas) وكما يرى كلود زلبرباغ (C.Zilberberg)، ومنها على وجه الخصوص الإرث اللساني السوسيري ومدرسة براغ وأعمال برونديل وهيلمسليف وتراث الشكلايين الروس، وخاصة فلادمير بروب والإرث الفرنسي (تنيير وسوريو).<sup>3</sup>

على أنّ السيميائيات القديمة مرّت حسب العديد من الباحثين بعدة مراحل رئيسية:

#### المرحلة الأولى:

تعود حسب بعض الباحثين إلى أيام الفكر اليوناني مع "أفلاطون" و"أرسطو طاليس" و"الرواقين" \* اللذين عدّوا أول من وعى فكرة العلامة وأنّها دالاً ومدلولاً.

#### المرحلة الثانية:

هي مرحلة "القديس أوغستين" \*\* (354م-430م)، تحدث فيها عن نظرية التأويل النفسي (تأويل النصوص المقدسة)، وهي نظرية تشبه إلى حدّ كبير نظرية "فنفتشتاين" الألماني في اللغة

<sup>1</sup> - ينظر: عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية (نماذج وتطبيقات)، منشورات الدار الجزائرية، الجزائر، ط1، 2015، ص 09

<sup>2</sup> - ينظر: سعيد بنكراد، السيميائيات: النشأة والموضوع، ص 08.

<sup>3</sup> - ينظر: قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، دار الألفية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2014، ص 24.

\* الرواقين: شعوب وفدت إلى اليونان من أرض كنعان - أصولهم عربية أو أمازيغية -.

\*\* أوغستين: كاتب وفيلسوف جزائري (نوميدي) ولد في طاغاست (سوق اهراس حالياً) في 13 نوفمبر 354م، من أم (مونيكا) وهي قديسة أمازيغية، وأب (باتريوس)، وهو إفريقي لاتيني وثني، توفي في 28 أوت 430م بمقاطعة هييون (عنابة حالياً)، ويعد من أهم الشخصيات المؤثرة في المسيحية وفي تاريخ الفكر الغربي، من أهم مؤلفاته " الاعترافات " التي يعتبرها الكثير من الباحثين أول سيرة ذاتية في الغرب والتي لا تزال تقرأ حتى اليوم.

حسب عز الدين المناصرة في تقديمه لمؤلف رشيد بن مالك (السيميائية: الأصول، القواعد والتاريخ).

المرحلة الثالثة: شهدتها العصور الوسطى في أوروبا من خلال مواضيع التأمل في العلامات واللغة. المرحلة الرابعة: كانت خلال القرن السابع عشر مع المفكرين الإنجليز والألمان، خاصة مع "جان لوك" (jean- luc) عام 1690م، الذي استعمل مصطلح سيميوطيقا (seimiotics)، والذي عني به العلم الذي يهتم بدراسة الطرق والوسائط التي يحصل من خلالها على معرفة نظام الفلسفة والأخلاق.

ثم جاء بعده الفيلسوف "هوسرل" (Edmund Husserl) الذي ألف كتاباً سمّاه "سيمات" و خلال القرن العشرين اهتمت الفلسفة بمسألة اللغة ومشكلاتها خاصة مع "برتراند راسل" (Bertrand russell) و"فننشتاين" (von wallenstein).<sup>1</sup>

## 1-2- السيمياء عند العرب:

ارتبطت السيمياء عند العرب القدامى بعلوم السحر التي تعتمد أسرار الحروف والرموز والتخطيطات الدالة، كما تحولت أحياناً إلى فرع من فروع الكيمياء وارتبطت أحياناً أخرى بعلم الدلالة ت أثراً بالمدرسة الرواقية، وثالثة بالمنطق وعلم التفسير والتأويل.

فلقد وُجد مصطلح "السيمياء" أو "السيما" في عدد من المؤلفات العربية، فورد مصطلح "علم السيمياء" عند "ابن الأكفاني" في مؤلفه "كتاب الدرّ التنظيم في أصول علم التعليم" بعد ظهور أعماله في بداية القرن العشرين، وبالرغم من إثارة هذا الكتاب لجدل كبير بين المحققين والمؤرخين إلا أنه لم يكن من المصادر التي نخلت منها أوروبا اللاتينية.

كما كان ل"محمد شاه بن المولى شمس الدين الفناري" "كتاب نموذج العلوم" سنة 1220هـ ورد فيه فصل "علم السيمياء"، وخصّص ابن خلدون فصلاً في مقدمته عن أسرار الحروف المسمّى بالسيما معتبراً علم "أسرار الحروف" من تفاريع السيميا.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية (نماذج وتطبيقات)، ص 10، 11.

بينما يؤكد "عادل فاخوري" لدى تناوله موضوع السيمياء عند العرب، تأثرهم " بالمدرستين المشائية والرواقية في مجال علم الدلالة (الفارابي وابن سينا)، وقد انوجدت السيمياء في علوم المناظرة والأصول والتفسير والنقد، وهي تعود إما إلى حقل المنطق أو إلى حقل البيان، فالدلالة عند العرب القدامى تتناول اللفظة والأثر النفسي، أي ما يسمّى بالصورة الذهنية والأمر الخارجي، أمّا الكتابة فهي تدخل بعين الاعتبار، إذ أنّها دالة على الألفاظ لكن دورها هذا ليس ضرورياً عند ابن سينا خلافاً لأرسطو، وابن سينا لا يستثني الأمر الخارجي (المرجع - Referent) من العلامة اللفظية".<sup>2</sup> مشيراً في السياق ذاته أنّ "يحيى العلوي" يقترب من موقف "دي سويسر"، حيث يقول (العلوي) بأنّ "الحقيقة في وضع الألفاظ، إنّما هو للدلالة على المعاني الذهنية دون الموجودات الخارجية"<sup>3</sup> وبعد أن أكدّ أنّ العرب اعتمدوا الدلالة اللفظية أنموذجاً أساسياً، أوضح بأنهم قريبون من تقسيم "بيرس" للعلامة مشيداً بأبحاثهم التي تناولت علم العلامات المركبة وتحليل الدلالة المؤلفة من تسلسل عدة توابع دلالية والتي كانت بمثابة المدخل الجديد للسيمياء المعاصرة.<sup>4</sup>

### 1-3-1 بين سيميولوجيا دي سويسر وسيميائية بيرس:

#### 1-3-1-1 سيميولوجيا دي سويسر:

لقد ظهرت التبشير الأولى لتأسيس السيميائيات بأوروبا خلال ستينيات القرن الماضي مستفيدة من المكاسب التي حققتها مع "دي سويسر" الذي عرّفها بالمادة التي تدرس " حياة العلامات في صلب الحياة الاجتماعية".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: م. ن، ص 12.

<sup>2</sup> - آن إينو وآخرون، السيميائية (الأصول، القواعد، والتاريخ) تر: رشيد بن مالك، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط1، 2008 ص 30.

<sup>3</sup> - م ن، ص ن.

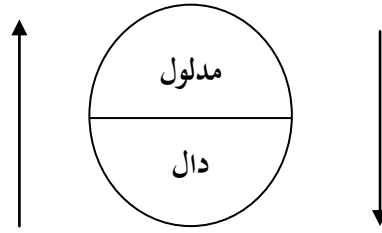
<sup>4</sup> - ينظر: م ن، ص ن.

<sup>5</sup> - جون ماري كلينكنبارغ، السيميولوجيا أو السيميائية؟ الموضوعات والأهداف، تر: رشيد بن مالك، مجلة بحوث سيميائية، مج: 3، ع: 3، 2007 جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، ص 18.



فلقد كلف "سويسر" بمهمة تدريس علم اللغة العام (من 1906م إلى 1911م) بجامعة جنيف وبعد وفاته سنة 1913م جمع تلامذته ملاحظاته المدونة ونشروها سنة 1916م بعنوانه "دروس في علم اللغة العام"، بعدما رأوا أنها مبتكرة جداً، إذ يختلف منهج دي سويسر في دراسة اللغة اختلافاً جذرياً عن المنهج الذي قدّمه فقهاء اللغة خلال القرن التاسع عشر، حيث يركز كتابه على طبيعة العلامة اللغوية التي عرفها بأنها كيان ذو وجهين، أحدهما يمثل الدال وهو الجانب المادي من العلامة.

أو "الصورة الصوتية" بتعبير "سويسر" والآخر الذي يمثل المدلول ولا ينفصل عن الدال في أية علاقة بل يُولده، حيث يمثل المدلول "المفهوم الذهني" موضعاً هذه العلاقة بالشكل التالي:



والارتباط اعتباطي بين الدال والمدلول في فهم "سويسر" للعلامة اللغوية، فليس من الضروري أن يتولد المفهوم الذهني لكلمة dog (الكلب) من الدال الذي يتكون من الأصوات /d/، /o/، /g/ إذ في الواقع يتولد هذا المفهوم عند الفرنسيين من الدال chien، بينما يتولد عند الألمان من الدال hund وحتى لدى الإنجليز، يمكن للبعض منهم أن يستخدم كلمة woofers أو blongo أو glak لتحل محل كلمة dog.<sup>1</sup>

لقد تنبأ "سويسر" بظهور علم يدرس استخدام العلامات في المجتمع وسيكون هذا العلم جزءاً من علم النفس العام، حيث أطلق عليه مصطلح علم العلامات (semiology)، الذي صار مرتبطاً بالمدرسة الأوروبية بعد ذلك، لكن "مارسيلو داسكال" أعاب على سيميولوجيا "سويسر"

<sup>1</sup> - ينظر: بول كوبلي وليتساجانز، أقدم لك... علم العلامات، تر، جمال الجزيري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص 16، 17، 18.

اعتمادها في تأسيسها لنفسها على البناء الإستمولوجي للسانيات، باعتبار أن أدواتها المعرفية ومفاهيمها وطبيعتها وحداتها، لا تعدو أن تكون ما أمدّتنا به اللسانيات السوسيرية ذاتها.<sup>1</sup>

وبالرغم من ذلك نعتقد كما يؤكد الكثير من الباحثين، أن "سوسير" استطاع فعلاً أن يفتح أوّل باب لهذا العلم، رغم إثارته العديد من الأسئلة التي لم يقدم إجابات لها في حينها، باعتبار أن أدوات هذا العلم مستمدة من علوم عدّة (لسانيات، بيولوجيا، أنتربولوجيا، علم النفس، علم الاجتماع الأدب الفلسفة، المنطق...)، كما أن التأسيس للسيميولوجيا سيحتاج كماً تبييناً لاحقاً لعدة مقاربات.

### 1-3-2- سيميائية بيرس:

لقد خلفت "بيرس" مجموعة ضخمة من الكتابات، جمعت في ثمانية مجلدات، لم ينشر معظمها إلاّ في حياته، حيث طور ما سمّاه بعلم العلامات (seméiotic) من خلال دراسته للمنطق والفلسفة، مميزاً بين ثلاثة أحوال للوجود، يمكن ملاحظتها بيسر في كل ما هو حاضر في الذهن وفي كل وقت وحال.

أولها يتطابق مع عالم الأفكار والممكنات والكلية والمتواصل، المبهم والسديمي وهو ما عبّر عنه بالأولانية، وثانيها يتصل بعالم الأشياء والوقائع سواء تعلق الأمر بالأحاسيس أو النوعيات وما إلى ذلك وهو ما أطلق عليه الثانية، وثالثها يتضمن كل ما من شأنه أن يكون مقيداً أو مجبراً كالعادة و القانون أو كل ما يعبر عنه داخل قضية كونية، وهو ما سمّاه بالثانية.

### الأولانية/عالم الممكنات (primité):

هي تحديد للكينونة في طابعها المباشر، دون وسائط أو تجسيد أو علاقة مع شيء آخر فالألوان مثلاً هي في ذاتها مستقلة عن أي شيء آخر، وغير قابلة للوصف ولا للإرتباط بشيء مادي آخر

<sup>1</sup> - ينظر: مارسيلو داسكال، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، تر: حميد لحداني، محمد العمري، عبد الرحمان طنكول، محمد الولي، مبارك حنون، إفريقيا الشرق، الدر البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص05.

وكذلك الأمر بالنسبة للأحاسيس كالفرح والحزن... ، إذ الأول ينبغي أن يوجد بواسطة ذاته، دونما أي اعتبار لأي شيء آخر.

والأولانية بذلك حسب بيرس، هي كينونة الشيء الأول المستقل بذاته خارج أي سياق أو تحقق، والسابق لأي تركيب أو توليف خارج المكان والزمان، وهو شيء غير موجود، لكنه يحمل في ذاته قدرات وإمكانات تجعله يوجد أو لا يوجد، يتحيز أو لا يتحيز<sup>1</sup>.

الثانانية/عالم الموجودات (secondéité):

وتتم من خلال وجود الأولانية وتحققها في الزمان والمكان، أي أن الأحاسيس و النوعيات غير قابلة للوصف والتحديد خارج الزمان والمكان .

والثانانية تعني نقل هذه الأحاسيس والنوعيات من الكينونة الالامحددة إلى الكينونة في إطار الزمكانية.

والثانانية بحسب " نيكول إيفرت ديسمت " (Nicole evert desmedt) هي مقولة الواقعي والفردية، إنها مقولة التجريب والحدث والوجود، وجود الشيء، ووجود الحدث، وجود الفكرة والوضعية والحلم المدرك، إنها مقولة " الهنا والآن "، وجود الشيء الذي حدث في مكان وزمان معينين<sup>2</sup>.

الثالثانية/ عالم الواجبات (tiercité):

إن إدراك الأول والثاني لا يتم إلا عبر الثالث بوصفه تحويراً لوجود الموضوع، فالثالثانية هي الفكر أو القانون الذي يربط بين الأولانية والثانانية، فهي شرط لإنتاج الفكر والدلالة، إذ لا يمكن للأول أن يحيل على الثاني، في غياب العنصر الثالث الذي يربط بينها.

<sup>1</sup>-voir :pierce. C.s, Ecrits sur le signe (rassemblés traduits et commentés par G.Deledalle) paris seuil.1984 , p70.

<sup>2</sup>-Nicole evert desmedt , le processus interprétatif, introduction à la sémiotique de c, s perice, éd mardaga, 1990, p 55.

يقول "بيرس": " فإذا افترضنا أنّ كل فكرة علامة، فيشترط في الفكرة أن تقود بدورها إلى فكرة أخرى، من أجل تحديد فكرة أخرى"<sup>1</sup>، ومن أهم آراء بيرس الشهيرة التي أوردها رشيد بن مالك من خلال ترجمته لكتاب السيميائية (الأصول، القواعد والتاريخ):

1- ليس المنطق إلاّ إسماءً آخر للسيميوطيقا، والسيميوطيقا نظرية شكلية للعلامات.

2- العلامة أو المصورة (representamen) هي شيء ما ينوب عن شخص ما عن شيء ما من جهة ما وبصفة ما، فهي توجه لشخص ما.

بمعنى أنّها تخلق في عقل ذلك الشخص علامة معادلة أو ربما علامة أكثر تطورا، يسميها "بيرس" مفسرة (interpretant) للعلامة الأولى، أي أن العلامة تنوب شيء ما، وهذا الشيء هو موضوعتها (objet)، وهي تنوب عنها إلى نوع من الفكر (ركيزة المصورة - ground-).

3- كل علامة مرتبطة بثلاثة أشياء هي: الركيزة والموضوعة والمفسرة، كما أنّ لعلم السيميوطيقا ثلاثة فروع هي: النحو النظري (النحو الخالص) الذي يبحث فيما يجعل العلامة التي يستخدمها كل فكر علمي قادرة على تجسيد معنى ما، وفرع المنطق الصرف وفرع ثالث هو البلاغة الخالصة.

4- الشيء لا يصبح علامة إلاّ عندما يقوم بتصوير شيء آخر يسمى موضوعته، وإذا كانت العلامة شيئاً متبايناً عن موضعتها فلا بد من وجود تفسير أو حجة أو سياق في الفكر أو في التعبير، يوضح كيف تم ذلك.

وبذلك تكون العلامة مع التفسير علامة أخرى، وكل علامة لها قاعدة تفسيرية يمكن على أساسها فهم العلامة، حيث تفترض العلامة معرفة مسبقة بالموضوعة كيما تقوم بتوصيل معلومات إضافية بصددتها.

5- يقسم "بيرس" العلامات وفق المصطلحات التالية:

أ- الأيقونة (icon): هي العلامة التي تشير إلى الموضوعة التي تعبر عنها عبر الطبيعة الذاتية للعلامة فقط، حيث تمتلك العلامة هذه الطبيعة سواء وجدت الموضوعة أو لم توجد.

<sup>1</sup>-Ecrits sur le signe, p 60.

ب- المؤثر (Index): هو علامة تشير إلى الموضوع التي تعبر عنها عبر تأثيرها الحقيقي بتلك الموضوعة، إذ المؤثر يقوم بالدلالة بصفته متأثراً بالموضوعة، حيث يتضمن نوعاً من الأيقونة مع أنه أيقون من نوع خاص.

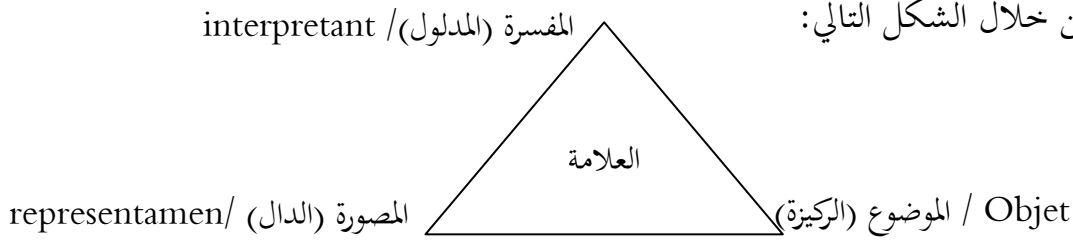
ج- الرمز (symbol): هو علامة تشير إلى الموضوعة التي تعبر عنها، حيث يقترن غالباً بالأفكار العامة التي تدفع إلى ربط الرمز بموضوعته، فالرمز نمط أو عرف أي أنه العرفية، ويتضمن نوعاً من المؤثر الخاص.<sup>1</sup>

كما ميّز "بيرس" بين نوعين من الموضوعات:

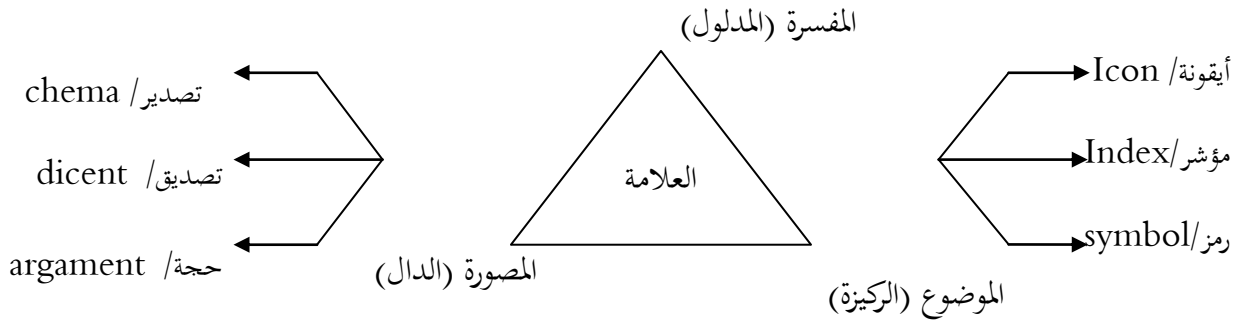
الأول: هو الموضوع الديناميكي، وهو الشيء في عالم الموجودات التي تمثله العلامة وتحيل إليه.

الثاني: وهو الموضوع المباشر، ويشكل جزءاً من العلامة وعنصراً من عناصرها، حيث يمكن توضيح

هذا الكيان من خلال الشكل التالي:



حيث خضعت العناصر المحددة للعلامة إلى التفريعات التالية:



2

<sup>1</sup> - ينظر: آن إينو وآخرون، السيميائية (الأصول، القواعد، والتاريخ)، تر: رشيد بن مالك، ص 31، 32.

<sup>2</sup> - ينظر: بشير تاوريرت، أمجديات في فهم النقد السيميائي، محاضرات الملتقى الوطني الثاني للسيميائية والنص الأدبي، 15-16 أبريل 2002، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ص 196.

وبعد، فبالرغم من مؤاخذه "بنفيسست" على "بيرس" تحويله كل شيء إلى علامات ووضع العلامة أساساً للعالم بأسره، إلا أنه أرسى قواعد نظرية عامة تعنى بالأنساق الدلالية في كافة أشكالها وتدرس العلامات وتمفضلاتها في الفكر الإنساني (نظرية شاملة للعلامات).

ولدى مقارنة رؤية الرجلين المؤسسين لهذا العلم، يلاحظ أن نظرية "بيرس" أوسع نطاقاً من نظرية "سوسير" وأكثر تعميمًا، لأنها تتجاوز علم اللغة باعتبارها كياناً ثلاثي المبنى، فهي تتكون إبدأً من الصورة التي تقابل الدال عند "سوسير"، والمفسرة التي تقابل المدلول عند "سوسير"، والموضوع الذي لا يوجد له مقابل عند "سوسير"، كما أنهما يلتقيان في نقطتين:

الأولى: اتخاذ كل منها (سيميولوجيا وسيميائية) علماً للعلامات.

الثانية: تصدير الفكرة القائلة بأن هذه العلامات تجري مجرى النظام الشكلي.

ويلتقيان أيضاً حول فكرة تأسيس سيميائيات لا ينحصر موضوعها في العلامة اللسانية أو البصرية، حيث الغاية القصوى هي دراسة أي شيء حامل للدلالة، بالرغم من اختلافهما في المنطلقات الإستمولوجية والمفاهيم الإجرائية.

#### 1-4- المصطلح:

لقد استعمل مصطلح السيميائية (semiotique) أو السيميولوجيا (sémiologie) قبل كل من "بيرس" و"دوسويسر" في سياقات علمية متقاربة، بدءاً ب"أفلاطون" الذي استعمل مصطلح (sémiotiké) إلى جانب مصطلح (Grammatiké) الذي يعني تعلم القراءة والكتابة، ثم يحتفي المصطلح قروناً ليعود مع الفيلسوف الإنجليزي "جون لوك" (john loke) (1632م-1704م) الذي استعمل مصطلح (seméiotiké) في تقاطع مع الدلالات الفلسفية والفكرية الأفلاطونية.<sup>1</sup>

واستعمل مصطلح السيميولوجيا أو السيميائية لاحقاً، بداية من سنة 1752 في المجال الطبي للاستدلال على مختلف الأمراض وأعراضها، ثم يمتد ليشمل مختلف العلوم.

<sup>1</sup> - ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص 225.

وفي سنة 1969 تتأسس " الجمعية الدولية للسيميائية " بإشراف من "أ.ج غريماس" ( AJ Greimas ) والتي عقدت العديد من المؤتمرات والملتقيات وفرق البحث حول السيميائية وأنشأت مجلة (sémiotica)، إلى أن أصدر "جوزيت راي دويوف" سنة 1979 ( lexique ) (sémiotique) وكل من "غريماس" و"كورتاس" القاموس المعقلن، حيث شاع مصطلح السيميائية وأمريكا بينما ذاع مصطلح السيميولوجيا بأوروبا، وظل هذا الخلط والتساهل في استخدام المصطلحين بين كثير من الباحثين في "العلامات"، بالرغم من الاتفاق الاصطلاحي حول مصطلح السيميائية ( sémiotique ) سنة 1968م من قبل خمسة من أقطاب السيميائية الكبار (جاكسون، غريماس ليفي ستراوس، بنيفنست، وبارت).

وعند العرب انتقل هذان المصطلحان إلى نحو عشرين ترجمة حسب الباحث "عبد الله بوخلخال"، الذي أعاب على الجهات العلمية المتخصصة انغلاقها وغياب التنسيق فيما بينها وكذا "اختلاف مشارب الأفراد اللذين يساهمون في وضع المصطلحات، وميل معظمهم إلى الفردية ومخالفة جهود الآخرين"<sup>1</sup>

فيما أحصى "يوسف وجليسي" ست وعشرين ترجمة لمصطلح (sémiologie) منها: سيميولوجيا، سيميولوجية، علم السيميولوجيا، الرموزية، علم الرموز... إلخ. وسبع وعشرين ترجمة لمصطلح (sémiotique) منها: سيميائية، سيميائيات، علم السيميائية، السيموتيك، الدلالية...<sup>2</sup> ف"عبد الملك مرتاض" و"رشيد بن مالك" يستحسنان مصطلح (السيميائية)، بينما يترجم "الطيب بكوش" المصطلح إلى (الدلالية) ويفضل "ناصر حامد أبو زيد" و"سيزا قاسم" مصطلح (السيميوطيقا) فيما اختار "عبد السلام المسدي" تسمية (علم العلامات) الأكثر دلالة في نظره على المفهوم الغربي.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - عبد الله بوخلخال، مصطلح السيميائية في البحث اللساني العربي الحديث ضمن " السيميائية والنص الأدبي " (أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها)، منشورات جامعة عنابة، الجزائر، 1995، ص 74.

<sup>2</sup> - ينظر: يوسف وجليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص: 229 وما بعدها.

- ينظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت و الجزائر، ط1، 2010، ص 15-16<sup>3</sup>.

ويعزي العديد من النقاد هذه الإشكالية إلى جملة من الأسباب، حيث يرجعها "أحمد مطلوب" إلى فوضى التأليف والترجمة المتأتية من تباين المناهل الثقافية التي ينتمي إليها المؤلفون والباحثون، فيما يرجع "عمر عيلان" السبب إلى غياب التراكم المعرفي والنظري المتعلق بالمناهج الحدائوية، بينما تعزي "منتهى الحراحشة" الإشكالية إلى عدة أسباب كالترجمة الحرفية وسكونية الجامع اللغوية في الوطن العربي وتنوع المناهج النقدية وغياب نظرية نقدية عربية، وكذا إلى غياب المؤسسات العلمية المسؤولة<sup>1</sup>.

ومهما يكن من أمر فإن إشكالية المصطلح النقدي عموماً تتطلب وضع مؤسسة علمية تحظى بتقدير الجميع وتأخذ على عاتقها معالجة هذا الأمر، بعد فشل مختلف الجامع العلمية والمنتديات السابقة في معالجة مثل هكذا إشكالات، و التي "تتطلب دراسة عميقة للمصطلحات والعودة إلى مضامها للوقوف على معانيها ودلالاتها، قبل إشاعتها في الدراسات الحديثة، ويقتضي ذلك وضع معجم نقدي حديث، يسهم فيه اجمعيون والمؤلفون والمترجمون والأدباء والنقاد"<sup>2</sup>

### 1-5- موضوع السيميائية وغايتها:

السيميائية هي ذلك العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات بأنواعها اللغوية والأيقونية والحركية التي ينتجها المجتمع، " ذلك أنّ كل مظاهر الوجود اليومي للإنسان تشكل موضوعاً للسيميائيات فالضحك والبكاء والفرح واللباس وطريقة استقبال الضيوف وإشارات المرور والطقوس الاجتماعية والأشياء التي نتداولها فيما بيننا، وكذلك النصوص الأدبية، كلها علامات نستند إليها في التواصل مع محيطنا، فكل لغة من هذه اللغات تحتاج إلى تعقيد، أي تحتاج إلى الكشف عن القواعد التي تحكم طريقتها في إنتاج معانيها، مستندة في ذلك وفي كثير من الحالات إلى ما تقترحه العلوم الأخرى من مفاهيم ورؤى."<sup>3</sup>

<sup>1</sup>- ينظر: محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف، بيروت والجزائر، ط1 2013 ص 149.

<sup>2</sup>- أحمد مطلوب، إشكالية مصطلح النقد الأدبي المعاصر، مجلة المجمع العلمي العراقي، العراق، ج2/45، 1998، ص 68.

<sup>3</sup>- سعيد بنكراد، السيميائيات وموضوعها، مجلة علامات، ع:16، 2001، المغرب، ص 10



فموضوع السيميائية هو المعنى بمعناه الواسع، سواء كان بهدف التواصل أم غير ذلك حيث المقاربة السيميائية "هي كل عملية تأمل للدلالة، أوفحص لأنماطها، أو تفسير لكيفية اشتغالها من حيث شكلها وبنيتها، أو من حيث إنتاجها واستعمالها وتوظيفها"<sup>1</sup> والسيميائية تبحث في كيف قال النص ما قاله (أي نص، كيف ما كانت مواد تعبيره) فهي تبحث عن البنيات العميقة وراء البنيات السطحية المتمظهرة فونولوجيا وصرفيا وداليا وتركيبيا وهي بذلك تبحث عن أسباب التعدد ولا نهائية الخطابات والنصوص، وترصد الأسس الجوهرية المنطقية التي تكون وراء سبب اختلاف النصوص والجمل والملفوظات والخطابات... وبما أنها - أي السيميائية - تأسست على فكرة العلامة، فهي لم تتأسس على التساوي وعلى التعالق القار، أو على التكافؤ بين العبارة والمضمون، بل تأسست على الاستدلال وعلى التأويل وعلى دينامية توليد الدلالة،<sup>2</sup> والسيميائية أيضا منتوج مجتمعي وفعل اجتماعي، فهي "تبحث في الدلالة من خلال تمظهرها في الأشكال اللغوية وغير اللغوية التي تنتجها المجتمعات البشرية، وتعد هذه الأشكال الدالة ممارسات اجتماعية."<sup>3</sup>

فالسيميائيات بذلك، كما يؤكد "بيار جيرو" (Pierre Guiroud) في النهاية ليست سوى "دراسة حياة العلامات في المجتمع"<sup>4</sup> وهي تهتم بكل ما ينتمي إلى التجربة الإنسانية العادية من موضوعات، شريطة أن تكون هذه الموضوعات جزءا من سيرورة دلالية، ذلك أن الموضوعات المعزولة الموجودة خارج مواد نسيج السيميوز (sémiosis) (السيرورة المؤدية إلى إنتاج الدلالة وتداولها)، لا يمكن أن تشكل منطلقا لفهم الذات الإنسانية أو قول شيء عنها، حيث "هذه

<sup>1</sup> -عبد الواحد المرابط، السيميائية العامة وسيميائية الأدب، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2010 ص07.

<sup>2</sup> -ينظر: أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص38.

<sup>3</sup> -Jean-marie floch, marketing et communication, sous les signes, les stratégies, PUF, paris,

عن: آن إنيو، رهانات السيميائية، تر: رشيد بن مالك، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2014، ص04..08، 2002،

<sup>4</sup> -pierre guiroud, « la sémiologie que sais - je ? » N1421 PUF, paris1973, Alain Gardan, conscience artificielle et système adaptifs, E.Eyrolles ; 2000, p83.

السيرورة الدلالية التي تقود إلى الكشف عن المعاني، وأنماط وجودها، من خلال مواد تعبيرية متنوعة، هي ما يشكل الموضوع الفعلي والحقيقي للسيميائيات<sup>1</sup>

فالسيميائيات في كل الأحوال، موضوعها المعنى ومحاولة البحث فيه "لا من حيث أصوله وجوهره، بل من حيث انبثاقه عن عملية بناء نصوص شتى، أي بحث في أصول السيميوز وأنماط وجودها."<sup>2</sup>

وعموماً أحصت الدراسات النقدية، اتجاهات ثلاثة رئيسية في دراسة السيميائية:

- "اتجاه يرى أنّ السيميائية هي دراسة الأنظمة الدالة، من حيث الظواهر الاجتماعية والثقافية الملامسة للنص، من منظور أنها جزء من اللسانيات، وقد مثل هذا الاتجاه "رولان بارت" "غريغاس" و"كورتيس".

- بينما يرى الاتجاه الثاني، أنّ السيميائية هي دراسة لأنظمة الإتصال عامة: اللغوية منها وغير اللغوية، ويسعى أتباعه إلى تحديد الأنظمة المختلفة وفق عدد من الإشارات، وقد تبني هذا الاتجاه "جورج مونان" وأتباعه.

- ووفق الاتجاه الثالث بين الرمز اللغوي وغير اللغوي، باعتبارهما يتكاملان مع اللسانيات، و مثل هذا الاتجاه: "أمبرتو إيكو" الإيطالي، "جوليا كريستيفا" و"محمد مفتاح" من المغرب.<sup>3</sup>

وتهدف السيميائية إلى تفاعل مختلف العلوم، ضمن حدّ مشترك كما تؤكد "سيزا قاسم" حيث الهدف والطموح هو "تفاعل الحقول المعرفية المختلفة، والتفاعل لا يتم، إلا بالوصول إلى مستوى مشترك يمكن من خلاله أن ندرك مقوّمات هذه الحقول المعرفية، وهذا المستوى المشترك هو العامل السيميوطيقي"<sup>4</sup>

<sup>1</sup>-سعيد بنكراد، السيميائيات وموضوعها، ص82.

<sup>2</sup>-م ن، ص79.

<sup>3</sup>-عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية (نماذج وتطبيقات)، ص23.

<sup>4</sup> - سيزا قاسم، مدخل إلى السيميوطيقا، حول بعض المفاهيم والأبعاد، ج1، ط2، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص13.

فيما يؤكد "غريماس" أنّ السيميائية لا تهدف إلى معرفة الواقع الاجتماعي والفردى فحسب ولكنها تسعى إلى تحويل المجتمع والأفراد وأنّ نتائجها القصوى هي علاج للمجتمع، كما أنّ السيميائيات البرسية تهدف أيضا إلى معرفة الواقع وإلى تغييره ضمن تراضى جماعة معينة مما أدى إلى نشوء فلسفة تربوية واسعة للمجتمع الأميركي دعيت بالذرائعية<sup>1</sup>.

فالسيميائية إذا وفي جميع الحالات، موضوعها هو البحث في المعنى، وهدفها أيضا هو استكشاف المعنى، إذ من غير الممكن اختزالها في وصف التواصل وحده، لأنها إجراء أعم من التواصل بسبب صعوبة حصر نية التواصل من جهة، وصعوبة تحديد مفهومه من جهة ثانية .

## 2- الأصول الفلسفية للنقد السيميائي:

لقد ركزت الأعمال الفلسفية الكبرى على دراسة العلامة باعتبارها الأداة الأولى لولوج الإنسان إلى عالم ثقافى يكتشف من خلاله طاقاته التعبيرية، إذ أن الإنسان هو الكائن الوحيد المنتج للدلالات والكائن الوحيد الذي يعي بالوسائط، وهو الوحيد أيضا الذي حوّل الأصوات إلى أشكال حاملة للمعاني، لذلك ما كان باستطاعته العيش دون الاستعانة بالعلامات.

فكيف كان ينظر القدامى من الفلاسفة والمفكرين للعلامة؟

### 1-2- العلامة عند السفسطائيين:

بالرغم من أنّ السفسطائيين لم يؤسسوا مدرسة فلسفية، إلا أنهم بحثوا في قضايا العلامة وملايساتها الدلالية، بعد أن ربطوها بتصور المعنى في المنطق والنحو، وأحدثوا ثورة على مستوى العقل أو "اللوغوس"، بعد أن تجاوزوا الفلسفات السابقة المرتبطة بالأسطورة والتفكير الطوباوي حيث أصبح الكلام مضطربا ومختلفا بعد ما كان موحداً للحقيقة ومقدسا للمعرفة، فأصبح بذلك المتلقي يفسر علامات الخطاب ومدلولاتها، متجاوزا الاقتصار على الاستماع فحسب" فقد

<sup>1</sup>-ينظر: محمد مفتاح، حول مبادئ سيميائية، مجلة علامات، المغرب، ع: 16، 2001، ص 64.

استطاعت هذه الفلسفة أن تحوّل موضوع التفكير اليوناني بالمقولات الطوباوية إلى موضوع التفكير عن طريق العلامات السيميائية الوضعية<sup>1</sup>

ويؤكد العديد من الباحثين تأثر المنطق الأرسطي بالخطاب السفسطائي معتمدا مقولات السفسطائيين الفكرية المعروفة، حيث أنّ "أرسطو أخذ فكرة المقولات من محاورات أفلاطون خاصة محاوراته في المنطق السفسطائي وكذلك في محاورته "كراتيلوس" و"بارمنيدس" في اللغة، وفي هذه المحاوره وردت عن أفلاطون مقولات الجوهر، الكم، كيف، الفعل، الانفعال، ولكن "أفلاطون" كان أعجز أن يقدم لها إجابات أو يشكّلها في نظام منسوق، فلم تحدّد لها عددا معينا، إلّا بعدما جاء أرسطو الذي حدّدتها في عشر مقولات"<sup>2</sup>

لكن "أرسطو" ذاته في كتابه (البوطيقا) يكشف مغالطات الخطاب السفسطائي، مغيرا بذلك التعريف الماهوي للعلامة والتعريف المنطقي للمقولات المحددة بشأنها، لتظهر بذلك البذور الأولى لميلاد إشكالية العلامة بين اللفظ والمعنى وثنائية الشكل والمضمون، وعلاقة اللغة بالمنطق وعلاقتها بعلم البلاغة وفن الخطابة بصفة خاصة والنحو عموما.

وهو النقد الذي كشف مدى التأثير الذي تركته البلاغة السفسطائية من إشكالات مهّدت للبحث في الإجابة عنها ميلاد المنطق الأرسطي، الذي قام عليه المربع السيميائي عند "غريماس"<sup>3</sup>.

## 2-2- العلامة عند الرواقين:

يعتقد العديد من الباحثين أنّ أول من درس العلامة باعتبار الدال والمدلول هم الرواقيون إذ يؤكد "أمبرتو إيكو" أنّ الرواقين وإن لم يوفقوا في إنشاء نظرية سيميائية، إلّا أنهم استطاعوا بطريقة ما معالجة إشكالية العلامة من خلال إرساء المثلث السيميائي الذي اعتمده "أفلاطون" و"أرسطو" وأعاد صياغته "بيرس" في شكل تصنيف هرمي منطقي ثلاثي الأبعاد لأجل تعريف

<sup>1</sup> - فتحي التريكي، قراءات في فلسفة التنوع، الدار العربية للكتاب، القاهرة، د ط، 1988، ص44.

<sup>2</sup> - زكريا بشير إمام، أساسيات علم المنطق، منشورات روائع مجدلاوي، عمان، الأردن، ط 1، 2001، ص49.

<sup>3</sup> - ينظر: أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة، المركز الثقافي العربي، بيروت و الدار البيضاء، د ط، 2005، ص21.

العلامة، ما يؤكد تفكيرهم على نحو ما في ملابسات العلامة وصياغة أصول التأويل الرمزي (L'interprétation allégorique). وينظر الرواقيون إلى العلامة في أربعة مستويات:

المستوى الأول: يتمثل في إبراز الدلالة اللغوية الحرفية للعلامة.

المستوى الثاني: يتعلق بإظهار المعنى المجازي والرمزي للعلامة.

المستوى الثالث: يعنى بإظهار مغزى العلامة العملي أو التداولي.

المستوى الرابع: يعد حصيلة للمستويات الثلاثة.

ومن الواضح أنّ ممارسة تفسير العلامة وتأويلها عند الرواقيين، يقوم على أساس التمييز بين الكلام الخارجي (le logos extérieur) وبين الفكر الداخلي (le logos intérieur)، لأنّ الظفر بحقيقة العلامة (الأسطورية) لا يتحقق إلاّ بصرف النظر عن المعنى الظاهري وطلب المعنى الباطني.

فالرواقيون بذلك ذهبوا أبعد ممن سبقهم في تمييز الطبقة غير المستقرة لوظيفة العلامة السيميائية وقد يرجع الأمر حسب "بوهلانز" (Bohlans) إلى أنّ جميع المثقفين من غير اليونانيين من أصل فينيقي، ممّا اضطرهم إلى التفكير والتعبير بلغة مختلفة عن لغتهم، الأمر الذي جعلهم أوّل من يتجاوز تلك المركزية العرقية اللغوية العنصرية ربما، وهي عنصرية حملت حتى "أرسطو" نفسه على تعريف المقولات المنطقية الكلية من خلال ألفاظ لغته اليونانية فحسب.<sup>1</sup>

## 2-3- العلامة عند أرسطو، أفلاطون، أوغستين وآخرين:

استفاد "أرسطو" (384-322 ق.م) من الفلسفات السابقة بشأن العلامة وبخاصة لدى

الرواقيين برأي "بنفنيست"، حيث صاغها في تصور جديد وأصبحت المقاربة النسقية للعلامة بوصفها توليفة بين الدال والمدلول خصيصة أرسطية، بعد أن بدأ بإصلاح محلّفات المسائل المتعلقة بالعلامة في الفلسفات السابقة، من خلال تحليله للعناصر الأولية للكلام، معتبراً العلامات اللغوية

<sup>1</sup> - ينظر: أميرتو إيكو، السيميائية و فلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، ص 77.

والتصورات مادته الأولية وهو ما ظهر بوضوح في كتابه " المقولات " في مقالات " الدال من كتاب الميتافيزيقا " <sup>1</sup>.

فيما اهتم "أفلاطون" (427، 347 ق.م) باللفظ ومعناه، مستخدماً لفظ (semiotique) للدلالة على فن الإقناع، مؤكداً أن للأشياء جوهرًا ثابتاً، ومعناها تلاؤم طبيعي بين الدال والمدلول،<sup>2</sup> وهي إشارة ضمنية إلى وجود بنية سطحية وبنية عميقة، استفاد منها "سوسير" و"هيلمسليف" لاحقاً، كما وظّفها "غريماس" في دراساته للنصوص السردية.

بينما تكمن أهمية آراء المفكر الجزائري "أوغستين" (354-430م) في تأكيده على إطار الاتصال والتوصيل عند معالجته لموضوع " العلامة "،<sup>3</sup> حيث قادت أبحاثه إلى الحديث عن العلامة الفلسفية مميزاً بين العلامات الطبيعية من جهة، وبين وظيفة العلامات عند الحيوانات وعند البشر من جهة أخرى.

وبعد جلاء فلاسفة كثيرون تناولوا العلامة بطريقة أو بأخرى، لعلّ أبرزهم "جون لوك" الذي تميز بدراسة له بعنوان " مقال حول الفهم البشري " أورد فيه مصطلح (sémiotiké) بدلالة مشابهة لتلك التي قدمتها الفلسفة اليونانية الأفلاطونية،<sup>4</sup> فيما ألّف الفيلسوف الألماني "هوسرل" دراسة كبيرة بعنوان سيميائيات "sémiotic"<sup>5</sup>

وخلال القرن العشرين تبدأ الجهود في الانصباب على دراسة مشكلة اللغة خصوصاً مع "برتراند راسل" و"فنتنجشتاين" وحتى مع "كاسيرير"، الذي تحدث عن السيميائيات لدى تناوله لموضوع الأشكال حيث نظر إليها " باعتبارها العلامة التوسطية بين الإنسان وعالمه الخارجي " <sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: أبو ريان محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي الثاني، أرسطو والمدارس المتأخرة، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1976، ص 38.

<sup>2</sup> - عبيدة صبيطي ونجيب بخوش، مدخل إلى السيميولوجيا، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص 09.

<sup>3</sup> - ينظر: فريال غزول، علم العلامات (السيميوطيقا)، مدخل استهلاكي، عن كتاب: سيزا قاسم، مدخل إلى السيميوطيقا، حول بعض المفاهيم والأبعاد ج1، ط2/د.ت، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، ص 15.

<sup>4</sup> - ينظر: برنارتوسان، ماهي السيميولوجيا؟ تر: محمد نظيف، ط1، 1994، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ص 37.

<sup>5</sup> - رشيد بن مالك، السيميائية، أصولها وقواعدها، ص 23.

<sup>6</sup> - سعيد بنكراد، السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، عن فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات اختلاف، ط1 2010، الجزائر، بيروت، ص 26.

وتستمر الإشارة الدالة على أنّ الإنسان قد تأمل في العلامة منذ بدأ التفكير من حوله حيث حوّل ذلك التفكير الفلسفي " لا عن قصد المعرفة، بل عن قصد التشكيك في المعرفة "،<sup>1</sup> إلى أن نصل إلى من لهما الفضل فعلياً في ظهور علم العلامة (سوسير وبيرس).

### 3- الأصول اللسانية للنقد السيميائي:

يعد "سوسير" أول من بشرّ بعلم جديد سيدرس العلامة داخل الحياة الاجتماعية من خلال الكشف عن قوانين ستمكن من تحليل "الإنساني والاجتماعي"، من خلال إعادة صياغة الأنساق المكونة للغات الإنسانية وشكلتها، حيث تتجاوز اللغة باعتبارها نشاطاً إنسانياً عاماً في كيانها حدود اللسان، الذي لا يشغل داخلها سوى وسيلة داخل وسائل أخرى (الإشارات الرموز، الطقوس...) لذلك لا يمكن قصر التواصل على اللسان فقط، دون اعتبار للأنساق الأخرى المنتجة للمضامين الدلالية، بالرغم من أنّ اللسان يعد أرقى هذه الأنساق وأكثرها أهمية حيث الأنساق المكونة للغات الإنسانية ترتبط فيما بينها بعلاقات بالغة التنوع، حدّد بعضها بنفيسست في ثلاث علاقات:

أ- علاقة قائمة على وجود تناظر بين نسقين أو أكثر، كالتناظر الموجود بين الكتابة الصينية وطقوس المجتمع الصيني.

ب- علاقة بين طبيعة توليدية، كحالة الأنساق التي يستعملها التواصل التحسسي (أبجدية براي) الخاصة بالمكفوفين المشتقة من أبجدية اللسان، والتي استناداً عليها تبني قواعدها وتركيبها.

ج- العلاقة التأويلية والتي تعد أهم هذه العلاقات، حيث أنساق تؤول اعتماداً على نسق آخر أي أن نسقاً ما يصبح أداة لتأويل الأنساق الأخرى، وحيث اللسان هو مؤول كل الأنساق، فهو أداة فهم دلالات الإيماءات وشرح معاني الصورة واللوحة والرقص... الخ.

وتشير هذه الأنساق إلى وجود لغات أخرى غير اللسان لها منطقتها وطرقها في إنتاج الدلالات من جهة، وإلى اقتصار هذه اللغات على اشتقاق لغة ثانية تشرح نمط اشتغالها من جهة

<sup>1</sup> - فريال غزول، علم العلامات (السيميوطيقا)، ص 14.

أخرى، كما أنّ هذه الأنساق تتميز بالتنافر والتعدد والاختلاف، ولا يمكن إدراكها إلا باللسان الذي هو أداة الوصف والتصنيف والتأويل لكل المجتمع<sup>1</sup>.

وفيما كانت السيميائية قد ظهرت بأسسها الحديثة مع "بيرس" في أمريكا خلال النصف الأول من القرن الماضي، كان الأميركي الآخر "موريس" (c.w.morris) يرى أنّ السيميائية قد احتلت فعلا موقعها في التقصي العلمي، معلنة استقلالية الظاهرة اللغوية شأنها شأن اللسانيات حيث السيميائية حسب، "لم تكن مجالاً تخصصياً فحسب، بل أنّها احتلت فوق ذلك موقعا مركزيا في البحث العلمي بوجه عام، إذ كان عليها مهمة اكتشاف اللغة المشتركة في النظرية العلمية"<sup>2</sup>. فالسيميائية بمختلف اتجاهاتها اتكأت على الدرس الألسني وعلى الثنائيات الألسنية، لاسيما ثنائية "الداخل والخارج" التي انبنى عليها النقد الأدبي الحديث والمعاصر، لاسيما المناهج النقدية النصّانية التي انتصرت لقطب الداخل من بنيوية وسيميائية وأسلوبية...

والسيميائية وإن أخذت من اللسانيات مبدأ النظر إلى البنية في علاقاتها الداخلية، متحاشية علاقة النص بالخارج فإنّها ضحّت أيضا بالعلاقة بين الدال والمدلول، "إذ العلامة الألسنية اعتبارية وذلك لتعريفنا العلامة على أنّها مجموع ما ينجم عن ترابط بين الدال والمدلول"<sup>3</sup>، حيث تلتقي السيميائية باللسانيات في القول باعتبارية الدليل اللساني، وهو ما يمنح الدوال مدلولات غير منتهية، ويجعل المبدع لدى السيميائيين يدخل الكلمة في سياق يجعلها أيضا تحمل أكثر من دلالة بعد أن كان اختارها من مخزون اللغة.

لكن "سوسير" تعرض في إقراره لاعتبارية العلامة اللغوية لبعض الانتقادات ومنها انتقادات "بنفنيست"، الذي يعتبر العلاقات داخل اللسان ضرورية وليست اعتبارية، إذ أنّ "الاعتباط يقع بين العلاقة (دالاً ومدلولاً) والشيء الذي تعينه، وليس بين (الدال و المدلول)، خصوصا أنّها من

<sup>1</sup>- ينظر: سعيد بنكراد، السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، الفصل الثاني، ص15، موقع: [www.bilarabiya.net](http://www.bilarabiya.net) اطلع عليه بتاريخ: 19 ماي 2018 على الساعة: 15 سا

<sup>2</sup>- ميلكا إنيش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية د ط، 2000، ص352.

<sup>3</sup>- ميشال أرفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، ص30.



طبيعة نفسية... إنّ الإعتباط يكمن بين اللسان والعالم، ليست العلاقات داخل اللسان باعتباطية وإنما هي (ضرورية)<sup>1</sup>.

وبرغم هذه الانتقادات إلا أنّ أثر الدرس اللساني السويسري ظلّ متجلياً لدى السيميائيين خصوصاً ما تعلق بتصور اللسانيات للرسالة اللغوية باعتبارها منظومة من العلامات اللغوية، وأنّ العلامة تتكون من دال ومدلول، حيث الدال هو الصورة الصوتية والمدلول هو ما تثيره تلك الصورة لدى المتلقي، إضافة إلى أنّ مهمة اللسانيات هي وصف النظام اللغوي آنياً، وتركيزها على العلامات داخل النسيج النصي، وهي الفكرة التي استثمرتها السيميائية في ثراء النص الأدبي، وهي كلها تجليات نجدتها بوضوح لدى العديد من أقطاب الدرس السيميائي المعاصر، من اللذين تبنا هذه الأطروحات، وبخاصة موضوع دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها.

#### 4-الأصول الشكلانية للنقد السيميائي:

تعد مدرسة الشكلانيين الممهد الفعلي للدراسات السيميائية، وهي حركة أدبية روسية ظهرت خلال الحقبة الممتدة من 1915م إلى 1930م وتكونت من إندماج قطبين أولهما حلقة موسكو اللغوية لطلبة الدراسات العليا برئاسة "جاكبسون" (R.jackobson) سنة 1915 وثانيهما جمعية دراسة اللغة الشعرية المختصرة في كلمة "أبوياز" (opoiaz) على أيدي مجموعة من نقاد الأدب وعلماء اللغة في بترسبورغ ببلغراد سنة 1916م بقيادة "شلوفسكي"، "أوسيب بريك" و"فلاديمير بروب"، حيث تميزت بحوث الشكلانيين الروس "بمبدأ أساسي قائم على معارضتهم للمناهج التقليدية، ودراسة الأدب بوصفه مجموعة شكلية تحكمها قوانين خاصة مع التركيز على العناصر النصية والعلاقات المتبادلة بينها، وعلى الوظيفة التي تؤديها في مجمل النص"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> -عبد الله ابراهيم وآخرون، في معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، الدار البيضاء، ط2، 1996، ص75.

<sup>2</sup> -رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط1، 2000، ص29.

كما دعوا الدارسين للنص الأدبي إلى الاهتمام بشكلية اللغة، من حيث هي تراكيب وبنى صرفية وأصوات، فالأدب في تصورهم "كيان لغوي مستقل، أو جسد لغوي أو نظام من الرموز والدلالات التي تولد في النص وتعيش فيه ولا صلة لها بخارج النص"<sup>1</sup> ويعد "فلادمير بروب" رائد هذه المدرسة، حيث اعتبر كتابه مورفولوجية الحكاية (Morphologie du conte) من الكتب الحاسمة في تطور الدراسات البنيوية والسيميائية والأنموذج الأكثر نضجا، والذي من خلاله أجرى دراسة على مجموعة من الحكايات الشعبية الروسية العجبية، وانتهى إلى أن الحكاية هيكل بنيتها مركبة، يمكن تفكيكها واستنباط العلاقات التي تربط مختلف وظائفها في مسار قصصي معين، مستنتجا ما سماه "المثال الوظيفي" الذي يمثل البنية الشكلية، التي تولد عددا غير محدد من الحكايات ذات الأشكال والتراكيب المختلفة حيث هذه الوظائف مقبولة حسب مسار واحد، ممثلا في بداية حدوث إساءة، ونهاية ممثلة في إصلاح الضرر.

إنّ الدراسة الاستقصائية التي قام بها "بروب" قادت إلى الإقرار بأنّ عدد الوظائف التي تتحكم في الحكايات الروسية تبلغ إحدى وثلاثين وظيفة، ويقصد بالوظيفة عمل الفاعل من حيث معناه في مجرى القصة، فالحدث يعد وظيفة، لكونه رهين سلسلة من الأحداث السابقة التي تبرره والأحداث اللاحقة تستنتج عنه، حيث لكل حدث قيمة وظيفية، ما دام يمثل حلقة في سلسلة الأحداث، سواء كان الحدث ذا صيغة فعلية أو كلامية، ودلالة أية وظيفة ينبغي أن تستمد من تطور الحكاية، حيث يعرف "بروب" الوظيفة بأنها "فعل الشخصية المحدد من حيث دلالاته في تطور الحكاية"<sup>2</sup>

إنّ تحليل الحكاية مرهون بوصفها وفقا لأجزاء محتواها، وعلاقة هذه الأجزاء بعضها ببعض ثم علاقتها بالمجموع، كما أنّ تمييز كل وظيفة من الوظائف الإحدى والثلاثين، يتم بناء على التابع

<sup>1</sup> -شكري عزيز الماضي، محاضرات في نظرية الأدب، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، د ط، 1984، ص39

<sup>2</sup> -Vladimir propp, morphologie du conte, seuil, paris, 1970, p31

عن رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص30

والترابط فيما بين هذه الوظائف، وعلى العلاقات الخلافية على طول الخط السردي، ضمن سلسلة أحداث الحكيم الذي يمتلك قوانين متشابهة في كل الحكايات العجيبة، إذ ليس من الضروري أن يتحقق كل العدد من الوظائف في حكاية واحدة، فكل الحكايات الروسية المشكلة للمتن المدروس من منظور "بروب"، تعتبر تنوعاً لحكاية واحدة ينبغي البحث الحثيث عنها واستنباط قوانين تظهرها<sup>1</sup>.

ينظر "بروب" إلى المعطى الحكائي من خلال التجلي السطحي فقط، فهو وحده القابل للتصنيف والنمذجة، على الرغم من تنوع المتن الحكائي وتعددده، وهو ما أشار إلى أهميته كل من "شترأوس" و"غريماس" بعد استفادتهما من هذا التصور، حيث يؤكد غريماس ذلك بقوله: "إنّ قيمة النموذج البروبي لا تكمن في عمق التحاليل التي تسنده، ولا في دقة صياغته، وإنما تكمن في قدرته على الاستفزاز، وطاقته على إثارة الفرضيات، ذلك أن تجاوز خصوصية الحكاية الشعبية في كل الاتجاهات، هو الذي طبع مسيرة السيميائية السردية منذ بدايتها"<sup>2</sup>.

من جهته أعاب "ليفي شترأوس" على تصورات "بروب" - رغم أهميتها - تضييعه لمضمون الحكاية في رحلته من الملموس إلى المجرد، معتبراً عمل "بروب" ثانوي وغير وظيفي مؤكداً أنّ "المضمون هو الذي يؤسس خصوصيات الحكاية، باعتبارها عنصراً يعود إلى ما يميز هذه المجموعة البشرية عن تلك"<sup>3</sup>، بعد أن لاحظ أنّ مجموعة من الحكايات في الهند وأمريكا تعتمد أفعالاً متشابهة، ولا يمكن استبدال أنواع هذه الحكايات دون أن تخلق تغييراً بالكون الدلالي الخاص بإحدى هذه الحكايات، إذ أنّ حضور عنصر ما أو غيابه، هو الذي يحدد البعد القيمي لأي حكاية، ليتجاوز "شترأوس" بذلك فكرة الحديث عن العناصر المتحولة، إلى الحديث عن مضمون الاستبدال، أي الانتقال من كون دلالي إلى كون آخر مختلف عنه.

<sup>1</sup> - ينظر: إدموند، ليتش، كلود ليفي شترأوس، دراسة فكرية، تر: نائل ديب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، د ط، 2002، ص 12.

عن: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية الخطائية، تر: جمال حضري، منشورات Greimas a.j - 2، الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2007، ص 12.

<sup>3</sup> - Levi - Straus (Claude), anthropologie structurale, 2<sup>ème</sup> éd, Plon, Paris, 1973, p :95.

بقي أن نشير إلى أنّ المشروع البروي وبالرغم من المكانة التي حظي بها لدى رواد الخطاب السيميائي الغربي، إلا أنه تأخّر نسبيًا في الظهور، ولم يتبدّد لدى الأوروبيين، إلا مع المهاجرين الروس إلى أوروبا الغربية على أيدي كل من "تدوروف" (Todorov) و "كريستيفا" (kristiva) كما أنّ "رومان جاكسون" (R.Jackobson)، كانت أفكاره الأساسية تطويرًا منطقيًا لأفكاره كشكلائي روسي وفي المرحلة اللاحقة كينيوي.

نشير أيضًا في ختام هذا البحث، إلى أننا سنحاول التطرق في المباحث اللاحقة إلى كثير من التفصيل للأصول الشكلائية للسيميائية السردية، عندما نستعرض المرجعية المعرفية لنظرية "غريغاس".

# الفصل الأول:

نظرية غريمااس:

المرجعيات، المفاهيم و المآخذ

- المرجعيات:

انتشرت السيميائية بشكل كبير، بعد الملتقى الذي عقد بباريس عام 1973 حول سيميائية الفضاء، ولم يستبعد "غريماس" اختفائها في حدود ثلاث سنوات، بعدما اعتبرها مسألة موضحة، لكنه أخطأ في تنبؤه وما وقع هو انتشارها بعد ذلك بشكل واسع .

ففي أواخر السبعينيات نشر "غريماس" نفسه معجمه الأول للمصطلحات السيميائية (Dictionnaire raisonné de la théorie du langage) مع "جوزيف كورتيس" (Joseph Courtes) والذي ترجم فيما بعد إلى الإنجليزية والإسبانية والبرتغالية و لم يترجم إلى العربية بعد، وقد كتب "غريماس" في هذا المعجم: "إن السيميائية ليست بعلم، إنها مشروع علمي".<sup>1</sup>

أما بناء النظرية فتقدم شيئاً فشيئاً وأدى إلى ما أسماه "غريماس" بالمسار التوليدي في محاولة إدراك جديد لعملية التداول (sémiosis)، أو ما يعرف لدى الباحثين السيميائيين بالسيرورة المنتجة للدلالة بالرغم من أنّ "غريماس" نفسه كان صريحاً في بناء مشروعه على أسس صلبة، حيث صرّح ذات يوم قائلاً: "لو عثرنا على نص مقاوم للتحليل بواسطة نظريتنا، لوجب علينا أن نغيّر النظرية ولا أن نغيّر النص"، وهو ما يؤكد أنّ السيميائية لا تزال مشروعاً علمياً قابلاً للتغيرات.<sup>2</sup> بالرغم من أمنية وطموح "غريماس" في تأسيس هذا العلم، حيث يقول: "ليس أجمل من أن نرى أماننا علمياً يتأسس"<sup>3</sup>

وفي حوار أجري معه سنة 1976 يؤكد ضرورة تقييم الوضعية الراهنة للسيميائية بواقعية معترفاً بأنه لا توجد بعد نظرية سيميائية جديدة بهذا الاسم ولا يتم إنجازها غداً،<sup>4</sup> فالصورة المعاصرة

<sup>1</sup> - أ.د هايدي تويل (Heidi Toelle)، المبادئ التي كان غريماس يبني عليها السيميائية والنتائج المنهجية التي نجمت عنها مقال منشور بالملتقى الوطني السادس "السيميائية والنص الأدبي"، 18-20 أبريل، 2011 منشورات جامعة محمد خيضر - بسكرة - ص 43.

<sup>2</sup> - م ن، ص 46

<sup>3</sup> - جان كلود كوكي، السيميائية - مدرسة باريس - تر: رشيد بن مالك، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003

ط 1، ص 40

<sup>4</sup> - م ن، ص ن

للسيميائيات ما تزال حسبه في مهدها، لكونها" لم تتحول بعد إلى سيميولوجيا واحدة متوافرة على تجانس منهجي ومفاهيمي، ومن ثمة فإنها لا تزال في مرحلة ما قبل الأنموذج من تطورها كعلم"<sup>1</sup> وبالرغم من أنّ هذه الآراء هي وليدة مرحلة السبعينيات من القرن الماضي إلا أنها تؤكد أن السيميائيات لم تكتسب بعد أركان العلم، فهي جملة من النظريات التي لا تكوّن صرحا متكاملا من المعارف، وهو وضع سببه الرئيس حسب "ديكرو" (Ducrot) و"تودوروف" (Todorouf) هيمنة اللسانيات ومناهجها على ميادين خاصة بعلم العلامات، وهو ما دفع "تودوروف" بالدعوة إلى ضرورة أن تنصهر السيميائية الأدبية ضمن ظاهرة أشمل هي الرمزية اللغوية.

كما أنّ أحد أهم أسباب هذا الوضع، هو شمولية السيميائية وتشعبها وطموحها اللامحدود وتعدد الميادين التي تكوّن شجرة نسبها،<sup>2</sup> إذ أن الحديث عن مجموعة هذه النظريات المصنفة ضمن السيميائيات السردية، سيكون حديثا عاماّ وغير قادر على الإلمام بكل القضايا التي تطرحها هذه النظرية، وهو أيضا بالنسبة لنا سبب رئيس لتناول نظرية واحدة بأكبر قدر من الشمول والوضوح، هي السيميائيات السردية لمدرسة باريس لمتزعمها "غريماس"، في محاولة لمعرفة مرجعيتها ومفاهيمها النظرية والإجرائية وتحليلاتها ومستويات تلقيها لدى بعض النقاد الجزائريين.

إنّ استيعاب النماذج في أصولها ومساءلة أبعادها الإستمولوجية هو وحده السبيل إلى إغناء معرفتنا بأنفسنا ومعرفتنا بالآخر، فما يأتيها ليس مجرد مفاهيم عارية من أيّ غطاء حضاري، بل هي نماذج معرفية تخفي داخلها نمط الحياة والموت وإنتاج القيم، كما أنّ معرفة الأسس الأولية لهذه النماذج سيمكننا أيضا من الكشف عن الهفوات ونقاط الضعف والقصور فيها، إضافة إلى أن الحديث عن نظرية ما لا يتم إلا من خلال الكشف عن الأسس المعرفية التي انبنت عليها.<sup>3</sup>

إنّ طموح نظرية غريماس غير المحدود إلى صياغة نظرية شاملة للمعنى في تحليل مختلف الخطابات والأنشطة الإنسانية لبناء مشروعها السيميائي الضخم، قد استمدت بعض مفاهيمها من اللسانيات

<sup>1</sup> - مارسيلو داسكال، الاتجاهات السيولوجية المعاصرة، ترجمة حميد حمداني وآخرين، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص18

<sup>2</sup> - ينظر: قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، دار الأملية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2014، ص17.

<sup>3</sup> - ينظر: سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، مدخل نظري، منشورات الزمن، المغرب، 2001، ص06-07.

السوسيرية والأنثروبولوجيا البنيوية لـ "كلود ليفي ستروس" (C.levi-strauss)، ومن تحليلات النص الحكائي الشعبي لـ "فلاديمير بروب" (v. propp) ونظرية العوامل لـ "تسنير" (Tesniere) وفلسفة العمل والنحو التوليدي لـ "شومسكي" (N.chomsky) والمنطق (أعمال برونالد) وغيرها<sup>1</sup>. فيما يشير الناقد الفرنسي "جان إيف تادييه" (jean yves tadie) إلى أنه لا يمكننا فهم أهمية وقيمة سيمولوجيا "غريماس" إلاّ من خلال فهمنا لكتاب مورفولوجيا الخرافة لـ "فلاديمير بروب" (v.prop) باعتباره من أهم أقطاب الإتجاه الشكلي الروسي<sup>2</sup>.

### 1- مدرسة جنيف ( فرديناند دي سوسير ) :

تشكل الدراسات الألسنية ومنها مؤلّف "دروس في الألسنية العامة" لـ "فرديناند دي سوسير" إحدى أساسات السيميائية المعاصرة، بعد أن شكّلت أفكاره المرتكز التأسيسي لعلم اللغة الحديث والمعاصر.

وها هو "غريماس" من خلال مقاله الشهير الصادر سنة 1956 (راهنية النزعة السوسيرية) يؤكد ضرورة استفادة العلوم الانسانية من ثنائية "سوسير" قائلا: "تكمّن في الحقيقة أصالة مساهمة "سوسير" في تحول نظريته الخاصة- التي تخص فهم العالم باعتباره شبكة من العلاقات أو باعتباره بناءً لأشكال ذات معنى - إلى نظرية للمعرفة ومنهجية لسانية"<sup>3</sup>.

على أننا سنحاول في هذا المبحث تناول البعد الشمولي للسيميائيات السردية، من خلال البحث في جذورها ومرجعيتها المعرفية المركزية وجهازها المفاهيمي الرئيس، كما أنّ اختيار "غريماس" أنموذجا للسيميائيات السردية باعتباره رائدا لمدرسة باريس ونظرا لاسهاماته المميزة في بناء هذا الصرح، حيث عُدّ كتابه "الدلالة البنيوية" الصادر سنة 1966، الانطلاق الأساس لتوجه هذه المدرسة، تبعه بعد ذلك بأعمال مميزة أيضًا لعلّ أبرزها: "في المعنى"، "في المعنى 2" وقاموسه المعروف مع تلميذه "جوزيف كورتيس"، حيث سعى "غريماس" بقوة وجهد نادرين، إلى بلورة رؤية خاصة للسيميائيات، زاده

<sup>1</sup> - ينظر: محمد مفتاح، بعض خصائص الخطاب، مجلة علامات، ج9، ص35، مارس 2000، المغرب، ص11.

<sup>2</sup> - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، مدخل نظري، ص78.

<sup>3</sup> -A.J. Greimas, L'actualité du sassurisme en le français modern ,3,pp/181-200,p192.



الأساس في ذلك هو التراث السوسيري (فردناند دي سوسير) واجتهادات "لويس يالمسليف" ومقترحات "كلود ليفي ستراوس" في دراسة الأسطورة.

ومن هذا التصور استلهمت جملة الثنائيات المتداولة: لسان / كلام، دال / مدلول، آنية / تزامنية، صوت / معنى، نظام / سيرورة...

وعلى الرغم من عدم وضوحها بالقدر الكافي، إلا أنها تبدو واعدة على المستوى الإجرائي داخل النظرية السيميائية، حيث تحددت التوجهات الكبرى من خلال المضامين الإجرائية حسب "جون كلود كوكي" التي أخذها مفهوم اللسان، باعتباره موضوعاً شكلياً ثم باعتباره موضوعاً دالاً واعتباره أيضاً موضوعاً اجتماعياً.<sup>1</sup>

فالمفاهيم العملية الأولى التي استخدمتها السيميائية انبنت على فرضيات ثلاث تخص اللغة هي أن:

أ- اللغة شكل لا جوهر، تحمل التحليل وذات طبيعة متجانسة فهي موضوع شكلي.

ب- اللغة هي "هندسة الأشكال المشحونة بالدلالة" فهي موضوع دلالي.

ب- اللغة "لا توجد إلا بمقتضى عقد مبرم بين أعضاء الجماعة" فهي بذلك موضوع اجتماعي.

فاللغة باعتبارها موضوعاً دلاليًا، هي المعطى المحقق للممارسات التي تبنتها الدلالية (la sémantique) في عملية الخلق بين جذور أعماق الألسنية وفروع سطح السيميائية (la sémiotique)<sup>2</sup>، فلقد ارتكزت انطلاقة التحليل السيميائي في دراسته لدلالة النص مع "سويسر" على مبدأ الاختلاف (Différence)، حيث لا إدراك لمعنى اللفظ إلا من خلال وجود سند له، وهو "المبدأ الذي توّجته الدلالية كمسار لها في تطور الدراسات البنيوية."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: محمد بادي، سيميائية مدرسة باريس، المكاسب والمشاريع (مقاربة إبستمولوجية)، عالم الفكر، مج 35، ع 03، 2007، ص 296-297.

<sup>2</sup> - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2008، ص 10.

<sup>3</sup> - م.ن، ص 10

ولقد أفاد "غريماس" من هذا المبدأ للاقتراب من المسألة الدلالية من خلال استيعاب الاختلافات المنتجة للمعنى، دون الاكتراث لطبيعتها في إطار بنية تدرك بحضور عنصرين على الأقل تربطهما علاقة ما بطريقة أو بأخرى<sup>1</sup>.

كما أفاد "غريماس" أيضا من مبدأ الاختلاف هذا، في تشكيكه للمربع السيميائي القائم على مبدأ التقابل الأرسطي، من خلال تمثيل الوحدات الدلالية التي لا تدرك إلا باستخلاص مقابل لها. فيما استثمر "غريماس" وجود التشاكل في الكلمات بالنص السردي، في بلورة الاختلاف والتباين بينها، حيث اعتبر مفهوم التشاكل السيميائي إحدى اهتمامات السيميائيين لاحقا، خاصة لدى "فرانسوا راستيبي" ... الذي ارتبط به هذا المفهوم<sup>2</sup>

## 2- مدرسة كوبنهاغن النسقية (نظرية الكلام):

لقد أفادت هذه المدرسة التي نشأت سنة 1935م بزعامة اللساني الدانماركي "لويس هيلمسليف" (1899م-1965م) من منهجية "دوسوسير" معتبرة العلامة اللغوية سبيلا لفهم هذه العلاقة، حيث التفكير المجرد يشبه التفكير المنطقي غير اللغوي لـ "سوسير" كما يوضح ذلك "رشيد بن مالك" بقوله: "ولعل ما يمكن تأكيده هاهنا، هو وجود نصوص كثيرة بيّن من خلالها "هيلمسليف" بكل وضوح تصورا نظريا شديد القرب من ذلك الذي أمكن استنباطه من نصوص "دي سويسر"<sup>3</sup>.

فـ "هلمسليف" ومن خلال مؤلفه (مقدمات في نظرية اللغة) إضافة إلى تمهيده للسانيات الجديدة يهدف أيضا إلى بناء نظرية للغة، تكشف المقدمات وتبين المناهج التي بني عليها علم اللسانيات مؤكدا أولوية النظري، تماما كما كان ينادي به "دي سوسير"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، 18.

<sup>2</sup> - ينظر: عبد المجيد عابد، السيميائيات، الجذور و الامتدادات. عن جريوي آسيا، السيميائية السردية من البنية إلى الدلالة- دراسة في ثلاثية "حكاية بخار" لحنا مينا-أطروحة دكتوراه، تحت إشراف: أ.د. بن غيسة نصر الدين- نوقشت بجامعة محمد خيضر- بسكرة-2012/2013م (مخطوط) ص33

<sup>3</sup> - رشيد بن مالك، السيميائية السردية، دار مجدلاوي للنشر، عمان، 2006، ص45.

<sup>4</sup> - ينظر: عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية (نماذج وتطبيقات)، ص31.

فلقد أنشأ "هيلمسليف" نظريته النسقية (الشكلية) التي تركز على الشكل في دراسة اللسان مرتكزا على أفكار "دي سويسر"، لكنه اتجه على نحو خاص مخالف لمبدأ التقابل لدى "سوسير" الذي يمنح مبدأ الإيجابية للوحدات اللسانية، معتبرا الوحدة في غاية من السلبية مادامت لا تحدد نفسها بنفسها، بل يجمع العلاقات الشكلية التي تقيمها مع بقية وحدات اللسان وهو بذلك يبحث في الأساس عن طبيعة العلاقات التناسقية لصنف العناصر اللسانية، التي يتشكل منها النص أو الخطاب على مستوى التعبير والمضمون.

كما خالف "هيلمسليف" "سوسير" أيضا، في اعتبار الوحدة اللسانية الأساسية هي الدليل (Le signe)، حيث يعتبرها وحدات أصغر تكتشف عن طريق الإستبدال (le paradigme)، رافضا بذلك الوظيفة والوصف بواسطة الصفات المادية والسمات المميزة، معتمدا مقابل ذلك العلاقات النسقية النظامية (les relation syntagmatiques) التي تربط الأصوات ببعضها والمعاني ببعضها الآخر.<sup>1</sup>

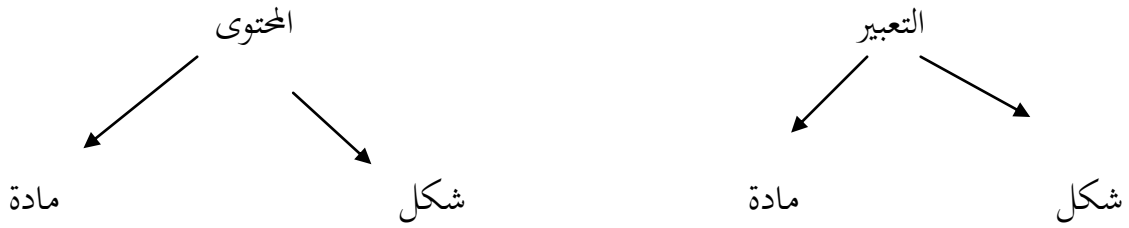
لقد عُدَّت الأفكار التي طرحها "هيلمسليف" في كتابه (مقدمات في نظرية اللغة) أكثر من نظرية، لأنَّ أسلوب التأليف جعله يحتوي على النظرية وعلى الأسس الإستيمولوجية التي تعقلن تأسيسها وتبرره، بالرغم ممّن عارض ذلك بسبب المآخذ التي طالت الأدوات (المفاهيم)، واستخدامها غير المنسجم و الخلل الذي أصاب هذه النظرية المزعومة على مستوى المفاهيم وتوظيف المصطلحات وكان ممّن انتقد ذلك "هنريك بريبنسن" (Henrik prebensen) في مجلة (langages) بعنوان "هل الغلوماسية نظرية؟"<sup>2</sup>، إذ يجعل القارئ لهذا المؤلف، يشعر بالحيرة في قضايا تناول المصطلح حيث يتعامل مع اختصاصات علمية متميزة كالسيمائية واللسانيات ونظرية اللغة والمنهج البنوي في

<sup>1</sup> - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيمائية السردية، ص 11.

<sup>2</sup> - ينظر: جمال بالعربي، قراءة في الأسس الاستيمولوجية لسيمائية هيلمسليف من خلال مشروعه التأسيسي حول نظرية اللغة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في قضايا الأدب والدراسات النقدية والمقارنة، إشراف: أ. د رشيد بن مالك، جامعة الجزائر، 2011-2012، ص52.

اللسانيات، ويضع كل ذلك في إطار ما يسميه بالغلوسيمية، حتى أننا نجد أحياناً تطابقاً صريحاً بين هذه الاختصاصات.<sup>1</sup>

وبالرغم من هذه المآخذ فإن "غريماس" استمد الأصول النظرية لمحاولاته السيميائية السردية المستحدثة في تتبع المعنى، من طروحات "هلمسليف" التي عُدَّت ركيزة أساسية في تمييز تمفصلات التعبير والمحتوى من خلال الخطاطة التالية:



وهو التصور الذي دعم الفهم الدقيق للعلاقة بين مادة المحتوى و الشكل الذي تتخذه هذه المادة على صعيد النص السردية خاصة، وعلى صعيد اللغة عامة، وهي التصنيفات التي أطرت هندسة بنيتة النظرية عند "غريماس".

ويعد شكل المحتوى، الجهة المركزية التي يحيل عليها البحث السيميائي، وهي جهة تخلص أيضاً الممارسة النقدية (باعتبارها نشاطاً معرفياً) من التحاليل الإيديولوجية ومن المعالجات التي تنظر إلى النص، باعتباره انعكاساً لمشاعر الكاتب وظروفه الاجتماعية.<sup>2</sup> وهو المنطلق الذي يؤكد ارتكاز "يلمسليف" على مبدأ المحاثية، واعتبارها ضرورة ملحة لاستبعاد الوقائع غير اللسانية من عملية الوصف، ودعت أيضاً إلى التعامل مع موضوع اللسانيات باعتبارها شكلاً<sup>3</sup>، وهو المبدأ الذي بلوره "غريماس" وصاغه من جديد في بحوثه السيميائية كسبيل لاعتماد النسق المغلق في إبراز التحليلات الدلالية وكيفية اشتغالها .

<sup>1</sup> - ينظر: م. ن، ص 39.

<sup>2</sup> - ينظر: رشيد بن مالك، السيميائية بين النظرية والتطبيق (نوار اللوز نموذجاً) رسالة دكتوراه الدولة في الآداب، معهد الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان 1994 - 1995، ص 91 - 92.

<sup>3</sup> - ينظر رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 09.

فلقد سعت السيميائية ضمن مشروعها المحدث، إلى استقراء شكل المحتوى ووصفه في مقارنة وتحليل النصوص السردية، حيث أفاد "غريماس" في مشروعه منطلقاً من مستويين :

**مستوى سطحي:** على الصعيدين السردى والخطابي، حيث تدرك المعطيات القرائية من مجمل الحالات والتحويلات المؤطرة للنص السردى .

**مستوى عميق:** على الصعيد المنطقي الدلالي، حيث تتجلى من خلاله مادة المحتوى في بنائها الداخلي .

حيث التحليل بموجب هذه المستويات، يمكن من تقديم وصف متناسق لبنيات المحتوى السردى.

### 3/ حلقة براغ (النظام الفونولوجي):

تأسست سنة 1926م على أيدي "رومان جاكسون" (R.jakobson) و"أندري مارتيني" (A.martnet) و"تروبرتزكوي" (troubetzky)، وتعد امتداداً لمدرسة الشكلانيين الروس، حيث "مفاهيمها مستقاة من أعمال "سوسير" حول علم اللغة الحديث، إلا أنّها وُجّهت اهتمامها إلى ربط الأصوات بالدلالة والمعنى، حيث كان الهدف متمثلاً في سن قوانين عامة تبيّن تنظيم البنيات الأولية للغة (بشكل عام)، بالإضافة إلى هذا يفضل أن تكون هذه القوانين مستنبطة بشكل منطقي يعطيها الطابع المطلق".<sup>1</sup>

فقد عُرف عن حلقة براغ، تأثيرها بمبادئ علم اللغة لدى "سوسير"، والفلسفة الظواهرية (phenamenology) ومذهب الجشطالت (gestalt) في علم النفس، وأفادت من هذه المعارف لتأسيس نموذج فكري شامل، لتفسير الظواهر والأفكار في مجال العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية أطلق عليه "جاكسون" مصطلح (البنوية).<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - C.LeVi- strauss , Anthropologie structurale, plon, 1958, p40 in j . c coquet, sémitique : l'école de paris, p13.

<sup>2</sup> - ينظر: فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكسون (دراسات ونصوص). المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت لبنان، ط2، 1993، ص259.

ويعود الفضل الكبير لمدرسة براغ، في اتفاقها مع نظرية المعرفة للشكلائية الروسية، في شحذ الفكرة اللسانية الأولى والمفهوم العملي، وهي "السمة المفيدة" التي تستعمل للدلالة على كل مقابلة صوتية مستعملة في لسان معطى، للتعبير عن الاختلالات الدلالية أو النحوية: في ركام التغيرات الصوتية الممكنة، تبقى السمات المفيدة التي تملك قيمة الإشارات النسقية (وهي الوحيدة التي تكون موضوع الدراسات اللسانية) وهي الفكرة التي لا تقيم أهمية أثناء فحص المقابلات الفونولوجية إلا لتلك المستعملة فعلا لتمييز دلالة الكلمات<sup>1</sup>.

فمدرسة براغ ساهمت في تطوير الألسنية خصوصا علم الأصوات (la phonologie) الذي يُعنى بدراسة أصوات اللغة من حيث وظائفها، "فكل صوت في لغة ما، يدرس على أنه مجموعة من الملامح التي تميزه عن بقية أصوات نفس اللغة، وتضعه من مكانه جداول القيم الخلافية في علاقاته بها وبهذا تصبح بنية الأصوات هي محور الدراسة، لا طريقة إنتاجها بصفة عامة."<sup>2</sup>

ويقوم الإطار الفكري المرجعي لهذه المدرسة على أفكار ثلاث هي: البناء (structure) والوظيفة (fonction) والعلامة (signe)، حيث يتكون البناء من أبنية صغيرة تساهم في تكوين النظام الثقافي الذي يرتضيه المجتمع، فيما تفصل الوظيفة بين الشفرات الجمالية للعمل الفني، في حين تُعد العلامة عنصرا من عناصر الشفرة لينتج بذلك لدينا شفرات لغوية وأخرى اجتماعية وثالثة ثقافية<sup>3</sup>

وتكون عملية التواصل بانتقال الكلام المنتج من المرسل إلى المرسل إليه، في شكل مرسل (كتلة نطقية يقوم المرسل إليه بترجمتها وتأويلها)، وقد أنشأ "جاكسون" أنموذجا توضيحيا للعملية التواصلية بين المرسل والمرسل إليه، توضحها الترسمة التالية:

<sup>1</sup> - ينظر: آن إينو وآخرون، السيمائية، الأصول، القواعد والتاريخ تر: رشيد بن مالك، ص148.

<sup>2</sup> - صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1992، ص116.

<sup>3</sup> - ينظر: عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، مصر، 2002، ص276.

سياق (المرجع)

المرسل (المتكلم) --- المرسل --- المرسل إليه (المستقبل)

إتصال<sup>1</sup>

حيث تتكون هذه الترسيمة من ستة عناصر:

1- المرسل: وهو مصدر الرسالة (المتكلم)

2- المرسل إليه (المستقبل): المعنى بفهم النص وفك رموزه.

3- المرسلة: تعتمد على المخزون اللغوي، الذي يختاره المرسل للتعبير في مقولة ييئها نحو المرسل إليه.

4- السياق (المرجع) حيث لا تفهم الرسالة (المرسلة)، إلا ضمن ما ترد في هذا السياق.

5- النظام: حيث تأخذ المرسلة نظاما مشتركا بين الباعث وفاق الرموز (بين المرسل والمرسل إليه)

6- قناة الإتصال: لا بد منها لإقامة التواصل بين المرسل والمرسل إليه<sup>2</sup>

لقد أفاد "غريماس" من أنموذج "جاكسون" في عملية التواصل، من خلال العناصر الست المشار إليها، إذ أسقط الأمر على المسار السردي، محدداً بذلك صراع الذات والذات المضادة حول الموضوع حيث الرسالة تمثل الموضوع المرغوب فيه بين الذات، كما أنه "استفاد من مفهومي المرسل والمرسل إليه الذين استعارها من نموذج التواصل"<sup>3</sup> فلقد كانت أبحاث جاكسون حول النموذج الصوّاتي (modèle phonologique) مصدر إلهام لـ "غريماس"، حين إعداده للبنية الأساسية للدلالة المحققة

<sup>1</sup> - ينظر: فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكسون (دراسة ونصوص)، ص 65.

<sup>3</sup> - ينظر: م.ن، ص.ن.

للمربع السيميائي، بالإضافة إلى النموذج العملي الذي طوره إنطلاقاً من علاقة الفاعل بالمرسل والمرسل إليه في عملية تمرير وتبليغ الرسالة.<sup>1</sup>

#### 4- أعمال جورج دوميزال (G.dumézil) (1898م-1986م) :

في مناقشته لأعمال "دوميزال"، خاصة ببحثه المتعلق بوصف العالم الإلهي محلاً إياه، ينطلق "غريماس" في تأملاته حول النماذج العاملة من تحديد مستويين للوصف - الشكل - من خلال اتباع الطريقة المزدوجة التالية:

1/ إن اختيار إله معين من خلال استظهار أفعاله ووظائفه، يشكّل عاملاً في حد ذاته.

2- التطرق إلى صفاته المميزة له عن الآلهة الآخرين، من خلال تناول أسمائه وصفاته وإظهار السمة الأخلاقية التي يتصف بها.<sup>2</sup>

فـ"غريماس" بذلك يعتبر الإله بداية مؤدياً لأفعال ووظائف ما، وما لذلك من فعالية أسطورية ثم يعتبره منظوراً إليه، من حيث صفاته وتصور الجماعة لأخلاقه، فهناك جانب وظيفي لهذا الإله ممثلاً في فعله وجانب وصفي ممثلاً في أسمائه وصفاته وأخلاقه، فهو يميز بين مستويين للتحليل، حيث الوصف لا يمكنه أنه يتم إلا بعد استخراج العوامل (المحتوى)، أي وصف العوامل الجزئية التي توجد فيها العوامل وتتحرك.<sup>3</sup>

فلقد تناول "غريماس" مفاهيم "دوميزال" وفق معطيات منطقية صورية ورياضية، بعد أن أدخل عليها تغييراً جذرياً لمعالجتها، مؤكداً جهل "دوميزال" للفارق المميز بين الأسطورة (Mythe) والحكاية (conte) بعد أن بيّن - غريماس - المقاييس الدقيقة التي تصنف كل منهما والخصائص التي تميز كل منهما أيضاً حيث تتميز الأسطورة بالتجسيد التصوري للعوامل في التركيب السردى (الشخص)، في حين تفضل الحكاية أن تظهر هذه الشخصيات على شكل موضوعات سحرية.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص14

<sup>2</sup> - ينظر: م.ن، ص. 15- 16

<sup>3</sup> - ينظر: سعيد يقطين، قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1997، ص89

<sup>4</sup> - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص16



فالحكاية وبالرغم من أنها تعد فرعاً من الأسطورة، وهي في توظيفها الخيالي للسحر والحوارق لغايات جمالية، إلا أنّ الأسطورة أكثر التزاماً بأمور الدين والفلسفة والعلم والفن، لدرجة تقاطع الواقع بالخيال.<sup>1</sup>

## 5- أعمال فلاديمير بروب ( V. Propp ) :

لقد سعى "غريماس" منذ البداية إلى تبيين النتائج التي حققها "بروب" في تحليله للنص الحكائي من جهة، وإلى نقد بعض المفاهيم التي كانت تبدو غير متناسقة من جهة أخرى، ومن ثمة تجاوزها وتطويرها، فقد ثمن - غريماس - التصور النقدي لمشروع "بروب" المتجاوز للنظرة التقليدية في معالجة النصوص السردية، وإمكانية قراءة سيميائية محايدة تستهدف دراسة شكل المضمون للخطاب المكتوب، وتجلّى ذلك من خلال دراسته التطبيقية للقصة القصيرة (الصديقان لموسان) مؤكداً بأن "اختيار موبسان، هو إذا انتماء بشكل آخر لخط "بروب"، مع مواصلة لاستكشاف السيميائية عبر جنس أدبي هو الحكاية حيث إنتاج - موبسان - يقع بين "مارمي" و"تشيخوف" و يشكّل لدى الرأي العام أحد المعالم البارزة، وهو أيضاً اختيار لنص مشهور.<sup>2</sup>

ف"غريماس" يقرّ بجهود "بروب" وبعمالية أنموذجه في تنسيق الخطابات السردية، رغم النقائص التي اعتوره، فهو في النهاية ترك تراثاً منهجياً يمكن الإفادة منه، وأهم مؤاخذات "غريماس" على أنموذج "بروب" ما تعلق بالوظائف، والتي تظهر وكأنها تقنيات متكررة من دون مشروع علمي: لا تخدم الرفع من معرفتنا بالأنظمة السردية، ولا بالإشارة إلى نوعية النصوص المدروسة<sup>3</sup>.

فقد تنبّه "غريماس" إلى تعدد المحدّات النظرية التي استند إليها "بروب" في تعريفه لمختلف الوظائف حيث التعريف الذي يعطيه للوظيفة، قائم على وجود فعل ما تتحدد من خلاله شخصية

<sup>1</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص17.

<sup>2</sup> - A.j.Greimas, Maupassant, la sémiotique du texte : exercices pratiques, seuil, paris,1976,p10.

<sup>3</sup> -A .j.Greimas, Maupassant, la sémotique du text, p8

ما، وهذه الشخصية تحدد تبعاً لذلك من خلال انتمائها إلى إحدى دوائر الفعل التي تشتمل عليها الحكاية.<sup>1</sup>

وقد أعاب "غريماس" على "بروب"، جمعه بين فكرتين في العرض السردي وهي الفعل (Faire) والحالة (Etat)، ومثال ذلك رحيل البطل الذي يتجلى بوصفه وظيفة مطابقة مع شكل عمل، بينما الافتقار (Manque) لا يمكن اعتباره فعل فهو حالة ومن ثمة لا يعد وظيفة، فـ "بروب" بحسب "غريماس" أخلط في فهمه للوظيفة، فإذا كان رحيل البطل شكلاً من أشكال النشاط الإنساني يعد فعلاً (وظيفة)، فإن الافتقار لن يكون كذلك، بل هو حالة تستدعي فعلاً.<sup>2</sup>

لذلك أعاب "غريماس" على "بروب" فتحه المجال واسعاً أمام كل تفكير شكلي مسبق، من خلال فكرة العدد الهائل من الوظائف التي حددها من خلال الدوافع الفعلية والحالية، كما أعاب عليه أيضاً لامكانية التطبيق الآلي على النصوص الأدبية الأكثر تعقيداً، والتي ترفض ذلك الإشتقاق المبندل في هيمنة الأنموذج الوظيفي عليها.

وهذا الفهم لرؤى "بروب" هو الذي دفع "غريماس" إلى تصور مخالف، فعوض الحديث عن الوظيفة وأشكال تجليها لابد من الحديث عن الملفوظ السردي، إذ أن الوظائف التي استقرتها "بروب" من متن الحكايات الخرافية، والتي تعد تلخيصاً لمختلف مقاطع الحكاية، لا تعين مختلف الأنشطة التي يقوم فيها التابع بمهمة إظهار القصة كبرنامج منظم، حيث تأخذ بموجب ذلك الوظيفة الصيغة التالية: م س: و (ع1، ع2، ع3...)<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: سعيد بنكراء، السيميائيات السردية، ص35.

<sup>2</sup> - Voir, A.j Greimas, les acquis et les projets, in : j, courtés, introduction à la sémiotique narrative et d'inscriptive, ed ,hachette univercité, paris, 1976, p.p 7.6  
ترجمة سعيد بنكراء، السيميائيات السردية، ص35.

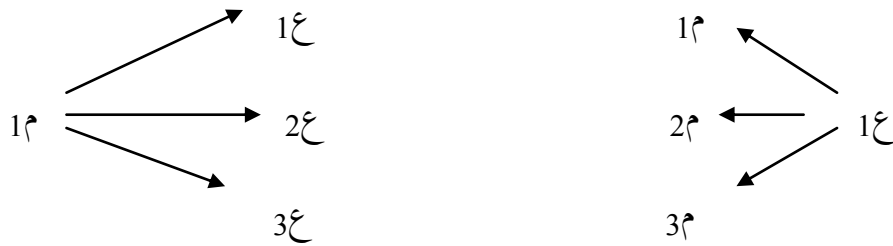
<sup>3</sup> - ينظر: سعيد بنكراء، السيميائيات السردية، ص36.

\* يدل مصطلح الشخصية البروبية، اقترح "غريماس" مصطلح العامل، والذي بحسب تصوره يتجاوز تمثيل الإنسان إلى الحيوانات والأشياء والتصورات، حيث يثير مصطلح الشخصية الالتباس عند تناول قضية الجنس عند الحيوان.

حيث أصبحت السيميائية السردية بناءً على ذلك، تتعامل مع الملفوظات السردية على أساس تظاهرات لطبيعة العلاقات التي تحكم العوامل فيما بينها، من خلال (الحالة والفعل) المفروضة في المتون السردية.

وفضلا عن بديل الملفوظ السردية الذي قدّمه " غريماس "، فقد تجاوز مفهوم الشخصية عند " بروب " المحددة ضمن دائرة الوظيفة، مقترحا مفهوم العامل (actant) الذي يمثل المحور الجوهرية في التحولات السردية، حيث إمكانية تحديد الوظائف: (1، 2، 3) كعناصر مكونة لدائرة فعل العامل: (1ع) وثبات هذه الدوائر من حكاية إلى أخرى، هو ما يسمح اعتبار الممثلين \* "acteurs"<sup>1</sup>، (1م) (2م)، (3م) كمتغيرات متنوعة لعامل واحد من خلال دائرة الفعل .

وعن العلاقة بين العوامل والممثلين، فإن "غريماس" يرى أنها تفهم في بعدها الازدواجي، حيث إمكانية تحقق العامل في النص عبر مجموعة من الممثلين، وقد يتفرع ممثل واحد إلى عوامل متعددة، إذ "تعتبر البنية العاملية نوعا، فالعوامل يملكون في علاقتهم بالممثلين وضعا ميتا لغويا (- meta langage) ويفترضون تبعًا لذلك تحليلا وظيفيا، أي تأسيس دوائر للفعل "كما توضحه الترسيمة التالية :



فالعامل البديل للوظيفة عند " بروب " يمثل لدى "غريماس" بؤرة الملفوظ السردية الذي تحققت به العلاقات الأساسية المؤطرة للترسيمة السردية لدى "غريماس"، والتي كانت بديلا جديدا اختزلت

<sup>1</sup>- voir : A. j. Greimas, sémantique structurale, recherche de méthode, Larousse, paris, 1966, p.p.197, 175.

عن: ترجمة سعيد بنكراء، السيميائيات السردية (م.س)، ص 72

\* قدم "غريماس" أيضا مصطلح الممثل بديلا لشخصية " بروب"، حيث يتكون محتواه الدلالي داخل الحضور لمعلم تفردية، حيث يمكنه أن يكون الممثل فرديا أو جماعيا أو تصويريا أو اسما تصويريا.

وظائف "بروب"، وقد تعامل "غريماس" مع البنية السردية باعتبارها تنظيم لحكم يستدعي كل طرف منها الطرف الآخر، حيث تجمعهما علاقة تنأى عن حتمية الاقتران ضمن حيّز نفسي متقارب حيث "الملفوظات السردية لا يمكن مزاجتها فقط من خلال التجاور النصي، بل أيضا من خلال تباعدها عن بعضها البعض، وبذلك يصبح كل ملفوظ يستدعي الملفوظ الذي سبقه لي طرح بصفته مكملا له ومعرّفا إياه، وستبدو وحدات سردية جديدة (متقطعة بالنسبة للنسيج الحكائي، ولكنها مكوّنّة من علاقات استبدالية تقوم بالتقريب بين المحمولات الوظائف كأزواج مثل: رحيل (م) عودة وجود النقص (م) إلغاء النقص، إقامة المحضور (م) إلغاء المحضور"<sup>1</sup>

وما يغيّر فكرة تتابع الوظائف لدى "بروب"، هو عملية الإسقاط التي يقترحها "غريماس"، حيث الوحدات الاستبدالية "تلعب داخل الترسيمية التوزيعية دور المنظم للحكاية، والتعرّف على هذه الاسقاطات هو وحده الذي يسمح لنا بالحديث عن وجود بنيات سردية"<sup>2</sup>

فالاستبدالي لدى "غريماس" هو بديل النظمي لدى "بروب"، لذلك فإنّ الكشف عن ترسيمية البنية السردية يكون من خلال المستويين الاستبدالي والتوزيعي في السيمائية السردية لدى "غريماس". هذا هو التصور العام لأهم البدائل التي قدّمها "غريماس" انطلاقا من فكر "بروب"، بعد أن انساق وراء التفكير المحايث، وبعد أن قلب موازين القراءة النقدية البروبية ليرسم بذلك قراءة نقدية جديدة ترتكز أساسًا على النسق الداخلي للنص السردية.

لنصل أخيرا إلى استنتاج نقطتين هامتين:

<sup>1</sup> - ينظر: سعاد بن سنوسي، السرورة السيمائية ومشروع الدلالات المفتوحة، قراءة في الخطاب النقدي المغربي، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان الأردن، ط1، 2012، ص97. وينظر أيضا: سعيد بنكراد، السيمائيات السردية (م، س) ص38.

<sup>2</sup> -A.j. Greimas. Les acquis et les projets ,p8

عن: سعيد بنكراد، السيمائيات السردية (م، س) ص 38 .

الملاحظة الأولى:

نستخلصها من خلال تعلق "غريماس" بتصور "بروب"، إذ نجد أسير المفاهيم الموضوعية للبحث لانسميه استنساخا للمعطيات المطروحة، بل هي محاولات تصبو إلى المعالجة في تناول القضايا العلمية طابعا إياها برموز رياضية ودلالات منطقية مستوحاة من الفلسفة اليونانية .

الملاحظة الأخرى:

هي اعتراف "غريماس" في معظم كتاباته، أنّ الذي حقّقه في الممارسة النقدية المعاصرة يرجع الفضل فيه للإرث البربوي لقوله: "منذ ذلك الحين، ونحن نعمل دون إعادة ترتيب أو تعميم، ولا نزال نعمل على ذلك المكسب البربوي".<sup>1</sup>

**6- أعمال كلود ليفي ستراوس (c. levi- strauss) :**

ما كانت السيميائيات الفرنسية لتتأسس مع رائدها الأول (غريماس)، ثم تعرف التأصيل لمنهجها لولا مورفولوجيا "بروب" حول الحكاية الروسية، وبنوية "لوفي ستراوس" حول الأسطورة، حيث عدّ "ستراوس" أول من افتتح الأبحاث حول الاشتغال الدلالي في قراءة الخطاب الحكائي، بعد أن أعاب على "بروب" إغفاله لهذا الجانب - الدلالي - المرتبط بالأنثروبولوجيا الأسطورية في تناوله للمتن الحكائي مؤكداً "...إمكانية وجود دلالة حقيقية، والتي تشكل أيضاً أنظمة علاقات شكلية".<sup>2</sup>

لقد كان لـ "ستراوس" قصب السبق في ترجمة مؤلف "بروب" الشهير "مورفولوجية الحكاية العجيبة الروسية"، بعد قرابة الثلاثين سنة من نشره (أي عام 1958م)، حيث تنبّه "ستراوس" إلى المبادئ الأولى التي أرسى دعائمها "بروب" في (دوائر الفعل) للحكاية، مما قاده إلى التسليم بوجود إسقاطات إستبدالية تغطي السيورة النظامية في الحكاية البروبية، فهو يرى ضرورة إجراء (ازدواجية) للوظائف التي أسهب "بروب" في تحديد عددها.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية (م، س)، ص 25

<sup>2</sup> - جوزيف كورتاس، الصوري كموضوع للدراسة، تر: عليمه قادري، مجلة بحوث سيميائية، مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، عدد: 3 و 4 جوان وديسمبر 2007، ص: 107- 108.

<sup>3</sup> - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 17.

لقد اعتبر "بروب" الشكل وحده القابل للإدراك، بينما المضمون فلا يشكل سوى عنصرا زائدا ولا يملك أية قيمة دلالية، وهي الفكرة التي انطلق منها "ستراوس" في قرائته للمشروع البربوي، ففي اعتقاده أنّ "بروب" ضيّع المضمون في رحلته من الملموس إلى المجرد، إذ "الشكلنة التي أحدثها كانت سببا في التمييز الذي أولاه للبعد النظامي لمساعدته على التطبيق الميكانيكي، وتوقف التحليل على مستوى البنيات السطحية، خاصة إذا ما تعلّق الأمر بالأبحاث الميثولوجية المقارنة التي لا يمكنه إخضاعها لهكذا دراسة، لأنها لا تستقيم تحليلا وتطبيقا".<sup>1</sup>

كما أنّ تعديلات "ستراوس" لمشروع "بروب"، كانت دعوة صريحة إلى تطوير ما قدّمه "بروب" وإثرائه انطلاقا من بنية الحكاية، إذ لا تختلف ميزات البنية السردية عن مواصفات البنية بصفة عامة، كما أقرّها "جان بياجيه" (j.piaget)، إذ دراسة الشكل السردى لدى "ستراوس"، تعني في النهاية الكشف عن الدلالات التي تتجلى فقط، من خلال العلاقات المتبادلة على المستوى التوزيعي.<sup>2</sup>

وفي مرحلة ثانية يشتغل "ستراوس" على دراسة الوظائف، حيث تنصّب قرائته "على الوظائف نفسها، أي نمط اشتغالها وعددها وتبعها، فإذا كانت العناصر المتحولة في التحليل البربوي هي كل ما يشكل الحكاية عند "ستراوس"، فإن الوظائف المتتابعة وعددها قابل لأن يعاد فيها النظر فاستنادا إلى تقاطع التركيبي مع الاستبدالي وإمكانية اسقاط المحور الأول على الثاني، يمكن تقليص عدد الوظائف"<sup>3</sup>، حيث يمكن ظهور ثنائيات من قبيل (رحيل/ضد عودة، وقوع الافتقار/ضد تعويض تأسيس المنع/ضد حرق المنع...، حيث يرى "ستراوس" في كل زوج وظيفة واحدة، كما أنّ الأمر لا يتعلق بتقليص عدد الوظائف، بل الهدف من ذلك هو تكسير التابع التي أقام المشروع البربوي عليها (إحدى فرضياته)<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - م. ن، ص 19.

<sup>2</sup> - ينظر: سعاد بن سنوسي، السيرورة السيمائية و مشروع الدلالات المفتوحة، قراءة في الخطاب النقدي المغاربي، ص 101.

<sup>3</sup> -نادية بوشفرة، مباحث في السيمائية السردية، ص 19.

<sup>4</sup> - ينظر: سعيد بتكراد، مدخل إلى السيمائية السردية، ص 20.

لقد تركت أعمال "ليفني ستراوس" الأثر البالغ لدى "غريماس"، الذي استثمر مؤاخذاته لـ "بروب" مرتكزاً على ما سماه بالبنية الأولية للدلالة، بعدما "راح يتتبع التركيبة الدلالية للأسطورة والتي تُعد المستوى الأكثر تعقيداً بالمقارنة مع المستويات الأخرى".<sup>1</sup>

حيث يُقر "غريماس" بأنّ "ستراوس" أرسى أنموذجاً مثالياً للبنية العميقة، بالرغم من عدم التصريح به في اصطلاحاته، حيث يقول مؤكداً ذلك "إنّ ما قام به "ك. ليفني ستراوس" ابتداءً من دراسته التي أخلصها للأسطورة من تفرقة بين الدلالة الظاهرة التي يكشف عنها النص القصصي للأسطورة، وبين معناها العميق الاستبدالي اللازمي ينطوي على الفرضيات نفسها، ومن أجل ذلك قررنا أنه ننظر إلى البنية التي اهتم بها "ليفني ستراوس"، على أنها بنية تصميم عميقة قادرة على توليد بنية سطحية مناظرة -بشيء من التجاوز- لمنظومة "بروب" التجاوزية.<sup>2</sup>

كما أنّ الثنائيات الضدية التي استوحاها "ستراوس" من خلال استقرائه لمنهج "بروب" السردية هي التي مهّدت الطريق لـ "غريماس"، لتطوير دراسته الموسومة "بالتناظر الوظيفي" داخل العمل القصصي فـ "غريماس" استطاع الوصول إلى تحديد المنطق الذي يحكم الوظائف الرئيسية في القصة ومن ثمة الوصول إلى إيجاد تناقضات نموذجية في الوظائف،<sup>3</sup> من خلال نموذج "ستراوس" اللغوي الذي طبّقه في دراسته وتحليله للأساطير، واعتباره أنّ الخطاب الأسطوري مكوّن من وحدات، وأنّ هذه الوحدات لا تحمل دلالة، لكونها منظّمة في شكل رزم متداخلة فيما بينها.<sup>4</sup>

إنّ قراءة "ستراوس" للمشروع البروبوي من خلال تركيزه على فكرة الثنائيات الضدية والتناظر الأسطوري، الذي من خلاله قام بوصف النصوص الشفهية، كانت المنطلق الأساس الذي بنى عليه "غريماس" مشروعه السيميائي السردية، الممهّد الحقيقي لقيام مدرسة باريس في السيميائية السردية.

<sup>1</sup> -J.c coquet, sémiotique lécole de paris, hachette, paris, 1982,p49.

<sup>2</sup> -السيد ابراهيم، نظرية الرواية، دراسة لمنهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1988 ص33-34.

<sup>3</sup> -ينظر: رولان بارت، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، تر: نخلة فريفر، مجلة العرب والفكر العالمي، عدد 05، شتاء 1989، ص27.

<sup>4</sup> -ينظر: م ن، ص21.

7- تصور إ. سوريو (E Sourieau) :

أفاد "غريماس" أيضا من مفهوم الوظيفة الدرامية لـ "سوريو"، الذي انطلق من نصوص مسرحية بعد دراستها واستخراج الوظائف الدراسية الكبرى، التي تبني دينامية المسرحية عليها "مبلورا نموذجاً عالمياً يضم مجموع التطورات والتحويلات التي يزخر بها النص المسرحي"<sup>1</sup>، حيث يتكون أنموذجه العالمي من ستة عوامل، تلعب دور القوى المحركة للعمل الدرامي.<sup>2</sup>

الأسد (Lion): القوة الغرضية (الموضوعية)، الموجهة (البطل).

الشمس (Soleil): ممثل الخير المنشود للقيمة الموجهة

الأرض (Terre): المستفيد المحتمل من الخير (الذي يعمل الأسد لصالحه)

المريخ (Mars): القوة المعيقة للخير.

الميزان (Balance): القوة الحاكمة (واهب الخير)

القمر (lune): مساعدة إحدى القوى السابقة (القوة المساعدة).

حيث يلاحظ استنباط "سوريو" لمصطلحات من علم الفلك والتنجيم، وهي تمثل قوى حركة وأدوار فاعلة في الأعمال المسرحية، وتكمن أهمية فكره في إمكانية تطبيق التأويل العاملي على نصوص مختلفة من الحكايات الشعبية (أو النصوص المسرحية)، إذ نعثر على نفس التميزات بين القصة (Evénementielle histoire)، التي "لا تشكل عنده سوى سلسلة من الذوات الدرامية وبين مستوى الوصف الدلالي، الذي يُنجز انطلاقاً من "الوضعيات" القابلة للتفكيك في إجراء و عوامل".<sup>3</sup> وفي تصوره للأنموذج العاملي، أفاد "غريماس" من نموذجي "فلاديمير بروب" للشخصيات الخرافية وشخصيات المسرح لـ "سوريو"، حيث يمكن رصد ذلك من خلال المقارنة التالية:

<sup>1</sup>- سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص45.

<sup>2</sup>- voir :A.j. Greimas , sémantique structurale p :176.

<sup>3</sup>- سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص45.



النموذج العاملي (غريماس)	شخصيات المسرح (سوريو)	الشخصيات الخرافية (بروب)
-الذات	-القوة الغرضية الموجهة (البطل)	-البطل
-الموضوع	-ممثل الخير المنشود	-الشخص المرغوب فيه
-المرسل	-القوة الحاكمة (واهب الخير)	-أبو الشخصي المرغوب فيه
-المرسل إليه	-المستفيد المحتمل من الخير	(المنتدب)
-المساعد	-المساعد (القوة المساعدة)	-البطل المزيف
-المضاد (المعارض)	-المضاد (القوة المعيقة)	-الواهب (المساعد)
		-الخائن (المعتدي)

حيث تظهر المقارنة تطابقا في العوامل الجوهرية في النص السردي في العاملين (المساعد والمضاد أو المعارض).<sup>1</sup>

#### 8- أنموذج تنيير (L.tesniere):

استثمر "غريماس" أيضا جهود "تنيير" اللغوية اللسانية حول الملفوظ والجملة، في بناء أنموذجه العاملي من خلال إعطائها مفهوما جديدا يتجاوز حدود الجملة والخطاب، حيث الملفوظ عنده فرجة دائمة "هناك فاعل و هناك فعل وهناك مفعول به، إنَّ هذه الفرجة تتميز بعنصر بالغ الأهمية، يكمن في توزيع الثابت والدائم للأدوار، فقد تتغير المحافل التي تقوم بالفعل كما يتغير المفعول به، لكن العنصر الضامن لاستمرارية الملفوظ (الفكرية)، هو هذا التوزيع بالذات."<sup>2</sup>

وفي استمارة لمفهوم الملفوظ أعطى "غريماس" بعدا جديدا يتجاوز حدود الجملة، في محاولة منه لتعميم هذه البنية، حيث نقل هذا الأنموذج إلى ميدان آخر غير اللسانيات، يستدعي تعديلا يمس طبيعة الفرجة وطبيعة الأدوار، حيث يقترح "غريماس" نوعين من التعديلات:

<sup>1</sup> - ينظر: عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص: عن جريوي آسيا، السيميائية السردية من البنية إلى الدلالة، دراسة في ثلاثية "حكاية

بحار" لحنا مينا، مخطوط رسالة دكتوراه، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012-2013، ص55.

<sup>2</sup> - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص46.

تقليص العوامل التركيبية وردها إلى وضعها الدلالي من جهة، وتجميع كل الوظائف المنطوية داخل متن ما، وإسنادها إلى عامل دلالي واحد، لكي يكون لكل عامل استثماره الدلالي الخاص به<sup>1</sup>. واستخلص "غريماس" من تنبير أيضا مصطلح العامل (Actant)، معتبرا العوامل شخصيات أو أشياء مشتركة في الحدث، فيما يفرق - غريماس - بين عوامل التواصل (فعل القول) أي الراوي و المروي له (المتكلم و المخاطب) وعوامل السرد (مقول القول)، أي الذات والموضوع والمرسل والمرسل إليه، كما يفرق داخل عوامل السرد ذاتها بين العوامل النظامية والعوامل الوظيفية. وإجمالا يمكن رد الأصول العلمية والروافد الفكرية التي اتكأ عليها "غريماس" في بناء مشروعه السيميائي من مفاهيم نقدية وإجراءات تطبيقية، إلى اللسانيات بمختلف اتجاهاتها (دي سوسير هيلمسيلف، جاكسون)، والأنثروبولوجيا البنوية (كلود ليفي ستراوس)، و الأسطورة (جورج دوميزال) والشكلانية الروسية (فلاديمير بروب)، ونظرية العوامل (سوريو وتنيير)، والنحو التوليدي التحويلي (تشوسكي) ... وغيرها من الروافد التي ألهمت غريماس في بناء نظريته السيميائية.

<sup>1</sup>- ينظر: م.ن، ص46.

## - المبادئ والمفاهيم الغريماشية :

إن كل اتجاه من الاتجاهات السيميائية الرائجة في مجال النقد الأدبي، يستند إلى مقاربات منهجية مختلفة وتقف ورائها جهات بحث متنوعة، ناهيك عن اختلاف مستويات التحليل من داخل المدرسة الواحدة نفسها<sup>1</sup>، حيث الدراسات التي تبنت منهج "غريماس" ذاته، وإن اتفقت في المنهج والمبادئ الأساسية، إلا أنّ الأمر لم يصل حد التطابق، وهو ما يجبرنا على محاولة حصر دراستنا على تناول المبادئ والمفاهيم الإجرائية للنظرية السيميائية السردية على منهج واحد، هو النظرية السيميائية السردية الغريماشية، رغم شموليتها وتضخم مقولاتها، ومصطلحاتها وتعدد أصولها هي الأخرى .

وقبل التطرق لهذه المبادئ والمفاهيم لمؤسس هذه النظرية ورائدها الأول (غريماس)، سنستهل الموضوع بمهاد لذلك، من خلال شهادة الباحثة أ.د "هايدي تويل" (Heidi Toelle)، والتي قُدِّر لها حضور إعداد هذا المشروع وتقدمه على مدى قرابة العشرين سنة، حيث تقول: "فقرأت كثيرا وأصبحت أفهم شيئاً فشيئاً أنّ مشروع "غريماس" هو بناء نظرية ومنهجية، تمكنا لا من تحليل علمي للغات والنصوص الأدبية فقط، بل من تحليل علمي لأنساق الدلالات كلها..."<sup>2</sup>.

وبخصوص أهم المبادئ التي أوردتها الباحثة في مداخلتها واتفق المشاركون على مراعاتها في هذا المشروع العلمي الضخم، فتلخصها في النقاط التالية:

**أولاً:** التعاون بين الاختصاصين بكل العلوم الإنسانية.

**ثانياً:** الانفتاح على نظريات العلوم الدقيقة بما في ذلك الرياضيات، من أجل فهم الطريقة التي اتبعها الرياضيون في بناء نظرياتهم.

<sup>1</sup>-قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص 18 .

<sup>2</sup>-هايدي تويل، المبادئ التي كان غريماس يبني عليها السيميائية و النتائج المنهجية التي نجمت عنها، الملتقى الدولي السادس "السيمياء والنص الأدبي" قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ص 44.

**ثالثاً:** الانفتاح على كل حضارات العالم، من خلال قراءة دراسات الأنثروبولوجي "كلود ليفي

ستراوس" في مجتمعات الهنود الحمر، و "جورج دوميزيل" في المجتمعات الهندية الأوروبية، ودراسات "غريماس" عن أساطير ليتوانيا ...

فيما كان المبدأ الأهم، هو تحقيق النظرية وترابطها من خلال دراسات تطبيقية حققتها مجموعات متعددة من الطلاب والأساتذة خارج حلقة "غريماس" الدراسية، ثم عرضت فيها النتائج التي حصلت عليها أو الفشل الذي انتهت إليه.

أما بناء النظرية فتتحقق شيئاً فشيئاً، وأدى إلى ما أسماه "غريماس" بالمسار التوليدي، في محاولة إدراك جديد لعملية التدلّال ( sémiosis )<sup>1</sup>.

إنّ هذا المبحث يهدف إلى التعريف بالنظرية السردية " لألجيرداس جوليان غريماس " (A.J. Greimas)، و محاولة استقصاء مقولاتها الأساسية، والتعريف بأهم مفاهيمها ومصطلحاتها الإجرائية، رغم كثافتها وتنوعها.

### السيميائية والسرد:

لقد اهتمت السردية الفرنسية في عمومها وبمختلف توجهاتها، بمكونات الخطاب السردية من خلال البحث عن مظاهره وأبنيته ومستوياته الدلالية، ضمن تيارين :

أ- تيار السردية اللسانية.

ب- تيار السردية الدلالية (السيميائيات السردية).

حيث عنى التيار الأول بدراسة الخطاب السردية في مستوياته التركيبية والعلائقية، التي تربط الراوي بالمتن الحكائي، وما يهمها ليس الحكاية من حيث الموضوع، بل المحكي باعتباره صيغة للتمثيل اللفظي للحكاية<sup>2</sup>، و الذي يتزعمه كل من: "جيرار جنيت"، "تودوروف"، و"رولان بارت".

<sup>1</sup>- ينظر: م.ن، ص44-45.

<sup>2</sup>- ينظر: مجموعة من المؤلفين، نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، ترجمة ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي و الجامعي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1989، ص: 97.

فيما يهتم تيار السيميائية السردية "برصد البنى العميقة التي تتحكم بمظاهر الخطاب، وتهدف إلى تحديد قواعد وظائفية للسرد"<sup>1</sup>، وهو ما تجلّى في أبحاث "غريماس" و"بريمون"، انطلاقاً من جهود "بروب" وهو تيار يهتم بـ "سردية (Narrativité) الحكاية، دون الاهتمام بالوسيلة الحاملة لها- رواية، فيلماً أو رسوماً- ما دام الحديث نفسه يمكن ترجمته بوسائل مختلفة، إنه يدرس مضامين سردية بهدف إبراز بنيتها العميقة التي تعتبر عادةً كونية، دون اعتبار للجماعات اللسانية"<sup>2</sup>. حيث السرد في المنظور الغريماسي، يتجاوز حدود الأدبية- مما يجعل السردية تتحقق في أي عمل حكائي، مهما كانت الأداة التي يتوسل بها في عملية التواصل والحكي.<sup>3</sup>

ويركز مسعى هذا الإجراء على النظر إلى السرد كمجموعة من الأحداث المترابطة فيما بينها ولذلك فهو لا يعنيه مقول النص وقائله، بقدر ما يعنيه كيف يقول هذا النص ما يقوله"<sup>4</sup> متتبعا بذلك عملية إنتاج المعنى، انطلاقاً من مجموعة من الأحداث المترابطة فيما بينها، مركزاً في تعامله مع النصوص على الشروط الداخلية للمعنى، دون اعتبار لتلك العلاقات التي يقيمها النص مع أي عنصر خارجي عنه،<sup>5</sup> وهو ما يدعو إلى اعتبار تحليل النص محايثاً، يقتصر على فحص عناصر المعنى دون غيره، أي أنّ المعنى سيعتبر أثراً ونتيجة مستخلصة بواسطة لعبة العلاقات بين العناصر الدالة.<sup>6</sup>

ومن خلال هذا التصور، يرى أصحاب هذا التيار-غريماس تحديداً- أن عملية القبض على المعنى لا تتم إلا من خلال "الكشف عند شبكة العلاقات القائمة في صلب النص وحصرها، بربط

<sup>1</sup>- عبد الله ابراهيم، من وهم الرؤية إلى وهم المنهج، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع: 67-68، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ص12.

<sup>2</sup>- مجموعة من المؤلفين، نظرية السرد من وجهة النظر على التبغير، ص97.

<sup>3</sup>- ينظر: الطاهر رواينية، سرديات الخطاب الروائي المغربي الجديد (مقاربة نصائية- نظرية تطبيقية- في آليات المحكى الروائي)، مخطوط بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، الجزائر، 1999-2000، ص02.

<sup>4</sup>- عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية (نماذج وتطبيقات)، ص36.

<sup>5</sup>- ينظر: عبد العالي بوطيب، كريماس والسيميائيات السردية، مجلة علامات، ج22، م6، ديسمبر، 1996، مكناس، المغرب، ص92.

<sup>6</sup>-voir : Groupe d'Entreverenes-op.cit.p :08

الوحدات السردية وفق الغايات القصوى المقصود بلوغها"<sup>1</sup>، حيث العلاقة التوليدية هي التي تربط جوهر الدلالة بالخطاب الأدبي من حيث خضوع المعنى لديمومة النص، أي بنيته المتكاملة المغلقة ومن ثم الاحتكام إلى عناصره الداخلية فقط، في تحركها وتوزعها ضمن محاور دلالية، بحكم امتلاكها الطاقة الكافية على تغيير الدلالات الأصلية المشحونة فيها.<sup>2</sup>

إنّ عملا كهذا لا يمكن تحقيقه، إلا من خلال التعرف على الوحدات أو العناصر "المشكلة للنص باعتباره نسقا وبنية والتميز بينهما لما فيها من قواعد التجميع، ومن ثمة تحديد ما يعرف بمستويات الوصف ( les niveaux de descriptions ) التي تنوزع عليها هذه العناصر، مما ييسر وصفها وضبط قواعدها المنظمة"<sup>3</sup>.

وكي يتمكن "غريماس" من الوصول إلى عزل هذه المستويات وتحديدها، ومن ثمة وصفها وضبط قواعدها المنظمة لأجل الوصول إلى كيفية إنتاج المعنى داخل النص، عمد إلى تقسيم النص كإجراء أولى إلى مستويين رئيسيين هما:

المستوى السطحي (le niveau de surface)

المستوى العميق (le niveau de profond)

ففي المستوى السطحي، سيكون على المحلل رصد مكونين يقعدان لنظام العناصر المعروفة بانتمائها لهذا المستوى هما:

مكون سردي: وفيه يراعي مجموعة التغيرات الطارئة على حالة الفواعل، أي ضبط التالي والترابط بالحالات والتحويلات.

مكون خطابي: ويتعلق باستخراج الأنظمة الصورية المنتشرة بنسيج النص، فهو يضبط الترابط الخاص بالصور ومولدات المعنى (les figures et le effets des sens).

<sup>1</sup>- أحمد طالب، الفاعل في المنظور السيميائي (دراسة في القصة القصيرة الجزائرية)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط، 2002، ص 23.

<sup>2</sup>- ينظر: م ن، ص ن.

<sup>3</sup> - Groupe d'Entreverenes-op.cit.p :08 .

وفي المستوى العميق فيستخرج أيضا تصميمات لضبط العناصر المعروفة بإنتمائها لهذا المستوى

وهما:

أ- شبكة علاقات تنجز تصنيفا لقيم المعنى حسب العلاقات التي تقيمها .

ب- نسق (نظام) عمليات (d'opération)، ينظم الإنتقال من قيمة إلى أخرى<sup>1</sup>

ونشير إلى ضرورة دراسة البنيتين (السطحية والعميقة) معا والعلاقة القائمة بينهما، إذ يستحيل

البحث في المجال الأول دون التعرض للمجال الآخر، لأنهما يشكلان معا عملة واحدة كيفما كان جنسها<sup>2</sup>.

فالبنية العميقة تستدعي البنية السطحية، لأن "جذور الدلالة لا تمر بإنتاج الملفوظات وعلاقتها بالخطاب، بل هي موصولة في خطابها بالبنيات السردية المنتجة للخطاب المفصل إلى ملفوظات<sup>3</sup>. وحتى البنية السطحية تستدعي هي الأخرى البنية العميقة، باعتبارها حاملة لشفرات (codes) وإشارات (indices) يستلزم حلها دلاليا، من خلال عوامل التقابلات الضدية الكامنة ورائها.

فالسردية بذلك، بنية ضمن نظام الحكاية منبسطة بشبكة من العلاقات الواسعة داخل الخطاب كونها ظاهرة لتتابع الأحداث من حالات وتحويلات، ترمي إلى استخلاص الدلالة انطلاقا من الوحدات التعبيرية المكونة لها،<sup>4</sup> حيث التنظيمية والاستبدالية المشكلتان للطابع الخطّي المسائر للحكي تحقّقان مشروع استقرار المعنى أو المحتوى في ارتباطه بالشكل، ذلك أن "التتابع البسيط للملفوظات السردية، لا يعد معيارا كافيا للأخذ بنظام المحكي، ما لم يتم كشف الإسقاطات الاستبدالية التي تسمح بالحديث عن وجود البنيات السردية"<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغربي، ص32.

<sup>2</sup> - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص31.

<sup>3</sup> - A.J.Greimas, sémantique structurale, p159.

<sup>4</sup> - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص32.

<sup>5</sup> - Joseph courtés, introduction à la sémiotique narrative et discursive, voir le préface d'A.J.Greimas, p8.

إن البحث في سردية القصة حسب "غريماس" ومن والاه، يتم من خلال التركيز على المضامين السردية وتحليل القوانين والضوابط التي تتحكم في الكون السردية،<sup>1</sup> ضمن إطار التحليل المحايث ومن خلال البحث عن الشروط الداخلية المتحكمة في الدلالة، وحيث المعنى يؤخذ باعتباره أثر ناتجاً عن شبكة العلاقات الرابطة بين العناصر الدالة، بما يعني البحث في سردية القصة من خلال تحليل مستوياتها المختلفة، بما في ذلك جميع مظاهر الخطاب وأبعاده الدلالية العميقة.<sup>2</sup>

وبالرغم من ترسانة المفاهيم التي تعتمدها نظرية "غريماس" السيميائية في مقارنة النص،<sup>3</sup> وكثافتها وتداخلها، إلا أننا سنحاول القبض على أهمها بغية التعرف على بعض القضايا التي تربط هذه النظرية بكثير من العلوم الأخرى، كالرياضيات والمنطق والكيمياء والفيزياء وغيرها.

وقبل ذلك، نشير إلى أن المحلل السيميائي في دراسته للنص من منظور غريماسي، بإمكانه اعتماد إما المسار التوليدي المنطلق من البنية العميقة إلى البنية السطحية، أو المسار التحليلي المنطلق بشكل عكسي (من البنية السطحية إلى البنية العميقة)، حيث الوقوف في كل منهما على مجموعة من المفاهيم السيميائية الإجرائية.

وقد لخص غريماس مشروعه النقدي على نحو ما تبرزه الخطاطة التالية :

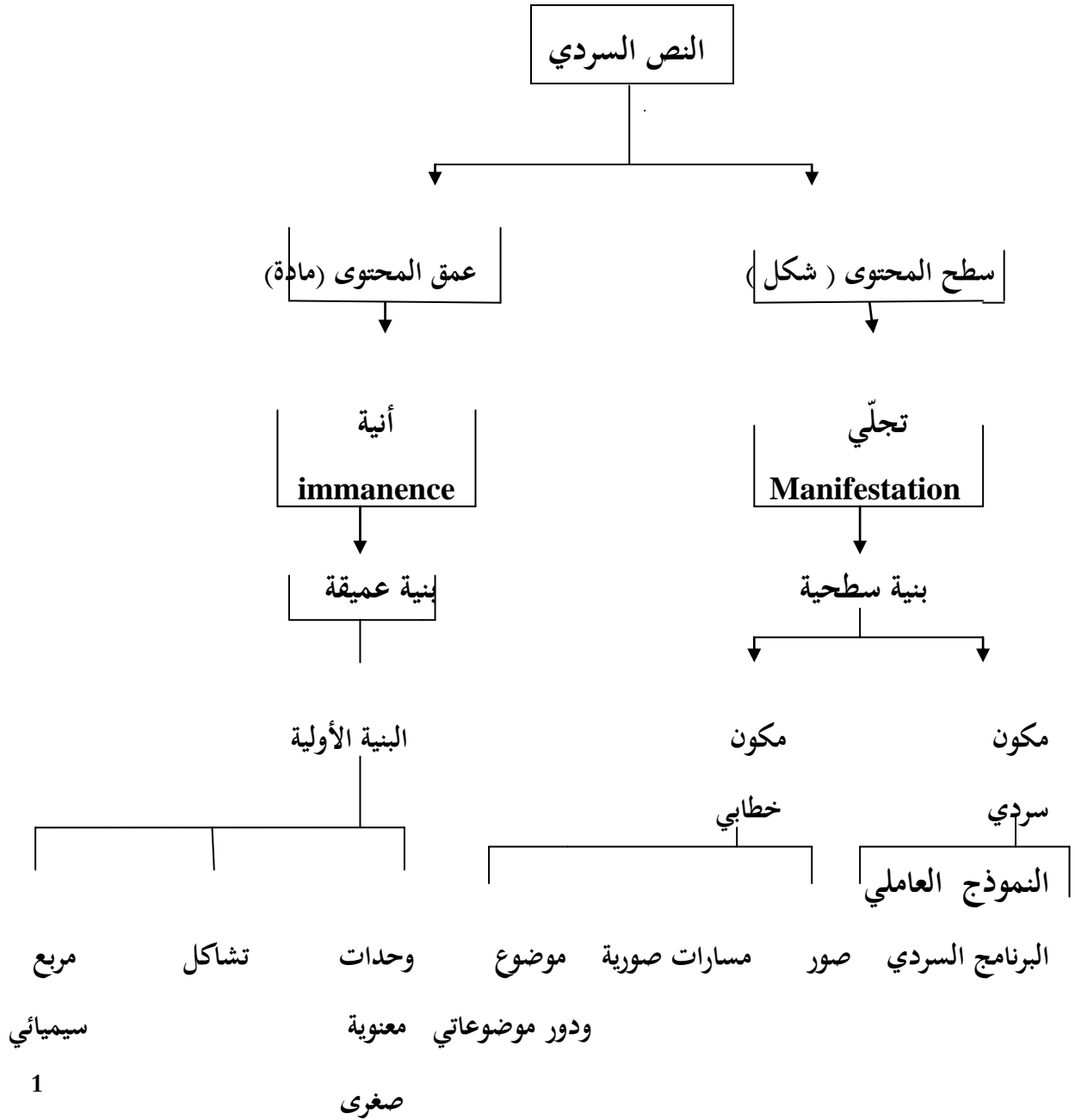
<sup>1</sup>- ينظر: الطاهر رواينية، سرديات الخطاب الروائي المغربي الجديد، ص 03.

<sup>2</sup>- ينظر: سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الدار التونسية للنشر، 1985، ص: 15.

<sup>3</sup>- ينظر: سعيد بنكراد، إمكانات النص ومحدودية النموذج، مقال غير منشور، عن: عقاق: الخطاب السيميائي في النقد المغربي، ص 51.



خطاظة غريماس



<sup>1</sup> - سعاد بن سنوسي، السيرورة السيميائية ومشروع الدلالات المفتوحة، ص 110

## 1- البنية السطحية:

### 1-1- المكون السردى (la composante narrative):

"إن تطور السرد يقدم من خلال بنية تدريجية للمحتوى"<sup>1</sup>، لذلك تتطلب دراسة نص سردي إجراء تحليليا سرديا، يتحدد إثره المدلول وتتضح الدلالات رغم اختلاف المواقف والرؤى. فالمكون السردى يتعامل مع النص السردى، باعتباره متوالية من الحالات والتحويلات المبنية على التقابل والتماثل والتجاوز، ومن ثمة يقوم التحليل على وصف هذه الحالات والتحويلات عبر ملفوظين سرديين: ملفوظ حالة (énoncé d'état) وملفوظ فعل (énoncé de fair).

فقد خلص "غريماس"، إلى الاعتقاد بأن كل نص سردي يمر عبر مرحلتين:

مرحلة أولى: متمثلة في حالة بداية.

مرحلة ثانية: متمثلة في حالة نهاية.

فالمحكي سجل بدهاء حبكة قصيصة تشكل ذروة الصراع في علاقات الشخصوس بعضها ببعض فبعد أن تكون الوضعية الافتتاحية في حالة أولية (état initial) تتميز بالتوازن، تنتهي بالوضعية الختامية وهي الحالة النهائية (Etat final) يعاد فيها استرجاع ذلك التوازن، لكن بكيفية مغايرة، لأن ما بين الوضعيتين يوجد اختلال طارئ، عند جملة من التحولات الناتجة بفعل حدة التوترات المتصاعدة بين علاقات الشخصوس، التي تؤدي في كثير من الأحيان إلى سؤدد الاضطراب وضرورة حله بشتى السبل، لتحقيق المشروع المستهدف في استرجاع أو امتلاك موضوع القيمة (objet de valeur) المرغوب فيه<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>-A.J.Greimas, éléments pour une théorie de l'Interprétation du récit mythique, in communication N°8, p35.

<sup>2</sup>-نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص45.

وقد ميّز "غريماس" بين نوعين من الملفوظات: نوع مختص بوضع القيم بفعل ارتباطه وصلاً أو فصلاً بموضوعات القيمة، ونوع ثاني يسعى بإجرائه للارتباطات بتحويل الأول<sup>1</sup>.

أي أن ملفوظ الحالة يبين وضعية الفاعل وعلاقته بموضوع ذي قيمة، حيث تكون إما علاقة إتصال أو انفصال عن موضوع الرغبة، فيما يضمن ملفوظ الفعل تحول الفاعل من حالة إتصال إلى حالة انفصال أو عكس ذلك، بحسب ما تفرضه رغبته في تحقيق الموضوع.

وقد وصف "رشيد بن مالك" طبيعة التحويلات داخل النص السردي كما يلي:

تحويل وصلي: يحقق الانتقال من حالة يكون فيها الفاعل منفصلاً عن موضوع القيمة، إلى حالة يدخل فيها في وصله به.

تحويل فصلي: ينتقل فيه الفاعل من حالة وصلة بالموضوع إلى حالة فصلة عنه<sup>2</sup>، حيث الملفوظين (ملفوظ الحالة وملفوظ الفعل) يُعدّان بمثابة الأساس، الذي يظهر طبيعة الأدوار المحسّدة في النص السردي، وفعّاليتهما تتجلى من خلال ما اصطلح "غريماس" على تسميته بالنموذج العملي .

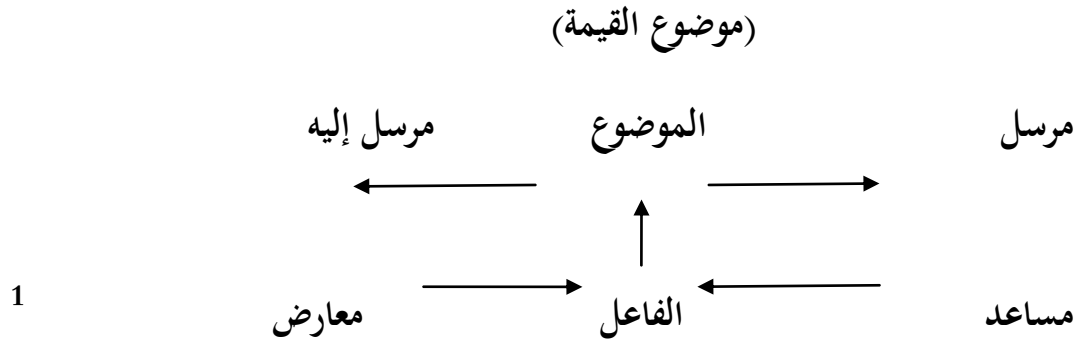
### 1-1-1- النموذج العملي (le modèle actantiel) :

بعد إفادته من طروحات "بروب" و"سوريو" عن الشخصية ومن أنموذج "تنبير" النحوي، اصطلح "غريماس" ما أسماه النموذج العملي على محصلة هذه الطروحات، وهو نظام يحكم المكون السردي من خلال شكل سيميائي يوطر العوامل المحددة للنص، لأجل ضبط العلاقات بين هذه العوامل المترجمة لسير الأحداث وكيفية انتظامها، ليكون بذلك قد جمع بهذا الإجراء كل العوامل المحددة للفعل الإنساني داخل البنى النصية "هدف للفعل، ما يدفع إلى الفعل، المستفيد من الفعل، الرغبة في الفعل والمعيق لهذا الفعل"<sup>3</sup>، وهو إجراء منظم يحتكم لازدواجية العلاقات وفق ما سطره "غريماس" في الترسيم التالية:

<sup>1</sup> - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، منشورات الاختلاف، الجزائر و الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان ط1، 2007، ص27.

<sup>2</sup> - رشيد بن مالك، المكون السردي في النظرية السيميائية، مجلة فيلادلفيا الثقافية، الأردن، ع:06، 2010، ص90.

<sup>3</sup> - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، ص71.



ومن خلال هذه المعطيات نستخلص ثلاثة أنماط من العلاقات هي:<sup>2</sup>

علاقة الرغبة (سهم الرغبة): تتمحور حول موضوع القيمة الذي يسعى الفاعل إلى امتلاكه.

علاقة التواصل (سهم التواصل): تدور أساسا بين المرسل والمرسل إليه، مع تتبع خطوات الفاعل الموظف للحصول على موضوع القيمة.

علاقة الصراع (سهم الصراع): تتميز بخلق الحواجز والعراقيل بين كل من رغبة (إرادة) الفاعل وعلاقة التواصل (نقل موضوع القيمة).

وتكمن بساطة النموذج العملي لـ "غريماس"، في كونه متمحورا على "موضوع الرغبة الذي يسعى الفاعل لأجله، والذي يتحدد في موقع التواصل بين المرسل والمرسل إليه، وبرغبة الفاعل من جهته الموجهة، ونقد إسقاطات المساعد والمعارض".<sup>3</sup>

كما يخضع هذا الإجراء (النموذج العملي) لنظام التقابلات، حيث تتشكل وفقه ثلاث ثنائيات من العوامل، هي: المرسل/المرسل إليه، الفاعل/الموضوع، المساعد/المعارض، وتتنظم وتتفاعل فيما بينها في علاقات تعارض أو اتصال نوردها فيما يلي:

-الفاعل/الموضوع (sujet/objet):

تعد هذه العلاقة في النموذج العملي أساس تحريك مجرى الأحداث، وهي العلاقة التي تعكس علاقة الفاعل كذات (sujet) والموضوع (objet) كقيمة، حيث كل طرف يستدعي الآخر، بل

<sup>1</sup>- ينظر: م. ن، ص 77.

<sup>2</sup>- ينظر: السيد ابراهيم، نظرية الرواية، دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 29.

<sup>3</sup>-A.J.Greimas, sémantique structural, p180.

يستوجب حضوره، لأن العلاقة بينهما استتباعية (R.d'implication)، "وفي حالة الانفصال يظل حضورهما قائما بالقوة، ويظل الأول ينزع إلى الثاني، ساعيا إلى الإتصال به وضمه إليه".<sup>1</sup> إن ما يشغل التحليل السيميائي داخل النص، هو علاقة الذات (الفاعل) بالموضوع وتغيرها ضمن المسار السردي من حالة أولية إلى أخرى، حيث تنحصر العلاقة في حالتين يكون عليهما ملفوظ الحالة وهما:

ملفوظ حالة مفصول: تمثل فيه العلاقة بين الذات والموضوع علاقة انفصال (U)، يعبر عنها بهذا الشكل:  $U \text{ م}$ .

ملفوظ حالة موصول: حيث تجمع بين الذات والموضوع علاقة وصل (N) وتمثل لها بالشكل:  $U \text{ م}$ ، إذ تعبر هذه الصيغة عن حالة امتلاك شيء ما، ويمثل لحالة فقدته بالصيغة السابقة.<sup>2</sup> جدير بالذكر أن المفاهيم المتعلقة بالفاعل والموضوع قد تتداخل، فليس الفاعل كائنا إنسانيا ولا الموضوع مادة جامدة، فقد تشخص الأشياء والحيوانات وتصبح الموضوعات مجردة داخل حبكة القصة، ومن الأشياء التطبيقية لذلك ما فعله "كورتيس" في مؤلفه (دلالية الملفوظ)، حينما جسّد الفاعل في حيوان "الأسد" والموضوع في تصور "الصدّاقة".<sup>3</sup>

- المرسل / المرسل إليه (Destinateur/destinataire):

وهما طرفا عملية التواصل داخل بنية الحكّي، حيث لا يمكن للوضعية التواصلية أن تتحدد لكليهما إلا إذا توسطت ههما علاقة الرغبة التي تجمع الفاعل بالموضوع من جهة، وقيادة المرسل للمرسل

<sup>1</sup> -A.J.Greimas, un problème de sémiotique narrative : les objets de valeurs, in langage N°=31

عن ترجمة: محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردي نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1993، ص42

<sup>2</sup>-ينظر: فضيلة قوتال، معالم السيميائيات المحايثة وحدودها (دراسة نقدية في نظرية غريماس السردية)، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في

السيميائيات وتحليل الخطاب، إشراف الدكتور أحمد يوسف، جامعة وهران، 2003-2004، ص88.

<sup>3</sup>-Voir : J.Courtès, sémantique de l'énoncé, Applications pratiques, hachette, université, paris, 1989, p80.

إليه وإعطائه سلطة إصدار الأوامر والأحكام من جهة ثانية، مما يمثل التبعية غير المعكوسة، يمثل فيها المرسل المركز الأعلى ليخضع المرسل إليه، ويوكله بمهمة المحافظة على القيم واستمرارها. أي أن علاقة التواصل بينهما موجهة من الكل إلى الجزء (من المرسل إلى المرسل إليه)، ومن الجزء إلى الكل في علاقة المرسل إليه بالمرسل بحسب تعبير "غريماس"<sup>1</sup>، وهي علاقة تتمحور في مجملها على موضوع الرغبة وموضوع الإتصال في الآن ذاته.

-المساعد/ المعارض (Adjuvant/Opposant):

وهي علاقة تعاضدية بين المساعد الراغب في دعم الفاعل والمعارض المعرقل له، وهو الفاعل بصدده إنجاز عمل، الغرض منه استرجاع الموضوع المرغوب فيه " فالمساعد يسعى إلى مد يد المساعدة من خلال العمل في اتجاه الرغبة أو تسهيل التواصل، والمعارض يعتمد إلى خلق العراقيل بتصديدها، إما لتحقيق الرغبة أو للتواصل مع الموضوع"<sup>2</sup>

نشير إلى أن "غريماس" يعتبر المساعد والمعارض، مجرد "إسقاطات لعمل الإرادة ولمقومات خيالية للفاعل نفسه، على رغبته إما بالنفع وإما بالضرر."<sup>3</sup>

ف"غريماس" في رصده ووصفه للوحدات المؤطرة للنموذج العاملي، من خلال العلاقات المذكورة يقدم بذلك، تصوره عن حركية هذا النموذج داخل البنية السردية القائمة على مبدأ التحول من طور إلى آخر، والانتقال من وضعية إلى أخرى وفق مبدأي التابع والاختلاف، وهذا التصور الذي يفسر تعقب الملفوظات السردية وطريقة أداء العوامل داخل الحكيم، لا يتم إلا داخل البرنامج السردية.

1- A.J.Greimas, J.courtès, dictionnaire raisonné, p94 . عن ترجمة نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص51.

2- جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ص110-111.

3- A.J.Greimas, sémantique structurele, p180 . عن ترجمة: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص52 .

### 1-1-2- البرنامج السردى (le programme narratif):

البرنامج السردى هو مجموعة الحالات والتحويلات المتتالية، والتي تقتضى بالانتقال من حالة إلى أخرى، فهو الذى توكل له مهمة التحكم فى هذه التحويلات " المرتبة والمتسلسلة، المرتبة بطريقة تسببية والمتسلسلة بشكل تعاقبى، ممنهج ومنظم بدقة وصرامة.<sup>1</sup>

حيث للانتقال من شكل حالة إلى أخرى تحدد فى شكلين مختلفين لهاته العملية:

تحول واصل: وهو الانتقال من حالة فصل إلى حالة وصل ( ذ U م ← ذ n م )

تحول فاصل: وهو الانتقال من حالة وصل إلى حالة فصل ( ذ n م ← ذ U م )

وبعيدا عن تفصيلا حالة الموضوع وعلاقته بالذات (الفاعل)، وتأثير ذلك على صيغة البرنامج السردى، فإن هذا البرنامج كإجراء تحليلي يهدف أساسا إلى وصف مسار العوامل وكيفية اشتغالها والتعرف على طبيعة تسلسل الأحداث وكيفية تنظيمها للبنية السردية، ولا يمكنه ذلك إلا إذا تضمن عناصره الأربعة المؤطرة له، حيث يتمظهر البرنامج من خلال جملة الوحدات السردية المترابطة فيما بينها، عاكسة بذلك مبدأ التدرج فى البنية السردية من جهة، ومبدأ الاستتباع المنطقي لهذه الوحدات من جهة أخرى، على نحو ما يبرزه الجدول التالى:<sup>3</sup>

التقويم (الجزء)	الأداء والإنجاز	الكفاءة (الأهلية)	التحريك manipulation
sanction	performance	compétence	
كينونة الكينونة	فعل الكينونة	كينونة الفعل	فعل الفعل
- علاقة المرسل بالفاعل - علاقة المرسل بفاعل حالة	علاقة الفاعل بموضوع قيمة	علاقة الفاعل بمواضيع صيغة (موضوعات الجهة)	العلاقة بين المرسل والفاعل
فعل تقويمي	فعل تحويلى	امتلاك المؤهلات أو الكفاءة	فعل إقناعي

<sup>1</sup>-Groupe d'Entrevernes, Analyse sémiotique des textes, pul.lyon, 1984, p19.

<sup>2</sup>- فضيلة قوتال، معالم السيميائيات المحايثة وحدودها، ص 106.

<sup>3</sup> -groupe d'entrexernes, analyse sémiotique des thextes, p19 .

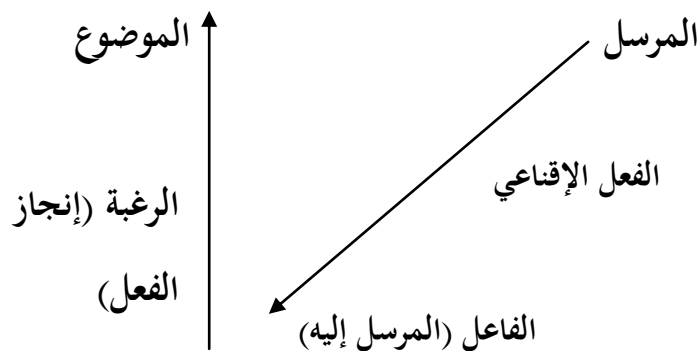
عن ترجمة: سعاد بن سنوسي، السيرورة السيميائية ومشروع الدلالات المفتوحة، ص 123.

تشكل المراحل الأربعة (التحريك، الكفاءة، الأداء، التقويم) في مجملها ما يسمى بالمقطوعة السردية (la séquence narrative)، وهي عبارة عن "تتابع منطقي للأنوية المتحددة فيما بينها بعلاقة تضامن: تفتتح المقطوعة لما يكون لإحدى مفرداتها سابقة متينة لها، وتختتم لما لا يكون لمفردات أخرى لاحقة لها".<sup>1</sup>

نشير أيضاً، أن هذه المراحل ليس من الضروري حضورها كلها في النص السردى، مما يعني اختزال بعضها، حيث كل مرحلة تستدعي الأخرى منطقيًا .

أ-التحريك (manipulation):

يعد أولى الخطوات المؤطرة للعلاقات النازمة للعوامل المتجلية في البرنامج السردى، والتحريك لا يتم بمحض إرادة الفاعل، إنما يتدخل المرسل المحرك (le manipulation) في علاقة بالفاعل، والذي يمثل دور المرسل إليه المحرك (le manipulé)، والسبيل إلى تلك العلاقة وجود فعل إقناعي (faire persuasif) والذي يقع على مستوى البعد المعرفي، وهو ما يسمح له بتحمل إنجاز أو عدد من الإنجازات التي تشير إلى تأسيس عقد إثماني...<sup>2</sup>، حيث يتخذ الفعل الإقناعي صفة التحفيز لفعل ثان، على مستوى علاقة الرغبة مثلما توضحه الترسيمية التالية:



<sup>1</sup>-R.Barthes, Introduction à l'analyse structurale des récits

عن ترجمة: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص58،

<sup>2</sup>-ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص71.



"إن إقامة علاقة يكون طابعها ممثلاً في ممارسة التأثير والاستحواذ من قبل عامل أول، يسمى محفزاً (manipulation) أو مرسلًا للتحفيز وقائماً به، على عامل ثانٍ يسمى محفزاً (manipulé) أو متلقياً له"، هو مهمة هذه الوحدة من الترسيم<sup>1</sup>، حيث هذه العلاقة هي التي تدفع المحفز باعتباره فاعلاً إلى تبني البرنامج السردي المقترح، ما دامت العمليات أنجزت للإقناع انطلاقاً من فعل الفعل. ومن ثمة فالتحريك في النهاية، يدفع بالفاعل إلى تخطي الوضعية البدئية، إلى وضعية أخرى تقر به من استرجاع الموضوع.

ب- الكفاءة (la compétence):

لا يمكن للفعل أن يتحقق، إلا إذا توافرت في الفاعل كفاءات من خلالها يستطيع الإتصال بالمرغوب فيه، حيث الكفاءة هي التي "تجسد مجمل الشروط الضرورية السابقة على الفعل المؤدي إلى امتلاك موضوع ما"<sup>2</sup>، فالفاعل الإجرائي في النهاية لا يستطيع القيام بأفعاله إلا إذا امتلك كفاءات تجعله مستعداً لتنفيذ المهمة، ولا يكتسب هذه الكفاءات إلا إذا توفر على شرطين:

1- أن يحوز برنامجاً سردياً من الممكن تحقيقه، وهو البرنامج السردي المعين (Actualisé).

2- أن يتوفر كذلك على صيغ لتحقيق برنامج السردي المتعلق منها بالرغبة (vouloir)، أو الوجوب

(devoir) أو بالاستطاعة (pouvoir) أو معرفة الفعل (faire-savoir)<sup>3</sup>.

ومن خلال هذه الصيغ (وجوب الفعل - استطاعة الفعل - معرفة الفعل - قدرة الفعل) تمتلك ذات الفاعل الشرط الأساس لتحقيق المرتبط بموضوع ذي قيمة، حيث هذا الإنجاز يمثل لب البرنامج السردي، باعتباره أهم مرحلة تحول الحالات إلى أفعال، لذلك يتطلب هذا الإنجاز الكفاءة اللازمة.

<sup>1</sup> - عبد العالي بوطيب، مستويات دراسة النص الروائي، مطبعة الأمنية، الرباط المغرب، ط1999، ص119.

<sup>2</sup> - سعيد بركراد، السيميائيات السردية، ص95.

<sup>3</sup> - عبد العالي بوطيب، مستويات دراسة النص الروائي، ص116.

ج - الإنجاز (la performance):

ويمثل المرحلة الثالثة من الخطاطة السردية، وقلما كان التحريك يحيل على مقولة "فعل الفعل" والكفاءة (الأهلية) تحيل على "كينونة الفعل"، فالإنجاز يحدد "فعل الكينونة" وهي كلها حالات تتعلق بالبطل وخضوعه لمجموعة من التحولات، تمس فعله وكينونته وطبيعته التي تجعل منه ملفوظ فعل يحكم ويحدد ملفوظ حالة في مساره السردى<sup>1</sup>، فهو- الإنجاز- وحدة سردية مكونة من سلسلة من الملفوظات السردية المترابطة فيما بينها وفق منطق خاص، ويمكن تحديد تتابع هذه الملفوظات على الشكل التالي:<sup>2</sup>

الحالة 1: م س = مواجهة: ( ذ 1 ذ )

الحالة 2: م س = هيمنة: ( ذ 1 ذ )

الحالة 3: م س = منح: ( ذ 1 م )

تعني هذه الرموز المصطلحات التالية: م س: ملفوظ سردي، ذ: ذات، م: موضوع. حيث يعبر الملفوظ السردى في الحالة الأولى عن العلاقة التناقضية بين حدين متقابلين، وفي الحالة الثانية يعد الملفوظ السردى نقطة الانطلاق لعملية النفي الموجهة، حيث: ذ 1 تنفي ذ 2 أو العكس. فيما يتطابق الملفوظ في الحالة الثالثة مع محفل الإثبات، الذي يتجلى في منح الذات موضوعاً ما<sup>3</sup>. وتندرج هذه الملفوظات ضمن البرنامج السردى الذي يقترحه "غريماس" الذي يتطابق مع الإنجاز باعتباره ترسيمة إجرائية المراد منها القيام بتحويل للمضامين، وبهذا يكون الإنجاز هو الوحدة الأكثر تمييزاً للتركيب السردى، إنه تركيبة أي خطاطة شكلية قابلة لاستيعاب مضامين متنوعة.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، ص 102.

<sup>2</sup> - م.ن، ص 101.

<sup>3</sup> - Voir : Greimas : du sens p173.101، ص 101.

<sup>4</sup> - Voir : Greimas : du sens, essais sémantiques, éd. Seuil, coll poétique, paris, 1970, p170.

واستنادا إلى ذلك، فالإنجاز هو فعل منتج من خلاله يكون محكوما من جهة بنوعية الكفاءة التي تتطلبها الذات المنجزة، ومن جهة ثانية بوجوب الفعل (الضرورة أو الاستحالة)، ومن جهة ثالثة يعد أحد عناصر الخطاطة السردية، وهو بذلك يعتبر الحلقة النهائية داخل التحولات المسجلة في النص. وبهذا فالإنجاز يتقابل مع التحريك باعتباره وجها لتحقيقه، -أي التحريك- ويتقابل مع الجزء باعتباره -أي الجزء- الوجه القيمي (الحكم على الأفعال المنجزة لسلسلة الأحداث)<sup>1</sup>.

د-التقويم (الجزء) (sanction):

هو المرحلة النهائية الذي يكمل الحلقة التركيبية للبرنامج السردية، ينظر إليه على أنه كون قيمي يحكم على كون قيمي آخر، ويهدف إلى إبراز كينونة الكينونة، كما أنه يرتبط بالتحريك ولا يدرك إلا في علاقته به، ما دام كل منهما يتميز بحضور مكثف للمرسل، وينظر إليه أيضا باعتباره حكما على الأفعال المنجزة من الحالة البدئية إلى الحالة النهائية، حيث يشكل هذا الطور عمليات التقييم، والتي يمكن أن تأخذ مظهر الجزء<sup>2</sup>. ويعرف التقويم بنوعين:

-تقويم عملي (sanction programatique):

وهو حكم إبستيمي للفعل، محمّل من المرسل المقوم (D.jerdication) على أداء الفاعل للبرنامج السردية، حيث قد يكون الحكم ذا طابع إيجابي (الجزء بالمكافأة) أو سلبي (بإسقاط العقاب عليه).

- تقويم معرفي (sanction cognitive):

ويعتبر أيضا حكما إبستيميا لحالة الفاعل، من خلال ارتباك الفاعل المضاد -البطل المزيف وإكرام الفاعل الحقيقي- البطل<sup>3</sup>، حيث صورتني المرسل والجزء، لا يجب التعامل معهما باعتبارهما جزءاً

<sup>1</sup> - voir : greimas : courtes : dictionnaire ; article performance، عن تر: سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، ص102-103

<sup>2</sup> - ينظر: جوزيف كورتيس وآخرون، السيميائية الأصول، القواعد، التاريخ، ص237.

<sup>3</sup> Voir : A.J.Greimas, j.courtes, dictionnaire raisonne.p320، عن ترجمة: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص73.

سردياً يعلن فيه السارد عن نوايا النص الخفية والظاهرة، من منظور حقيقة مطلقة تتجاوز النص بل الأمر يتعلق بكون قيمي يحكم على نفسه بنفسه، بعيداً عن مضمونه الإيجابي أو السلبي، إذ النص يصحح نفسه بنفسه ويحكم على نفسه، من خلال القيم المثمنة و من خلال الفعل السردى نفسه<sup>1</sup>. إن علاقة الفاعل بفعله لا تتعلق بالإنفصال أو الإتصال، إنما يتعلق الأمر بمدى صدق العلاقة الحالية في حد ذاتها، فقد تكون علاقة الإتصال بين الفاعل وموضوع القيمة صادقة أو كاذبة دون تغيير في تلك العلاقة، لأن الباطن يختلف في كثير من الأحيان عن الظاهر، كما في المثال التالي: "ذلك الرجل مثقف" / "يظهر أن ذلك الرجل مثقف" ففي الحالتين يرتبط الفاعل (الرجل) بموضوع القيمة "الثقافة"، ولكن مكنم الاختلاف في الكينونة، ففي حين تؤكد الحالة الأولى صحة القول بينما هو مجرد افتراض في الحالة الثانية.<sup>2</sup>

لذلك وجب على المحلل السيميائي كي يتمكن من إبراز طبيعة التقويم، أن يتتبع مداخل المصادقية أو استحالتها، من وحدة سردية إلى أخرى، واستناداً إلى تصور البرنامج السردى عبر مراحل الأربعة (التحويل، الكفاءة، الإنجاز، التقويم)، يتأطر هذا البرنامج من خلال تتبع الخاصية السردية لأي نص محكي، بالتركيز على دراسته الأفعال لحالتها وتحولاتها وفق مبدأى التتابع والاختلاف ومن ثمة تشكل المعنى.

إضافة لذلك، يتجسد المعنى أيضاً، بتوظيف الصور والأساليب الموضوعاتية والأدوار الغرضية الناجمة عن المكون السردى، مما يستلزم دراسة المكون الخطابي أيضاً ليكتمل المنظور البعدى للمستوى السطحي.

<sup>1</sup> - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، ص106.

<sup>2</sup> - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص73-74.

**1-2-1- المكوّن الخطابي (la composante discursive):**

ويتعلق الأمر في هذا المكون بعملية انتقال من البنيات السردية كهيكل عام ومجرد، إلى ما يعتبر غطاء لهذه البنيات وتجليات للأدوار العاملة أو ما يسمى بالبنيات الخطابية، فهو تحول من البرنامج السردى إلى الممثل، باعتبار المكون الخطابي تابع للمكون السردى.

فإذا كان المسار السردى عنصرا ضابطا لمجموعة من الأدوار العاملة، ومحددا لرحلة البطل ومتحكما في أفعاله وتحولات الحالة الخاصة به، فإن المسار الخطابي هو مسار تصويري باعتباره عنصرا مؤلدا لسلسلة من الأدوار الثمينة، أي أنّ الأمر يتعلق بانتقال يقودنا من المكون النحوي حيث تمثل الحكاية أمامنا كسلسلة من الحالات والتحولات وتتأسس كبنية سردية، إلى المكون الخطابي بصفته استشهادا دلاليا لهذه البنية، وبعبارة أخرى ننتقل من الخطاطة السردية إلى ما يشكل الأبعاد الدلالية للنص السردى<sup>1</sup>.

**1-2-1- الأنظمة الصورية (les systemes figuratifs):**

تتعلق الصور بالتمثيل في شكل مرئي ومحسوس لسيرورة الأفعال بالنص السردى، فهي بذلك تمثل غطاء للأدوار العاملة، تتعلق بالمحتوى "وتخدم الوصف، بأن تكتسي -الأدوار العاملة- الوظائف التي تؤديها"<sup>2</sup> حيث تكتسي الصور طابع التمييز، فهناك الصور المعجمية أو الوحدات المعجمية (اللكسيمات) المحددة بدلالاتها المعجمية المتعددة، وأخرى تتحدد بدلالاتها السياقية" فالصور المعجمية توصف بكل معانيها الممكنة، باعتبارها مجموعة من الطبقات الدلالية المنظمة.

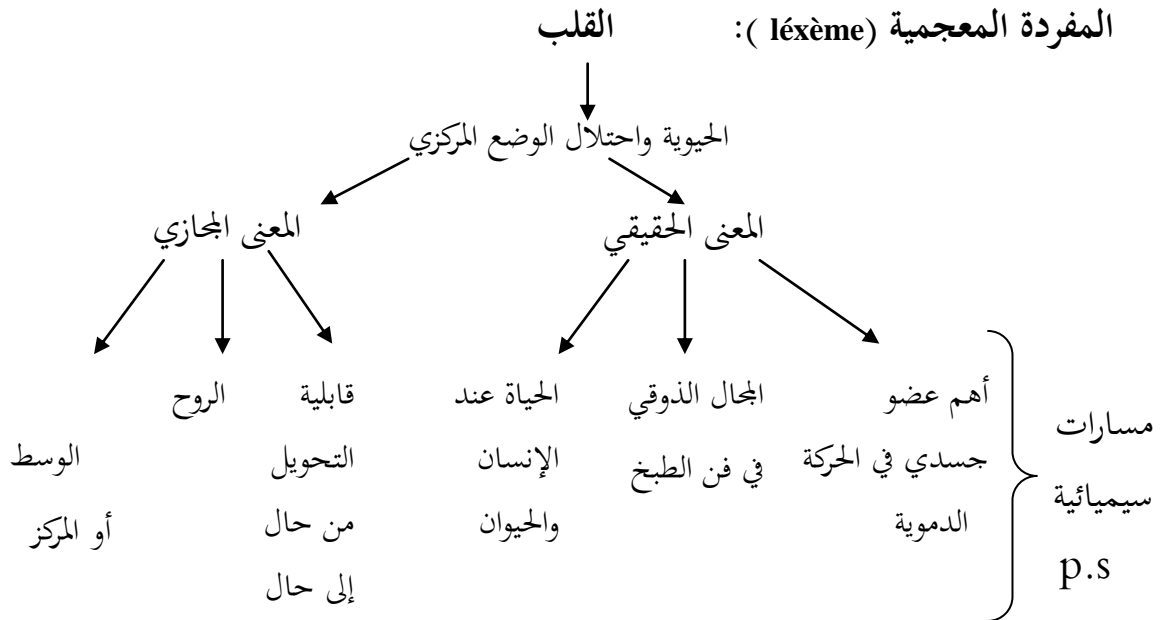
والصور السياقية، إنما هي نتائج استغلال إمكانية من إمكانياتها الدلالية"<sup>3</sup>، حيث تتخذ الصورة المعجمية نواة دلالية ثابتة، فيما تتجاوز الصورة السياقية ذلك لتقترب من الحقل الدلالية، من خلال ارتباطها بمتواليات جمالية تشكل نصا أو خطابا ضمن الحقل الألسني.

<sup>1</sup>- ينظر: سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، ص 126.

<sup>2</sup>- groupe d'Entrevernes, analyse sémantique des textes, p89.

<sup>3</sup>- رشيد بن مالك، السيميائية بين النظرية والتطبيق، ص 134.

ويمكن النظر إلى اللكسيم (الوحدة-الصورة-المعجمية) من زاويتين: زاوية استبدالية و زاوية توزيعية، ذلك أن " اللكسيم (...) ينشر خيوطه استبداليا وفق مجموعة من الترابطات التي تجمع بين أكثر من وحدة، وهذا ما يسمح بتخصيص الخطاب وتحديد تحققه النوعي. إنّ اللكسيمات من هذه الزاوية تكوّن تشكلات خطابية، وهذه التشكلات ليست سوى صورة خطابية، (...) تتميز باختلافها عن الأشكال السردية والأشكال الجمالية، و هي في تميزها- الجزئي على الأقل- تؤسس خصوصية الخطاب كشكل تشخيصي للمعنى، وتنشر هذه الصورة اللكسيمية خيوطها توزيعيا أيضا، فكل لكسيم يدرج داخل الخطاب يشغل وفق توزيع إرغامي، يستدعي وجود تشكلات خطابية تحكم هذا التوزيع، وتشكل اللكسيمات من هذه الزاوية، مسارات تصويرية"<sup>1</sup> إن المفردات المعجمية ورغم تعدد مفاهيمها وإتخاذها لأكثر من مدلول، إلا أنها تتوحد فيما يسميها غريماس "بالصورة النووية" (sème nucléaire) المتصفة بالحيوية و احتلال الوضع المركزي وهي أساس المكون الخطابي، ونوضح ذلك بمفردة "القلب" من خلال الخطاطة التالية:<sup>2</sup>



<sup>1</sup>-Courtes : introduction à la sémiotique, p.89

عن ترجمة سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، ص128

<sup>2</sup>-نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص81.

و وفق هذا التصور يمكن تصنيف الصور إلى عتبتين (هيئتين) أساسيتين:

• - عتبة المعجم (هيئة مضمرة "aspect virtuel"):

حيث تحدد الصور الدلالات والمسارات الممكنة، بغية الإلمام بالصور المراد تعريفها، ويتجلى ذلك في القواميس والمعاجم.

• - عتبة الاستعمال (هيئة محققة "Aspect réalisé"):

تمثل الصورة فيها من خلال الاستعمال الواردة فيه، ومن خلال استثمارها للمفردات التي تحدد لها المعنى وتحققه في الخطاب<sup>1</sup>.

إن قراءة نص ما، لا تعني ضبط صور معزولة عن بعضها، بل تهتم بمعانية العلاقات الموجودة بينها وتقدير الشبكات الصورية للحقلين المفرداتي والدلالي في الخطاب.

فالحقل المفرداتي (le champ lexical) هو مجموعة تشكلها المفردات المعجمية، التي تجمعها لغة معينة، للإشارة إلى الهيئات المتعددة لتقنية ما، أو لموضوع ما أو لتصوير ما.

أما الحقل الدلالي (le champ sémantique)، فهو جملة استعمالات الكلمة في النص، قصد استخراج الشحنة الدلالية الممكنة فيها<sup>2</sup>.

### 1-2-2- المسارات الصورية (les parcours figuratifs):

ويقصد بذلك، التسلسل في الصور المنضمة إلى بعضها البعض في تآزر وتلاحم، ومثال ذلك ما أورده "غريماس" عن "الشمس" التي تنتظم في إطارها جملة من الصور، كالحرارة والهواء والأشعة والإشراق والشفافية والسحاب... حيث نظريا تظهر هذه الصور في مجال المفردات المعجمية، لكنها سرعان ما تتآزر وتلاحم، لتؤلف شبكات صورية ممتدة على مقاطع كاملة، مكونة في ذلك تجمعات خطافية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>-voir: Groupe d'Entrevernes, analyse sémiotique des textes, p91

<sup>2</sup>-ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص82.

<sup>3</sup>-voir :A.J.Greimas « actant, acteur, figures », in sémiotique narrative et textuelle, p170.

فالمصور في ترابطها وتعالقها، منتظمة ومتسلسلة في النص، تشكل مسارات صورية محددة باعتبارها تجمعاً دلالياً حول قيمة ما، كما أن المسارات الصورية تصبح بانية لتشكلات خطائية تترجم عبر تقابلاتها وتماتلاتها سير الوحدات السردية ضمن النص السردى.

### 1-2-3- الموضوع والدور الموضوعاتي (Thème et rôle thématique):

يقصد بالدور الموضوعاتي، تلك الوظيفة السردية التي يقوم بها الفاعل الموضوعاتي، فقد يكون دوراً اجتماعياً أو أخلاقياً أو نفسياً... والأدوار الموضوعاتية تتعالق بالأدوار العاملة، بواسطة ما اصطلح على تسميته "غريماس" بالمثل (acteur)، باعتباره نقطة التقاء الأدوار العاملة بالأدوار الموضوعاتية. وقد حصر عمله في دورين: "يقوم الأول على حصر التجمعات الخطائية في المسارات الصورية التي يجوبها الخطاب، ويقوم الثاني على جعل هذا المسار منسوباً إلى عون كفاء بالنسبة إلى الثاني"<sup>1</sup> فإذا كان انتظام المسارات الصورية في النص في تسلسلها وترابطها يؤلف التشكلات الخطائية ويجيل عليها، فإن هذا التابع للشبكات الصورية هو الذي يحدد الأدوار الموضوعاتية، التي توصف بأنها تلخيص لهذه الشبكات في أدوار خطائية.<sup>2</sup>

كما أن التعريف بالوظائف المتميزة بالأفعال المنسوبة إلى الشخص، منوطة باستخراج الأدوار الموضوعاتية، "فوظيفة الفعل لا يمكن أن تتحدد إلا من خلال ارتباطها ببيئة أحد الشخص، أو بمبادرة صادرة منه"<sup>3</sup>، فالأدوار الموضوعاتية في النهاية تعمل على إثراء النص السردى وتحيله إلى قراءات متعددة، ومن ثمة فتحه على قراءات متعددة باستمرار.

<sup>1</sup>-A.J.Greimas « actant, acteur, figures », insémoitique narrative et textuelle, Larousse, paris, 1973, p174.

<sup>2</sup>-ينظر: م.ن، ترجمة محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردى، ص80.

<sup>3</sup>-عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، دراسة تحليلية في "معنى المعنى" لمجموعة من الحكايات، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1992 ص17.



بقي أن نشير إلى أن القائم بالفعل بتعبير "غريماس"، "يظهر وكأنه موطن لقاء وتقاطع بين البنى السردية والبنى الخطابية (...). لأنه محمّل في الآن ذاته بما لا يقل عن دور موضوعاتي ودور عاملي، وهذا وذاك يحددان منه كفاءته وحدود فعله وماهيته"<sup>1</sup>.

كما أنّ "غريماس" فرّق بين "العامل" و"القائم بالفعل" (acteur)، حيث اعتبر أنّ العامل الواحد قد يتجسّد في أكثر من قائم بالفعل، و مثال ذلك عامل المرسل الذي نمثله في "الرئيس" الحاكم الذي يحاول تسيير البلاد بقصده إلى "الشعب"، وهم القائمون بالفعل الذين يتولون مصالح مختلفة لخدمته وخدمة كل الوطن، ويجوز أن يكون القائم بالفعل واحداً ومجسداً لأدوار عملية متعددة، ومثال ذلك "المعلم" القائم بفعل التدريس، وتربية الأجيال.<sup>2</sup>

وبذلك نكون قد استوفينا ولو بشكل مختصر، المستوى المتجلي للنص السردى في بنائه الخارجى من خلال بنيته السطحية بمكوناتها السردية والخطابية، لكن ذلك غير كاف دون البحث في دلالات تلك العلاقات المتداخلة والمتشابكة، من خلال معالجة البنية العميقة المؤلّدة للبنية السطحية.

## 2- البنية العميقة (la structure profonde):

إن البنية السطحية للنص السردى، القائمة على مجموعة القواعد التي تنظم المضامين القابلة للتجلي في عدة أشكال خطابية خاصة، غير كافية لإدراك كيفية تشكل المعنى، ما لم نتبع العمق من خلال "الكشف عن الآلية المنطقية المتحكمة في وجوه الاختلاف والانزياح، والسييل إلى ذلك هو تتبع مجموع العلاقات في نظام سيرورتها، وإسقاطها على شبكة العمليات الرامية إلى تحديد الدلالة تحديداً"<sup>3</sup>، فالبنية العميقة المتحكمة في البنية السطحية والمولدة لها، لا يمكن النفاذ إليها بالنظر إلى صعوبة تحديد الدلالة وحصرها من خلالها، لأن ذلك يشكل تعقيداً بالنظر لما يتخلل ذلك من غموض والتباس، حيث يقترح "غريماس" اعتماد وسيلة التقطيع للكشف عن الوحدات الصغرى

<sup>1</sup>-A. J. Greimas, les actants et les figures , p176.

<sup>2</sup>-ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص86.

<sup>3</sup>-م. ن. ، ص91.

المكونة للنسيج الدال، والتي تسمى السيمات (les semes)<sup>1</sup>، ومن خلال ذلك، تفكك عناصر الخطاب إلى أدنى مستوى معنوي، بداية من من مسام النص، أو معانمه (السيمات)، مروراً بالصورة المعجمية (figures l'exematiques) و التشكلات الخطابية (configuration discursives) وانتهاءً بما يسمى بـ "محاور التواتر".

وهذا يعني أننا بصدد تحليل المعطى الدلالي (جوهر المحتوى) إلى وحدات مختلفة، حيث يتم الانتقال من المحتوى إلى مستوى التماثل وهي عملية تنفصلت عن الشرح، إذ اقترح "غريماس" أيضاً أن نزيح عنها صعوبة التعريف بالاعتماد على اللسانيات، من خلال استعمال الآليات التي كانت سائدة والمطبقة على مستوى التعبير، وهذه الوحدات الدلالية الصغرى سنقدمها فيما سيأتي:<sup>2</sup>

## 2-1- الوحدات المعنوية الصغرى (les unités minimales de la significations):

### السيم (le sème):

هو الوحدة الأساسية الدلالية الصغرى، ليس له دلالة في حد ذاته، إنما يكتسبها من فنون العلاقة القائمة بينه وبين وحدات أخرى تختلف عنه، "حيث لا يمكن إدراكه إلا ضمن مجموع، وفي إطار بنية معينة"<sup>3</sup>، إذ الدراسة الدلالية تقتضي في هذا المستوى، تفكيك الوحدات المعنوية (السيمية) إلى مكوناتها الصغرى المميزة، وصولاً إلى استخلاص حزمات من السمات الدلالية الأساسية<sup>4</sup>. فبعض السيمات المكونة للوحدات المعجمية للحقل الدلالي الواحد، تلتقي مع بعض وبعضها يختلف عن البعض الآخر، والاختلاف الحاصل هو الذي يقوم بإنتاج ضروب المعنى (Effets de sens) ولنأخذ مثال الصورتين اللفظيتين: "الأمل" و"اليأس" ونفككهما إلى وحدتهما السيمية الرئيسية فنلاحظ إتفاقهما في سيمين أولهما الإحالة على إحساس داخلي، وثانيهما الإختصاص بالمستقبل

<sup>1</sup> - محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردي، ص 87.

<sup>2</sup> - ينظر: فضيلة قوتال، معالم السيميائيات المحايثة وحدودها، ص 52.

<sup>3</sup> - J.courtès, sémiotique narrative et discursive, éd. Hachette universitaire, paris, 1976

عن: فضيلة قوتال. م.ن، ص 53

<sup>4</sup> - ينظر: م.ن، ص 88.

مع وجود سيم يفرق بينهما، حيث أحدهما يتضمن قيمة إيجابية والآخر قيمة سلبية، فيما السمة الدلالية المشتركة الأولى هي الإحساس الداخلي<sup>1</sup>.

ولكي يتضح المفهوم أكثر، نسوق هذا المثال التقليدي الذي تتأطر فيه علاقات القرابة من ائتلاف واختلاف بين السيمات للمفردات المعجمية: رجل، امرأة، أب، أم، ابن، بنت، المفضية إلى الاستقراء السيمي وفي شكل نظام:<sup>2</sup>

بنوة	والد	لا كهولة	كهولة	أنثى	ذكر	إنساني	
0	0	-	+	-	+	+	رجل
0	0	-	+	+	-	+	امرأة
-	+	-	+	-	+	+	أب
-	+	-	+	+	-	+	أم
+	-	0	0	-	+	+	ابن
+	-	0	0	+	-	+	بنت

العلامة	المرموز إليه
+	إيجاب
-	سلب
0	صورة مزيج بين السلب والإيجاب

ليتضح بذلك ما للسيمات من طاقة في توليد الدلالات، من خلال وجودها في أنساق مختلفة حيث ووفقا للعنصر العلائقي الذي يربط وحدات النص الدلالية المختلفة، مَيِّز "غريماس" نوعين من السيمات:

<sup>1</sup>- ينظر: م. ن، ص. ن.

<sup>2</sup>- ينظر: م. ن، ص 93.

أ- السيم النواتي (le sème nucléaire):

أو ما يسميه البعض النواة السيمية، وهي التي تدخل في تكوين الوحدات التركيبية المعجمية، أي عناصر مستوى التظاهر، وهي أساس المكون الخطابي الجسد للصور وللتجمعات الخطابية، والتي تأخذ شكل سيمات للمعنى، ومثال ذلك تحليلنا بالسيمات للصورة المعجمية "رجل" والتي تحمل في مستوى تظهرها المقومات: حي+إنسان+بالغ+متحرك... وهي مقومات ضرورية ومحددة للصورة المعجمية المشكلة للنواة السيمية الثابتة.

"إن هذه السيمات النواتية المتعددة التي التقطناها، وعلى غرار جميع السيمات النواتية التي يمكن لنا أن نصادفها في امتحان المستوى العميق، تشكل ما يسمى المستوى السيميائي للمعنى"<sup>1</sup>، حيث يستند غريماس على هذه السيمات النواتية باعتبارها المكونات الأساسية للوحدة المعجمية فهي في تصوره "تختص بالسيمات الثابتة، لكونها سيمات خصوصية تتولد من المجموعة المؤلفة (السمنتيم sémantème)".<sup>2</sup>

ب- السيم السياقي (le sème contextuel):

ويدعى أيضا بالكلاسيم (classème)، وتكوّن ما يسمى بالمستوى الدلالي للمعنى مقابل المستوى السيميائي للمعنى في السيمات النووية، حيث ترتبط بالسياق النصي وهي "بحسب تصنيف غريماس Greimas و بوتي B.Pottier سيمات نوعية تتغير بتغير السياق الواردة فيه، وتتولد من المجموعة المشكلة للكلاسيم"<sup>3</sup>.

ولعلّ من خاصيات السيمات السياقية "طاقتها التوليدية بحكم إحالتها على أقسام عامة مثل: حياة/موت، إنساني/حيواني، منغلق/منفتح..."<sup>4</sup> حيث يمكن استقراء العديد من الدلالات العامة في ملفوظ واحد ضمن سياقات مختلفة، فلفظة "عظيم" تشمل سيمات أهمها الكبر والتبجيل، لكنها

<sup>1</sup> -Groupe d'Entrevernes, analyse sémiotique des textes, p121.

<sup>2</sup> -رشيد بن مالك، قاموس التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، ط2000، ص170.

<sup>3</sup> -م.ن.، ص170.

<sup>4</sup> -محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردي، ص90.

تأخذ دلالات مختلفة أيضا، فإذا كان المقصود "صدق الله العظيم" فهي تحيل على العبادة والإيمان بالله جلّ جلاله، أي الجانب الديني العقائدي، وإذا جاء القول "شاهدت ناطح سحاب عظيم" فذلك يدل على عظمة فن العمران، وإذا كان المقصود "ذلك السيد العظيم"، أدرجت العظمة في سياق إنساني، إلى غير ذلك من الدلالات العامة التي يمكن استقراءها.<sup>1</sup>

## 2-2- التشاكل (L'Isotopie) :

ويسمى أيضا النظرية، و يتلخص مفهومه حسب غريماس في أنه مقولة أو شبكة مقولات ألسنية تمتد على طول سيرورة الخطاب الذي لا يمكن التعبير عنه، ما لم نسلّم في مجموع الجمل المكونة له - وليس المقصود هنا، تلك الجمل المتتالية و المستقلة عن بعضها - بوجود نظيرة مشتركة مدرجة فيه.<sup>2</sup>

فتوليد الدلالات يستند أيضا على الهياكل الحكائية بعد عملية ترتيب الجمل، وهو ما يكسب الخطاب تنظيما داخليا وزمنية معينة<sup>3</sup>، حيث تكون هذه الهياكل في شكل حزم، وهي التي يسميها غريماس التشاكل (النظرية) و تكون مترابطة فيما بينها وتمنح النص طابع الوحدة والاتساق، مما يسمح بالقراءة الواحدة للنص ضمن المعنى الكلي، إذ الاتساق هو الآلية التي تضمن الإنسجام ويمكن تعريفه "بالمستوى المشترك الذي يسمح بتحقيق ذلك الإنسجام"<sup>4</sup>.

لكن الأمر يختلف في الخطاب الشعري على خلاف التواصل، حيث يتسم الشعري عموما في حال إنتاجه لعدة مستويات إنسجام.

وكما للسيمات نوعان: نووية وسياقية، يفترض أيضا وجود إتساقين: تشاكل دلالي وتشاكل سيميائي.

<sup>1</sup> -نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص94-95.

<sup>2</sup> - Voir : A.J.Greimas, maupassant : la sémiotique du texte, p28.

<sup>3</sup> -ينظر: سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، الدار التونسية للنشر، د. ط، 1985، ص126.

<sup>4</sup> -groupe d'Entreverne, analyse sémiotique des textes, p123.

## أ-التشاكل الدلالي (L'Isotopie sémantique):

بينما السيمات السياقية هي التي تحقق الإرتباط بين الصور المعجمية، فإن التشاكل الدلالي يتحقق بواسطة هذه السيمات السياقية "أي أنه يقوم على وحدة الكلاسيم ولهذا السبب يمكن القول بأن التشاكل الدلالي هو المسؤول عن أجزاء الخطاب، كما أنه يسمح بتوضيح معنى الملفوظ المنتج"<sup>1</sup> ويحاول حصر المجال التصويري للدلالة، فهو بذلك "عملية تخص تواتر السيمات السياقية، تعمل على تلاحمها وتناسقها لرفع كل التباس يشته به في الجمل"<sup>2</sup>، حيث يتم الحصول على مجموعة من المفردات أو التراكيب المتشكلة، في وصف ما يشار به إلى "مستوى من المعنى في النص، ويتأسس عن طريق ما يتكرر فيه من سيمات تتبع الحقل الدلالي نفسه، وتسهم في فهمنا للتيمة"<sup>3</sup>

تمثل لذلك بصورة "القمر"، والتي عند تحليلها إلى سيمات نواتية (صور نواتية)، نجدها مجسدة في: بياض + نور + ضياء + بعيد ... و يمكن إدراجها حينئذ في السياق على شكل سيمات سياقية إما طبيعية أو إنسانية، فما تحيل على دلالتها الطبيعية اعتبارها كوكبا يستمد نوره من الشمس ليرفع ظلمة الليل عن الأرض، بينما تعتبر دلالتها الإنسانية موجهة للعاشق وتدليله لمعشوقته وولعه بها وهو ما يحيل على الجانب العاطفي من المشاعر<sup>4</sup>.

فالغاية النقدية للتشاكل الدلالي، هي محاولة تحقيق قراءة منسجمة للنص، إذ "قبل تعيين تردد السيمات السياقية التي تضمن للخطاب / القول إنسجامه على طول سلسلة تراكيبية"<sup>5</sup>، يجب البحث في دلالة النص عن طريق هذا التشاكل، بالكشف عن الدلالات من خلال التفكيك الجزئي للوحدات المكونة للخطاب.

<sup>1</sup>-فضيلة قوتال، معالم السيميائيات المحايثة وحدودها، ص65.

<sup>2</sup>- groupe d'Entreverne, analyse sémiotique des textes, p124.

<sup>3</sup>-السيد ابراهيم، نظرية الرواية، دراسة لمناهج النص الأدبي في معالجة فن القصة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة 1998، ص30.

<sup>4</sup>-ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص97.

<sup>5</sup>-A.J.Greimas, J.Courtès, sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du langage, hachette, paris , 1979 , p197.

ليتبين بذلك أنّ التشاكل الدلالي، يُعدُّ أساساً دلالياً أولاً من أساسات البحث السيميائي ويحقق رؤية نقدية، تعمل على تغيير مسار القراءة التشاكلية من الذاتية العشوائية نحو رؤية أكثر موضوعية .

ب- التشاكل السيميائي (L'Isotopie sémiotique):

هو كل اتساق تحقّقه السيمات النووية من خلال تواترها، حيث كل كلاسيم يحتوي أصلاً على بعض السيمات النووية، والتي من خلالها يمكن تقريب الكلاسيمات فيما بينها، فمفهوم التشاكل السيميائي يتبدى انطلاقاً من تحليل المفردة الواحدة إلى سيمات النواتية الصغرى، وصولاً إلى معناها الكلي عبر التركيب الحاوي لها ، "فقد يظهر أن المركب الجامع لسيمين جزئيين على الأقل يمكن أن يعتبر بمثابة سياق أدنى يسمح بتأسيس تشاكل"<sup>1</sup>، و ما ينتج من سيمات جزئية الوضعية هو الذي يسمى المستوى السيميولوجي، و الذي ينتج عنه هو الآخر تشاكل بنيوي عميق<sup>2</sup> .

ولتوضيح الأمر، نأخذ المثال الذي أوردته مجموعة أنتروفيرن (G.d'entrevernes) والمتعلق بصورة "الكنز"، حيث سيمتها النووية نجدها في: "ثمين"، غير أننا يمكن أن نلحق بها سيمات أخرى تتجلى في صور القطع الذهبية الثمينة على الصعيد النقدي المصري مثلاً، وهو الذي يشكل لدينا التشاكل السيميائي / الاقتصادي /، كما يمكن العثور على سيم "ثمين" أيضاً في حكايات الغرام والموارد المالية المصرفية<sup>3</sup>.

نشير إلى أن هذين المستويين (الدلالي والسيميولوجي - السيميائي-) لا ينفصلان عن بعضهما إلا في التقديم النظري، أخذاً ببعض الآليات المنهجية، لأن عليهما يقومان معاً، حيث يمكن التمثيل لعلاقتهما بما سيأتي:

\*الصورة: "كنز"

- النواة السيمية: /يجمع/+ /ثمين/+ /مقدار/

<sup>1</sup> -A.J.Greimas, J.Courtès, sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du langage , p197.

<sup>2</sup>-ينظر: محمد مفتاح، مجهول البيان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990، ص23.

<sup>3</sup> Groupe d'Entreverne, analyse sémiotique des textes, p125.

- التشاكل السيميولوجي: /اقتصادي/

إذا فإن الصور الممكنة تحوي السيمات النووية الآتية: /يجمع/+ /يبدل/+ /نقدي/...

أو: /ثمين/+ /علائقي/+ /الرغبة/...

التشاكل الدلالي: /شيء/ /إنسان/

ومن ثمة فإن اختيار أحد هذين السيمين السياقيين، ينتج تطورا على مستوى التشاكل

السيميولوجي، حيث ينتج عن ذلك:

/شيء/ ← /اقتصادي/

/مغامرة/ أو /اكتشاف/

/إنسان/ ← /معنوي/

/ثقافي/ أو /فني/

إن القبض على أحد هذين المعنيين يقتضي في البداية، وضع نسق أكثر اتساعا، حيث يمكن

أن ينتج ضمنه اتساق جديد -بتعبير "غريماس" - ومن ثم فإن الإتساق بوصفه آلية فهم، لا يخرج

أيضا عن إطار المقولة البنوية: الجزء- الكل، التي ينبني عليها اللسان.

كما أشار "غريماس" أيضا، إلى نوع ثالث هو الاتساق النحوي المتعلق بتوزيع الوحدات، لأن

المحل الإعرابي لأي كلمة لا يمكن تحديده، إلا من خلال موضعه ضمن نسق معين، متبعا في ذلك ما

سبقه وما لحقه من حالات إعرابية، فحضور الفاعل مثلا لا يحدده إلا وجود قبلي أو بعدي لفعل أو

اسم فعل.<sup>1</sup>

## 2-3- البنية الأولية والمربع السيميائي:

تستخلص الدلالة كما كنا قد أشرنا، من علاقات الاختلاف والتقابل بين العناصر الدالة فكما

لا يستقيم مفهوم الجمهور إلا بمقابلته بالمهموس، كذلك يدرك معنى الطول بمقابلته بالقصر ومعنى

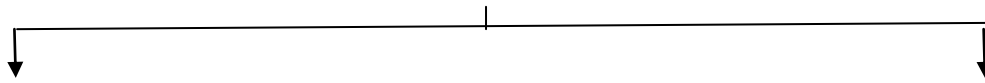
العلم بمقابلته بالجهل، ومعنى الحياة بمقابلته بالموت، حيث تعد هذه الثنائيات البنية الأساسية للدلالة

<sup>1</sup> - ينظر: فضيلة قوتال، معالم السيميائيات المحايثة وحدودها، ص 65-66 .



غير أنّ التقابل بين المعنيين (السيمين) المؤسسين للبنية الدلالية الأساسية (الأولية) يقتضي وجود عنصر مشترك بينهما، نطلق على هذا العنصر تسمية المحور الدلالي (Axe sémantique)<sup>1</sup> فالمحور الدلالي الذي يجمع ثنائية الحياة/ الموت هو الوجود، وثنائية أبيض/أسود هو محور اللون...

### وجود (م)



موت (م2)

حياة (م1)

حيث العلاقة بين السيمين (م1) و(م2) هي علاقة تضاد، بينما العلاقة بين (م1) و(م) من جهة و(م2) و(م) من جهة أخرى، هي علاقة تدرجية (تراتبية) (relation hiérarchique)، وهذا التحليل يتواصل، حيث المحور الدلالي المعني (الوجود)، يمكن أن ينتظم مع محور آخر في علاقة تقابلية " تنتهي إلى علاقة استخلاص محاور دلالية مضمن بعضها في بعض، ومتولد بعضها من بعض."<sup>2</sup> وليتضح الأمر، نستدل بمثال ثنائية الرجل/المرأة، التي تشترك في المحور الدلالي "الإنساني" والذي يدرك بدوره في علاقته التقابلية "بالحيواني"، و ما يجمع بينهما هو محور "حي" والذي يفهم في علاقة التقابل "بالجامد"، مثلما تمثله الترسيم التالية: وجود/عدم...

حي/جامد

إنساني / حيواني

رجل / امرأة

<sup>1</sup>-ينظر: محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى، ص93.

<sup>2</sup>-م. ن، ص94.

ومن ذلك يمكننا أن نستنتج نظام "غريماس" للبنية الأولية للدلالة، "فهو من ناحية وكأنه تصور للإدراك و/أو لإنتاج الدلالة، ومن ناحية أخرى و كأنه نموذج حامل لتعريف أدنى لكل كلام (أو بصفة عامة لكل ما يتعلق بالسيمائية) و لكل وحدة سيميائية: فهي تقدم إذًا، وكأنها مكان لتوارد التفكير العرفاني، و التسليم الإبستيمي لبديهيات لاحقة"<sup>1</sup>.

وانطلاقًا من البنية الأولية للدلالة القائمة على فكرة التقابل، يمكن تأسيس ما يسمى "بالمربع السيميائي" (le carré sémiotique)،<sup>2</sup> و الذي عدّه "غريماس" أحد أهم الإجراءات المجلية للمظهر الدلالي في البنية العميقة، يعمل على تجسيد الجانب الشكلي للمعنى، من خلال علاقات منطقية استدلالية استقرائية موضوعية للدلالة، وهو بذلك -أي "غريماس"- يقصد به "التمثيل المرئي لمقولة دلالية ما"<sup>3</sup>، فيما يصفه تلميذه "كورتيس" بأنه "تجسيد مرئي لتمفصل مقولة دلالية، كما يمكن استخراجها على سبيل المثال من عالم معطى، مقولة تمثل الجوهر في المستوى الأكثر عمقا"<sup>4</sup>. بينما ترى جماعة الأنترفون بأنّ "بالإمكان فهمه وكأنه آلية (ميكانيزم)، بمعنى مجموعة منظمة من العلاقات القابلة لتمفصلات معنوية"<sup>5</sup>، حيث يصاغ هذا النموذج وفق المخطط التالي:

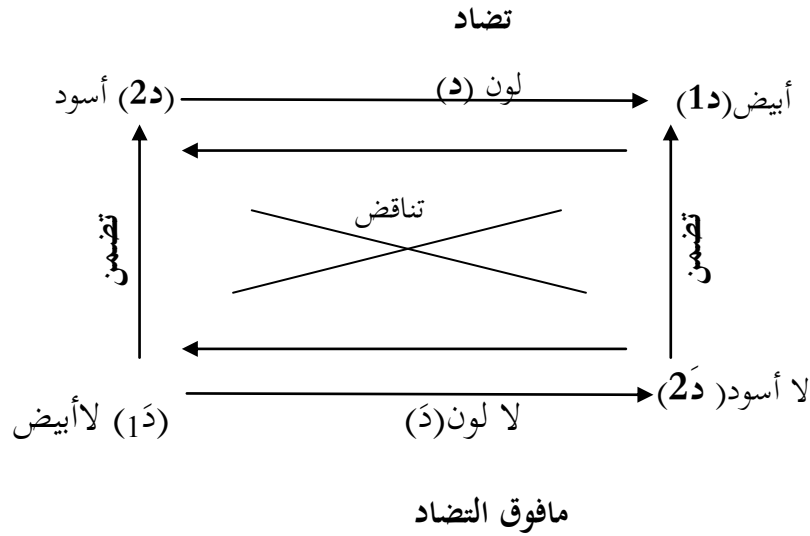
<sup>1</sup>-A.J.Greimas, J.Courtès, dictionnaire raisonné , p362

<sup>2</sup>-يسميه البعض أيضا تسميات أخرى منها: المربع الدلالي، المربع العلامي، النموذج التأليفي، المثال التركيبي...الخ.

<sup>3</sup>-م.س، عن ترجمة: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائيات السردية، ص104

<sup>4</sup>-J.Courtes, analyse sémiotique du discours, p152.

<sup>5</sup>-Groupe d'Entreverne, analyse sémiotique des textes, p136.



حيث تتميز العلاقات القائمة بين أركان هذا النموذج بما يلي: <sup>1</sup>

1/ توجد بين (د 1) و(د 2) و(د) من ناحية أخرى، علاقة ترابطية وهي العلاقة المنتظمة نفسها بين (1د) و (2د) من جهة و(د) من جهة أخرى.

2/ تقوم العلاقة بين (1د) و(1د) على التناقض (contradiction)، فوجود العنصر الأول ينفي وجود الآخر، إذ هناك عملية اختيار (selection) حتمية بينهما، وعلى النحو نفسه تنتظم العلاقة بين (2د) و(2د).

3/ تنبني العلاقة بين (1د) و(2د) على التضاد (contrariété) إذ يقابل أحدهما الآخر ويعاكسه ويفترض وجود أحدهما وجود الآخر، فلفظة "الحياة" تستدعي التفكير التلقائي والضمني ضدها وهو "الموت".

وخلافا لذلك، فإن التقابل يسمح بوجود سيمات وسيطة تأخذ بطرف من دلالة من المتقابلين فنستخرج (لا أبيض) و(لا أسود)، وهما قائمان في المحور الدلالي (د)، أي (لالون) والذي يسميه "غريماس" "بما فوق الضدية" (sub-contrariété).

<sup>1</sup> - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 100

4/ تتسم العلاقة بين (د2) و(د1) من ناحية، و بين (د3) و(د2) من ناحية أخرى بالاستتباع (التضمين)، فإثبات السيم "لا أسود" يقضي بإلغاء سيم "أسود" وإثباتا لظهور السيم المقابل "أبيض" فإثبات معنى "لا حياة" ييسر إبراز المعنى الضديد وهو "الموت"<sup>1</sup>.

من خلال هذه المفاهيم، يتضح أنّ المربع السيميائي الذي قدّمه "غريماس" في نظريته هو عبارة عن ميكانيزم، يعمل على تأطير الحركة الدلالية للنص ووصف تمظهراتها، وامتكنا على جملة العلاقات المرصودة المتولدة التي تظهر على سطح محتوى النص، فهو في النهاية أنموذج شكلي يعمل على استقراء حركية المعنى وتحوله، فلقد دعا "غريماس":

أ-المثال الترتيبي (modèle taxinomique):

الناتج عن نظام العلاقات المتسم بطابع التضارب والاختلاف في علاقات الوحدات بعضها ببعض فهي إما علاقات للتناقض أو للاستتباع (التضمن)، و هو ما يقتضي تقابلات منطقية للسيمات.

ب-المثال التركيبي (modèle syntaxique):

الناتج عن شبكة العمليات المتعلقة بالانتقال من قيمة إلى أخرى لتحريك المربع السيميائي وبعث الحيوية فيه، فعلاقة التناقض تفترض الانتقال من السلب إلى الإيجاب أو العكس، فيما تقتضي علاقة الاستتباع عملية انتخاب من القسم النقيض إلى القسم المقابل له.<sup>2</sup>

بقي أن نؤكد أيضا، أن المربع السيميائي يسجل النتائج المتحصل عليها من خلال تسيير و تجسيد شكل المعنى المراد إدراكه، و يتحقق من مدى صلاحيتها في تكوين العلاقات ذات الأبعاد الإئتلافية "فيظهر وكأنه شكل رسمي لتنظيم المضامين على محور القيم النقيضة"<sup>3</sup>، حيث تتحدد العلاقة بين البنيتين السطحية و العميقة، و التي يعمل المربع السيميائي على تهيئتها في النقاط المشتركة التالية:<sup>4</sup>

<sup>1</sup>- ينظر: محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى، ص95-96. وينظر أيضا: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص100-101.

<sup>2</sup>- ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائيات السردية، ص105.

<sup>3</sup> - A.J.Greimas, sémantique structurale, p212.

<sup>4</sup> - voir : Groupe d'Entreverne, analyse sémiotique des textes, p. p :138-139.

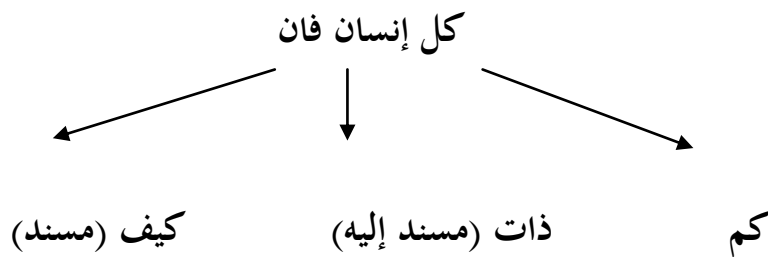
1- توجد علاقات التناقض والتضاد والاستتباع على الصعيد التحتي - العميق-، ممثلة على الصعيد السطحي بشبكة صورية محددة المعالم، في تجليات للأدوار الموضوعاتية وللمسارات الصورية القائمة على الانزياح والاختلاف، ومن ثم وضع علاقات ما بين القيم التي تكتسبها الوحدات المعنوية الصغرى.

2- العمليات المنجزة على تلك القيم في البنية العميقة والمقدمة على شكل نفي أو اختيار، تظهر في البنية السطحية مَحْملة من البرامج السردية لا غير.

3- تثير البنية العميقة قضية هامة مرتبطة بالمنطق، أساسها ثنائية علاقة / عملية، فالعلاقة بين الوحدات المعنوية هي ذات مدى منطقي، تحاول استقراء البنية في حالتها القارة و الثابتة، وكأن الخطاب السردى في مجمله محصور في عناصر دلالية منتهية ومحدودة، هي الوحدات المولدة لمساحة النص الظاهرة والتي تأخذ أبعادا رياضية من حيث التجريد.

4- يعكس الجانب المنطقي في العمق، تلازم ضربين ضروريين لكل حكي، مشار إليهما بـ "حالة " و"فعل" على سطح النص السردى.

بقي أن نشير إلى أنّ المربع السيميائي الذي اقترحه "غريماس"، يعود في أصله إلى الموروث الفلسفي الأرسطي، حيث يتضح الاختلاف بينهما في المقولات التي تحتل الأركان الأربع، فهي عند "أرسطو" مقولات فرضية أسسها الصيغ الشكلية، بينما يعتمد "غريماس" الوحدات الدلالية التي تقدمها مقولة دلالية واحدة، فقد حصر "أرسطو" مقولته الفرضية التي تقوم على عناصر(الكم الذات، الكيف)، وهي الجملة الخبرية التي يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب مثلما يوضحه المخطط التالي:



حيث اقترح "أرسطو" حصر أنماط هذه المقولة الشكلية في أربع حالات:

1/ مقولة إثبات عامة: كل إنسان فان

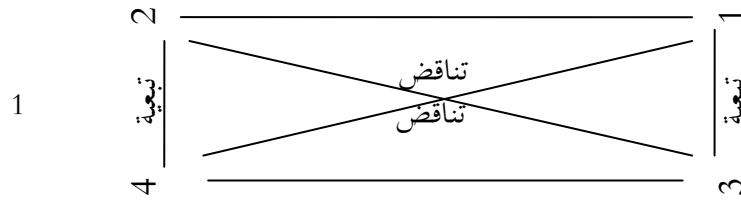
2/ مقولة نفي عامة: ليس كل إنسان فانيا.

3/ مقولة إثبات تخصيصية.

4/ مقولة نفي تخصيصية.

وتمثل لهذه المقولات الأربع من خلال أركان المربع المنطقي الأرسطي التالي:

تضاد

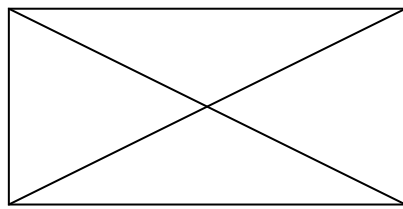


شبه تضاد

كما يقترب المربع الغريماسي أيضا، مع المربع المنطقي الذي قدّمه " القديس أونسلم " (saint Anselme) (1109-1033) في مجال التحليل اللغوي مستثمرا مقولتي "الفعل" و"الكيونة" حيث ينطلق من المقولة الأساسية "فعل الكيونة"، ويقابلها بنقيضتها المنفية (لا فعل الكيونة)، حيث تمثل هذه المقولات في مجموعها أركان المربع المنطقي المقترح:

فعل اللاكيونة

فعل الكيونة



لا فعل الكيونة

لا فعل اللاكيون

2

1 - ينظر: فضيلة قوتال، معالم السيميائيات الحايثة وحدودها، ص 78 - 79

2 - ينظر: م ن، ص 80

غير أننا يجب أن نشير، إلى أن تصور "غريماس" لمربعه السيميائي باعتباره معطى ثابتا منتظما في شكل علاقات متجانسة، يدفع بالعمليات السردية إلى أن تنتظم هي الأخرى في سلاسل منطقية. وهو الطابع الآلي الذي يصعب من إمكانية التعامل مع نصوص متحركة منتجة لايدولوجيا ومولدة لمعاني، وهو مأخذ من جملة المآخذ الموجهة للنظرية برمتها والتي سنتناولها بشيء من التفصيل في المبحث الموالي.

كما نشير أيضا، إلى وجود بنيات زمانية وفضائية (بنيات زمكانية) (structures spatio-temporelles) تدرج في إطار المكونين الخطابي والدلالي، إضافة للبنيتين الأساسيتين (العميقة والسطحية)، غير أنّ معظم الدراسات لم تتناولها، ويرجع السبب ربما لمؤسس النظرية نفسه - "غريماس" - الذي يعترف بعدم تناولهما بالدراسة حيث يقول: "برغم التفضيل الذي يتميز به حاليا مفهوم الفضاء، يبقى الحقل الدلالي المؤطر بواسطة هذا اللفظ، غامضا وغير مؤكد، عدا ما بدر من سيميائيات مختلفة، حاولت استعماله بحسب مبتغياتها، دون أن تبذل ولو جهدا بسيطا من التفكير المقارن والمحمل"<sup>1</sup>، أو ربما يعود سبب ذلك إلى صعوبة الدراسة نفسها في هذا المجال و الذي لا يزال في طور الاكتمال و في حاجة إلى تعديل وتعميق، حسب ما يقتضيه البحث العلمي من دقة وصرامة."<sup>2</sup>

<sup>1</sup>- A.J.Greimas, courtès, dictionnaire raisonné, p358.

<sup>2</sup>-نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص109.

**III- المآخذ على نظرية غريماس :**

على الرغم من قدرة مشروع "غريماس" السردى على تقديم الآليات العميقة الباحثة عن المعنى في قالب علمي، وهو ما عجزت عن بلوغه البحوث اللسانية السابقة، الغارقة في أتون التصورات النقدية الجاهزة، إلا أنّ المشروع أخذ بعدا ميكانيكيا مملأ في تعامله مع النص، مغفلا النص الأدبي ذي الخصوصية المختلفة، لتصل بذلك السيميائيات المحاثية عموما إلى بعض التأزم.

يعد النص الأدبي في النهاية نسقا مفتوحا وإبداعا لا محدودا، لذلك لا يمكن تجهيز قوالب قرائية له سلفا، من خلال تبني جهاز مفاهيمي ومصطلحي مفروض كآلية تحليلية، كفيلة باستقراء كل النصوص السردية، "فأية مدرسة لم تتوفق إلى الآن في صياغة نظرية شاملة، إنما كل ما نجده هو بعض المبادئ الجزئية والنسبية، التي إذا أضاءت جوانبا بقيت أخرى مظلمة." <sup>1</sup>

ونظرية غريماس كغيرها من النظريات النقدية التحليلية وبعتراف منظرها أنفسهم، هي في النهاية "مشروع سيميائي معرفي، يمارس النقد الذاتي باستمرار وهي بهذا، نظرية قابلة للمراجعة النقدية والتاريخية"<sup>2</sup>، ومن هذا المنطلق سنحاول في هذا المبحث رصد بعض الهفوات التي سقط فيها المشروع السيميائي الغريماسي، من خلال رصد انتقادات مجموعة من الأسماء الغربية والعربية أيضا.

**1- مآخذ النقاد الغربيين:****1-1- نقد جاك فونتاني (jacques fontanille):**

من خلال كتابه الصادر سنة 1999 ( السيميائية والأدب، محاولات في المنهج ) (sémiotique et littérature, Essais de méthode)، يقدم فونتاني بعض الاعتراضات على ركائز النظرية السيميائية الكلاسيكية (المربع السيميائي، المسار التوليدي، السردية)، ويرى أنها في حاجة إلى إعادة تقويم.

<sup>1</sup> - محمد فتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية الناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، 1986، ص07.

<sup>2</sup> - حسان راشدي، تلقي السيميائية في النقد الأدبي بالجزائر، "كتاب ملتقى الخطاب النقدي العربي المعاصر- قضاياها واتجاهاته" - المركز الجامعي

خنشلة، 22-23 مارس 2004، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، ص149.



المربع السيميائي:

يعتبر فانتاني أنّ المربع السيميائي، الذي يعد تأليفا تقابليا لمجموعة من القيم المضمونية كما اقترحه "غريماس" لا يمكنه أن يطال الكيفية التي تتشكل وفقها المقولة انطلاقا من التلقي، كما لا يمكنه أن يفسر الطريقة التي تتعامل بها الخطابات كلها مع مقولاته الخاصة الداخلية، من تنظيم وإعادة تركيب. فإنشاء مربع سيميائي أثناء تحليل نص أدبي " يعني أننا أمام مقولة ثابتة، يكون تكوينها منتهيا، غير أن البحث عن الكيفية التي تجري بها عملية التلقي، من تجميع واختيار وترتيب لمجموع الأشكال من أجل تنظيمها في مقولات تبقى مستعصية، ولا يمكن للتحليل القائم على المربع السيميائي استيعابها، وينبغي البحث عن مناهج أخرى ونماذج جديدة للتحليل، تدمج هذه الفرضيات الجديدة".<sup>1</sup>

حيث يعتبر "غريماس" أنّ التمييز بين مستويي التنظيم السردي، يعود إلى أساس تشكل الخطاب ونمط إنتاجه، فعوض التعامل معه باعتباره تسلسلا للملفوظات، يستحسن القول: إن الخطاب كل دال، أنتج أولا على شكل تأليف تام و يتفكك بعد ذلك تدريجيا وعلى مراحل، لينفجر في النهاية على شكل ملفوظات خاصة.<sup>2</sup>

ويقدم "فانتاني" بديلا منهجيا لهذا الاعتراض، فإذا فحصنا مثلا اشتغال تناظر في نص يمكن أن نعتبره بكل بساطة تكرارا لمضمون دلالي، وبهذه الصفة يمكن أن يقوم مقام التعليمة القرائية، وهذا يعني تبني وجهة نظر الخطاب- الملفوظ- ولو افترضنا أن المعنى مكتمل، فإننا نستطيع إعادة بنائه مباشرة، ومن منطلقات التناظرات المهيمنة في الخطاب، وتكون كل واحدة قادرة على الانتظام بالارتكاز على المربع السيميائي، و يمكن أن نهتم أيضا بالطريقة التي يعد بها الخطاب تناظراته الخاصة فكيف يتقدم تكرار المضامين و كيف تنتصب بين الصور المختلفة، العلاقة التي تسمح بالتعرف على قرابة دلالية؟

<sup>1</sup> - Jaques Fontanille ,Semiotique et littérature, Essais de Methode, Puf ,Paris , 1994, P 4-5

<sup>2</sup> - voir :Greimas(AJ), du sens (1970), p158

تأسيساً على ذلك، يمكن أن نفحص الطريقة التي يصل بها النص الصور ويفصلها، يضمها ويفككها، في سبيل الوصول إلى التناظرات التي تتشكل في الحركة نفسها للتلفظ.

ومن هنا ينبغي تبني وجهة نظر الخطاب في اشتغاله.<sup>1</sup>

المسار التوليدي (parcourt génératif) :

وهو أنموذج يحكم ترتيب المقولات المشعّلة في الخطاب، بداية من المقولات البالغة التجريد: (البنيات الأولية) إلى الأكثر تجسيدا (المحسوسة)، أي البنيات الصورية (المشخصة) للخطاب، وهو بذلك مفهوم مركزي في السيميائيات السردية، إنه يشير بصفة عامة إلى صيغة بالغة العمومية تختصر مجمل التمفصلات التي يتحدّد من خلالها نص ما، إنه سيرورة تقود من أشد المستويات تجريدية (النموذج التكويني، أو البؤر الأولية داخل مسار تشكل الدلالة)، إلى أشدها محسوسة (المحافل النهائية)، من خلال مستوى توسطي (السرد) وهو الرابط بين المستويين.

وكما يدل على ذلك معناه الظاهري، فإنه يشير إلى السيرورة التي تسلكها الدلالة لكي تستقيم من خلال مراتب النص، أي الانتقال من محور دلالي من قبيل شر (م) خير، إلى إسقاط حالات إنسانية تتحدث عن الصراع بين الخير والشر.<sup>2</sup>

حيث يمكن المسار التوليدي، الدارس من التعرف على وضعية مجموع البنيات الممكنة أثناء عملية التلفظ، غير أنّ تتبعه في الاتجاه الصاعد أو النازل، لا يوضح كيفية اشتغال التلفظ ولا كيفية اختيار المقولات وترتيبها وعدّها وتحريفها واختراعها، ولتحقيق ذلك يقترح "فونتاني" تلمس أدوات أخرى ونقصد بذلك معرفة الإشارية التلفظية\* (Praxis enonciative).<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 19.

<sup>2</sup> - ينظر: سعيد بنكراد، سيرورات التأويل، من الهرموسية إلى السيميائيات، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2012، ص 298.

\* تغطي الإشارية التلفظية مجموع العمليات التي من خلالها يستدعي كل تلفظ خصوصي، ويتقني ويجرك ويجول و يبتخرع، أو يعيد اختراع النصوص الأشكال، الموتيفات، وبصفة عامة الكيانات السيميائية .

<sup>3</sup> - ينظر: j.Fontanille,(praxis énonciative)op,p.131 . عن: رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 21.

إن النظر إلى التلفظ على أنه إشارية، يعني الإقرار بأن الأشكال الخطائية المهيأة انطلاقاً من المقولات المنظمة في المسار التوليدي، يمكن أن تظهر من وجهة نظر الخطاب في اشتغاله كأشكال خاصة به (...). وإذا أردنا أن نبرز الخطاب الأدبي في اشتغاله وليس فقط في انفصال بنياته الشكلية عن التلفظ، ينبغي أن تتصدر وجهة نظر الإشارية التلفظية المسار التوليدي<sup>1</sup>.

السردية (la narrativité):

يعتبرها "غريماس" متتالية من الحالات المسبوقة و المتبوعة (أو المتبوعة) بتحويلات، حيث يقوم مبدأها على مفاهيم، منها مفهوم العامل الذي اختلف كثيراً في تحديده وتسميته: حالة دلالية (Fillmore)، دور درامي (sauriau)، عامل سردي (Griemas)، ومن وجهة النظر هذه تحتوي كل الدراسات سواء التي اتخذت الجملة موضوعاً لها، أم التي اتخذت النص الكامل، أم تلك التي اعتمدت على الفعل مباشرة، أو بشكل غير مباشر عن طريق مجموعة التحويلات السردية.<sup>2</sup>

حيث مكن هذا المبدأ التفسيري الوحيد حينها، من تصور اختزال نص طويل إلى نص قصير جداً، وهو الإجراء الذي قام به "ج-جنيت"، حيث أخذ النص حجم جملة تلخص رواية: "البحث في الزمن المفقود" لـ "مرسيل بروس" .<sup>3</sup>

ومكن هذا الاختزال أيضاً من التفكير في "نحو سردي للنصوص"، حيث كان بالإمكان تبرير نوع المعادلة بين البنية السردية البسيطة كالجملة، وتلك التي تبدو أكثر تعقيداً، كالقصة أو الرواية.<sup>4</sup>

ليقترح "فونتانيي" مبدأً تجريبياً ضمن قاعدة "لا يدرك المعنى إلا من خلال التحويلات"،<sup>5</sup> حيث بالإمكان تشكيل هذا المبدأ اعتماداً على المعارف المكتسبة في تحليل الجملة، لكن هذا الإجراء تعقد كثيراً بعد أن كشفت التحليلات السردية أن الذي يمكن إمساكه هو التحويل الفعلي من حالة ثابتة

<sup>1</sup> - رشيد بن مالك، (م س)، ص 21-22.

<sup>2</sup> - ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصة للطباعة، 2000، ص 4-6.

<sup>3</sup> - Voir :Gerard Genette, figures 3, seuil, paris, 1973, p.21-26

<sup>4</sup> - ينظر: عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائية السردية، ص 94.

<sup>5</sup> - J.Fontanille, sémiotique et littérature, p7-8.

إلى حالة أخرى جديدة، عبر سيرورة البرامج السردية التي يخضع لها البناء السردى للخطاب، إذ التحليل لا يطال الدلالة الفاعلة التي تشكل فور القراءة، وإنما تلك الثابتة المستقرة بعد التحويلات الناتجة عن البرامج السردية أثناء تتالي الحالات والتحويلات<sup>1</sup>.

## 1-2- نقد كلود بريمون (C.Brémont):

ففيما لا يرى "بريمون" أية إضافة في التمييز بين مستويي التحليل ل"غريماس"، معتبرا الأمر ثانويا حيث "يتطور المستويان بالتوازي، ويتعادلان بالقواعد التركيبية نفسها"<sup>2</sup>، يوجه انتقادا لاذعا لما أسماه بالنموذج التأليفي، والذي يقصد به المربع السيميائي لما لذلك من غموض وإبهام، فما يستدعي الإهتمام برأيه" هو أن نتعرف في مستوى أو آخر، إذا ما كان النموذج التأليفي بألفاظه الأربعة في علامات التضاد و التناقض و الاستتباع التي توحد ما بين هذه الألفاظ، قادرا أن يمنحنا معرفة بما يحدث داخل المحكي"<sup>3</sup>.

فقد وقع "غريماس" حسب "بريمون" في هتات عديدة، ومن ذلك نظام العلاقات في المربع السيميائي، كأن يقتضي "اللاثري" وجود "الفقير"، وهو شذوذ غير مفهوم في حركية هذا النموذج التأليفي، وعليه يتوقف المصير السردى على أن يكون مقصورا على محور المتناقضات.<sup>4</sup>

لقد نقل "غريماس" أمودجه (المربع السيميائي) عن المناطقة، وأراد إسناد السيميائية للمنطق أيضا لكنه فاجأ الدارسين بتنازله عن هذه الفكرة لاحقا، مصرحا بأن الاختلاف بين السيميائية والمنطق لا جدوى منه، وهو ما أعابه "بريمون" عليه معتبرا الأمر نوعاً من العبث، ومعتقدا عدم إمكانية تصور صعوبة الخطو إلى الأمام، دون الفصل في هذا النزاع الذي يدعي فيه "غريماس" إسناد السيميائية إلى قواعد المنطق المعيارى، ثم القول بأنها علم مستقل وقائم بذاته، فلقد أتاح "غريماس" وبدون حق، فضل تسيير عالم المحكي... و قد كان باستطاعة النموذج التأليفي أن يخدم سلسلة الاختبارات الممنوحة، إلا أننا نجد به بعيدا عن استعماله الحقيقي ومكلف بعمل لا دخل فيه.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: عبد القادر شرشار، (م. س)، ص94.

<sup>2</sup> - C.brémont, logique du récit, collection poétique, seuil, paris, 1973, p92.

<sup>3</sup> - c.brémont, logique du récit, p92

<sup>4</sup> -Vor : c.brémont, logique du récit, p93

<sup>5</sup> - ينظر: م، ن، عن نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص120.

وفي سياق البحث عن معنى المحكي ودلالته في كليته، من جمالية التنسيق بين المحسوس و الملموس وبين الواقع والتمثيل، وبين الحضور والغياب، فإنّ الأمر لا يعدو أن يكون تصورا لحشيات أو معطيات وهمية، بل يعتبره "بريمون" من تداعيات التجربة الإنشائية.<sup>1</sup>

### 1-3- نقد فرانسوا راستيي (F.restier) :

لقد أدخل "غريماس" النص السردي في تضارب صارخ واقع بين الإنفتاح - وهو طبيعته التي خلق بها - والقيود المفروضة في إطار الخطاطة الغريماشية، من خلال إسقاط مسار توليدي يحدد المستويات و العمليات المولدة للمعنى، حيث توليد الدلالة لا يتم استجلائه إلا ضمن خطاطة معيارية ثابتة، محددة لشكل محتوى مختلف العمليات السردية.

ولقد أعاب "فرانسوا راستيي" على "غريماس"، ذلك الطرح الثابت ذو البعد المعياري في المسار التحليلي للنص السردي، مقترحا فكرة تفعيل التأويل النصي، المفضي إلى الانفتاح والتعددية القرائية وتجاوز صرامة النص النقدي، حيث يصبح برأيه "كل قارئ حرا في تتبع إتجاهه الخاص به، وفي تفسير المسارات التي يشير إليها النص أو حذفها، تبعا لأهدافه ولوضعيته التاريخية، مما يثبت بشكل مخالف لما هو متوقع موضوعية المعنى، فإذا طالبنا مثلا من مجموعة من القراء استخراج تواترات سمة دلالية ما، فإننا سنسجل نتائج متعددة، تشهد على القدرة الفردية لكل واحد منهم."<sup>2</sup>

إنّ المعنى وفق الرؤية السيميائية الغريماشية محايث، فهو "حاصل علاقات تتحقق داخل نسق وحاصل الاستبدالات الممكنة لهذه العلاقات"،<sup>3</sup> وهو ما يؤدي في النهاية إلى نوع من الانغلاق و من ثمة، فالتحليل السيميائي السردية يكتفي بإعادة صياغة ما يقوم النص بتمثله، فلا قراءة إلى ما يحيل المعنى خارج هذا النسق، فقد حرص "غريماس" على ما يوحد دلاليا بين وحدات النص المعنوية مؤكداً " أنّ حقيقة وجود الخطاب، إنما هي رهين بوجود تشاكل موحد بين مجموع الجمل التي تشكله و يمكن التعرف على هذا التشاكل، من خلال تراكم جملة من المقولات اللغوية التي تحترق هذا الخطاب من بدايته إلى نهايته."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: م.ن، ص121.

<sup>2</sup> - F.Restier, sens et tentualité, éd, hachette, 1989, p18.

<sup>3</sup> - سعيد بنكراد، سيرورات التأويل، ص263-264.

<sup>4</sup> -A.J.Greimas, moupassant, op cit, p28.

لكنّ "راستيي"، الذي أدرج نظام التشاكل ضمن المسار التأويلي، فيغدو من المنطلق الخارج حكائي مرتبطاً بنظام يتجاوز القراءة الموحدة للنص، ومشرطاً الأنساق الاجتماعية لاستقراء المكونات الدلالية، إذ "أن الطبقات الدلالية والتشاكلات المرتبطة بها برأيه، لا تتأسس من النسق الوظيفي للغة فحسب، و لكن تنبع أيضاً من السجل الكلامي و ما تقدمه القيم المتولدة عن مختلف الأنساق الاجتماعية."<sup>1</sup>

ولمّا كان تشكيل النص من جملة من الأنساق اللغوية والتسنيقات الاجتماعية، فإن هذه الأنساق هي التي تؤسس الأنماط السيمية، لتكسبها سمات تمييزية متحولة غير ثابتة، وضمن هذا الاعتبار فقد ميّز "راستيي" بين نوعين من السيمات:

أ- السيمات اللصقية (semes inberents):

وترتبط بالنسق الوظيفي للغة وتتميز بأنها تقريرية، تمييزية، نهائية وكونية.

ب- السيمات العائدة (semes afféxents):

وترتبط بمختلف الأسنن الاجتماعية، و هي على النقيض من السيمات العائدة، توصف بأنها إيجابية، غير تمييزية، لا نهائية و غير كونية، حيث اعتماد القيمة الاجتماعية، إضافة إلى القيمة اللسانية في تمييز الوحدات الدلالية للنص، وهو يؤدي بالضرورة إلى فكرة انفتاحه- النص- في ظل تفعيل التأويل، وهو التصور الذي تجاوز المآزق القرائي لخطاطة "غريماس" السيميائية، التي حدّت من المد الدلالي للنص وأحالت الحدود الوصفية إلى قيد ثابت على آليات إنتاج المعنى.

إن التأويل في النهاية يمثل نظرية عامة للمعنى ونظرية عامة أيضاً للنص، مما يجعلها تجاور السيميائيات وتكملها، وإذا كانت العملية التلفظية سابقة على المعنى عند "غريماس"، فإنها عند أتباع النظرية التأويلية وعلى رأسهم "بول ريكور" (P.Ricoeur) تابعة له، حسب التسلسل الذي يقدمه حول تموضع فعل التأويل قبل العملية التلفظية، لأن الوجود أسبق من الفهم، والفهم أسبق من فعل

<sup>1</sup> - F.Restier, sémantique interprétative, éd, puf, 1987, p12.

التأويل، وهذا الأخير أسبق من القول ذاته، مما يدفعهم إلى ربط النص بمرجعه وبالمعطيات الخارج - لسانية للخطاب- وكذا بشروط إنتاجه وقراءته.

إنه إقرار بوجود العودة إلى السياق الاجتماعي - التاريخي المحيط بالعملية التلفظية، لذلك يقترح "راستيبي" تجاوز الآلية التحليلية التي تتقصّى البنى الدلالية العميقة، في مقابل بنى دلالية سطحية<sup>1</sup> مقترحا آليتين تأويليتين:

#### التأويل الباطني:

وهو الآلية التي تهتم بالسيمات اللصقية (الملازمة أو المتعلقة) التي تحيّن داخل النص، دون إقصاء المعايير الاجتماعية التي تشارك النظام الوظيفي للسان، في تأويل بعض السيمات وتعريفها والتي تنضاف إلى الشروط التداولية.

#### التأويل الخارجي:

ويهتم بالمحتويات التي لا يتم تحيينها داخل النص المؤول، إذ التأويل الخارجي يتطلب تأويلا باطنيا مسبقا، كما " أنّ التقابل: باطني/خارجي الذي يقترحه "راستيبي"، يعود إلى مصطلحي "بيرس" (The Involved Meaning) و (The Evolved Meaning) بوصفهما مؤولين، أولهما آني وثانيهما دينامي<sup>2</sup>، وهما شقا فعل القراءة عند "راستيبي".

إنّ ما يقدمه "راستيبي"، دليل على ضرورة المعلومات الخارج- نصية ( آلية التأويل الباطني)، إذ تسمح بتحليل مكون دلالي واحد على الأقل داخل النص، فإذا كان هذا المكون سيما ملازما سيكون استعمال تلك المعلومات ضروريا، بينما يكون استعمالا مفيدا في حالة السيم المتعلق.

فصحيح أن مجموع المعلومات أو المعارف الخارج - نصية تضمن تمام التأويلين الباطني والخارجي إلا أنه من الممكن "أن تهيمن معلومة واحدة، حسب المعيار الذي ينظم عملية التأويل حسب

<sup>1</sup> - voir : F.Restier, sémantique interprétative, p.219

<sup>2</sup> -C.s.pierce, écrits sur le signe, éd seuil, paris, 1978

عن ترجمة فضيلة فوتال، معالم السيميائيات المحايثة وحدودها، ص125.

"راستيبي"، إذ يمكن أن يكون اجتماعيا أو فرديا، حيث المعايير المتفرعة عن ذلك وهي: المعايير الاجتماعية الباطنية، المعايير الفردية الباطنية، المعايير الاجتماعية الخارجية، والمعايير الفردية الخارجية فهي تشترك مع النظام الوظيفي للسان في ضمان التأويل الباطني، والانتقال به إلى التأويل الخارجي.<sup>1</sup>

#### 1-4- نقد بول ريكور (paul Ricoeur):

يقدم "بول ريكور" ملاحظاته النقدية حول النظرية السيميائية الغريماسية في ثلاث نقاط: تتعلق الأولى بمبدأ التمييز بين النحو الأساسي والنحو السردى السطحي، وتعلق الثانية بالمحتوى المنطقي للأنموذج التكويني، فيما تتعلق الثالثة بضرورة إعادة النظر في سردية هذا الأنموذج.

حيث يؤكد أن الإفراط في صيغ الأنموذج السردى الغريماسي، لا يمكنها أن تفرض قوانينها على كل النصوص السردية، إذ يؤدي ذلك إلى غياب عنصري الحدث والمفاجأة، وهو ما يجرم القارئ من الاستمتاع باكتشاف الجديد، مكتفيا بمطابقة الحاضر على الماضي، ومستنتجا الأنموذج التنظيري منذ البدء، فتتحول بذلك العوالم السردية إلى قوانين تنظيرية.

وفيما يعتبر "غريماس" أن الفعل التركيبي هو ذاته الفعل النوعي، يخالف "ريكور" ذلك معتبرا أنهما يمثلان الشق المنطقي والترتيبي بالتوالي، لأن الأمر ذاته يتعلق بالتمييز بين السيميائي واللساني وبين الدلالي والعاملي، باعتبار أن الذوات التركيبية للفعل، هي العوامل التي تحمل الرغبات والتوجيهات القصديّة.

وبينما يتفوق مشروع "غريماس" الدلالي داخل النص لتفسير سر تشكله - حيث يبدو التحليل مفصولا على الموضوع المتناول - يسعى "بول ريكور" من خلال فكرة طرح مشروع فتح النص على التأويل ومتابعة نشاطه الداخلي "عبر علاماته المنتظمة في عالمه، وقدرته على تشكيل فضاء يجد فيه الذات أو القارئ، أشكال تنقيبه عن المعنى وأنماط سيره للدلالة أو العلامة"<sup>2</sup>، بعيدا عن التفسير المحايث.

<sup>1</sup> - ينظر: فضيلة قوتال، م.ن، ص127.

<sup>2</sup> - محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، لبنان، 2002، ص72.



وفيما ركّز مشروع "غريماس" الدلالي أيضا، على الآليات و القواعد (المرجعية الخارجية للنص) تطرح الدراسات التأويلية "الانتقال داخل مرجعية النص من المعنى إلى الحدث، أو الواقعة النصية"<sup>1</sup> وهو ما يمثل نقطة الاختلاف بين المشروعين، إلّا أنّهما يشتركان في ابتعادهما عن الاهتمام بالمؤلف وبالمرجعية الواقعية الخارجية، بينما هما في الواقع مرجعيتان مختلفتان، إحداهما من الدرجة الأولى أما الأخرى فهي من درجة ثانية متعلقة بالكينونة في العالم، أو هي إمكانية الكينونة لا غير، التي يقدمها الكلام في مستواه المجازي، بموقفه الانتظاري الذي ضمن عملية متسلسلة استثنائية تتمم خطاب النص بوصفه كلاما يستدعي قراءة ما<sup>2</sup>.

كما أنّ "غريماس" يقدم السردية من خلال نظريته السيميائية في مستواها التنظيمي، باعتبارها برنامجا سرديا مكونا من تتابع فقد وامتلاك قيم بالنسبة للذوات، وهو ما يجعل من التطور على المستوى التنظيمي يتوازى مع التطور على المستوى الاستبدالي، بينما يعارض ذلك "بول ريكور" مؤكدا صعوبة تقليص ما يوجد في الأنموذج التكويني، عبر كل مراحل المسار التطوري للسرد.

لنصل بذلك إلى القول، بأن "غريماس" ركّز في نظريته على عمليتي التفسير والفهم، رابطا أمر عملية فهم النص السردية الأدبي بتفسيره " فكلما فُسر النص أكثر، فُهم أكثر"<sup>3</sup>، فالغاية في النهاية عنده هي التفسير لا الفهم، بينما "ريكور" يخالفه في ذلك، معتبرا الفهم عملية تفوق المعرفة والوجود وهي الفكرة التي ركّزت على مشروع فتح النص من خلال عملية التأويل.

## 1-5- نقد جونتان كلر (J.Culler):

إن عملية استخراج النظائر (التشاكلات) من النصوص ليس بالأمر الهين، باعتبار النظرية تستخدم

<sup>1</sup> - م. ن، ص 78

<sup>2</sup> - ينظر: بول ريكور، من النص إلى الفعل، ترجمة وتحقيق: محمد برادة و حسان بوقرية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، ج.م.ع ط1، 2000، ص 88.

<sup>3</sup> - Anne Henault, le pouvoir comme passion, débat du 23 mai 1989 entre A.J.Greimas et

P.Riceour, éd, puf, paris , 1994 عن ترجمة: فضيلة قوتال، معالم السيميائيات المحايثة وحدودها، ص 136.

للإشارة إلى مستوى من الدلالة، والتي تتحقق من خلال تكرار الوحدات المعنوية في النص، وهو ما يحيل في الأخير إلى المرجعية الواحدة.

فلقد عالج "غريماس" في دراسة له لعالم "برنانوس" قضية النظائر، واكتشف أنها محققة لـ "الحياة والنار والفرح"، والتي تقع في تضاد مع "الموت والماء والضرر"، حيث أثارت هذه المسألة اهتمام "كلر" وجعلته في حيرة، نتيجة الغموض والاستعصاء في كيفية استخراج الأوصاف التي ينسبها إلى الحياة، إذ أنّ اللفظ ذاته يتردد في أكثر من موضع في نصوص "برنانوس"، إما لغرض مجازي أو للدلالة الرمزية.

فكيف نستطيع اتباع إجراءات "غريماس"، ونحن نجعل قواعد استعمالها وتطبيقها ميدانيا في التحليل؟ وهل الطريقة العشوائية في اختيار النظرية ولو كان النشاط منطقيا، تعد أسلوبا علميا ينبغي لنا اعتمادها؟<sup>1</sup>

لكن "غريماس" يطرح بديل فكرة المعنى العام للنص، و التي يتم إدراكها من خلال جملة العبارات المصوّغة لذلك المعنى التي تتضمن تكرارا لسميات سياقية، حيث يرشد الباحث الكفاء إلى استنباط وإبراز النظرية من خلال رجاحة عقله وقوة حنكته وسعة أفق معرفته .<sup>2</sup>

"أما المعنى فلا مكان ثابت له، فهو تارة يفصح عن نفسه، وطورا يتهرب تبعا لكفاءة القارئ، حيث هذه الكفاءة هي التي تشكل عاملا هاما في اكتساب ثقة النص، وبالتالي فإنها تشكل أحد المخارج الأساسية، إن لم تكن المخرج الوحيد الذي يدل على المعنى أو المعاني ."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص122.

<sup>2</sup> - Voir : A.J.Greimas, structuralist portics, routledge and kegan paul, 1975، عن السيد ابراهيم، نظرية الرواية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص31-32.

<sup>3</sup> - قاسم المقداد، هندسة المعنى في السرد الأسطوري الملحمي، دار السؤال، ط1، دمشق، 1984، ص174.

## 2- مآخذ النقاد العرب:

## 2-1- نقد "عبد الملك مرتاض":

يعتبر "عبد الملك مرتاض" نظرية "غريماس" والتي من خلالها حاول التقنيين للكتابة السردية"، مجرد استنساخ أو معارضة لعمل "فلاديمير بروب" في نظيراته للحكاية الخرافية"<sup>1</sup>، وهو ما يتعارض مع البنية الروائية المعاصرة المتسمة بالانفتاح والتحويلات المستمرة، كما أنها تعد "مترجمة متعاصرة على التنظير الصارم"<sup>2</sup>.

فأعمال "غريماس" المستمدة من فكرة "بروب" في أنموذجه الوظيفي، خصوصا ما تعلق منها بالبرنامج السردية، تعتبر في النهاية حسب عبد الملك مرتاض، مجرد سلسلة من التقريرات و المفاهيم المعقدة التي تتداخل فيما بينها وتحيل على بعضها البعض، مؤكداً أن "مثل هذه التقريرات لا تقوم لها قائمة في منظورنا، لأنها ترتبط بشبكة من المفاهيم الأخرى التي تحتاج أيضا إلى تقديم وتفسير، وفي بعض الأطوار لا يكون لها تفسير مقنع، فتظل معلقة في الهواء دون عناء، ويبدو أنّ "غريماس" أراد أن يعلمن السردانية (السرديات)، كما كان فعل ذلك "فلاديمير بروب"، فلم يفده كثيرا"<sup>3</sup>.

ويرجع "عبد الملك مرتاض" سبب تعقيد المفاهيم التي استخدمها "غريماس"، إلى الحشد الكبير من المصطلحات المستوحاة أصلا من علوم: النحو والألسنية العامة والفلسفة والرياضيات... والتي سعى إلى محاولة تقنينها، بمعان تأخذ شكل الدراسة السيميائية التي أصبحت علما، يشق طريقه من بين العلوم النقدية المعاصرة في حقل المعرفة عموما.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1998، ص246-247.

<sup>2</sup> - م.ن، ص250.

<sup>3</sup> - م.ن، ص246-247.

<sup>4</sup> - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص124.

معتقداً أنّ من يهتدي إلى هذه المفاهيم هم " قلة من الناس، ربما يكون "غريماس" من بينهم ... ولكن التوفيق قلّ أن يواكب كل جهود الناس، وخاصة أولئك الذين يودّون أن يتقعرّوا فيما لا يتقعر فيه <sup>1</sup> ."

لقد حكم "عبد الملك مرتاض" على عمل "غريماس" صراحة بالابتدال والضعف، بالرغم من أنّ جهده تُوج بمدرسة كاملة هي مدرسة باريس، التي لا تزال قائمة من خلال مواصلة تلامذته لجهوده. حيث أعاب عليه تعدد قراءات النص التي تتعارض مع صرامة النظرية الغريماسية المنافية لخصوصية الإبداع السردي، فبينما يرفض "غريماس" تعددية القراءة للنص الواحد، يعترف من جهة ثانية باحتواء هذا النص على جملة التشاكلات داخل القراءة الواحدة، وهو ما دفعه إلى وصف "القراءة المتعددة (الجماعية) بالإفراض الفج الذي يتسم بتعدّد الإثبات"<sup>2</sup>.

وهو توجهٌ تحليلي يعارضه "عبد الملك مرتاض"، الذي يرفض محاولة "غريماس" وضع قوانين تحليلية ثابتة للنص السردي وضبطها بنظام دقيق، وهو ما لا يمكن من أن يفضي إلى نتائج مرضية لأسباب عدة، نذكر منها:

#### أ- اختلاف البنية:

إذ الفرق شاسع بين بنية الحكاية الخرافية عند "بروب"، التي هي بنية أزلية وعالمية تروى ولا تكتب وهي في غالبيتها تسرد بأسلوب مماثل، وبين بنية الرواية التي تمتاز بالتجدد والتحول والاختلاف.

#### ب - صعوبة التنظير:

لعلّ واحدة ولكنها جوهريّة، وهي أنّ الكتابة الروائية إبداع مفتوح، حيث يأتي فيه الخيال طليقاً لغاية جمالية ترمي إلى الخلق والابتكار.

<sup>1</sup>-عبد الملك مرتاض، م.س، ص 247-248.

<sup>2</sup>-وليد إخلاصي، المتعة الأخيرة-اعترافات شخصية في الأدب -، دار طلاس، دمشق، ط1، 1986، ص 188-189.

ج- حصر وتضييق مجال الدراسة:

بحيث إذا ما سلّمنا بمعطيات "غريماس" فإنّه قد يحدث " أن تنطبق نظريته على بعضها دون بعضها الآخر، فإذا انطبقت عليها كل التقنيات، فنبأ لها من نصوص وسحقا إذا خضعت للقواعد وأذعنت للقيود" كما يؤكد عبد "الملك مرتاض"<sup>1</sup>.

2-2- نقد "سعيد بنكراد":

في كتابه "مدخل إلى السيميائية السردية" يشير "سعيد بنكراد" إلى تصور نظرية "غريماس" الشمولي وقدرتها على التحاور مع عناصر معرفية تنتمي إلى مجالات مختلفة، وكذا قدرتها على استيعاب عناصر تنتمي إلى نظريات سردية أخرى، وهو ما يكشف عن نواقصها وعن الثغرات الموجودة في داخلها من جهة، كما تقدم تبريراً لقصور النظريات الأخرى من جهة ثانية، وفي كلتا الحالتين تؤكد على ضرورة التكامل بين النظريات.<sup>2</sup>

إنّ "سعيد بنكراد" في بداية اشتغاله على المنهج السيميائي، كان قد نوّه بهذا المنهج من خلال التعريف بنظرية "غريماس" السردية وخلفياتها الإستمولوجية وفصّل في بسط آلياتها الإجرائية، لكنّه تبنى بعد ذلك النزعة التأويلية لما انخرطت هذه النظرية في الرؤية المحايثة، وقوالب النمذجة الجاهزة التي تفترض "أنّ النص مكتف بذاته، ويُنتج معانيه استناداً إلى طاقاته الذاتية، فلا خلاص في ذلك لنا خارج النص، لأنّ هذا النص يحتوي على ما يكفي من المعاني، ولا حاجة لأن يأتي القارئ بالمزيد عنها"<sup>3</sup>.

فآليات البرنامج التحليلي الذي يعمل على كشف المعنى النهائي في النص من خلال الخطاطة التي يقترحها "غريماس"، لا تقول "إلا ما تسمح به هذه الخطاطة، ومعناه بعبارة أخرى أنّ المعنى ليس في النص، بل في الحقائق الثابتة داخل الخطاطة"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص124.

<sup>2</sup> - ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص05.

<sup>3</sup> - سعيد بنكراد، سيرورات التأويل، ص317.

<sup>4</sup> - سعيد بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2008، ص24.

وبعد أن ينبّه إلى محدودية النموذج الغريماسي في الوصول إلى المردودية التحليلية المرغوب فيها يتساءل "سعيد بنكراد" عن إمكانية هذا النموذج - الذي بنى فرضياته المعرفية متكئا على نصوص حكاية سردية تقليدية ذات طبيعة وظيفية- "أن يقودنا إلى فهم أفضل النصوص السردية التي تبني عوالمها استنادا إلى القرائن، وتصوير الحالات الإنسانية المركبة؟"<sup>1</sup>

إنّ النص السردى وفق التحليل الغريماسي يكشف عن أسراره مبكرا، ولن يقوم القارئ لاحقا سوى بالكشف عن المعنى العام المودع فيه، فالنص بذلك حسب "سعيد بنكراد" "مبرمج بشكل سابق على حالات التجسيد الإنساني، ولن تقوم السيرورة التسريديّة من خلال حالات المتابعة، سوى بتفجير الطاقة المنطقية التي يحتضنها النموذج التأسيسي، في حالته البدئية المجردة ونشرها في وقائع محسوسة، وسيقود التعرف على آليات هذه البرمجة إلى الكشف عن البنية الدلالية العامة."<sup>2</sup>

ومن ثمة فإن آلية الكشف عن الدلالة العامة للنص، ستكون أداة إغلاق لا فتح بعد عملية التحليل وإذا كان لزاما على القراءة التعرف على امتدادات متعددة للمعنى، فيجب أن "تستند إلى السيرورات التأويلية التي تشير إلى غنى التوقعات والممكنات، التي تدفع القراء إلى البحث عن أشكال معيّنة من التنظيم في النص والإهتداء إليها، باعتبارها إمكانا ضمن إمكانات أخرى."<sup>3</sup>

إن القراءة المقولبة ضمن النموذج التحليلي الغريماسي، ستسد طريق البحث في التنوع الدلالي للنص، والمحلل السيميائي لا يعدو أن يكون حسب "سعيد بنكراد" "سوى طرفا مطبقا، مُوجّه بخطاطة تحدد سبيل تحركه وغاياته، ولا تعدو أن تكون مهمته غير الالتزام بقياس حجم المعنى، استنادا إلى قوة النموذج وشموليته في حدود ما تسمح المفاهيم الواصفة."<sup>4</sup> ما سيؤدي إلى تحديد أوصاف متشابهة لنصوص متباينة، وهو أمر لا يقود إلى خلق قراءات متشابهة فقط، بل إلى قول ما يسمح به النموذج النظري والمفاهيم الجاهزة.

<sup>1</sup> - سعيد بنكراد، ممكنات النص ومحدودية النموذج، ص19.

<sup>2</sup> - م، ن، ص، ن.

<sup>3</sup> - سعيد بنكراد، سيرورات التأويل، ص318.

<sup>4</sup> - سعيد بنكراد، سيرورات التأويل، ص316.

فإذا كانت المعايير الإجرائية التي اقترحها "غريماس" من خلال خطاطته السردية في تحليل النصوص، قد أفادت في إجلاء ما كان غير مكتشف من قبل القراءات النقدية السابقة، فإنها قد حدّت من العملية القرائية التأويلية المنفتحة، والمتفاعلة بين الداخل والخارج الحكائيين.

### 3-3- نقد "أحمد يوسف":

يعتبر "أحمد يوسف" أنّ السيميائيات صنوا للإبستمولوجيا باعتبارها ناقدة غير وثوقية، معيماً على مدرسة باريس السيميائية تحوّلها إلى تعليقات وتحليلات آلية مُنقّرة، إلى حدّ وصفها بالترقيع العلمي، لذلك ينبغي إخضاع البحث السيميائي (باعتباره معرفة نسبية ومفتوحة على المعارف) للمساءلة المستمرة، فهي سر قبول الاختلاف والرأي الآخر. ويعتقد الباحث أنّ سبب نزوع "غريماس" نحو النسق المغلق، هو التصور الصارم الذي أقرّ فيه إلزامية خوض الدراسات الأدبية سبل المنهجية اللسانية، حيث وجه التلاقي يمكن أن يكون موضوعاً للتحليل البنوي أو السيميائي، وهو التلاقي الذي سينتهي لا محالة إلى الإقرار بصلاية النسق المغلق الذي استقرّ عليه "غريماس".

وهو المأزق الذي يُصعب من استخلاص نسق عام يمكن أن يكون أنموذجاً لأكثر عدد من النصوص مع الحفاظ على خصوصية كل نص، وهو ما أدّى إلى تساؤل الباحث عن إمكانية تقديم رؤية نقدية لا تركز إلى مسلّمات الثابت، ولا تستسلم لمحدودية النسق المحايث.<sup>1</sup> وما يُجَلّي هذا التساؤل حسب "أحمد يوسف" في إحدى جوانبه، هو ما تطرحه فكرتا المعنى والدلالة، حيث الدلالة "قد تطلب من داخل النسق أو من خارجه، بل إنّها في غالب الأحيان تجد ضالتها في النسق المفتوح"<sup>2</sup>.

ليتبين للباحث أثناء ربطه لنتائج القراءة النسقية، بالأصول الإبستمية المشكّلة لقاعدة الانغلاق والانفتاح في الدرس السيميائي المعاصر، إلى التأكيد "بأنه إذا حكمنا النسق المغلق، فلا مجال لدراسة

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد يوسف، القراءة النسقية-سلطة البنية ووهم المحايثية-، منشورات الاختلاف، الجزائر الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2007

ص134-135

<sup>2</sup> -م،ن، ص135

الدلالة من الوجهة البنوية، أما إذا حكمنا النسق المفتوح، فإننا نلقي أنفسنا خارج الحدود الضيقة للبنوية، وحتى السيميائيات من بعض وجوهها.<sup>1</sup>

ليخلص في الأخير، إلى الإقرار باستحالة وجود قراءة حيادية خالصة ونتائج مطلقة بالمرّة فالمنطق النقدي الذي لا يتسلّح بالنسبية، سينتهي لا محالة إلى الإفلاس والإنسداد، ولا يحقق المقاصد العامّة للبحث العلمي.<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup> - م.ن، ص.ن.

<sup>2</sup> - ينظر: أحمد يوسف، السلالة الشعرية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر، طبعة 2004، ص 10.



## الفصل الثاني:

تجليات النقد السيميائي السروي الجزائري

أ- تجليات النقد السيميائي السروي عند

"عبد الملك مرتاض"

لقد عرف الوطن العربي القراءة السيميائية المبكرة منذ منتصف السبعينيات، وأخذت تتأس خلال الثمانينيات، من بوابة المغرب العربي، ومن خلال الأقلام التي أسهمت في هذا هذا الحقل من النقد العربي المعاصر، نشير على وجه الخصوص لا التعميم، إلى كل من "محمد مفتاح، وعبد الفتاح كليطو ومحمد الماكري" من المغرب و"على العشي وسمير المرزوقي" من تونس وإلى كل من "عبد الملك مرتاض وعبد القادر فيدوح وأحمد يوسف وعبد الحميد بورايو ورشيد بن مالك والظاهر رواينية" في الجزائر و"عبد الله الغدامي" في السعودية و"قاسم المقداد ومحمد خير البقاعي" من سوريا، وهناك لبنانيون وعراقيون ومصريون<sup>1</sup>.

حيث لم يتحرر النقد العربي بعمومه من أتون المناهج التقليدية المعروفة بانطباعتها وأحكامها القيمة إلا من خلال انفتاحه على الآخر الغربي، والإفادة مما طرحه درسه النقدي من نظريات جديدة استطاعت مقارنة النص الأدبي، بكيفية تتوافر على الكثير من الدقة العلمية والتماسك المنهجي تسندها في ذلك، أسس معرفية صلبة ومتنوعة وأدوات إجرائية قوية وفاعلة<sup>2</sup>.

وقد تبدى هذا التحول الحاصل، منذ بداية ثمانينيات القرن الماضي بشكل جلي في تفسير طرائق التعامل مع النصوص، كما تبدى أيضا في تلك اللغة الجديدة المختلفة، ليس فيما تزخر به من حمولة معرفية مكثفة فحسب، بل وفيما يتزاحم فيها من مصطلحات ومفاهيم، وما يتخللها من أشكال وترسيمات وجداول، تستعين بها في محاولة ضبط دلالة النص والإمسك بجوهره، من خلال الكشف عن ميكانيزمات اشتغال المعنى فيه، وأشكال تجليه<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- ينظر: حفناوي بعلي، التجربة العربية في مجال السيمياء، دراسة مقارنة مع السيميولوجيا الحديثة، الملتقى الوطني الثاني، السيمياء والنص الأدبي، 15-16 أبريل 2002، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

<sup>2</sup>- ينظر: سعيد بنكراد، إمكانات النص ومحدودية النموذج، مقال مخطوط، ص1

<sup>3</sup>- ينظر: سعيد يقطين، نظريات السرد وموضوعها: في المصطلح السردي، مجلة علامات، مكناس، المغرب، عدد 06، 1996، ص70

ولعلّ أبرز الأدوات التحليلية التي تعاضم الاهتمام بنقلها، والتعريف بأصولها ومفاهيمها في الكتابة اللسانية والنقدية هي "السيميائيات" أو "السيميائية"، إذ تحتل في المشهد الفكري المعاصر مكانة مميزة<sup>1</sup>.

حيث ولجت الدرس النقدي الجزائري خلال تسعينيات القرن الماضي، عبر البرامج الدراسية الجامعية وغدت أسماء عديدة على غرار "رشيد بن مالك"، "عبد الملك مرتاض"، "عبد الحميد بورايو" "أحمد يوسف"، "سعيد بوطاجين" ... علامات بارزة في سماء الخطاب السيميائي الجزائري والعربي من خلال ترجماتها ومحاولات إسقاط آلياتها التطبيقية على المتون السردية (على الخصوص)، وكذا إنشاء مجلات، وفرق بحث، وملتقيات عملية متخصصة.

وفيما كانت مدرسة باريس السيميائية تصنع الحدث في فرنسا على أيدي روادها (غريماس وكورتيس وغيرهما)، كان انتقالها إلى الجزائر - بحكم الظروف التاريخية والثقافية المعروفة - أسهل وأيسر، حيث كان هذا الخطاب (السيميائي) الأكثر حضورا في المشهد النقدي الجزائري ولعدة اعتبارات لعلّ أهمها: دون غيره من الخطابات النقدية.

أ/ جل الذين تبنا المنهج السيميائي من الذين درسوا في فرنسا على أيدي أقطاب السيميائية الحديثة (غريماس، كورتيس...).

ب/ السيميائية استطاعت تجاوز الحدود الضيقة والمنغلقة للبينوية، إلى خطاب واصف يبحث في الأنساق السيميائية بمستوياتها اللسانية وغير اللسانية، غير المفصولة عن إطارها الاجتماعي العام والملازمات التي أطاحت بنشأتها.

ج/ سحر السيميائيات بأنها علم العلوم، أو الخطاب الذي يأخذ من كل العلوم، كما عملت على نقل القراءة النقدية من وضع الإنطباع العرضي والكلام الإنشائي، إلى التحليل المؤسس معرفيا وجماليا. إنّ المتابع للشأن النقدي الجزائري، يكتشف بيسر تباين نقادنا في تلقي المنهج السيميائي فانقسموا عموما إلى اتجاهين:

<sup>1</sup>- ينظر: سعيد بركراد، السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها، ص16.

الإتجاه الأول: إهتم أصحابه بنقل المفاهيم السيميائية إلى الساحة النقدية الجزائرية نقلاً أميناً، محاولين التأسيس لنظرية علمية أدبية، إنطلاقاً من الإنجازات التي حققها السيميائية الغربية، وقد تميزت أعمالهم بالتركيز على الأعمال السردية في مقابل إهمال الأعمال الشعرية، كما ظهرت عليها الإفادة المباشرة من السيميائية الفرنسية وتنظيراتها، لذا طبعت منجزاتهم النقدية بالطابع البنيوي الشكلاني إلى حد بعيد.

الإتجاه الثاني: عرفت أعمال نقاده بعض التحرر من القيود المنهجية الصارمة، إذ أفادوا من السيميائية في حدود ما تستدعيه دراسة الأدب، وكثيراً ما امتزجت السيميائية عندهم بمفاهيم نظريات القراءة والتأويل، مع الاهتمام بالنصوص السردية والشعرية على حد سواء<sup>1</sup>.

وسنحاول في هذا الفصل تتبع تلقي النقاد الجزائريين، لأسس ومفاهيم والإجراءات التطبيقية للنقد السيميائي الغربي (مدرسة باريس) في خطاب الممارسة النظرية والتطبيقية، من خلال رصد مراحل تلقي هذا المنجز المكتوب بالعربية، وتحديد مستويات هذا التلقي لدى أنموذجين نقديين معروفين هما: "عبد الملك مرتاض"، و"رشيد بن مالك".

فإلى أي مدى استطاع هؤلاء النقاد، تطويع مفاهيم السيميائية السردية -الغريماسية- واستثمار مقولاتها بما يخدم تحليلات المتون السردية العربية، باعتبارها متونا مختلفة عن النصوص الغربية؟، كيف تغلبوا على معضلة نقل المصطلح الغربي إلى العربية؟، ما هي مصادرهم التي استقوا منها المفاهيم والمقولات السيميائية؟، ثم ما هي النقائص التي اكتنفت هذا التلقي وماهي التحديات التي واجهته؟

تجليات النقد السيميائي السردي عند "عبد الملك مرتاض":

### 1-روافد التكوين:

إنّ المتتبع للمسارات الكتابية وكذا الأعمال والمساعي النقدية لـ "عبد الملك مرتاض" يلمس الروافد التي تقف وراء تجربته الأدبية والنقدية، متمثلة في نشأته والظروف التي ترعرع فيها، ثم المنطلقات

<sup>1</sup>-ينظر: صالح الدين ملفوف، التجربة النقدية السيميائية في الجزائر (معالم وأعلام)، محاضرات الملتقى الدولي الثامن "السيمياء والنص الأدبي"، 08-10-09 نوفمبر 2015، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

الفكرية التي استمد منها أفكاره، ومواد كتبه وأسلوبه ولغته، حيث يمكن تصنيفها ضمن رافدي التراث والحداثة<sup>1</sup>.

### 1-1- الروافد التراثية:

يعتقد عبد "الملك مرتاض" أنّ التراث الغربي الإسلامي: "عظيم خصيب، ومُوح مُلهم، ونافع حدائثي، إلى درجة أنّنا نلقي بكثير من المفاهيم الحداثيّة الغربيّة: النقدية واللسانية والسيميائية، جذورا لها في التراث..."<sup>2</sup>

وفوق إيمانه الشديد بهذا التراث العظيم، يعيب على الدارسين والنقاد العرب عزوفهم عن الاستلهام منه والإنبهار بالآخر الغربي، إذ حسبته "كيف نتطلع إلى إنتاج نظرية نقدية نسهم بها في تأسيس المعرفة الإنسانية إذا آثرنا أن نكون عالة على الغرب، مجترئين بالنقل عنهم، عازفين عن التأسيس والتأويل انطلاقا من تراثنا..."<sup>3</sup>

وكأنه بذلك يريد أن يعيد إلى هذا التراث شيئا من نضارته كلما استطاع إلى ذلك سبيلا، ديدنه في ذلك محاولة التأصيل أو الإشارة التراثية للعديد من النظريات والقضايا النقدية المعاصرة، فهو عند الحديث عن النظرية الشكلية يشير إلى "الجاحظ"، وعند الحديث عن نظرية القراءة يستحضر "الجاحظ" أيضا ويوازن بينه وبين "غريماس"، وعند الحديث عن التشاكل يشير إلى "عمر بن مسعود المنذري" وعند الحديث عن التأويل يشير إلى أنّ كثيرا من محللي النصوص من العرب القدماء قد اجتهدوا في أن يركضوا في في بض مضطربات التأويلية<sup>4</sup>، وعند الحديث عن نظرية المعنى يشير إلى "عبد القاهر الجرجاني"، ويعده سبّاقا إليها، إذا ما قورن ب"ليني ستراوس"<sup>5</sup>، وعند الحديث عن

<sup>1</sup>- ينظر: مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي (دراسة وصفية نقدية إحصائية، في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح)، (د.ت.) 1995، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 247.

<sup>2</sup>- عبد الملك مرتاض، الكتابة من موقع العدم، مساءلات حول نظرية الكتابة، دار الغرب، الجزائر، ط1، 2003، ص 07-08.

<sup>3</sup>- عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، ط2، 2010، ص 258.

<sup>4</sup>- ينظر: عبد الملك بومنجل، تجربة نقد الشعر عند عبد الملك مرتاض، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2011، ص 51.

<sup>5</sup>- ينظر: عبد الملك مرتاض، هؤلاء أصدقائي، ملامح من ذكرياتي مع الأدباء العرب، دار البصائر الجديدة، ط1، 2013، ص 132-133.

السيميائية يوحي إليه أن العرب لم يعدوا شيئاً من الإشارة إليها في كتاباتهم النظرية والإبداعية  
معا...

فمن العقوق إذاً حسب "عبد الملك مرتاض" "أن نضرب صفحا عن الكشف عمّا قد يكون فيه  
من أصول لنظريات نقدية غريبة، تبدو لنا الآن في ثوب مبهرج بالحدائث، فننبهر أمامها وهي في  
حقيقتها لا تعدم أصولاً لها في تراثنا النقدي، مع اختلاف في المصطلح والمنهج والإجراء بطبيعة  
الحال"<sup>1</sup>.

لقد عدّ "عبد الملك مرتاض" من أكثر النقاد توظيفاً للتراث في كتاباته، حيث شمل التراث النقدي  
البلاغي مساحة كبيرة في مصادره التي اتكأ عليها في شرحه للمفاهيم، ومشيداً بما قدّمه الفلاسفة  
والنقاد العرب القدامى، منكرًا في الوقت ذاته على من تجاوزه أو حاول ذلك "فقد قيّض الله عبر  
العصور عدداً كبيراً من المفكرين والمنظرين الكبار أمثال قدامة بن جعفر ومحمد بن سلام الجمحي  
وابن قتيبة، وعبد القاهر الجرجاني، وعلي بن عبد العزيز الجرجاني، وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ  
وابن رشيق، وأبي هلال العسكري، وحازم القرطاجني، وعبد الرحمان بن خلدون، فكيف يجوز تجاهل  
هؤلاء العماليق، ونبذهم نبذا لدى تناول النص الأدبي بدون دراسة النظريات والأفكار التي كانوا  
يروجون لها في كفاءة فكرية مثيرة..."<sup>2</sup>

ورغم عديد التقلبات والمراجعات الفكرية التي رافقت مساره النقدي الطويل، إلا أنّ "عبد الملك  
مرتاض" ظلّ وفيًا في مشروعه للتراث ولم يتنكر له، موازاة مع انفتاحه على التجارب النقدية الغربية.

## 1-2- الروافد الحدائية:

لقد بدأ "عبد الملك مرتاض" مساره النقدي انطباعياً تاريخياً، فبنويًا ثم سيميائياً تفكيكياً، لذلك  
يمكن أن نعتبره قد مرّ بمحطتين نقديتين أساسيتين:

<sup>1</sup>-عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص188.

<sup>2</sup>-عبد الملك مرتاض، أ.ي، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين لادي لمحمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992، ص26-27.

المحطة الأولى هي مرحلة النقد التقليدي، وهي التي يسميها يوسف وغليسي مرحلة "النص الوثيقة" وقد بدأها بمؤلف "القصة في الأدب العربي القديم" وكتابه "نهضة الأدب المعاصر"<sup>1</sup> في الجزائر، فيما محطة النقد الحدائثي (مرحلة "النص /التحفة") والتي تمثل القطيعة مع المناهج السياقية، قد بدأها الناقد مع مؤلفه "النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟" حسب بعض الدارسين، بينما يعتبر الناقد نفسه أنّ التحول الحاصل بين المحطين قد كان عبر النص الشعبي"، انزلت إلى المنهج الحديث من خلال تعاملي مع النص الشعبي، فكان أول عمل تجريبي قمت به في التعامل مع النص، هو كتابي "الأمثال الشعبية الجزائرية."<sup>2</sup>

وقد نهل "عبد الملك مرتاض" من المناهج النقدية الحدائثية الغربية، من خلال الإحتكاك المباشر مع بعضهم - الفرنسيون على وجه الخصوص- أو من خلال الاعتراف من مؤلفاتهم، وهو الذي يصرح بذلك قائلاً: "إنّ قصتي مع المكونات الغربية، ابتدأت بمنهجية ووعي، منذ عشرين عاما بالتحديد، أي منذ أن تعرفت شخصيا على أستاذي (أندري ميكائيل)، المستشرق الفرنسي المعروف والذي تعلمت منه في جلسات قصار (بالكوليج دي فرنس) كثيرا من العلم، وكثيرا من التأصيل المنهجي خصوصا، وقد جعلتني هذه السيرة أعيد النظر في ترتيب أوراقي"<sup>3</sup>.

وكان أستاذه قد دعاه إلى الإحتكاك بأساتذة فرنسيين آخرين والإطلاع على إسهاماتهم الفكرية مثل "بارط" (R.Barthes) و"غريماس" (A.Greimas) و"تودورف" (T.Todorov). و"جان كوهين" (J.Cohen) و"موريس بلانشو" (M.Blanchot) و"ستراوس" (C.L Straus.) وغيرهم وعلى كل ما يملأ أسواق الغرب من علوم اشتركت فيها عبر الأزمنة حضارات أخرى، وهو ما شجّعه على تتبع محاضرات الجامعات والمعاهد الفرنسية التي كان يلقيها لسانيون فرنسيون، بعد أن كانت

<sup>1</sup>- ينظر: يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، د ط، الجزائر، 2002، ص32.

<sup>2</sup>- جهاد فاضل، حوار مع د. عبد الملك مرتاض، أشكلة النقد، الدار الفرنسية للكتاب، ص217، عن: عبد القادر وحدي، التحليل السيميائي في النقد الأدبي الجزائري الحديث -عبد الملك مرتاض نموذجاً- مخطوط رسالة ماجستير، قسم اللغة والأدب، جامعة قاصدي مرباح، 2013-2014.

<sup>3</sup>-مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغربي، ص250.

قراءاته محصورة في الكتب النقدية لكتاب فرنسيين تقليديين أمثال "بيف وتين ولانسون" وأتباعهم من الأساتذة<sup>1</sup>.

ولدى وقوعه تحت صدمة الحداثة وهو حديث عهد بها، أدرك حينذاك أنّ رؤى النقاد العرب القدامى لم تعد تستجيب لروح العصر، مؤكداً أنّ "عناية أولئك القدامى مع ما نكّن لهم من تجلّة وإكبار، قرنت بمناهج نعدّها اليوم تراثية، بحيث من العسير علينا مجاراتها والسير على هديها، لأننا مضطرون إلى أن نعيش عصرنا، لا عصر غيرنا - فإنّ فغايتنا نحن - يجب أن تفرغ لهذه النصوص الأدبية فصيحها وشعبيها، ولكن بمنهج يتسم جهده بالحداثة"<sup>2</sup>

### 1-3- المسعى التوفيقي:

لم يتنكر "عبد الملك مرتاض" في مشروعه النقدي للتراث، كما أنه لم ينغلق على التجارب النقدية الوافدة من الغرب، بل ظلّ يمد جسوره بين القديم والجديد، ومن خلال محاولة التأصيل النظري والآليات التطبيقية التي حاول من خلالها مقابلة بعض إشكالات التراث من جهة، وبين بعض مسائل الحداثة المنهجية من جهة أخرى، مقترحا مفاهيماً جديدة تحمل رؤاه، بغية الوصول إلى مطارحة نقدية متكاملة ومتجانسة.

ومع أنّ الناقد لم يخف مع نهاية الثمانينيات انبهاره بالحداثة الغربية وإفرازاتها المنهجية واتجاهه نحو القطيعة مع التراث، لكن وبسكون غلوائها - الحداثة - مع مرور الزمن استدرك الأمر مؤكداً أنّه "لو عزفنا عن الفكر النقدي العربي، وجئنا إلى الفكر النقدي الغربي المعاصر، لانبهرنا أمام دروبه ومجاهله ومثل هذا السلوك العقيم العاق معاً سيدفع بنا إلى الانتحار الفكري، لأنه سيجعلنا قوماً دون هوية وأدباء دون أدب ونقاداً دون نقد... فإذا نحن لا نكون أكثر من صورة لغيرنا فينا، لا أكثر ولا أقل"<sup>3</sup>، وهي رؤية متأتية من مراجعة لمواقفه بعد تجربة نقدية مع كل من التراث والحداثة.

<sup>1</sup>- ينظر: المرجع نفسه، ص 250-251.

<sup>2</sup>- عبد الملك مرتاض، في الأمثال الزراعية، دراسة تشريحية لسبعة وعشرين مثلاً شعبياً جزائرياً، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987، ص 06.

<sup>3</sup>- عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص 196.



ليصل بعدها إلى رؤية توفيقية تفيد من كليهما (التراث والحداثة) "... ذلك بأنّ من الناس من يزعم أنّ الأجداد لم يعرفوا نظريات نقدية يمكن التعويل عليها، أو الإنطلاق منها إلى الحداثة على الأقل ولكننا نعتقد غير ما يعتقد هؤلاء... وانطلاقاً من معطيات الحداثة، فإنه آن لنا أن نراجع مناهجنا كما نراجع أنفسنا، من أجل تطعيم رؤيتنا إلى النص الأدبي، كيما نعامله معاملة حديثة ولكن دون أن نفصمه عن الذوق العربي..."<sup>1</sup>

ورؤيته التوفيقية هذه، التي تأتت بعد أن خبر الحداثة وتحيزاتها (إيجاباً وسلباً) والتراث وما فيه من قوة وتصور تتجلى في العديد من مواقفه، إذ يقول في إحداها: "أمّا ما نود نحن، فهو أن نفيد من النظريات الغربية القائم كثير منها على العلم، كما نفيد من بعض التراثيات، ونهضم هذه وتلك، ثم نحاول عجن هذه مع تلك عجنًا مكينًا، ثم من بعد ذلك نحاول أن نتناول النص برؤية مستقلة مستقبلية..."<sup>2</sup>

والموقف ذاته لا يزال يؤمن به الناقد برغم مرور العديد من السنين، فهو لا يزال يدعو إلى التواصل مع التراث دون قطيعة، والإفادة من الحداثة ومناهجها بما تخدم هذا التراث من خلال عقد قران توفيقى بينهما، إذ يقول في موقف آخر: "إنّ حدثنا لا تدعو إلى القطيعة المعرفية، ولا ترفض التراث أو تدينه، بل تدعو إلى إحياء هذا التراث، ولكن بقراءته بإجراءات جديدة، وبأدوات من المنهج حداثة، لمحاولة ربط الحاضر بالماضي، ولإمكان تأسيس نظرية نقدية قائمة على التواصل المعرفي... ذلك بأنّ التراث العربي الإسلامي كما نتصوره نحن على الأقل ونفهمه: عظيم خصيب ومُوحٍ ملهم، ونافع حداثي"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الملك مرتاض، أ-ي، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة (أين ليلاي) لمحمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1992 ص 09.

<sup>2</sup> - عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 12.

<sup>3</sup> - عبد الملك مرتاض، الكتابة من موقع العدم، ص 07.

## 2- مصادره السيميائية:

## 2-1- المصادر الغربية:

لقد كانت للرحلة الثقافية ل"عبد الملك مرتاض" نحو فرنسا أثرها الكبير في تحول فكره النقدي وكان لأقطاب النقد الفرنسي بالغ الأكثر في توجيه مساره النقدي الحدائث ومنه السيميائي مشريا بذلك "تجربته ومراسه مع الحدائث وأعلامها، وهي حصيلة غنية توفر عليها الباحث، لا تزال بصماتها جلية في ميادين كتاباته النقدية بكل ما فيها من أبعاد ودلالات"<sup>1</sup>.

فلقد كان لبدايات احتكاكه بعمالقة النقد الألسني الأوروبي عموما، الأثر العميق في تحديث آلياته النقدية وهو ما دعاه للإفادة من هذه الدراسات الحدائثية، إذ يقول: "أما ما نود نحن، فهو أن نفيد من النظريات الغربية القائم الكثير منها على العلم"<sup>2</sup>.

فعددت بذلك توجهاته النقدية اللسانية الحدائثية في دراساته، منذ ثمانينيات القرن الماضي بداية بالمنهج البنيوي، لتتسع بعد ذلك خلال التسعينيات بإفادته من السيميائية والأسلوبية والتفكيكية فلقد عايش مختلف التفرعات المنهجية للنقد اللساني<sup>3</sup>، مؤكدا ومعتبرا بذلك بقوله: "أنا ناقد ألسني والألسنية هي علم اللغة، وتحت مظلة علم اللغة تأتيك البنيوية، وتأتيك السيميولوجية وتأتيك التشريحية، وتأتيك الأسلوبية"<sup>4</sup>.

فقد أفاد من التيار السيميولوجي في بداياته، بزعامه "دي سوسير" خاصة ما تعلق بشفرات النص والعلاقات التي تحكمها، فقد فعل ذلك في نص "أين ليلاي" مثلا<sup>5</sup>، كما أفاد من الشكلانية الروسية وأعلامها، حيث تطرق إلى مفهوم الأدبية باعتباره مفهوما نقديا شائعا لديهم<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>-مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005، ص11.

<sup>2</sup>-عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية "جمال بغداد"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص11.

<sup>3</sup>-ينظر: مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغربي، ص13.

<sup>4</sup>-عبد الملك مرتاض، حوار مع عبد الله الغدامي، نشره جهاد فاضل في كتابه، أسئلة النقد، (حوارات مع النقاد العرب)، د.ط، د.ت، الدار العربية للكتاب، د.م، ص210.

<sup>5</sup>-ينظر: عبد الملك مرتاض، ألف -ياء، تحليل مركب لقصيدة "أين ليلاي" ل محمد العيد، دار الغرب للنشر والتوزيع، د.ط، 2003، وهران، الجزائر ص122-123.

<sup>6</sup>-ينظر: عبد الملك مرتاض، م ن، ص36.

وأفاد أيضا من المصادر المعجمية الأولى للسانيات عموما، مثل معجم "تودوروف وديكرو"، ومعجم "غريماس وكورتيس" السيميائي المعقلن، ومعجم "جان دي بوا" اللساني.<sup>1</sup>

وفي الضفة الأخرى من العالم الغربي، تأثر "عبد الملك مرتاض" بطروحات سيميوطيقا "بيرس" فقام بترجمته لمقال له بعنوان "الأصول السيميائية في فكر شارل بيرس"، من خلال معالجته لمصطلحي "الرمز" و"الإشارة" في كتابه "شعرية القصيدة-قصيدة القراءة"<sup>2</sup>.

ومن سيميائية مدرسة باريس، أفاد من تعريفات المعجم المعقلن ل"غريماس" و"كورتيس" (كتقنيات السرد) و(العمل السرد)، وكذا اتكائه على آراء "غريماس" في التحليل المورفولوجي للسرديات إضافة إلى إفادته من منهج الإحصاء باعتباره نمطا تحليليا في مؤلفه "تحليل الخطاب السردى"<sup>3</sup>.

وفي كتابه "التحليل السيميائي للخطاب الشعري" وظّف العديد من الأدوات الإجرائية الغريماسية "كالتشاكل" و"التباين"<sup>4</sup>، ومن إسهاماته تأثرا بالنظرية السردية الغريماسية كذلك، ترجمته لمقال يتعلق "بالمربع السيميائي" سنة 2001م.

إضافة إلى إفادته من أفكار سيميائيين آخرين، ك"بارت" و"أمبرتو إيكو" وغيرهما.<sup>5</sup>

## 2-2- المصادر التراثية:

لقد حظي "عبد الملك مرتاض" بتكوين بلاغي رصين، بعد إطلاعه على أمهات الكتب البلاغية وشروحات علماء اللغة كالأمدي، وابن سلام، وابن قتيبة، وابن رشيق، وغيرهم، كما أعجب بكتاب

<sup>1</sup> - ينظر: مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص18.

<sup>2</sup> - ينظر: عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة-قصيدة القراءة- (تحليل مركب لقصيدة أشجان بمانية)، د ط، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ص، 239-241.

<sup>3</sup> - ينظر: عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردى (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق" لنجيب محفوظ، ديوان المطبوعات الجامعية د ط، 1995، ص26-29.

<sup>4</sup> - ينظر: عبد الملك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري (تحليل مستوياتي لقصيدة "شناشيل ابنة الحلبي"، دار الكتاب العربي، الجزائر، د ط، 2001، ص43.

<sup>5</sup> - ينظر: سامية طواهرية، التفكير السيميائي عند عبد الملك مرتاض (مقاربة وصفية)، رسالة ماجستير (مخطوط)، كلية الآداب واللغات، جامعة أدرار 2015/2014، ص102.

عرب محدثين اتصلت كتاباتهم بالتراث العربي وإشراقاته، كما هو الحال مع الرافعي والمنفلوطي ومحمد البشير الإبراهيمي، حيث كان يحفظ أطرافاً من كتاباتهم<sup>1</sup>.

ذلك أنّ الدرس السيميائي الغربي لم يكن غريباً على البلاغة العربية حسب الناقد، فالجهد الفكري في النقد البلاغي العربي التراثي، أصّل للعديد من المفاهيم الحديثة، مؤكداً ذلك بقوله: "تناولنا في الفصل الثالث مسألة لم نر أحداً تفتن لها - ولا نقول هذا من باب العجب والخيلاء- وهي اختلاف المصطلحات وتوحد المفاهيم، فتوقفنا لدى نماذج من تلك المفاهيم التي كانت في أصلها بلاغية ثم استحالت أسلوبية أو سيميائية، دون التفتن إلى ذلك أو الإيماء إليه من الباحثين"<sup>2</sup>

ومن الممارسات السيميائية المبكرة في هذا التراث النقدي برأي "عبد الملك مرتاض" ربط "الجاحظ" "السمة باللغة على نحو ما، في حديثه عن نظرية البيان، وعلاقته بالدلالة التي تنهض على شبكة من الأنساق التي تجسدها أشكال سيميائية، تُتخذ وسيلة بشرية للإتصال في مجتمع من المجتمعات، وقد عرض لهذه المسألة بوعي معرفي كامل، في كتابيه (البيان والتبيين) و(الحيون) معاً، ثم يفصّل -الجاحظ- نظرية الإرسال والاستقبال معاً بعد ذلك، فهو برأي الباحث يتحدث بوعي معرفي مدهش عن أنواع التبليغ السيميائي، وهي رؤية سيميائية مبكرة.<sup>3</sup>

وبالنسبة لـ "عبد القاهر الجرجاني" فلقد تناول السمة من منظور لغوي دلالي خالص برأي الناقد بخلاف "الجاحظ" الذي تحدث عنها من منظور أدبي، فهو - أي الجرجاني- اصطنع مصطلح (السمة) لا (العلامة)، كما اصطنع أيضاً مصطلح (الإشارة) الذي كان قد استعمله الجاحظ، دون الإشارة إلى ذلك<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- ينظر: عبد الملك مرتاض، القراءة وقراءة القراءة -خوض في إشكالية المفهوم- مجلة علامات، ع15، مج14، 1994، جدة، السعودية، ص12.

<sup>2</sup>- عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، متابعة لجماليات الأسلوبية إرسالا واستقبالا، دار القدس العربي، وهران، الجزائر، 2010، ص10.

<sup>3</sup>- ينظر: عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، ط3، 2015، ص166.

<sup>4</sup>- ينظر: م.ن، ص170.

ويعد "عبد الملك مرتاض" بذلك، واحدا من النقاد الشموليين في تعامله مع السيميائية، من خلال جهوده في الجمع بين أصالة التراث النقدي وإيجابيات المناهج الحدائثة الغربية، بخصوصيتها وإجراءاتها، محاولا بذلك الإفادة من القطبين.

### 3- المصطلح النقدي السيميائي عند "عبد الملك مرتاض":

لقد واجه "عبد الملك مرتاض" إشكالية توظيف المصطلح النقدي - عموما - مستثمرا تحكمه في علوم اللغة العربية، وإطلاعه الواسع على التراث العربي، وكذا تعمقه في النهل من الحدائثة الغربية فكان ذلك متكئا له في التخفيف من وطأة هذا الإشكال، فعمد إلى محاولة رد المصطلح النقدي الوافد من الغرب إلى أقاليمه التراثية الأولى، من خلال إخضاعه إلى آليات التوليد المعروفة، كالإشتقاق والنحت والإحياء والتعريب ... حيث تمكّن في الكثير من الأمثلة من استحداث مصطلحات، له الفضل في إطلاقها.

فقد لاحظ من خلال حسّه اللغوي ووعيه النقدي، تفشي مصطلحات في الخطاب النقدي العربي من غير تأسيس أو تمحيص، وهو أمرٌ "جعل لغتنا النقدية المعاصرة تَظَلَع، وهي تتناول الأكداس المكدّسة من هذه المفاهيم الجديدة، التي تتدفق علينا من الغرب كالسيل"<sup>1</sup>، لذلك عمد في اجتهاداته المصطلحية التي اقترحها بديلا لتلك المفهومات الوافدة من الغرب على الآليات المصطلحية المعروفة والتي من أهمها - التي تناولت المصطلح النقدي السيميائي -:

### 3-1- المصطلح الإحيائي:

لقد اعتمد "عبد الملك مرتاض" كثيرا هذه الآلية، إيمانا منه بأهمية إحياء التراث العربي بعدما لاحظ صلاح مفاهيم نقدية قديمة، بديلا لتلك الحدائثة الغربية.

ومن أمثلة هذه المصطلحات: "السيميائية" فقد آثر هذا المصطلح ووظّفه في مؤلفه "أ-ي" دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد آل خليفة، ثم في "ألف ليلة وليلة - تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد"، بعد أن لاحظ "أن مفهوم السيميائية آت، كما هو معلوم

<sup>1</sup> -عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص 29.

من تركيب (س، و، م) الذي يعني، فيما يعني "العلامة" التي يُعلم بها شيء ما كالثوب، أو إنسان ما كالوشم، أو حيوان ما كميّاسم القبال العربية التي كانت تسم بها إبلاً<sup>1</sup>، حيث أخذ العرب من هذه المادة ألفاظ: "السِّيمَا" و"السِّيمَاء" و"السِّيمَاء" واللفظة الأخيرة -السِّيمَاء- هي التي اعتمدها العرب المعاصرون لمصطلحهم المعروف (السِّيميائية) بإضافة "الياء الصناعية" باصطلاح النحاة العرب إذ من الناحية اللغوية الخالصة، يمكن أن نقول: "السِّيمويّة" أو "السِّيميائية"، ونحن نستعمل صيغة "السِّيميائية" الآتية من "السِّيمَاء" وهي مرادف للفظ "السِّيمَاء"<sup>2</sup>، مستغرباً إيثار السيميائيون العرب أطول الألفاظ الثلاثة ليلحقوا بها ياء المذهبية (الياء الصناعية باصطلاح النحاة)، فيما مفردة "العلامة" مأخوذة من مادة (ع، ل، م) وهي آتية من (العلامة والعلم) بمعنى الجبل، ومنه أخذوا الثوب لدى العصار حتى تتميز الأثواب بعضها عن بعض<sup>3</sup>، حيث يقر "عبد الملك مرتاض" بتقارب التركيبين (وسم- علم) في الأصل العربي.

لكن ترجمة المصطلح الأجنبي (signe-sign) إلى العربية متباينة بين النقاد والسيميائيين العرب فمنهم من نادى بمصطلح (السمة)، وآخرون آثروا (العلامة)، حيث أحصى الباحث "مولاي علي بوخاتم" من دعوا إلى التسوية بين التركيبين (وسم-علم) كما في معجمي "بسام بركة" ومعجم "رشاد الحمزاوي"، ومنهم من فضّل مصطلح "العلامة" كـ"محمد مفتاح"، و"عبد السلام المسدي" و"سيزا قاسم"، و"نصر حامد أبو زيد"، وآخرون آثروا مصطلح "دليل" ومنهم "محمد بنيس" و"حنون مبارك" و"عبد القادر الفاسي الفهري"<sup>4</sup>.

بينما يخالف "عبد الملك مرتاض" هؤلاء جميعاً، مفضلاً مصطلح "السِّمة"، بسبب الاعتبارات التالية:  
أ- إن "العلامة" استعملت في الفكر النحوي العربي بمعنى لاحقة، تلحق فعلاً من الأفعال، أو اسماً من الأسماء - دون الحروف - فيستحيل من حال إلى حال أخرى، للنهوض بوظيفة دلالية يقتضيها

<sup>1</sup> - م.ن، ص157.

<sup>2</sup> - ينظر: م.ن، ص157-158.

<sup>3</sup> - ينظر: م.ن، ص147.

<sup>4</sup> - ينظر: مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص124-125.

المقام، ولعل اصطناع ذلك المصطلح النحوي في أصله في المفاهيم السيميائية على عهدنا هذا، قد يزيد هذا الأمر اضطراباً والتباساً.

ب- يبدو لنا، ولو من باب الحاسة الذوقية فقط، من خلال تلقي المعنى المتولد عن اصطناع "السمة" أنه أدنى ما يكون إلى ما يطلق عليه السيميائيون الغربيون مصطلح (signe)، من مصطلح "العلامة" الذي ربما انصرف إلى المعنى المادي فتمخض عنه.

ج- إن إطلاق "السمة" على مفهوم (signe) عوضاً عن مصطلح "العلامة" - سيحل لنا مشكلة أخرى من مشكلات المصطلح - وهي أننا حينئذ نمنج مصطلح "العلامة" لمفهوم آخر قريب منه، وهو ما يطلق عليه في الفرنسية (la marque).<sup>1</sup>

### 3-2- المصطلح المشتق:

الإشتقاق كما هو معروف هو عملية قياس، تقوم بانتزاع كلمة من أخرى أصلية على أن يكون ثمة تناسب بينهما في اللفظ والمعنى، فهو بذلك "أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصيلة وهيئة وتركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل"<sup>2</sup>، و"عبد الملك مرتاض" يحاول في المصطلحات التي يعتمدها ما أمكن اصطناعها، منطلقاً من التراث العربي وهو الذي يؤكد ذلك بقوله: "نميل إلى الاعتقاد، أنّ المصطلح الذي نصنعه في كتاباتنا الجديدة، من الأمثل له أن يكون قد ترعرع في البيئة الثقافية والحضارية العربية، ليكون مسعانا العلمي استمراراً لا انقطاعاً"<sup>3</sup>.

ومن المصطلحات التي تنتمي إلى عائلة المصطلحات الإشتقاقية والتي أوردتها الناقد، مصطلح "المماثل" الذي يقابل مصطلح "الأيقونة" (Icon) لدى النقاد الحدائين الذين اصطنعوه والذي ينحدر من اللغة الإغريقية، وكان أول من اصطنعه مصطلحاً سيميائياً هو "بيرس".

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص 148-149.

<sup>2</sup> - الجرجاني الشريف علي بن محمد، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1998، ص 27.

<sup>3</sup> - عبد الملك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شنشليل ابنة الحلبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، سوريا، د. ط، 2005، ص 29.

وقد فضّل "عبد الملك مرتاض" المكافئ العربي "المماثل" الذي أنشأه، بعدما كان قد أطلق عليه مثل عامة الدارسين العرب قبل ذلك "الإيقونة" أو "الإقونة" بحذف الياء<sup>1</sup>، الذي يعني عند السيميائيين "سمة حاضرة تدل على سمة غائبة"<sup>2</sup>، والتي تدرك عن طريق الحواس الخمس.

ف"الأيقونة" عند الباحث هي "مماثل" لشيء خارجي عن العين، افتراضاً أو تحقيقاً، وقد تكون السمة المنتجة إلى المتماثل "الأيقونة" الصوتية أيضاً...<sup>3</sup>، وهو مصطلح إشتقاقي سيميائي (مرتاضي) لا نجده لدى النقاد المعاصرين العرب فيما نعلم، وقد اصطنع - مرتاض - هذا المصطلح (التماثل) ليتفق في الوزن مع مصطلحي "التشاكل والتباين" من جهة، ولمحاولة إعطائه دلالة جديدة توحى بالقدرة على التفاعل مع العناصر السيميائية الأخرى من جهة ثانية<sup>4</sup>.

ومن المصطلحات السيميائية التي تناولها "عبد الملك مرتاض" بشكل واسع في مختلف دراساته مصطلح "التشاكل"، بعد إقراره لقصب السبق ل"غريماس"، إذ "يعد التشاكل فرعية من الفرعيات السيميائية التي اهتدى إليها - غريماس - وتأملاته وتجاربه حول نظرية النص الأدبي..."<sup>5</sup>.

والتشاكل كما ذكرنا فيما سبق، آتٍ من جذرين يونانيين: (Isos) ومعناه يساوي، والآخر (Topos) ومعناه المكان فقيل (Isotopie)، أي المكان المتساوي، ثم أطلق المصطلح توسعاً على الحال في المكان، من باب التماس علاقة المجاورة أو علاقة الحالية ذاتها.

وفي التراث البلاغي العربي، إشارات لبعض البلاغيين اللذين حاموا حول هذه المسألة "حيث ظلوا ينظرون إليها، على أساس أنها ظاهرة أسلوبية كلية، ولكن من حيث هي جزئيات وأطراف مشتتة تحت مصطلحات مختلفة، أهمها: الطباق والمقابلة واللف، والنشر والجمع..."<sup>6</sup>

<sup>1</sup>- ينظر: عبد الملك مرتاض، أ-ي، ص80.

<sup>2</sup>- عبد الملك مرتاض، الشعر الأول، معالجة تاريخية رصداً، وأنتروبولوجية مقارنة وسيميائية تحليلاً لمطالع العلقات، أكاديمية الشعر، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2015، ص412.

<sup>3</sup>- عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، ص235.

<sup>4</sup>- ينظر: عبد الملك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، ص33.

<sup>5</sup>- عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة-قصيدة القراءة، ص634.

<sup>6</sup>- عبد الملك مرتاض، م.ن، ص33.



وقد اختلف النقاد العرب في مفهوم وترجمة هذا المصطلح، إلى أن وقع الإجماع النسبي على التشاكل والمشكلة<sup>1</sup>، ثم جاء "عبد الملك مرتاض"، حيث كان أكثرهم تعاطيا لهذا المفهوم وأجرأهم تصرفا في دلالته، حيث أعاد عجنه وشحنه بمحمول تراثي زاخر، اقتبسه من العهد البلاغي القديم (المشكلة المقابلة، مراعاة النظير، الجناس، الطباق، الجمع، اللف والنشر...)<sup>2</sup>

### 3-3- المصطلح المترجم:

تستوجب ترجمة المصطلح نقل معناه ومبناه معا من اللغة الأصل إلى لغة النقل، فهي بذلك تعمل على "نقل المصطلح الأجنبي إلى اللغة العربية بمعناه لا بلفظه، فيتخير المترجم من الألفاظ العربية ما يقابل المصطلح الأجنبي"<sup>3</sup>، لذلك يجب على المترجم الإلمام بخصائص اللغتين (المنقول منها والمنقول إليها)، لأنه لا يبقى على تراكيب اللغة الأصل، وإنما يعيد بناء المصطلح الذي بصدد ترجمته بمراعاة خصائص اللغة المنقول إليها.

ولم يغفل "عبد الملك مرتاض" عن هذه الآلية التي تسمح بنقل المصطلح الغربي وصياغته في لغته العربية، حيث وظف ذلك في وضع استحداث عدد من المصطلحات السيميائية ومن ذلك: مصطلح "الحيز" الذي اقترحه مقابلا لترجمة مصطلح (Espace)<sup>4</sup>، والذي استخدمه لأول مرة في كتابه "الألغاز الشعبية الجزائرية"، حيث سعى إلى استثماره واتخاذ أداة قرائية، تلفت الانتباه إلى جانب مهم أغفلته الدراسات التقليدية<sup>5</sup>، بعد أن يبين أصله العربي ثم اللاتيني وكذا مفهومه عند الفلاسفة أيضا، لينتهي إلى عرض مفهومه في النقد الغربي المعاصر، ليصل إلى اعتبار هذا المصطلح

<sup>1</sup>- ينظر: يوسف وغليسي، مفاهيم التشاكل (isotopie) في السيميائيات العربية المعاصرة، محاضرات الملتقى الرابع "السيمياء والنص الأدبي"، 28-29 نوفمبر 2006، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ص60.

<sup>2</sup>- ينظر: م.ن، ص61.

<sup>3</sup>- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص91.

<sup>4</sup>- ينظر: عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص296.

<sup>5</sup>- ينظر: حبيب موني، فعل القراءة (النشأة والتحول)، مقارنة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض، د.ط، 2002، منشورات دار الغرب، وهران، الجزائر، ص117.

- الحيز- "كل ما يمكن أن يكون حجما، أو وزنا أو امتدادا، أو متّجهاً، أو حركة في سلوك الشخصيات، أو في تمثّل النص الذي يتعامل مع هذا الحيز..."<sup>1</sup>

### 3-4- التعريب:

برغم تعدد دلالات لفظة "التعريب" على مرّ العصور إلّا أننا يمكن إحالتها على محاولة صيغ الكلمة المراد -تعريبها- من اللغة الأجنبية بصيغة عربية، عند نقلها من لفظها الأجنبي إلى اللغة العربية، فقد ذكر "يوسف وغليسي" أنّ لفظ "التعريب" اجتمع على كثرة التداول وتعدد الدلالة فأوقعاه في شرك "المشترك اللفظي"<sup>2</sup>.

وباعتبار التعريب آلية نقل للمصطلح لا بد منها، فإنّ كتابات "عبد الملك مرتاض" النقدية لم تخل منه ومن ذلك مصطلح "هيرومينطيقا" كلفظ معرب لمصطلح (Heumenutique)، وكذا مصطلح "إيزوطوبية" كمقابل معرّب ل (Isotopie)، حيث يؤكد ذلك في قرائته للآية الرابعة من سورة الفاتحة: "إنّ هذه الآية تحمل إيزوطوبية Isotopie من حيث اتفاقها، خارجيا مع خواتيم سنواتها مع الرأي الآخر"<sup>3</sup>.

### 4- التجربة النقدية السيميائية عند "عبد الملك مرتاض":

قبل الحديث عن تجربة "عبد الملك مرتاض" السيميائية، نشير إلى عدم تنكره في مشروعه النقدي للتراث، مع عدم الانغلاق على التجارب النقدية الوافدة من الخارج، من خلال الحوار المنهجي الذي يقيمه بين القديم والجديد، ومن خلال التأصيل النظري والممارسة التطبيقية التي يقابل فيها بعض إشكالات التراث، وبعض مسائل الحداثة المنهجية أيضا<sup>4</sup>.

ويعتبر الكثير من الباحثين أنّ البداية الفعلية لتعامل "عبد الملك مرتاض" مع المناهج الحداثيّة كان من خلال مؤلفه "النص الأدبي، من أين وإلى أين؟"، حيث عُدّ فاتحة عهد جديد في حياته النقدية

<sup>1</sup>-عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص301.

<sup>2</sup>-ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص86.

<sup>3</sup>-عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة- قصيدة القراءة، ص137.

<sup>4</sup>- ينظر: صالح الدين ملفوف، التجربة النقدية السيميائية في الجزائر (معالم وأعلام)، ص06.

فيما يعتبر نفسه - مرتاض - قد ولج إلى هذه المناهج عبر النص الشعبي، حيث يقول "انزلت إلى المنهج الحديث من خلال تعاملي مع النص الشعبي، فكان أول عمل تحريبي قمت به في التعامل مع النص، هو كتابي الأمثال الشعبية الجزائرية... ثم الألغاز الشعبية الجزائرية، فلعل هذه البداية الشكلية لمرتاض تساعده أكثر في اقتحام الساحة النقدية وفق المناهج الحديثة"<sup>1</sup>.

وكما ثار "عبد الملك مرتاض" على المناهج التقليدية أثناء تبنيه للمنهج البنيوي، فقد شن حرباً أيضاً عليها - أي البنيوية - بعدما اكتشف عجزها كغيرها من المناهج التي سبقتها، حيث عُده كتابه "دراسة سيميائية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة"، جزءاً من مشروعه النقدي الذي اتكأ فيه على السيميائيات واللسانيات، بغية التأسيس لمنهج سيميو تفكيكي متجاوز لأفكار البنيوية ومعتمداً أساساً على الخصوصية السيميائية التأويلية، بما يتيح للنص تفسيراً منفتحاً.

وبالرغم من أنّ المنهجين (السيميائي والتفكيكي) يتبعان نظرياً ولا يلتقيان منهجياً فالسيميائية تعطي السلطة للنص، فيما تمنح التفكيكية السلطة المطلقة للقارئ، إلا أنّ "عبد الملك مرتاض" اختار الجمع بينهما ابتداءً، لكنه اعتمد كما يقول في قرائته لقصيدة "أين ليلاي؟" على المنهج المستوياتي والحقيقة أننا لم نستطع معرفة الحدود بين هذه المناهج التي ذكرها المؤلف، فمن السيميائية إلى التفكيكية إلى المنهج المستوياتي، هذا فضلاً عن انسياق المؤلف وراء المنهج الإحصائي في كثير من أجزاء الكتاب، حيث انساق أثناء حديثه عن التركيب الإيقاعي في القصيدة، وراء إحصاء الإيقاعات، التي انتظمت في شعر محمد العيد آل خليفة كله<sup>2</sup>.

وتبدو المنهجية أكثر نضجاً في مؤلفه الثاني "ألف ليلة وليلة، دراسة سيميائية تفكيكية" حيث تخلى عن الميكانيكية التي طبعت دراساته السابقة بعض الشيء، وانبرى إلى تتبع مستويات أخرى من الدراسة التي من شأنها التوغل أكثر في عمق النص<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - جهاد فاضل، حوار مع د.عبد الملك مرتاض، أشكلة النقد، ص217.

<sup>2</sup> - ينظر: حفناوي بعلي، التجربة العربية في مجال السيمياء، دراسة مقارنة مع السيميولوجيا الحديثة، الملتقى الوطني الثاني، السيمياء والنص الأدبي 15-16 أبريل 2002، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

<sup>3</sup> - م.س، ص.ن.

وقد اعترف "عبد الملك مرتاض" نفسه في بداية تبنيه للمنهج السيميائي التفكيكي، أنه قام بعرض بسيط للمنهج الذي سلكه، معتبرا ذلك "محاولة ممنهجة لدراسة التراث العربي، ولتكن قبل كل شيء مدرجة لإثارة السؤال، ومسلكة لاستضرام الجدل، ولتكن أيضا دعوة إلى التجديد، ولكن بعيدا عن فخ التقليد الذي ابتلينا به..."<sup>1</sup>

ويبدو ذلك تبريرا لتأثره بهذه المناهج وروادها كـ "بارت" و "غريماس" إلى حدّ صياغة عناوين مؤلفاته وفق صياغاتهم، كما فعل في كتابه "أ-ي، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي؟" نظير ما فعل "بارت" في كتبه (S.Z).

وبعدها ظهر للناقد كتاب آخر يتناول بالدراسة جنس الشعر سيميائيا "شعرية القصيدة-قصيدة القراءة، تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية لعبد العزيز المقالح" الصادر سنة 1995، فكانت هذه الدراسة "إحدى الممارسات المتميزة، التي أنجزها وفق التحليل السيميائي، مستفيدا من بعض مقولات المدارس النقدية الغربية المختلفة، ومحاولا تطويرها بما يخدم رؤاه النقدية"<sup>2</sup>، حيث أحدث هذا المؤلف جدلا كبيرا بين النقاد بعد صدوره.

يتناول "عبد الملك مرتاض" النص الأدبي بشكل عام، محاولا الإجابة على بعض الأسئلة المنهجية التي ساورته، قبل أن يسلك المنهج السيميائي التفكيكي الذي جعله تصورا عاما، محددًا مجموعة من المنطلقات المنهجية<sup>3</sup>.

وفي ضوء هذا التصور قصد الناقد البحث في أصول هذا المنهج، الذي اتّبعه (السيميائي التفكيكي) فهو يستخدم السيميائية في دراساته النقدية، للكشف عن نظام العلامات في النص، على أساس أنها قائمة بذاتها فيه، لا مجرد وسيط، وذلك بتعرية البنية الفنية له، وصهرها في بوتقات التشاكل، والتباين

<sup>1</sup>-عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة-تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية "جمال بغداد"، ص 08.

<sup>2</sup>-مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغربي، ص 08.

<sup>3</sup>-ينظر: عبد الملك مرتاض، أ-ي، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي؟"، محمد العيد، ص 07.

والتناص، والتقاين، والإنزياح الذي يحرف الدلالة عن موضعها، فيمنحها خصوصية دلالية جديدة طرأت عليها، وانضفت إليها بفعل التوتر الأسلوبي<sup>1</sup>.

ولتأكيد مسأيرة "عبد الملك مرتاض" لجديد المناهج النقدية الغربية ومنها المنهج السيميائي بطرائقه الإجرائية يشير قائلاً: "إن مسعانا هذا، يندرج كما سنرى ضمن هذا المفهوم الجديد نفسه للتعامل مع الإبداع، أي لن يكون مسعانا في هذا الكتاب، أو قل على الأصح لم يكن إلا من أجل ترسيخ مفهوم القراءة بالمفهوم السيميائي لهذه القراءة..."<sup>2</sup> لكنه يخالف "غريماس" في رفضه لتعددية القراءة مؤكداً طرحه لإشكالية القراءة الممارسة للنص برؤى متعددة، ومناظير متباعدة، برغم اختلافها مستدلاً بالشعر العربي القديم الذي مورست عليه قراءات كثيرة<sup>3</sup>.

ولبناء منهجه القرائي هذا وفق رؤيته النقدية المقترحة، مثل الناقد ذلك بخمسة زوايا، لكل منها مذهب يجسد مستوى بذاته.

### المستوى الأول:

ويجسد قراءة تشاكية انتقائية، من خلال تناوله لمفهوم "التشاكل" كعينة نظرية من المفاهيم السيميائية الغريماشية التي حاول الإحاطة بها.

وبعد أن يشير إلى افتقار مبدأ العلاقة التي تربط بين أجزاء التركيبة الأسلوبية، كوحدة صغرى مع تركيبية الخطاب الأدبي في شموليته، ينتقي من هذا الإجراء السيميائي الأسلوبي سبعة وثلاثين نمطاً تشاكلياً (لفظياً ومعنوياً) محلاً لإياها بدقة، مستعينا ببعض الإجراءات السيميائية كالمربع السيميائي وموسعا مفهومه - أي التشاكل - بالإتكاء على آراء أخرى، على غرار سيميائية "راستيي (F.Rastier)"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- ينظر: عبد الملك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، ص 144.

<sup>2</sup>- عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة - قصيدة القراءة - تحليل مركب القصيدة "أشجان بمانية"، دار المنتخب العربي، بيروت، 1994، ص 27.

<sup>3</sup>- ينظر: م.ن، ص 21.

<sup>4</sup>- ينظر: م.ن، ص 42.

## المستوى الثاني:

ويجسد مقارنة تشاكلية تحت زاوية الاختياز، وفق طرق مغايرة عن تلك التي أنتجها في مؤلفه "بنية الخطاب الشعري"، حيث يصرح قائلاً: "أردنا أن نقرأ نص "أشجان يمانية" قراءة من داخله أي انطلاقاً من الخصائص اللسانية والبنوية والسيميائية، التي تتظافر مجتمعة على تشكيكه لا من قواعد منهجية جاهزة فجّة"<sup>1</sup>.

## المستوى الثالث:

وهو مستوى ينصب على المقاربة الانزياحية، حيث إنخذ "عبد الملك مرتاض" مفهوم الانزياح إجراء سيميائياً في تحليل القصيدة، وهو المفهوم الذي تناوله الغربيون باعتباره موقفاً عن المؤلف في نسيج الأسلوب، حيث تعامل الناقد مع هذا الإجراء من زاويتي التفسير اللساني المعاجمي للمفهوم والتفسير السيميائي الملخص، وفي ضوء هذا التمثل رصد مجموعة من المسائل خلال ممارسته التطبيقية لهذا الإجراء هي:

أ- الوظيفة الأسلوبية لبعض دلالات النص.

ب- الملمح التشاكلي في بعض آيات "سورة الفاتحة".

ج- العلاقات التشاكلية لا تشاكلية في زمن السورة.

د- تأويل الأنزياحات في نص القصيدة سيميائياً.<sup>2</sup>

## المستوى الرابع:

ويمثل قراءة جديدة للباحث في "الحيز"، غير أنّ الجديد في هذا الاستخدام، هو مقارنته للنص سيميائياً، لا سيما من خلال اصطناعه (الحيز السيميائي في القصيدة)<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>-م.ن، ص86.

<sup>2</sup>-ينظر: مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص81.

<sup>3</sup>-عبد الملك مرتاض، شعرة القصيدة-قصيدة القراءة، ص191.

## المستوى الخامس:

ويقراً "عبد الملك مرتاض" من خلاله النص من زوايا الأفونة، الإشارة، القرينة والرمز، حيث عكف على تناول القصيدة وفق التفكيكيين لفك شفراته، معتمدا أسلوب التأويل لدلالاتها. لتتحقق معالم المنهج السيميائي عنده في صورتها المجزأة، وتحقق لنا القول أنّ منهجه هو منهج مركب جمع السيميائية إلى الأسلوبية والتفكيكية، في محاولة أظهر من خلالها تخطيا لكثير من العقبات التي واجهته في مطلع المرحلة الحديثة، لاسيما مثل بعض الأحكام النقدية الانطباعية التقليدية<sup>1</sup>.

فلقد دعا الناقد إلى ما أسماه باللامنهج في تشريح النص الأدبي مبكرا، من خلال كتابه "النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟" عام 1983م، بعد حديث مستفيض عن فكرة (العطائية)، أي "ما يمكن أن يعطيه إيانا نص أدبي ما، من خلال البحث في مكانه وزواياه... فكأن النص الأدبي يتحدد وينبعث من خلال كل قراءة يقوم بها قارئ، وهكذا نجد عطاء النص الأدبي متجددا أزلياً، لا ينفد أبدا: فكلما استعطاه قارئ أعطاه"<sup>2</sup>.

فاللامنهج -بهذا المفهوم- يتنافى مع المنهج في صورته الجامدة، ومحاولة التطبيق الميكانيكي لآلياته الثابتة التي لا بد أن تكون غريبة نسبيا عن خصوصية النص المدروس، (لاسيما حين يتعلق الأمر بمنهج غربي في مواجهة نص عربي)<sup>3</sup>

فـ"عبد الملك مرتاض" لم يدع إلى (اللامنهج) إلا بعد تجربة طويلة وانشغال عميق بمسألة المنهج في دراسة للنص ونقده، وهو الذي ظلّ يحارب التعصب المنهجي، لأن التعصب للمنهج الواحد الأحد - في نظره- سذاجة ومغالطة ومكابرة وادعاء... إذ دعا إلى نبذ التعصب المنهجي والتزام الحيلة واختيار الدروب المنهجية المفتوحة، وحتى - في حالة التعلق بالمنهج الواحد- فإن انفتاح المنهج الواحد على حالات تحقق تطبيقات كثيرة مختلفة، هو قناعة منهجية لا ريب فيها لديه<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- ينظر: مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص82.

<sup>2</sup>-عبد الملك مرتاض، النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟، 1983، ص55.

<sup>3</sup>-يوسف وغليسي، في ظلال النصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2012، ص307.

<sup>4</sup>- ينظر: م ن، ص307-308.

وهو بذلك من النقاد الذين يرفضون تبني الصرامة في تطبيق المنهج النقدي لأننا "بخضوعنا المتبلد القاصر لمثل هذا المنهج المفترضة صرامته، سنستلب حريتنا منا بأيدينا، وستقيد بقيود تكبلنا فلا نستطيع أيضا أن نقرأ قرائتنا الخاصة بنا، أي أننا لا نستطيع أن نبرع في هذه القراءة، طالما رضينا بأن نلقي بأنفسنا في مستنقع إجراءات هذا المنهج..."<sup>1</sup>

لقد كان "عبد الملك مرتاض" ولا يزال يجتهد في الخلاص من بعض المفاهيم النقدية الغربية التي يعدها (مريجة)<sup>2</sup> ولا خلاص من مرجها ذاك إلا بالتعامل إجرائيا معها، وفقاً لما يفهم منها، أو ما يريد للنص بوساطتها لا يراد لذلك النص بها، فيستخير لمعالجته أسلم الأدوات وألطف الإجراءات وأنسب النظريات، ابتغاء الحفاظ على عذريته وسحريته.<sup>3</sup>

كما يرفض الناقد أيضا محاولته علمنة النص الأدبي، باعتباره نصاً فنيا يتسم بالجمالية وفعل العلمنة الذي أسس له الشكلايون الروس برأيه "حصي" له، وتشويةً لخلقته، وتبشيع لصورته، وتقبيح لبهائه بل تدمير لكيانه..."<sup>4</sup>، وقد عمد لأجل التخفيف من صرامة المنهج وعلمنته والهروب من السقوط في شرك تقليده إلى فكرة التركيب المنهجي كما أشرنا إلى ذلك من قبل<sup>5</sup>.

## 5- تجليات النقد السيميائي السردى في الممارسة التطبيقية عند "عبد الملك مرتاض"

### رواية "زقاق المدق" - نموذجاً -

لقد تمثلت جهود "عبد الملك مرتاض" النقدية (السردية السيميائية)، في أربعة أعمال كانت وفق الترتيب الكرونولوجي التالي:

#### 1- ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي تفكيكي لرواية حمال بغداد) الصادر سنة 1989م.

<sup>1</sup> -عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة، دار الغرب، وهران، 2003، ص24.

<sup>2</sup> -مريجة: هو وصف يعتبره يوسف وغلبيسي مصطلح مقصود محملاً بدلالات القلق والإلتباس والتنازع والاضطراب، تلك الدلالات التي نستحضرها حتماً حين نعيد الكلمة إلى سياقها القرآني المعلوم " بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمرٍ مريج" (ق: 05)

<sup>3</sup> -ينظر: عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص08.

<sup>4</sup> -م.ن، ص07.

<sup>5</sup> -صدرت الرواية سنة 1947، وتحولت إلى فيلم سنمائي مصري سنة 1963 ثم إلى فيلم سينمائي إسباني سنة 1995.



2- تحليل الخطاب السردى (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق") الصادرة سنة 1995م.

3- جماليات الحيز في مقامات السيوطي، الصادرة سنة 1996م.

4- شعرية القص وسيميائية النص، الصادرة سنة 2014م.

وقد جاء مؤلفه - محلّ الدراسة - (تحليل الخطاب السردى - معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق") وفق الخطة التالية:

- مدخل (التحليل الروائي، بأي منهج؟)

القسم الأول: وقد خصصه لدراسة البنى السردية في الرواية وهي:

1- البنية الطبقيّة/القهرية.

2- البنية المعتقداتية.

3- البنية الشبقية.

حيث تتفرع كل بنية من هذه البنى الكبرى، إلى بنى فرعية صغرى

القسم الثاني: وقد خصصه لتقنيات السرد، وتناوله في أربعة فصول:

الفصل الأول: الشخصية؛ البناء والوظائف وقد شمل العناصر الفرعية التالية:

1- سيميائية الشخصيات.

2- البناء المورفولوجي للشخصيات.

3- البناء الداخلى للشخصيات.

4- الوظائف السردية للشخصيات.

الفصل الثاني: تقنيات السرد في "زقاق المدق"

الفصل الثالث: الزمان في "زقاق المدق"، يشتمل على دراسة المكان.

الفصل الرابع: خصائص الخطاب السردى في النص.

1- خصائص أسلوبية (الوصف-التكرار-التشبيه).

2- خصائص سيميائية (عنوان النص - التناص المباشر - الروائح - العيون - ملامح الوجه - الصوت - الألوان).

وقد مهّد الباحث لدراسته بمدخل يوضح من خلاله الفكرة من المنهج الذي اعتمده، وهو منهج مركب (سيميائي تفكيكي)، مبررا ذلك بأنّ "التعددية المنهجية أصبحت تشيع الآن في بعض المدارس النقدية الغربية، ونرى أن لا حرج في النهوض بتجارب جديدة تمضي في هذا السبيل، بعد التخمّة التي مني بها الناقد من جراء ابتلاعه المذهب تلو المذهب خصوصا في هذا القرن"<sup>1</sup>.

إنّ نصا مختلفا ك"زقاق المدق" من حيث الغنى والعمق والتشعب، هو الذي فرض هذا التصور المنهجي القائم على فكرة التركيبية حسب "عبد الملك مرتاض"، فالرؤية المنهجية الواحدة برأيه لا يمكنها أن تستوفيه حقه من الدراسة والتحليل، "فمنهج يقوم على أحادية الخطة والرؤية والأدوات والإجراءات كأن يكون أسلوبيا أو اجتماعيا فقط، أو حتى اجتماعيا بنويا (البنوية التكوينية)، أو نفسيا فقط، أو حتى نفسيا اجتماعيا أو نفسيا بنويا... أو سيميائيا فقط..."<sup>2</sup>

وبعد أن يشير الناقد إلى رفضه مبدئيا لإفلاس المناهج التقليدية العتيقة، بعد استنفادها لإجراءاتها وأدواتها ورؤاها، وهي التي كانت قد نهضت بما وجب عليها في زمنها، يبيّن خطته في دراسة رواية "زقاق المدق" فيقول: "ذلك وقد انسأقت خطتنا في تحليل نص "زقاق المدق"، قد يكون ذلك بابا عن قصد أو عن غير قصد في التيار البنوي السيميائي، وتجنبت ما أمكن الانزلاق إلى التيار الاجتماعي النفسي، وقد رفضنا في منظور تحليلنا ذلك أيضا"<sup>3</sup>.

وبالرغم من أنّ المنهج البنوي التكويني هو الأكثر ملائمة للرواية الواقعية كما في "زقاق المدق" إلا أنّ الباحث يرى في هذا المنهج المهجّن غير دقيق المعالم لدى تطبيقه، وغير قادر على استيعاب كل جماليات النص وبناءه، إذ أثناء جنوحه للبنوية تتنازع الاجتماعية وعند انزلاقه إلى الاجتماعية تتنازعه البنوية فيصبح ضائعا بينهما.

<sup>1</sup>-عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردى، ص06.

<sup>2</sup>-م.ن، ص9-10.

<sup>3</sup>-م.ن، ص17.

لذلك كله فقد آثر البنية المطعّمة بتيارات حدثية، خصوصا السيميولوجيا التي أفاد منها في تحليل ملامح الشخصيات وفي تحليل خصائص الخطاب السردى وكذا الإفادة من بعض الأدوات اللسانية للكشف عن مميزات السطح فيه، على حين أن المنظور الخالص ظاهر على الكشف عن البنى العميقة والفنية المتحكمة في هذا الخطاب السردى<sup>1</sup>.

وفي تعليقه لاختيار رواية "زقاق المدق" محل دراسة سيميائية تفكيكية، فقد عزي "عبد الملك مرتاض" الأمر، إلى دوافع عديدة منها موضوعية تتعلق بالقيمة الأدبية الرفيعة لمختلف أعمال "نجيب محفوظ" والتي ركّزت مختلف الدراسات في غالبيتها على ثلاثيته<sup>2</sup>، ودوافع ذاتية تعلقت بالدعوة التي تلقاها من جامعة القاهرة للإسهام في الندوة العالمية التي أقيمت في سنة 1990م حول "نجيب محفوظ"، وكذا كون الرواية أول نص قرأه الناقد للروائي، أيام الدراسة بجامعة الرباط فارتبط حينه بها<sup>3</sup>. وسنحاول في هذا المبحث قراءة أهم نتائج دراسته وفق الفهرس ذاته الذي أورده الباحث، مع شيء من التركيز على ما تناوله في الجانب السيميائي

## 5-1- البنى السردية في الرواية:

وقد قسّمها الناقد كما ذكرنا إلى ثلاث بنيات (طبقيّة ومعتقدية وشبقيّة) مستندا في هذا التقسيم

على إطارى النص:

الزمانى: تجري أحداث الرواية خلال الحرب العالمية الثانية

والمكانى: هي شعبي بالعاصمة المصرية (القاهرة)

<sup>1</sup>- ينظر: م.س، ص18.

<sup>2</sup> \* - يشير "عبد الملك مرتاض" إلى اهتمام النقاد الكبير بثلاثية نجيب محفوظ الشهيرة (بين القصرين، قصر الشوق والسكرية)، وأعمال روائية أخرى (اللس والكلاب والطريق والشحاذ وثرثرة فوق النيل وربما أيضا ميرامار)، ومن هذه الدراسات: نقد وإصلاح ومن أدبنا المعاصر لطفه حسين والمنتمى لغالى شكري، الرمزية في أدب نجيب محفوظ لفاطمة الزهراء وسعيد، الله في رحلة نجيب محفوظ الذهنية لمصطفى التواني، ثلاثية نجيب محفوظ (دراسة مقارنة) لسيزا قاسم، وبناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ لعثمان بدري.

<sup>3</sup>- ينظر: م.س، ص20-29.

## 5-1-1- البنية الطبقيّة:

درس من خلالها المؤلف الصراع الطبقي المجتمعي، والذي تجلّى في مواقف عدّة أظهرت ذلك (العداء الطبقي، القهر الاجتماعي والنفسي، إضافة إلى ظاهرة الفقر). فالعداء الطبقي تجلّى من خلال سلوك الكراهية وعداء بعض الشخصيات الفقيرة، كما هو الحال بالنسبة لشخصية "زبيطة" الذي كان حاقدا على الأغنياء، وكذا احتقار شخصية "سليم علوان" الغنية للفقراء، فيما تقل هذه الظاهرة بين الطرفين في حالة التقاء مصلحتهما. بينما يظهر القهر الاجتماعي في مواقف فقدان الشخصية لتوازنها النفسي (بسبب الظلم الذي تتعرض له أو موقف ترغم عليه)، حيث تقوم البنية القهرية في كثير من الأحيان حول شخصية "حميدة" التي تسلط القهر على أشد الشخصيات علاقة عاطفية بها (عباس الحلو وفرج إبراهيم). أما الفقر الذي يقوم في الرواية بتحديد مواقف الشخصيات بعضها من بعض وتوهج عواطفها وخمودها، وهو أحد الدعائم التي قامت عليها البنية السردية في الرواية، حيث لا توجد إلا شخصية "سليم علوان" الوحيدة الغنية، وشخصيتين متوسطتي الحال (سنية عفيفي) و(رضوان حسيني)، بينما تسعى بقية الشخصيات من الكادحين والتجار المحرومين والعاطلين المتسكعين، إلى تحسين ظروف عيشها بالطرق المشروعة وغير المشروعة أيضا<sup>1</sup>.

## 5-1-2 البنية المعتقداتية:

وتتراوح حسب الباحث بين معتقدين:

أ- معتقدات دينية: قائمة على تأدية الشعائر والإيمان بالغيب، وتظهر في العشرات من جمل الاقتباسات القرآنية والاستشهادات الدينية، بل ومنها ما يرد في صفحات عدة كخطبة "رضوان الحسيني"<sup>2</sup> عند عزمه على الحج، حيث اعتبر الناقد ذلك مسيئا للبنية السردية ولا يقوم بأي وظيفة فنية، وهو بذلك توقف غير اضطراري لمسار السرد.

<sup>1</sup>- ينظر: عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردى، ص33-60.

<sup>2</sup>- ينظر: نجيب محفوظ، زقاق المدق، ط1، دار القلم، بيروت، لبنان، 1972، ص225-228.

كما اضطلعت الشخصية نفسها بتعليل خير الحياة وشرها من خلال التماس الحكمة في مظاهر الألم حيث فسّر ذلك بتركيز الروائي التدين (الذي قد يكون صادقا أو نفعيا) باحتمالين: إمّا لشدة تدين الأديب ذاته، أو بغرض جعل الشخصيات متدينة لغاية فنية، كإقامة نوع من التوازن بين الخير والشر في النص.

**ب- معتقدات شعبية:** كالإيمان ببركة الأولياء وكراماتهم الخارقة، ويرصدها الباحث في سلوكيات بعض الشخصيات متجلية في القسم "بالحسين" والإيمان بالقدرة الخارقة للأولياء، وتظهر أيضا في زيارة قبورهم والاعتقاد ببركتهم، والاستنجاد بالكهنة والسحرة لمواجهة صعوبات الحياة، إضافة إلى رصده لظاهرة ولع بعض الشخصيات بترداد الأمثال الشعبية، كما هو الحال بالنسبة للأشخاص الحقيقيين في حياتهم اليومية<sup>1</sup>.

### 5-1-3- البنية الشبكية:

يشير "عبد الملك مرتاض" في افتتاح هذا الفصل، على منهجيته التي يوضح من خلالها أنّ الغاية من تحليله لسلوك شخصيات الرواية ليست جنسية كما فعلت مدرسة "فرويد"، فذلك في نظره مسعى عقيم وإنما الغاية من دراسته للبنية الشبكية، هو تسجيلها كظاهرة تطفر في تركيب بعض الشخصيات التي أريد لها ذلك مجازة للواقع وحرصا من المتن السردي في تجسيد ذلك، وهو ما أتاح للباحث تفكيك الكثير من عناصر هذا المتن العميقة والسطحية أيضا، ليعرض بعد ذلك إلى مظاهر النشاط الجنسي التي كانت مثار توتر أو سعادة أو لذة بين الشخصيات، حيث ألفها في معظمها غير متوازنة، بل وتتسم في كثير من المراحل بالعدوان والحيانة وسوء التقدير.

وتعمل هذه البنية الشبكية في عمق النص بوظيفة خلخلة العلاقات بين الشخصيات، حيث تنتهي كلها إلى شيء من الشقاء وسوء العاقبة، إضافة إلى توفرها - أي البنية - على علاقات جنسية مشروعة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- ينظر: عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص 63-99.

<sup>2</sup>- ينظر: م.س، ص 99-122.

لقد سعى الباحث من خلال تحليله للبنى السردية لهذه الرواية "زقاق المدق"، إلى تجاوز تسجيل تلك المظاهر (الاجتماعية والدينية) إلى تبيان تأثيرها في العلاقات بين الشخصيات، ليجلي بذلك الكثير من جوانب الحياة الاجتماعية وطبائع شخصيات هذا المتن والعلاقات التي تحكمها وكذا الدوافع والحوافز التي تشكل تلك العلاقات.

## 5-2- النغمات السردية: وتمثل القسم الثاني من الدراسة

### 5-2-1- الشخصية؛ البناء والوظائف:

تعد الشخصية أحد أهم العناصر التي تقوم عليها الرواية، فهي دعامة أساسية في بناء العمل الروائي وتحريك الأحداث، لذلك أولاهها الباحثون من مختلف المدارس النقدية أهمية بالغة، ومنها المدرسة السيميائية<sup>1</sup>\* التي تدعو للوقوف على مستوياتها العميقة والسطحية وتحليل وظائفها داخل الأعمال السردية، وهو ما جعل الناقد يوليها الإهتمام اللازم في دراسته لرواية "زقاق المدق"، حيث يفتتح عمله بمحاولة الإجابة عن سؤال جوهري، مفاده: ما الشخصية؟

بعد أن لاحظ خلط الكثير من النقاد العرب المعاصرين بين مصطلحي "الشخص" و"الشخصية" معتبرا الشخصية "كائن حي ينهض في العمل السردى بوظيفة الشخص دون أن يكونه"<sup>2</sup>.

وفي رواية "زقاق المدق" يرى الباحث أنّ الشخصية تقوم بالوظيفة الكلية، وما "العناصر الأخرى إلا مظاهر لها، أو راکضة في سبيلها، أو دائرة في فلكها، فلا الزمن زمن إلا بها ومعها، ولا الخير خير إلا بها، حيث هي تحتويه وتقدره لغايتها، على حين أن اللغة تكون خادمة لها وطوع أمرها. إنما الحدث فليس في حقيقة الأمر يكون إلا بتأثير منها، ودافع من سلطانها، وثمر من ثمرات تصارعها وتناطحها أو تضافرها وتودها"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> \* - للتوسع في موضوع الشخصية، ينظر في أعمال عدّة لعلّ أهمها: فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الكلام، الرباط، المغرب، ط1، 1990 وحسن مجراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1990 وأيضاً حميد حمداني بنية النص السردى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991.

<sup>2</sup> -عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردى، ص126.

<sup>3</sup> -م.س، ص127.

وبعد أن حصر مادته حول الشخصيات في أربعة محاور كما أشرنا سابقاً، تعرض في ثانياً عمله إلى

دراسة سيميائيتها:

#### أ- الأسماء:

يعتمد "عبد الملك مرتاض" في تحليلها والتعريف بها، منطلقاً من التراث من خلال العودة إلى ما كان "الملاحظ" قد ذكره في كتابه الحيوان معتبراً أنّ كل أسماء الشخصيات الواردة في المتن الروائي قد اختيرت بدقة، وهو ما يؤشر إلى دلالة بعينها من أول وهلة<sup>1</sup>، فضلاً عن مراعاة علاقة الاسم بالمسمى فشخصية "حميدة" المركزية في الرواية لم يكن عبثاً، إنما جاء ليدل على الإلتفاف الذي تحظى به وقد استخدمه الكاتب لأداء وظيفة سردية جمالية واجتماعية وحضارية معاً، وقد جردت منه الفتاة بعد فرارها مع عشيقها "فرج ابراهيم"، لتتحول إلى "تيّتي" وهو من أسماء الخنافس، ولا يدل إلا على تميع ورعونة وרטانة، وقد أوردته الكاتب في متنه لينهض بوظيفة جديدة، حيث وقع التحول في شخصية الفتاة وفقدت كل صلة بماضيها الشقي، ليدل على حاضرها الملوّث...<sup>2</sup> وعلى خلاف العديد من دارسي الرواية الذين اعتبروا "حميدة" هي الشخصية المركزية في ترتيب الشخصيات وفق مراتبها السردية، يخالفهم الناقد في ذلك، معتبراً شخصية "فرج ابراهيم" هي التي تعد مركز الرواية كونها هي التي "حوّلت مجرى السياق السردى، إذ بفضلها وقع الانفجار في "زقاق المدق"<sup>3</sup>، في حين صنّف بقية الشخصيات بحسب أهميتها الوظيفية إلى مركزية وثانوية وعابرة<sup>4</sup>.

ليواصل الباحث رصدّه للدلالات السيميائية لبقية شخصيات الرواية، كالمعلم كرشه وعباس الحلو ورضوان الحسيني وفرج ابراهيم وبقية أسماء الشخصيات، منتهياً إلى أنّ التسمية لم تكن بريئة بل خضعت بدقة إلى الوظيفة التي أوكلت إلى الشخصية المقصود بها، وهو أمرٌ يعد بذاته جزءاً من البناء العام لملامح الشخصيات وتحديد إطار حركتها عبر الخطاب السردى، كما غلب على المتن كثرة

<sup>1</sup>-عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردى، ص 129.

<sup>2</sup>-ينظر: م.س، ص 129.

<sup>3</sup>-م.ن، ص 143.

<sup>4</sup>-ينظر: م.ن، ص 127-147.

الشخصيات المذكورة وقلة المؤنثة (ثلاثة عشر شخصية مذكرة وخمس شخصيات مؤنثة)، حيث يعلل الناقد ذلك اجتماعيا وحضاريا بغلبة الذكوان على الإناث، في مجتمع لا يزال التسلط فيه للرجال على الإناث، وعالم الرواية الصغير ليس إلا انعكاسا لعالم الواقع الكبير، والمحكي ماثلا للمحكي عنه<sup>1</sup>.

### ب- الأسنان:

والمقصود بذلك أعمار شخصيات الرواية، فبعد ملاحظة الباحث لاختلاف أسنان الشخصيات قام بتصنيفها إلى ثلاثة أصناف:

- شخصيات ذات الخمسين سنة.

- شخصيات ذات العشرين وما قاربها.

- شخصيات لم يورد الكاتب سنها. مبديا ملاحظاته على كل صنف.

ومن ذلك تسجيله لوجود أغلب الشخصيات بعمر الخمسين، معللاً الأمر بأن هذه المرحلة كمثل عودة العمر، فهي "سن وسطى، تشرف على ماضٍ شاب وتشرّب إلى مستقبل شيخ... يقع فيها كثير من الشذوذ والخروج عن المألوف، حيث يتزوج فيها كثير من الرجال زواجا ثانيا، ولا يتمتع عن النساء أيضا أن يفكرن وهن في المستحيلات من الأمور... ولذلك ألفينا العقدة تقوم غالبا على الزواج والجنس، حيث يطلق عليها الفرنسيون "عودة العمر"، كأن الشخص سيستعيد فيها طائفة من شبابه الأول"<sup>2</sup>.

في البناء المورفولوجي للشخصيات، لاحظ "عبد الملك مرتاض" أن "نجيب محفوظ" ولع برسم الملامح الخارجية لشخصيات متنه الروائي بكثير من التفصيل، بل شمل ذلك حتى الشخصيات العارضة، محددًا لونها وقامتها ووزنها وصوتها ووجهها بكل تفاصيله، معللا الأمر بالمنحنى الواقعي الذي تفرضه طبيعة الرواية، حيث عمد الباحث إضافة إلى تحديد البناء المورفولوجي لشخصياته، إلى حصر الصفات التي تجتمع فيها أيضا<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- ينظر: م.ن، ص135.

<sup>2</sup>- م.ن، ص135-136.

<sup>3</sup>- م.ن، ص147-158.



وفي تناوله للبناء الداخلي للشخصيات، ركّز الناقد على دراسة الشخصيات المحورية في الرواية نظراً لأهمية الوظيفة الموكّلة إليها من خلال تحديد خصائصها، حيث يقوم البناء الداخلي لشخصية "حميدة" المركزية على خصيصة العنف والغضب وإثارة الشغب والسّبب في الزقاق، وكذا حب المال الذي كان سبباً في فسخ خطبتها من "عباس" بسبب فقره، وهي العلة ذاتها التي دفعت بها إلى المتاجرة بشرفها<sup>1</sup>، والنهج ذاته عمد إليه في دراسته لبقية شخصيات الرواية.

وفي مبحثه المتعلق بالوظائف السردية للشخصيات المركزية، فقد حدّد الدارس الوظائف الموكّلة إليها والعلاقة التي تربطها مع بقية الشخصيات، حيث أحصى أربع وظائف لشخصية "حميدة" المركزية وهي التي عُدّت الأكثر تأثراً وتأثيراً، وعاشت وظيفة سردية قائمة على القلق والاضطراب (الانفصال عن الماضي التعيس والدعارة، والتحول في القرارات من خلال مقتها "عباس" إلى الموافقة عليه، ثم فسخ الخطبة واللجوء إلى "فرح ابراهيم" ثم الثورة ضده.

فيما صنّف علاقات شخصيات الرواية في ثلاث علاقات هي: علاقة الأمومة اتجاه مرضعتها وعلاقة الأخوة اتجاه "حسين" الذي راضعته، إضافة إلى علاقة حب "عباس" لها.<sup>2</sup>

إن معظم المقاربات السيميائية السردية، لا تحدد الطريقة المعتمدة ولا المقياس المحدد الذي على أساسه تصنف الشخصيات إلى مركزية وثانوية، وهو ما يؤدي إلى وقوع اضطراب على مستوى الإجراء في تحليل النصوص المحكية وتصنيف الشخصيات، كالذي وقع فيه "عبد الملك مرتاض" في مقارنته لرواية "زقاق المدق"، أين استحال الملاحظة لديه بديلاً منهجياً والانطباع حكماً نقدياً.<sup>3</sup> وتجلّى ذلك مع كثرة الاستطرادات والتحليلات المتأتمية من هذا الاضطراب الإجرائي، وانتقاله إلى رصد ملامح الشخصيات المورفولوجية اعتماداً على سماتها الشكلية (ملامح الوجه، الجسد، الصوت...) معتبراً أنّ النص لا يتوقف لدى رسمها إلاّ لدواعي فنية، كما أن الوصف الخارجي للشخصيات يصبح

<sup>1</sup> -م.ن، ص158-179.

<sup>2</sup> -ينظر: م.س، ص179-188.

<sup>3</sup> -ينظر: علي مقدم، تلقي المنهج السيميائي عند عبد الملك مرتاض-مقاربة وصفية- رسالة ماجستير، قسم الأدب العربي، كلية الأدب العربي والفنون (جامعة مستغانم)، 2015-2016، ص157.

في بعض الأطوار وكأنه موظف لذاته، ومن ثمة - وكأن الناقد يبرر الأمر- أنّ أي روائي يصعب عليه أن يبني مجموعة كبيرة من الشخصيات في عمل سردي، دون أن يتورط في بعض الهنات<sup>1</sup>. إن معرفة كنه شخصيات النص السردى لا يتم إلا من خلال اعتماد تحليل الوظائف السردية للشخصيات، وهو ما لم يأخذ به الباحث، بل أنه لم يستند إلى أي أنموذج إجرائي يحدد مفهوم الوظيفة في تناوله لهذا المتن الروائي، مقتصرًا على الصفات الجوهرية للشخصيات المتناولة، وهو ما يفقد دراسته العديد من صفات العمق والرصانة والشمولية.

### 5-2-2- تقنيات السرد في "زقاق المدق":

افتتح "عبد الملك مرتاض" هذا الفصل، بتمهيد نظري تناول فيه مجموعة من المفاهيم الأساسية السردية (أصول السردانية، مفهوم السرد والسارد، علاقة السارد بشخصياته، أشكال السرد)، وهو ما مكّنه من عقد مقارنة بين تقنيات السرد التي اعتمدها "نجيب محفوظ" في "زقاق المدق" وتلك التي يوظفها كُتاب ما اصطلح على تسميته بالرواية الجديدة.\*<sup>2</sup> وسنحاول إيجاز التقنيات السردية في المتن المدروس من قبل الباحث في النقاط التالية:

أ- لاحظ الباحث اعتماد الروائي التقنية التأشيرية التي يوظفها عادة كُتاب الرواية المعاصرة والتي من محاسنها تهيئة المتلقي لاستقبال الحدث، ولكن يؤاخذ عليها كشفها عن المسار السردى من خلال إيمائها إلى فعل سيتم<sup>3</sup>، فهي بذلك بمثابة الإعلان المبكر لوقوع حدث ما.

وقد عرض "نجيب محفوظ" نماذجاً كثيرة منها، ومن ذلك مثلاً، فكرة الانتقام في عبارة: "... فتمنى أن يتمكن من طعن قلبها الغادر الخائن بمُدية"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>-عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردى، ص158.

\*<sup>2</sup>-الرواية الجديدة: هي تيار أدبي فرنسي ظهر في منتصف القرن العشرين، تميز بالموضوعية، وتكثيف المحتوى مع رفض شخصية البطل الأدبي التقليدي ومحدودية المكان والزمان كما تحدث في الحياة اليومية، وهي نوع من الروايات التي تتطلب مشاركة القارئ لحل لغز الرواية، ويعد الفرنسي ألان روب جرييه (Alain Robbe-Grillet) (1922-2008) المنظر الرئيس للحركة الأدبية المسماة "الرواية الفرنسية الجديدة".

<sup>3</sup>-ينظر: عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردى، ص199-204.

<sup>4</sup>-نجيب محفوظ، زقاق المدق، ص197.

ب- بغرض تحكم الكاتب في شخصياته من خلال معرفة كل تفاصيلها وتوجيهها، استعمل ضمير الغائب وهو ما يتيح توجيه عملية السرد باتجاه الأمام انطلاقاً من الماضي<sup>1</sup>.

ج- استعمل الروائي حسب الباحث تقنية الإرتداد (Analepse) من خلال العودة بالملتقي إلى ماضي الشخصية انطلاقاً من حاضرها، وهي تقنية تعمل على تكسير القيود والزمنية واختصار الزمن والحدث وتنشيط السرد، ومثال ذلك تقديم شخصية "سليم علوان" في بداية السرد كتاجر ثري له صيته بين التجار، ثم يعود المؤلف إلى زمن الماضي لسرد قصته مع أبنائه الثلاثة.<sup>2</sup>

د- من التقنيات السردية التي وظفها "نجيب محفوظ" في هذه الرواية أيضاً، ما يسمى بالتمويه الحدتي حيث تعمل شخصيات المتن على خداع القارئ من خلال إصدارها أحكاماً حديثة لا تقع، وتظل مجرد وهم، ومن ذلك قول حميدة لفرج إبراهيم: "لن أعدم طريقة للفتك بك"<sup>3</sup>

هـ- لاحظ الدارس على الرواية غلبة السرد على الحوار، على النقيض من بعض روايات "نجيب محفوظ" الأخرى، كما هو الحال في (ثرثرة فوق النيل) التي غلب فيها الحوار.

وفيما تعتمد بنية الحبكة السردية في "زقاق المدق" على رؤية كلاسيكية، تقوم على التسلسل المنطقي للزمن وعلى طبيعة منطق العلاقات بين الشخصيات، وهو ما يحكم النسيج والحبكة حيث لا تحدث شيئاً إلا بحبكة، وهو ديدن الأعمال الروائية الكلاسيكية في بنائها، فإن الرواية الجديدة لم تعد تعنى كثيراً بهذا النوع من البناء السردى العضوي<sup>4</sup>.

و- يعد "نجيب محفوظ" من رواد الروائيين العرب في توظيف تقنية "المونولوج الداخلي"، وهي التقنية التي استخدمها في هذه الرواية بشكل لافت، حيث وظف ما لا يقل عن أربعين تدخلاً مناجاتياً

<sup>1</sup>- ينظر: عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردى، ص 209-210.

<sup>2</sup>- ينظر: م.ن، ص 217-219.

<sup>3</sup>- نجيب محفوظ، م.س، ص 217.

<sup>4</sup>- ينظر: عبد الملك مرتاض، م.س، ص 205-208.

ومعروف عن هذه التقنية إتاحتها للحدث أن يكون في مستوى وسط بين السارد والشخصية المتدخلة<sup>1</sup>.

ز-اعتمد السرد في النص على إحدى تقنيات التوصيل الفني (الإشارة بالعين والحاجب والشفيتين...) وهو تواصل بين شخصين، حيث كان لسيميائية الإشارة في هذه الرواية حضور كبير، ومثال ذلك ما يتصل بعلاقة فرج إبراهيم مع حميدة التي قامت على تسخير النظرة الدالة والغمزة المعبرة، وهي تقنية مبررة باعتبار أحداث النص تجري في مجتمع شرقي محافظ، ينظر إلى العلاقة بين الرجل والمرأة بحذر شديد.<sup>2</sup>

ح-سجّل الباحث استعمال الروائي للغة سردية أحادية المستوى اللغوي متميزة بالرقى، حتى بالنسبة لتلك الشخصيات الأمية- إلا في مواطن قليلة- مؤاخذاً عليه ذلك، ومفترضاً تفاوت الشخصيات في مستويات اللغة المتحدث بها، تبعاً لتفاوت مستوياتهم الثقافية والاجتماعية<sup>3</sup>.

وعموماً تميزت مقارنة "عبد الملك مرتاض" لرواية "زقاق المدق" لدى تناوله لتقنيات السرد التي وظّفها بنحيب محفوظ بجملة ملاحظات يمكن إيجازها في النقاط التالية:

أ-بالرغم من طول المتن الروائي، إلا أنّ الناقد حاول استجلاء خفاياه لدى المتلقي، من خلال توظيف مختلف تقنيات السرد، وذلك بتقريب مفاهيمها لدى القارئ ثم سوقه لنماذج تطبيقية من النص ذاته.

ب-حرص الباحث على الاستهلال بمقدمات منهجية، لكل إجراء كان بصدد توظيفه لكشف خفايا النص، بغية تقريب المتلقي من الإطار العام لهذا الإجراء.

ج-لقد حرص الباحث أيضاً، على محاولة مقارنة مختلف الخصائص الفنية للنص الروائي مع ما كتب في مختلف الأزمنة قديمها وحديثها.

<sup>1</sup>- ينظر: م.ن، ص 210-216.

<sup>2</sup>- ينظر: م.ن، ص 219-221.

<sup>3</sup>- ينظر: م.ن، ص 223-226.

د- لقد عمد الناقد كذلك، إلى إجلاء مفهوم كل مصطلح يعمل على ابتكاره من خلال تبيان وجهة نظره وسبب اصطناعه، ثم مقابلته بنظيره لدى النقاد الآخرين بعد ذلك، كما فعل مع مصطلح "الإرتداد".

### 5-2-3- الزمان في "زقاق المدق": (وسيشمل أيضا دراسة المكان بحسب الباحث)

يعتبر التحليل السيميائي الزمن تقنية يتحدد من خلالها مسار الأحداث في النصوص السردية، إذ العمل السردى عالم مبسوط خال من أي معنى، إلا إذا رسم خطوطه الزمانية، "فالحكاية مثلا تعتبر مقطوعة زمانية مرتين، زمن الشيء المحكي وزمن الحكاية".<sup>1</sup>

وبسبب التأثير الكبير بالسيميائيات الغربية التي ظهرت بشكل واسع في المجالات السردية، فقد ركزت معظم الدراسات السيميائية في البحث عن الزمن الروائي دون الشعري، غير أنّ "عبد الملك مرتاض" واحد من الباحثين الذين عمموا دراسته في الأعمال الشعرية أيضا " وذلك من منطلق أن الزمن متسلط على الأحياء والأشياء جميعا، وأنه ليس ضرورة أن يظل متجسدا في الأدوات التقليدية الدالة عليه، مثل القرن والسنة والشهر... أو في الأزمنة النحوية".<sup>2</sup>

وقد حدّد الناقد الأزمنة السردية في "زقاق المدق" بالنظر إلى سياق أحداثها، معتبرا أن الروائي من خلال السارد قد ذكر مجموعة إشارات زمنية ضمنية، من خلال إيراده لأعلام ودول وإمارات (كالفاطميين والمماليك والسلطين)، وهي إشارات إلى ثلاث فترات زمنية تعاقبت عليها دول حكمت مصر، فيما تحيل إشارات (هتلر والجيش الإنجليزي في مصر) إلى فترة حديثة.<sup>3</sup>

كما أنّ الزمن الليلي يستحيل في الرواية إلى وظيفة حسب الباحث إذ تقع معظم الأحداث ليلا حيث ذكر الليل في ثلاث وثلاثين مرة، وقد عمد "محموظ" إلى إظهار بعض شخصياته في الظلام في إحالة على فكرة التخفي وارتكاب أفعال شنيعة، كفرار حميدة مع عشيقها، وعودة حسين إلى بيت أبيه، اللذين كانا ليلا.

<sup>1</sup>-G.Genette, Figure 3, seuil, 1972, p90.

<sup>2</sup>-عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 207-208.

<sup>3</sup>-ينظر: عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردى، ص 228-238.

وما نلاحظه على الدارس وهو يحلل البنية الزمنية في دراسته هذه، توظيفه جملة من النعوت بغرض وصف هذا الزمن، كالزمن المرتد والزمن المستهلك والزمن المعلق والزمن الميت والزمن الخلفي والزمن المفقود وزمن المسخ والزمن المغمى عليه والزمن الحابس والزمن التقليدي والزمن الليلي وغيرها من التسميات، معتبرا أن الروائي فقد التحكم في بعض التحديدات الزمنية التي وقع فيها، ومن ذلك تحول شخصية حميدة في ظرف قصير (خلال مدة شهرين فقط) من فتاة متخلفة إلى "أرستقراطية ولو جعل النص لكل هذه الأحداث مدة ستة أشهر مثلا، لكان أقرب إلى منطق الأشياء وواقع الأمور خصوصا ما يتصل بتحول حميدة من حال إلى حال، وإلا فكان من الأولى السكوت عن ذكر الزمن أصلا، دفعا لكل ارتباك في بنائه"<sup>1</sup>.

كما أعاب الناقد على "نجيب محفوظ" تحوله إلى مؤرخ للمجتمع، وهو ما يجعل الرؤية الزمنية مقيدة ومكبوتة باعتبارها كتابة تاريخية أكثر منها جمالية، مؤكدا ذلك بقوله: "لكننا نحن لا نرضينا هذا السعي، ونضطر إلى مضاداته، وكأننا بهؤلاء يجعلون من أنفسهم مؤرخين للمجتمعات، لا كتابا يعالجون مشاكل المجتمعات، أو قل: كتابا يتمتعون القراء بجمال كتاباتهم في تلك المجتمعات"<sup>2</sup>.

في تناوله لمفهوم المكان برواية "زقاق المدق"، بدل (الحيز أو الفضاء) في دراسات أخرى له يبرر الأمر باضطراره إلى ذلك، معتبرا الروايات الواقعية مادة أساسية في تشكيل النص المحكى ففضّل بذلك الجغرافيا، إذ أنّ المكان حسب "يصبح حاضرا أمام إطلاقات أخراة أشمل وأوسع وأشسع، مثل الحيز أو الفضاء، بيد أننا تجنبا قصدا اصطناع الحيز هنا لوجود أمكنة جغرافية حقيقية في النص مثل القاهرة وسيدنا الحسين، والأزهر وهلم جرا"<sup>3</sup>.

ولعل أكثر الأمكنة ورودا في النص هي (زقاق المدق) التي ذكرت مائة واثنين وتسعين مرة، وقد عمد السارد إلى وصف أصغر وحدة ممكنة في المدينة، كشارع متقاد إلى أمكنة أخرى أوسع بنفس المدينة ليتدرج إلى وصفه (المكان)، من خلال تحليل نفسيات مجموعة من الشخصيات التي تسكنه

<sup>1</sup>-م.ن، ص244.

<sup>2</sup>-عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص217.

<sup>3</sup>-عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردى، ص245.

لتتسع هذه الأمكنة الضيقة لكل تلك الصراعات البشرية باختلاف طبيعة طبقاتها ونفسياتها وليصورها -الأمكنة- على أنها متقادمة، متآكلة مظلمة، رطبة وقذرة، حيث نهضت سيميائية القدارة في النص بدور الدلالة على الفقر والتخلف والإنحطاط.<sup>1</sup>

ورغم أنّ الناقد يؤكد على ضرورة التمييز بين الحيز والمكان معتبرا اقتصار المكان على المعاني الجغرافية المحسوسة (كالأحياء والمقاهي والساحات والمدارس...)، إلا أننا نلاحظ أنه قد استعملها في أحيان عديدة بنفس المعنى كحيز داخلي تارة وآخر خارجي تارة أخرى، ومن ذلك قوله: "ويمكن تصنيف هذه الأحياء مجتمعة صنفين اثنين، أحدهما يمثل الحيز الخارجي ويتمثل في شارع الأزهر الفنادق، وسيدنا الحسين... وأحدهما الآخر يشمل الحيز الداخلي، ويتجسد أساسا في زقاق المدق ومقهى كرثة، وقاعة الحلاقة"<sup>2</sup>.

#### 5-2-4- خصائص الخطاب السردى:

تناول "عبد الملك مرتاض" في هذا الفصل، مجموعة من الخصائص الأسلوبية والسيميائية التي ميزت الرواية موضوع الدراسة نحاول إيجازها فيما يلي:

#### أ- خصائص أسلوبية:

وتمثلت في الوصف والتكرار والتشبيه، حيث الوصف خصّ به الروائي الأمكنة والشخصيات وهو ما أفاد السرد في التطور، و انتشر في النص بشكل متباعد ومعظمه كان قصيرا لا يتجاوز السبعة أسطر، حيث بلغ مجموع التدخلات الوصفية قرابة العشرين تدخلا، فيما كان التكرار من الخصائص الأسلوبية اللافتة التي اعتمدها "نجيب محفوظ"، ومن أمثلة ذلك إعادة الحديث عن شعر (حميدة) الطويل الأفحم والذي تكرر ذكره ما يزيد عن التسع عشرة مرة، و تحيل ذلك إلى دلالة سيميائية لدى الشرقي، فهو يمثل عنده أحد المقاييس الجمالية.

<sup>1</sup>- ينظر: م.ن، ص245-256.

<sup>2</sup>- م.ن، ص245.

بينما تعددت خاصية التشبيه التي وظّفها الروائي سبع وستين مرة، ممدة الدلالة بالثراء ومختصرة المعاني الطويلة في عبارات قصيرة<sup>1</sup>.

### ب- خصائص سيميائية:

#### • عنوان النص:

يعد العنوان نصاً نوعياً إبداعياً لا يقل أهمية عن متن العمل ذاته في بنيته وإنتاجيته وطاقته الرمزية وحمولته الدلالية، فهو العتبة النصية الأولى التي تواجه القارئ، ومن ثمة توجيهه منذ بداية القراءة فهو يشكل بذلك مدخل المتلقي نحو عالم النص الإبداعي.

فلقد عدّ أبو هلال العسكري "الابتداءات من دلائل البيان"<sup>2</sup>، فيما اعتبر "بسام موسى قطوس (العنوان)"، أول مفتاح إجرائي نفتح به مغالق النص وننطلق منه إلى النص الأكبر، أمرٌ في غاية الأهمية ومطلب علمي يُقصد<sup>3</sup>، وقد بلغ الإهتمام بالعنونة درجة نشوء علم قائم بذاته، وُسم بـ "علم العنوان" (Titrologie)، له نظريته ومنهجه وإجراءاته ومنظومته الاصطلاحية وخصائصه الإبداعية فأضحى للعنوان بذلك، دور مركزي في إظهار الجوانب الأساسية المتعلقة بدلالات النصوص الأدبية باعتباره عنصراً بنوياً يقوم بوظيفة محدّدة جدية بأولوية تحليل الخطابات، "بغية الوصول إلى مفهوم التناس ضمن منطق التطريس"<sup>4</sup>.

فعنى العنوان بالإنتاجية الدلالية والطاقة الرمزية القادرة على إبحار المتلقي، جعلت من مؤسسي "علم العنوان" (ليو.هوك Léo.hock وجيرار جنيت Gerard Genette) القيام بضمه - العنوان - إلى محيط النص، من خلال التناول بالدراسة للعتبات النصية وعلاقتها بالمتن.

وقد قارب العتبات النصية سيميائياً عدد غير قليل من الدارسين، ومنهم "عبد الملك مرتاض" من خلال أنموذجه المقترح للتناول في هذه المساحة "زقاق المدق" لـ "نجيب محفوظ"، الذي يمثل عمله

<sup>1</sup> - ينظر: م.ن، ص 264-276.

<sup>2</sup> - أبو هلال العسكري، الصناعتين - الكتابة والشعر، تحقيق دار الكتب العلمية، ط 1، 1981، ص 62.

<sup>3</sup> - بسام موسى قطوس، سيميائية العنوان، مطبعة الهجة، عمان، الأردن، 2001، ص 26.

<sup>4</sup> - ينظر: أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة، مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم والمركز الثقافي العربي، بيروت، 2005، ص 95.



النقدى السيميائي الثاني على المدونات السردية، حيث العنوان - زقاق المدق - لا يحمل أية دلالة خارقة حسب الناقد مادام مرتبطاً بمكان مجريات أحداث الرواية، ويوشك أن يحدد موضوع القصة وبنيتها<sup>1</sup>.

ومعروفٌ عن "نجيب محفوظ" اختياره عناوين أمكنة للعديد من أعماله الروائية (زقاق المدق أولاد حارتنا، القاهرة الجديدة، ثرثرة فوق النيل، قصر الشوق...)، وهو ما يعكس ارتباطه الوثيق بواقعه الاجتماعى المصرى المعيش، حتى أنه يقول فى هذا النص - زقاق المدق - :

زقاق ولا يقول مثلاً شارع أو نّحج، ويقول فى موطن آخر: حارتنا، ولا يقول مثلاً حيّنا، لأن مثل هذه الأمكنة هي التي كان يتخذ منها، مجالاً لـ "مختبره السردى، حيث كان يعايش أبسط الشخصيات درجة اجتماعية، ويبنى عليها إشكاليته الروائية..."<sup>2</sup>، وقد استطاع "نجيب محفوظ" برأى "عبد الملك مرتاض"، تقديم رواية تخيل أحداثها تقع بأحد شوارع القاهرة (المدق) القديمة خلال الحرب العالمية الثانية، حيث صاغ لها عنواناً شاملاً فى لفظتي (زقاق المدق)، وهو ما يظهر إبداعه الفنى بلغة روائية تتخذ من الاستخدام الوظيفى البنائى الدلالى متكناً لها فى انسجام مع مجمل أعماله الروائية الواقعية. وهي مقارنة لهذه العتبة النصية (زقاق المدق) رغم أنها تدّعي أنها "سيميائية"، إلا أنها لم تتجاوز القراءات السياقية فى عمومها، وقد يبرر ذلك بدايات الناقد مع محاولات تبني هذا المنهج، حيث لم يكن فى وضع يمكنه من إضافة شيء ذى بال إلى ما انتهى إليه "طه حسين" فى كتابه "نقد وإصلاح" حول عنوان هذه الرواية، حيث يقول: "لا تكاد تسمعه وتنتطق به، حتى تتبيّن أنك ستقبل على كتاب يصوّر جوّاً شعبياً قاهرياً خالصاً"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- ينظر: عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردى، ص 276.

<sup>2</sup>- عبد الملك مرتاض، م.ن، ص 277.

<sup>3</sup>- عبد الملك مرتاض، م.ن، ص 276.

## • التناص المباشر:

لاحظ المؤلف أنّ رواية "زقاق المدق" تزخر بالتناص القرآني الذي بلغ ثلاث وخمسين موضعاً<sup>1</sup> ومرد ذلك حسبه أنّ الناص كان مفتشاً بوزارة الأوقاف، ولعلّ الجو الديني الذي كان يعيشه في عمله كان له أثر ذلك، غير أنّ السبب الأول هي حفظه للقرآن الكريم وأخذه منه، ومن أمثلة التناص القرآني في هذا النص الروائي، ما ورد على لسان إحدى الشخصيات التي تقول: وما أبرئ نفسي فلقد ملكني الخوف، وهي عبارة مستنصية من قوله تعالى: " وَمَا أُبْرئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ"<sup>2</sup>

## • الروائح:

تمثل الرائحة أيقونة شمية سواء كانت منتنة أو عبقة، وهي تمثل حسب الناقد دلالات تفصيلية داخلية وهو ما يمنحها وظيفة سيميائية، حيث لاحظ أيضاً أن الرائحة المنتنة تغلب على جل شخصيات الرواية، ولعل ذلك يعود إلى تعاسة البيئة القذرة التي كانت تعيش فيها هذه الشخصيات وقد ذكرت في هذا النص ما يقارب الستين مرة، فيما لم تذكر الرائحة الطيبة إلى ست مرات فقط و لم يبق لها من وظيفة تذكّر، إلا ما كان من عطر كانت تتعطر به (حميدة) بطلة الرواية. غير أنّ الأهم في نظر الباحث أن النص كان يوظف الروائح بنوعيتها، والقاذورات على اختلاف أنواع نباتاتها توظيفاً سيميائياً، بحيث تصبح طبيعة الرائحة تحيل على طبيعة الشخصية والحال والمكان<sup>3</sup>.

## • العيون:

من الملاحظات التي لفتت انتباه "عبد الملك مرتاض" أيضاً في هذه الرواية ما يسمى، بـ"سيميائية العيون" والتي تجاوزت توظيفها مائتين وستين موقفاً، ووصفت العين بحوالي ست وثمانين صفة وفق ما تقتضيه المواقف وما يتكيف مع التركيبة النفسية والمورفولوجية للشخصيات، كان للبطلة (حميدة) أوفر الخط منها.

1- م.ن، ص280.

2- سورة يوسف، الآية 53.

3- ينظر: عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص258.

فقد استطاعت لغة العيون في هذا النص السردي نقل العديد الأحاسيس وترجمة كثير الكلام وهو ما أغفله الناقد مع ما في هذه اللغة، من إشارات ورموز قد تؤدي وظيفتها، أكثر من تأدية اللغة تلك المهمة المنوطة بها، في العديد المواقف التي كانت تحدث بين شخصيات الرواية، وهو ما جعلها -لغة العيون- في هذا العمل مركزا لا هامشا في هذا العمل السردي<sup>1</sup>.

### • ملامح الوجه:

لوجه شخصية النص السردي ميزة سيميائية متفرقة، فمن خلاله يمكن استخلاص مختلف المعاني ورصد العديد المقاصد النصية.

والوجه كغيره من العناصر السيميائية التي تميز الشخصية فهو يشكل أيقونتها، ومن ثمة لا يجوز أن يظل محايدا متجمداً، بل تراه هو أيضا يتابع العين في حركتها وتشكلها، إن لم نقل أن العيون لا تستطيع أن تتحرك أو تتشكل في غياب تحرك ملامح الوجه وتشكلها، فكأن الوجه إذا هو المتحكم في حركة العين<sup>2</sup>.

وقد أحصى الناقد قرابة المائة والعشرين تدخلا تخص معظمها الوظائف التعبيرية لوجه الشخصية المركزية، بما يعكس ما يختلج في نفسها من مشاعر ويفيد في بناء الشخصية مورفولوجيا وداخليا، حيث استطاعت وجوه شخصيات الرواية وملاحمها (في عمومها)، أن تعكس ما يعتري النفس من عواطف الود والحقد والسرور والحزن وهواجس الخوف والقلق ومظاهر الارتباك والانفعال وآيات الطمأنينة والهدوء<sup>3</sup>.

### • الصوت:

يعد الصوت إضافة إلى ملامح الوجه والنظر، ميزات تتكامل في أداء وظائفها تمهيدا لحوار بين شخصيات الرواية إذ الصوت أيقونة الشخصية يميزها عن البقية، وهو الأكثر اشتراكا بين الشخصيات

<sup>1</sup> - ينظر: مولاي متقدم، آليات التحليل النقدي عند "عبد الملك مرتاض"، قراءة في كتاب "تحليل الخطاب السردي"، مجلة اللغة العربية وآدابها

مج: 05، ع: 01، أكتوبر 2017، جامعة الوادي، الجزائر، ص 16.

<sup>2</sup> - ينظر: عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص 289.

<sup>3</sup> - ينظر: م.ن، ص 290.

في صفات الخشونة والفظاظة، حيث تكرر حضوره (تأويلاً) في هذا المتن أكثر من خمس وسبعين مرة وقد انساق الخطاب السردي لهذا النص في بعض ذلك السياق بتطوير الوظيفة الصوتية لشخصيات الرواية، وتخصيص كل شخصية مركزية بخصائص تعرف في صوتها<sup>1</sup>.

### • الألوان:

يعد اللون خاصية سيميائية، وهو أيقونة دالة بين مختلف الشعوب بحسب الدراسات السيميائية التي أكسبتها دلالات وشكلت لها خطباً، حيث اتسم النص السردي "زقاق المدق" بالتكرار وحصره الدارس في اللون الأسود وما في حكمه وهو الطاغى في النص، حيث ورد قرابة مائة وسبعين مرة وهو يعكس صفات: التشاؤم والشر والدم والغضب، واللون النوراني الذي رصده الناقد بنسبة خمس وثمانين مرة، وهو يجسد قيم التفاؤل والخير والمدح والمشروعية، وكل الأشياء الميمونة المباركة<sup>2</sup>.

إنّ قراءة عامة لدراسة "عبد الملك مرتاض" التطبيقية من خلال مؤلفه "تحليل الخطاب السردي - معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق"-، تمكننا من استخلاص الملاحظات التالية:

أ- كيف تمكّن الناقد من المزاوجة بين المنهجين (السيميائي والتفكيكي) في هذه الدراسة؟ ومن أين يبدأ أحدهما وأين ينتهي ليبدأ المنهج الآخر؟

إن الباحث ذاته يقر باعتماد البنية التكوينية، خصوصاً ما تعلق بدراسته بني شخصيات هذه الرواية (الطبقية، المعتقداتية، الشبقية) والتي لوحظ غلبة الدراسة النقدية البنوية عليها أكثر من أي منهج آخر، والحال أنه يصرّح قبل البدء في دراسته قائلاً: "فإننا عدلنا عن البنية التكوينية، وآثرنا بنوية مطعّمة، بتيارات حدثية أحرّاة"<sup>3</sup>.

ب- رغم أنّ "نجيب محفوظ" ذاته لم يشر إلى طبيعة معتقدات شخصيات متنه، إلا ما تجلّى في عمومها من خلال الاستشهادات والإقتباسات الدينية والسلوكات (الفعلية واللفظية)، إلا أنّ الناقد أظهر للمتلقى استنتاجات قطعية في ذلك.

<sup>1</sup>- ينظر، م.ن، ص293.

<sup>2</sup>- ينظر: م.ن، ص300.

<sup>3</sup>- م.ن، ص18.

ج- مثلما نادى الباحث في العديد من طروحاته النقدية النظرية التي آمن بها ودعا إليها في تحليل مختلف النصوص الأدبية الإبداعية، فقد سعى في هذه الدراسة إلى تطبيق آليات المنهج المركب المرتكز أساساً على المنهج السيميائي المطعم بإجراءات مناهج نقدية أخرى كالبنوية والأسلوبية والتفكيكية.

د- لقد بذل الناقد جهده في ترصد مواطن السمة دون أن يتمكن من تحديد دلالاتها داخل النص السردى، أو تقديم تفسير سيميائي لها، ومن ذلك دراسته لشخصيات هذه الرواية والتي يمكن أن نسجل عليها الملاحظات التالية:

- لم يشر الباحث إلى دلالة سيميائية واضحة لشخصيات الرواية ولا إلى دلالة اختيارها من طرف "نجيب محفوظ" رغم إقدامه على تفسيرها وترجمتها، كما فعل مع اسم الشخصية المركزية (حميدة) فهو برأيه اسم: "واسع الانتشار وجميل... من صيغ المبالغة... يسير النطق... إلى أن يصل - إلى: ولعل بعض هذا ما جعل الاسم يجري على كل لسان ويسري في كل جنان"<sup>1</sup>.

- لم يشر إلى إفادته من المنهج السيميائي في تغليب عدد الشخصيات، المذكورة على المؤنثة في الرواية (في مجتمع شرقي ذكوري)، بل أنه وظّف منها نقدياً سياقاً ممثلاً في المنهج الاجتماعي، وهو ما يؤكد أنّ عالم الرواية الصغير ليس إلا انعكاساً لعالم الواقع الحياتي الكبير.

- لم يفد الدارس أيضاً في تناوله لسيميائية أعمار شخصيات النص السردى من استخلاص دلالاتها السيميائية، بالرغم من إقدامه على تقسيمها إلى عدة تصنيفات والإسهاب خصوصاً في تناول صنف الشخصيات ذات الخمسين سنة دون غيرها من التصنيفات الأخرى، من خلال التعريف بها وبصفتها.

هـ- اعتمد "عبد الملك مرتاض" إجراءات التحليل الإحصائي، الذي يزاوج بين الإحصاء والتأويل من أجل رصد مختلف خصائص النص السردى المتناول بالدراسة، وهو إتجاه (قرائى) يقترب من السيميائيات.

و- في تناول الناقد لفصل الخصائص السيميائية للخطاب السردى، نسجل الملاحظات التالية:

<sup>1</sup> - م.ن، ص 129.

- لم يظهر الدلالة السيميائية لعنوان النص المدروس (زقاق المدق)، على اعتبار أنه في النهاية يعد "مقطعا لغويا يعلو في النص، وتتحكم فيه قواعد نحوية وسيميائية"<sup>1</sup>، واكتفى بتعريفه الأدبي باعتباره يمثل موقعا جغرافيا ضمن مجموعة من أزقة القاهرة له خصوصيته.

- الملاحظة نفسها يمكن أن نرصدها على بقية الخصائص السيميائية الأخرى التي تطرق إليها الباحث (التناسق القرآني، الروائح، العيون، الوجه وملاحظه، الصوت، الألوان) والتي لم يفد من دراستها سيميائيا، كما يوحي ذلك مع كل عنوان فرعي.

ز- بالرغم من أنّ الناقد اعتمد تقنيات السرد ووظائف الشخصيات في دراسته، إلا أنه لم يوظف من جهة أخرى إجراءات تقطيع الخطاب السردى، الذي يمكن المتلقي من الوصول إلى مختلف دلالات النص المحلل، كما لم يتناول بالدراسة أيضا المكون السردى المحدد للحالات والتحويلات داخل النص المدروس، فضلا عن إغفاله لرصد البرنامج السردى، وهي كلها إجراءات من صميم آليات المنهج السيميائي، وهو ما قام به نقاد جزائريون آخرون، ك"عبد الحميد بورايو" و"رشيد بن مالك" كما سنرى لاحقا.

وبالرغم من كل هذه الملاحظات التي اجتهدنا في إعدادها، إلا أنّ ذلك لا يعدم اعتبار العديد من الباحثين أنّ دراسة "عبد الملك مرتاض" هذه التي تناولت رواية (زقاق المدق) سيميائيا وتفكيكيا من الدراسات النوعية الجادة التي زاوجت بين الفني والتقني، ضمن آليات المنهج النقدي المركب الذي آمن ونادى به بالنظر إلى سياقها الزمني المبكر، رغم أنّ منتقديه يعيرون عليه توظيفه لمنهج نقدية متعددة، اختصّ كل منها بدراسة جانب من النص المقارب.

فقد حاول استخدام السيميائية في تحليل ملامح شخصيات الرواية وفي تحليل الخطاب السردى وأفاد من البنيوية في دراسة البنى السردية، واستعان باللسانيات في تناول بعض مظاهر أسلوب الرواية من وصف وتكرار وتشبيه.

<sup>1</sup> - محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الإتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1998، ص13.

## الفصل الثالث:

تجليات النقد السيميائي السروي الجزائري

ب - تجليات النقد السيميائي السروي

عند "رشيد بن مالك"

يعد "رشيد بن مالك" أحد أصحاب الإتجاه الذي اهتم بمحاولة توطين المفاهيم السيميائية بالجزائر وبالوطن العربي بشكل أمين، في محاولة منه تأصيل نقد سيميائي رصين، مبني على مشروع علمي منطلق من المنجزات التي حققتها السيميائية الغربية ممثلة في مدرس باريس، حيث بدأ الباحث مشروعه منذ بداية ثمانينيات القرن الماضي كما يؤكد ذلك: " يعود تاريخ إحتكاكي بالسيميائيات في بداية العقد الثامن من القرن الماضي وهو التاريخ الذي التحقت فيه بجامعة السوربون لتحضير الدكتوراه في الدرس السيميائي المعاصر"<sup>1</sup>.

وبعد أن نال شهادة الدكتوراه من فرنسا (جامعة السوربون) سنة 1984م، نال أيضا من جامعة تلمسان دكتوراه دولة في رسالة له بعنوان "السيميائية بين النظرية والتطبيق - راوية نوار اللوز نموذجا" 1994/1995م ، ليرددها بمجموعة من الأعمال تراوحت بين الترجمة ومحاولة التنظير والممارسة التطبيقية، حيث كانت هذه المؤلفات، قد صدرت وفق الترتيب الكرونولوجي التالي:

- قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص : عربي - إنجليزي - فرنسي، 2000م.
- مقدمة في السيميائية السردية، 2000م.
- البنية السردية في النظرية السيميائية، 2001م.
- السيميائية، أصولها وقواعدها لميشال آريفيه وآخرين ( ترجمة)، 2001م.
- السيميائية، مدرس باريس لجان كلود كوكي ( ترجمة)، 2003م.
- تاريخ السيميائية لأن إينو ( ترجمة)، 2004م.
- السيميائيات السردية ، 2006م.
- السيميائية (الأصول، القواعد، والتاريخ) لأن إينو وآخرين، ( ترجمة)، 2008م.
- رهانات السيميائية لأن إينو، (ترجمة)، 2014م
- ألجيرداس جوليان كرىماس، سيرة ومسار لتوماس ف. برودون وجون كلود كوكي (ترجمة)، 2019م

<sup>1</sup>-رشيد بن مالك، تجرّبي في مشروع ترجمة " القاموس المعقلن في نظرية اللغة"، الملتقى الدولي الثامن"، السيميائ والنص الأدبي " 10،09:08، نوفمبر 2015، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.



حيث تشكل هذه المؤلفات على تنوع طبيعتها، المسار العلمي للباحث الذي لا يزال يسعى من خلال مشروعه النقدي، إلى بيان النقاط المعلمية الأساسية للدرس السيميائي السردى المعاصر ذي التوجه الغريماسي، بغية الأخذ بأيدي القراء العرب نحو الإتجاه الصحيح لهذه النظرية السيميائية . وسنحاول في هذا الفصل استقراء المشروع السيميائي للباحث، من خلال رصد معالمه والكشف عن المنطلقات والأسس الفكرية التي اتكأ عليها، في بناء أفكاره وتصوراتهِ وإجراءاته التطبيقية .

### 1- روافد التجربة السيميائية عند "رشيد بن مالك" :

لقد تنوعت الروافد المعرفية والفكرية التي أسهمت في بلورة رؤية "رشيد بن مالك" النقدية، بداية من المعارف اللسانية والشكلانية وانتهاء بمدرسة باريس السيميائية بمختلف أعلامها، والتي شكّلت أساس المشروع النقدي للباحث الذي كان يروم من خلال النظرية السيميائية السردية - الغريماسية - إلى "تأسيس منهج في قراءة النظريات الغربية، التي ظلت في العالم العربي تُقرأ مجتزأة، تقدم غالبا مفصولة عن إطارها المعرفي وسياقها الثقافي وتدرجها التكويني، مما جعلها تخرج في كثير من الأحيان عن أهدافها المنشودة، إنجرت عنها تأويلات خاطئة لكثير من النظريات النقدية التي ألفنا التعامل معها"<sup>1</sup>، حيث ينبه الباحث في مواضع كثيرة من مؤلفاته ودراساته، إلى صعوبة فهم السيميائيات والاشتغال على موضوعاتها سواء كانت مترجمة أو في شكل أبحاث، إذ من الصعوبة بمكان تبني أسسها ومفاهيمها والمنجز النقدي العربي السيميائي لم يحقق ما كان مرجوا منه، بل أنّ بعض تلك الأعمال تصبح مضللة أحيانا، لأنها تقدم مفصولة عن أسسها الاستمولوجية وعن المناخ الذي ولدت فيه، وهو ما يجعل القارئ في أغلب الأحيان عاجزا عن إدراك الفروق بين هذا المفهوم أو ذاك، وبين هذه النظرية أو تلك<sup>2</sup>.

### 1-1- الروافد اللسانية والشكلانية:

في مؤلفه (مقدمة في السيميائية السردية)<sup>3</sup> يتطرق "رشيد بن مالك" لروافد المنهج السيميائي وهو

<sup>1</sup> - عبدالقادر شرشار، تحليل الخطاب السردى وقضايا النص، دار القدس للنشر و التوزيع، وهران، الجزائر، ط1، 2009، ص 191

<sup>2</sup> - ينظر جان كلود كوكي، السيميائية، مدرسة باريس، تر: رشيد بن مالك، دار الغرب للنشر، الجزائر، دت، ص 11-12.

<sup>3</sup> - نشر الكتاب في طبعته الأولى سنة 1992م، عن دارالنشر (القصة) بالجزائر.

البحث الذي قام من خلاله" بدراسة الأصول اللسانية و الشكلانية التي انبنت عليها النظرية السيميائية (مدرسة باريس)، واستمدت منها مصطلحيتها العلمية"<sup>1</sup>.

فقد قدم أصول هذه المدرسة باعتبارها تعود إجمالاً إلى رافدين أساسيين:

**الرافد الأول:** يتصل بالدراسات اللسانية، حيث أظهر الباحث أثر المبادئ اللسانية على المفاهيم

السيميائية السردية على مدار مختلف محطات تطورها، بداية من "دوسوسير" ومروراً بـ"بنفست" وانتهاءً بـ"هيلمسلف" و"تشومسكي".

**الرافد الثاني:** يتصل بالدراسات الشكلانية، حيث أثر التوجه الشكلاني الروسي في بناء مدرسة

باريس من خلال كتاب مورفولوجية الحكاية لـ"فلاديمير بروب" على وجه الخصوص.

حيث يعتمد الباحث مبدأ الانتقائية في إثبات بعض المفاهيم اللسانية المؤسسة للبناء المفاهيمي للنظرية السيميائية، متبعاً مسارها التطوري ومن ذلك :

- مبدأ الاختلاف (Difference).

- مبدأ المحاطية (Immanence).

- مفهوم القيمة (Valeur).

- الكفاءة والأداء (Competence et performance).

كما يؤرخ على لسان "آن إينو" (Anne Hénault) لعلاقة الألسنية بالسيميائية بقوله: "إنّ لصياغة

ر. بارت الفضل في ترجمة واضحة للوضع الفكري السائد في لحظة انطلاق السيميولوجيا بفرنسا، وقد

تمت الاستدارة بشكل قصري من جهة اللسانيات: حلقة موسكو ولينين غراد، وحلقة براغ ومدرسة

كوبنهاغن، كلها كانت تقدم النماذج الابدستيمولوجية والمنهجية للسيميائية الناشئة، ولم يتبلور مبدأ

التحليل الشكلي للدلالات، إلا على أساس النموذج التحليلي الشكلي في اللسانيات بمبدأها

<sup>1</sup> - رشيد بن مالك، في السيميائية السردية، دار القصبة للنشر، الجزائر، د.ط، 2000م، ص05.

التجريبي الذي يتمثل في مفهوم السمة الملائمة والعملية التي يقود إلى تحديدها: الإبدال وقد أسهم "هيلمسلاف" بقوة في فرض النموذج الفينولوجي في دراسة الدلالات<sup>1</sup> وفي موضع بحثي آخر يشير "رشيد بن مالك" إلى تتبعه لبدايات "غريماس" الأولى للظاهرة اللغوية انطلاقاً من تأملات وقراءات "جورج ماطوري" G.Matouri، من خلال رسالته للدكتوراه وبحوثه في بداية خمسينيات القرن الماضي، والتي قادت إلى مراجعة أفكاره وإحداث قطيعة إيستمولوجية مع الدراسات المعجمية، ومن ثم إلى كتابة (راهنية السوسيرية) التي اعتبرت طفرة نوعية في مساره العلمي وهو ما جعل الباحث يقدم على توضيح تلك التحولات العميقة، وتسييل الضوء على المنجز العلمي التاريخي الذي سيحلّي الصورة بوضوح عن دراسة الدلالات البنيوية التي أنجزها "غريماس" بين إسطنبول وباريس، ومن ثم تقديم قراءة معمقة لذلك الإنجاز من خلال التركيز على المفاهيم الأساسية التي ستقوم عليها البحوث السيميائية الصادرة بعد سنة 1960م، وتحديدًا "القاموس المعقلن في نظرية اللغة"، حيث عرض الباحث أثناء تحليله لبعض المصادر اللسانية والسردية التي اتكأ عليها "غريماس" لبناء صرح نظريته السيميائية<sup>2</sup>.

وعن الرافد الشكلياني - البروي - يعتبر "رشيد بن مالك" أنّ "فلاديمير بروب" هو "الباحث الوحيد في الاتجاه الشكلياني، الذي تعمق في دراسة الحكاية تعمقاً مكثفاً من استخراج بنيتها، ويعتبر كتابه الموسوم بـ "مورفولوجية الحكاية الشعبية" من الكتب الحاسمة في تطور الدراسات البنيوية والسيميائية والنموذج الأكثر نضجاً في بحوث الشكليانيين"<sup>3</sup>.

إذ يعدّ نموذج "بروب" الشكلياني كما سبق الإشارة إليه من الأصول اللسانية والشكليانية التي انبنت عليها النظرية السيميائية لمدرسة باريس، حيث يعتبره الدارس "جهازاً نظرياً أساسياً وضرورياً لفهم تنظيم الخطاطات السردية"<sup>4</sup>، مؤكداً ضرورة فهم أي باحث سيميائي لمنجزات "فلاديمير بروب" قبل

<sup>1</sup> - رشيد بن مالك، من المعجمات إلى السيميائيات، دار المجدلاوي للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص 172

<sup>2</sup> - ينظر رشيد بن مالك، تجرّبي في مشروع ترجمة "القاموس المعقلن في نظرية اللغة"، ص 87.

<sup>3</sup> - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص29.

<sup>4</sup> - م.ن، ص28.

محاولة استيعاب مقولات مدرسة باريس السيميائية، معتبرا أن أهمية أتموزج "بروب"، تكمن في مرونته وقابلية تطبيقه على النصوص السردية من جهة، وقدرته على إبراز مبدأ الإختلاف على طول الخط السردية من جهة أخرى، ولم يكن "رشيد بن مالك" ليحزم بمثل هكذا رأي لو لم يكن يملك تصورا واضحا على تلك التعديلات التي أحدثها "غريماس" على المنجز البروي الذي اتكأ عليه في نظريته حيث يصرح قائلا "ضبطنا في البداية بشكل شمولي التوجه الشكلي الروسي العام في الممارسة النقدية وتبعنا أثناء التحليل النموذج البروي (modele proppien) ، فقيدنا الانتقادات التي وجهها إليه "غريماس" وأسس عليها بناءا على هذا النموذج المتخذ كنقطة انطلاقا لبحوث السيميائيين - الرسم السردية (schéma narratif) الذي يعد سندا مهما لفهم تنظيم الخطابات السردية " <sup>1</sup>

ونظرا لأهمية الأتموزج البروي في تحليل النصوص السردية لدى الباحث، فإننا نلغيه بعد التأكيد على أهميته، يتبع آلياته التحليلية في العديد من النصوص التي اشتغل عليها، لكن ما يلاحظ على المرجعيات التي أوردها أنها عينات فقط، وبالرغم من أنها أساسية في إنشاء مدرسة باريس السيميائية على مرتكزاتها، غير أنها لم تمثل كل الروافد كما سبق وأن أشرنا إليه في مبحث سابق .

## 1-2- مدرسة باريس السيميائية :

التحق "رشيد بن مالك" مع بداية ثمانينيات القرن الماضي لتحضير الدكتوراه في الدرس السيميائي المعاصر بجامعة السوربون بباريس، وهو ما مكّنه من اللقاء المباشر مع كبار الباحثين والنقاد ومؤسسي السيميائية، وحضور الدروس التي كانت تشهد مناقشات علمية ساخنة والتي " كان يلقيها غريماس A.j.Greimas بالمدرسة الكاثوليكية بدون فار روشرو وجوزيف كوريتس joseph courtés وطوما بافيل Thomas pavel وكلود بريمون Claud bremand وجرار جنيت Gerard genette ... " <sup>2</sup>، وهو ما جعله يدرك الفرق الكبير مع جامعاتنا التي لم تكن مهياًة لتلقي النقود الجديدة في ظل الرفض المطلق من المدرسة النقدية الكلاسيكية، " كناً نتسرع في الحكم على هذا الشاعر أو ذلك

<sup>1</sup> - م.ن، ص 28.

<sup>2</sup> - رشيد بن مالك، تجرّتي في مشروع ترجمة " القاموس المعقلن في نظرية اللغة، ص 02.

ونرفض من موقع افتقارنا إلى أدبيات الحوار كل رأي مخالف لقناعتنا<sup>1</sup>، فضلاً عن رفض كل وافد وحداثي من الآخر تحت مبررات واهية وأفكار مسبقة جاهزة، تعمل جامعاتنا في تلك الحقبة على قولبة الدراسات النقدية، وتعليم إصدار الأحكام المعيارية، وهو ما تسبب في تحنيط العقل واغتياله.

وعلى الرغم من تعدد إتجاهات المدارس السيميائية، إلا أنّ "رشيد بن مالك" حدّد وجهته منذ البداية وظلّ مستمراً في الوفاء لمدرسة باريس بحكم ظروفه الثقافية الموروثة من جهة، وبسبب احتكاكه المباشر مع روادها من جهة أخرى، فأصبح أمام خيار لا غنى له عنه .

ففي سؤال للباحث "لعجال لكحل"، وجهّه للسيميائي المغربي "سعيد بنكراد" حول دور المدرسة الأمريكية السيميائية في المشروع النقدي لـ "رشيد بن مالك"، يعتقد "بنكراد" بأنّ "بن مالك" تتلمذ على يد أقطاب مدرسة باريس، وحضر دروسهم، وعقد صلات بهم، وأصبح ممثلاً لهم على مستوى البلاد العربية أكثر من غيره، لقد ظل رشيد بن مالك شديد الوفاء للمدرسة الفرنسية في السيميائيات، ولم يحد عنها قيد أنملة ولم يهتم بأي منهج آخر هذا هو اختياره وله الحق في ذلك، لم يلتفت إلى المدرسة الأمريكية وقد اهتم بها غيره ، أمثال أحمد يوسف ( الجزائري) آمنة بلعلي وغيرهما...<sup>2</sup>

ومنذ شروعه بإلقاء الدروس الأولى في تحليل الرواية الجزائرية من منظور سيميائي لطلبة معهد الثقافة الشعبية بجامعة تلمسان مع بداية ثمانينيات القرن الماضي، سعى "رشيد بن مالك" نحو إحداث قطيعة جذرية مع الممارسات النقدية التقليدية، والتوجه نحو التفكير العلمي و الحداثي من خلال النهل من مصادر السيميائية والتواصل المباشر مع أعلامها، والإطلاع على دراساتهم وأبحاثهم متسلحاً بمعرفة منهجية تعينه على تمثل الخلفيات المعرفية المؤسسة لها، ومحاولاً استيعاب مفاهيمها وأدواتها الإجرائية، مستفيداً في الآن ذاته من التجارب النقدية العربية التي حاولت تمثّل السيميائية،

<sup>1</sup> - آن إينو وآخرون، السيميائية: الأصول، القواعد، والتاريخ، تر:رشيد بن مالك، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، عمان،الأردن

ط1، 2008، ص17.

<sup>2</sup> \_لعجال لكحل ، المقاربة السيميائية عند رشيد بن مالك، مخطوط أطروحة دكتوراه، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2016-2017، ص227

مدركا تماما " لتنوع أصولها المعرفية، وغنى جهازها النظري ووفرتها المصطلحية"<sup>1</sup>، ومستندا في ذلك كله على انشغال دائم وحرص مستمر على تقديم الجديد، وتفادي الوقوع في مزالق بعض الدارسين العرب الذين أشار إلى هفواتهم في غير ما موضع، ما جعله حسب العديد من المشتغلين على الدرس النقدي السيميائي، ينطلق من أرضية صلبة منسجمة في منطلقاتها ومفاهيمها وممارساتها التطبيقية، غايته في ذلك كله تقريب القارئ العربي من النظرية السيميائية لمدرسة باريس وتبسيط طروحاتها حتى تفيد في تحليل النصوص السردية العربية .

## 2 - المصطلح السيميائي عند "رشيد بن مالك":

### 2-1- إشكالية المصطلح السيميائي عند "رشيد بن مالك":

عند معاينة "رشيد بن مالك" للوضع المصطلحي السيميائي عند الغرب الأوربي وجده محل إجماع في مختلف الدراسات النظرية والتطبيقية، فيما يختلف الأمر تماما في الدراسات النقدية العربية " إذ لم ترق البحوث السيميائية بحكم التضارب الموجود في المصطلحات المستعملة، إلى بلورة نموذج مؤسس لخطاب علمي دقيق يضبط مصطلحاته سلفا"<sup>2</sup>.

ويكفي الاستعانة ببعض القواميس المتخصصة في السيميائية (في عمومها) لإدراك عمق المشكلة حيث السمة الغالبة في البحوث السيميائية العربية، هي هيمنة الجهود الفردية التي لا تساعد في جميع الحالات على ترقية البحث، وتحاول أن تقفز على إنجازات سابقة طموحة، وبحوث لسانية وبنوية مهّدت لظهور السيميائيات في المؤسسة العلمية، إذ لا يمكن أن يتقدم البحث قيد أنملة ما لم تتشكل فرق يبحث في اللسانيات والسيميائيات، لتلتفت إلى هذه الإنجازات وتضع خطاباتها تحت المجهر النقدي، وتعاین مواطن قوتها وضعفها وتمسك بالنسق الاستمولوجي العام الذي حامت حوله<sup>3</sup>.

وحتى الجهود الجماعية الممثلة في جامعة الدول العربية- على سبيل التمثيل- والتي قامت بأول مبادرة لها سنة 1945م، أقرت من خلالها وجوب توحيد المصطلحات، ثم ميثاق الوحدة سنة

<sup>1</sup> - سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، ص 08

<sup>2</sup> - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 69.

<sup>3</sup> - ينظر: رشيد بن مالك، تجربتي في مشروع ترجمة القاموس المعلقن في نظرية اللغة.

1945م الذي أكد ضرورة السعي لتوحيد المصطلحات العلمية والحضارية، ودعم حركة التعريب وكان من نتائج ذلك، إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لمجموعة من المعاجم كان من ضمنها المعجم الموحد للمصطلحات اللسانية (إنجليزي- فرنسي- عربي)، لاحظ الناقد أن "نسبة غير قليلة من هذه المصطلحات تضم ترجمتين، بل حتى ثلاث ترجمات في بعض المواضيع ... الترجمات الموضوعية تفتقد إلى الشمولية من حيث افتقارها إلى القدرة ليس فقط على التعامل مع المصطلح من منطلقات نسقية، بل على ضبط المفاهيم في أصولها ومختلف الأسيجة التي زرعت فيها"<sup>1</sup>.

ولا شك في كون الخطاب النقدي السيميائي يطرح مصطلحات عديدة لمفاهيم متقاربة، خاصة فيما يتعلق بتحليل النصوص الأدبية المبني على "إقامة نماذج منطقية تحكم البناء الشكلي للمسار السردى ولانبثاق الدلالة"<sup>2</sup>، الأمر الذي صعب من عملية ترجمة مصطلحات هذا الخطاب، ما أدى في النهاية إلى اختلاف واضطراب مصطلحي حتى لدى نقاد القطر العربي الواحد، وقد رصد "رشيد بن مالك" بعض النماذج المصطلحية السيميائية التي تكشف عن عمق هذه الفوضى ومنها:

أ- الترجمات العديدة للمصطلح الواحد ومن ذلك ترجمة مصطلح "connotation" إلى: التضمن / الدلالة الحافة / الطاقة الإيحائية / الدلالة المتحولة .

ب- الترجمة الواحدة لمصطلحين مختلفين، ومن ذلك ترجمة "ج- بوهاس" و"جمال الدين كرعلي" مصطلحي "narration" و "récit" إلى "السرد" .

ج- الترجمتان المختلفتان للمصطلح الواحد، كترجمة "عبد العزيز طليمات" مصطلح "disjonction"

إلى "الانفصالات" و "الإنفكاكات"، والأمر ذاته فعله "سامي سويدان" حينما ترجم "histoire" " بالحكاية" و"الخبر" <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - رشيد بن مالك، م. ن.

<sup>2</sup> - عبد الحميد بورايو، التحليل السيميائي للخطاب السردى، دراسة لحكايات من ألف ليلة وليلة وكليلا و دمنة، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران 2003م، ص 05.

<sup>3</sup> - ينظر رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 71-72.

وتعود أسباب هذه الفوضى في ترجمة المصطلح النقدي عموماً، إلى عوامل عديدة ثقافية وذوقية ولغوية، فبعض المشتغلين على هذا العمل " ثقافته أجنبية، يقرأ الأدب ونقده باللغة الأجنبية، وبعضهم ثقافته عربية يقرأ الأدب الأجنبي ونقده باللغة العربية، وبعضهم ثقافته مضطربة، ينتقل بعشوائية بين كافة الدراسات " <sup>1</sup>.

بل أنّ هذا الاضطراب المصطلحي ظلّ رهين أشخاص معينين حتى من ذوي المنهل الثقافي الواحد فنجد مثلاً أنّ اصطلاحات نقدة المغرب العربي تمتح من بئر الثقافة الفرنسية، وتميل نحوها كل الميل بينما نجد الحال مختلفاً عند نقدة المشرق العربي، الذين ينهلون من جب الإنجليزية، وما بين الفرنسية والإنجليزية بون شاسع " <sup>2</sup>.

وفيما يعزي "عبد الله ابراهيم" إشكالية ترجمة المصطلح النقدي إلى عاملي :  
حضور الرؤية وغياب المنهج، أو إلى غياب الرؤية وحضور المنهج <sup>3</sup>، فإن "رشيد بن مالك" يرجع الأمر إلى تلك القطيعة الأبتمولوجية للناقد العربي مع تاريخه ولغته، بعد أن خبر تلك الصعوبات التي واجهته في نقل المصطلح و بعدما تبين له غموض المصطلحية في البحوث السيميائية العربية من جهة وتشتت ترجماتها من جهة أخرى، الأمر الذي اضطره هو الآخر أن يتخذ لنفسه توجهها خاصاً في ترجمة المصطلح النقدي السيميائي السردى مستعينا بجهود آخرين، اشتغلوا على الترجمة المصطلحية السيميائية الغربية كلما وجد في ذلك إقناعاً وعلمية ومرونة، ومرتكزاً " أساساً على ضبط مفاهيم المصطلحات في اللغة الأصلية والتحقق أولاً من توافقها مع الإحالات الدلالية في اللغة الهدف والنظر

<sup>1</sup> -منتهى الحراشة، من مشكلات المصطلح النقدي في الدراسات النقدية العربية الحديثة والمعاصرة، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب والعلوم الانسانية، مج 6، عدد2، جامعة اليرموك، أربد، الأردن، 2009، ص25.

<sup>2</sup> -ينظر ابراهيم حسين عبد الهادي الفيومي، اشكالية المصطلح النقدي في مواجهة النص الروائي، مجلة العلوم الانسانية، عدد 22، منشورات جامعة دمشق، يونيو 1990، ص59-60.

<sup>3</sup> - ينظر: عبد الله ابراهيم، المتخيل السردى، مقارنة نقدية في التناص و الرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، ط1، 1990 ص 07-15.



ثانياً فيما إذا كان استعمال هذه المصطلحات مطرداً، أم أنه يشكل خرقاً لما هو جار به العمل في البحوث السيميائية الراهنة.<sup>1</sup>

إنّ عملية اختيار المصطلح المناسب تتطلب حسب بن مالك، الانطلاق في قراءة النص الأصل وتمثله، ومن ثم فهم مصطلحاته الأجنبية الأساسية، بغية تحقيق قدر كاف من الفهم والتأويل، ثم نقل هذه الحمولة المعرفية في مرحلة لاحقة نحو اللغة الهدف (العربية)، ففي النهاية عملية الاختيار هذه تتوقف على " معاينة المصطلحية المعتمدة في البحوث والقواميس العربية، وضرورة الاستناد إلى ما هو شائع منها، والاعتماد في حالة حدوث الاختلافات بين الباحثين على جهود الباحثين القدامى في المجالات اللغوية والفلسفية، والارتكاز على الامكانيات الاشتقاقية التي تزخر بها اللغة العربية"<sup>2</sup> وكعمل منهجي إجرائي في ترجمة المصطلح النقدي السيميائي نحو اللغة العربية، وضمن نفس التوجه، يحدد الباحث مرحلتين أساسيتين لا بد للمشتغل في المصطلحية أن يمر عبرهما:

- 1- ضرورة حصر المصطلحات في المعاجم والبحوث العربية المتخصصة .
  - 2- ترجمة ما استعصى نقله وفق عمليات التوليد والإشتقاق والتعريب، حيث لا بد لهذه الخطوة المنهجية أن تندرج " ضمن مشروع علمي لا يملك قيمته الحقيقية إلا إذا تحول موضوع تحرّ جماعي"<sup>3</sup>
- 2-2 - قراءة في قاموس " مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص":**

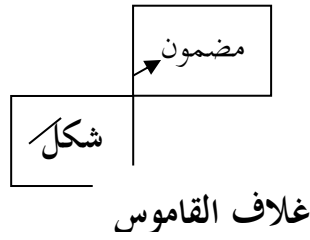
لما رأى الباحث أنّ السيميائية السردية من أغنى التيارات والمناهج النقدية بالجانب المصطلحي فقد أفرد لمشروعه مستوى آخر من البحث متعلق بالتأليف القاموسي، وكان من نتائج ذلك إنجاز قاموس متخصص أفرد له عنوان " قاموس مصطلحات التحليل السيميائي " والذي سنحاول قراءته من حيث الشكل والمضمون، ولعل ما يبرر لنا ذلك المؤلف نفسه الذي تشير ترسيمه (schema) غلافه إلى شكل ومضمون.

<sup>1</sup> - رشيد بن مالك، إشكالية ترجمة المصطلحات في البحوث السيميائية العربية الراهنة، مجلة بحوث سيميائية، مج01، ع01

جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، جوان2019، ص من 43 إلى64

<sup>2</sup> - رشيد بن مالك إشكالية ترجمة المصطلح في البحوث السيميائية العربية.

<sup>3</sup> - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 72



كما أنّ الصناعة المعجمية الحديثة أصبحت تتعامل مع القاموس باعتباره خطاب تام ونص أيضا<sup>1</sup>

## 2-2-1- الشكل:

تضمن القاموس 272 صفحة مرقمة على قياس 25سم / 16سم، وحوى 228 مصطلحا (عربي - فرنسي - انجليزي) وفق ترتيب ألف بائي فرنسي (200 مادة و 27 ترسيمة سردية وشكلا توضيحيا) .

وقد ذيل الباحث عمله بعدة إحالات أحيانا تكون عقب الانتهاء من الترجمة والشرح، وأخرى أثناء التحليل، من أجل العودة إلى المراجع وما اتصل بدلالة المصطلح، معتمدا الإحالة الداخلية بالإشارة بسهم ( ← ) بعد كل مادة، من أجل الإطلاع وفهم المصطلحات الموالية، تقليدا بما فعل كل من "غريماس" و"كورتيس" في " القاموس المعلقن في نظرية اللغة" حيث عدّه الباحث المرجع الرئيس الذي اتكأ عليه في إنجاز مؤلفه .

وقد جاءت افتتاحية القاموس لتضيء أهم جوانب المتن، ومنها توجهه بهذا المؤلف الذي يحتوي أهم مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص الى المشتغلين بهذا الحقل، مشيرا إلى عدم تقيده بالمصطلحات المؤسسة للنظرية السيميائية التي جاء بها "غريماس" في قاموسه فقط، رغم أنها تشكل نسبة كبيرة في هذا العمل، باعتبار أنّ الحوار لا يزال مستمرا بين مختلف التيارات المتبنية للنظرية السيميائية .

<sup>1</sup>- Voir : Jean claude dubois , introduction à la lexicographie de dictionnaire librairie larousse paris 1971,p8

وفي موضع آخر، يؤكد "رشيد بن مالك" قناعته بعدم تحقق المشروع العلمي الناجح، إلا من خلال تحوله إلى موضوع بحث جماعي، معتبرا رغم ذلك أنّ المصطلحات التي ترجمها كافية خلال الوضع الراهن، حيث ألحق كل مصطلح بشرح وإحالات تساعد على فهم سياقه الدلالي . لينهي افتتاحه، بالإشارة إلى أنه أنهى هذا العمل مع بداية تسعينيات القرن الماضي، وقد سمحت مدة تأخره عن الصدور ( إلى غاية سنة 2000)، إلى مراجعته، تماشيا مع العديد من المستجدات التي تتعلق بالمصطلح<sup>1</sup>

وفي كلمة تقديم المؤلف من طرف "عبد الحميد بورايو"، أكد فيها حاجة السيميائيات في وقتها الراهن مثل هكذا عمل معجمي متخصص، يستعين به الباحث من أجل تجاوز مصاعب الترجمة وتخطي فوضى الاستعمالات المصطلحية الجاري بها العمل، وهو جهد تأتي من باحث زواج بين النظرية والتطبيق، ويعد أحد الباحثين القلائل في الجزائر والوطن العربي الذين عنوا بالأبحاث السيميائية ذات التوجه الشكلي (مدرسة باريس)، مشيرا إلى مراعاة الباحث لاحتياجات الدراسات العربية وواقعها في هذا المجال، وكذا سيرورة بعض المفاهيم في واقع الأبحاث المنجزة خارج دائرة الثنائي "غريماس / كورتيس".<sup>2</sup>

وفي مقدمة المؤلف أشار الكاتب إلى أنّ فكرة إنجاز معجم في السيميائيات راودته منذ سنة 1983م، بسبب الصعوبات التي اعترضته حين كان يلقي دروسه الأولى في تحليل الرواية الجزائرية من المنظور السيميائي لطلبة معهد اللغة والأدب العربي بجامعة تلمسان، وكذا الصعوبات الناجمة عن عدم استعداد هؤلاء الطلبة للتعامل مع المنهج الجديد في غمرة طغيان المناهج التقليدية، وتخوف بل رفض لبعض الدوائر العلمية في الجامعة الجزائرية لهذا التيار الوافد من الغرب، مشيدا في الآن ذاته بتشجيعات بعض الأصدقاء في الصمود ومواصلة البحث .

<sup>1</sup> - ينظر: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص 05-06.

<sup>2</sup> - ينظر: م. ن، ص 07.

معرجا على توصيف واقع الترجمة المصطلحية المضطرب في المعاجم والدراسات العربية المتخصصة على قلتها، ومقرا بخطورة عمله في حقل معرفي لم تستقم فيه بعد المصطلحية بشكل نهائي، ومعتبرا جهده مجرد اقتراح لإثارة ترجمات أخرى في إطار الحوار العلمي المثمر<sup>1</sup>.

ليختم الباحث مؤلفه بملحق من 62 علما مرتبا ترتيبا ألف بائيا عربيا، ثم ثبت للمعاجم والمراجع العربية والأجنبية التي استند عليها في تأليف قاموسه .

## 2-2-2- المضمون:

نشير بدءا إلى أنّ هذا القاموس حظي بقراءات علمية من طرف العديد من الباحثين، على غرار "عبد القادر شرشار" بمداخلة له بعنوان "قراءة لقاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص" في الملتقى الوطني الأول (السيميائية والنص العربي) بجامعة بسكرة (15-17 نوفمبر 2000).

فهو مؤلف يتناول المصطلحات السيميائية السردية المعتمدة في تحليل النصوص الإبداعية، فكان لهذا الأثر الإبداعي أهميته البالغة في معالجة مصطلحات المادة السيميائية بطريقة علمية، يسهل على القارئ العربي فهمها والاستعانة بها، وهو بذلك يعد "خطوة جادة ومضافة لجهود الناقد في ساحة المصطلح السيميائي العربي"<sup>2</sup>، بعد أن لاحظ المؤلف تلك الفوضى المصطلحية الرائجة بين الباحثين العرب، وهو الذي عايش وخبر الأمر عن قرب بعد سنوات من التدريس والاشتغال على البحث السيميائي السردية، حيث اتخذ لمعالجة قضية المصطلح النقدي وجهة نظر مختلفة، معتمدا تعريف المصطلح كما ورد في التنظير الغربي ثم محاولة تحديده باللغة العربية دون الاهتمام بباقي الترجمات، إذ يقول مؤكدا ذلك: " في هذه اللحظة أستبعد تماما الحديث عن توحيد المصطلح، و أثير النقاش عن توليفة تفضي بنا إلى إيجاد تجانس في الخطاب اللساني والسيميائي على حد سواء"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: م. ن، ص 10-11-12.

<sup>2</sup> - محمد فليح الجبروي، الإتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 2013م، ص 190.

<sup>3</sup> - رشيد بن مالك، تجرّبي في مشروع ترجمة القاموس المعلقن في نظرية اللغة، ص04.

وبعد أن يؤكد إتكائه في تأليف قاموسه على معجم "غريماس وكورتيس" (القاموس المعقلن في نظرية اللغة)، يؤكد صعوبة الأمر "لم يخطر أبداً ببالي أني سأترجم هذا القاموس لوعورة خطابه وصرامته العلمية وعمق أفكاره وتنوع حقوله المعرفية وأرمادته المصطلحية، التي لم يجرؤ أحد من الباحثين لا في اللسانيات ولا في السيميائيات، التصدي لها ونقلها إلى اللغة العربية..."<sup>1</sup>.

وعن أهم خطوات الباحث التي إتبعها في ترجمة المصطلح النقدي هي "أن نبدأ أولاً بحصر المصطلحية في المعاجم والبحوث العربية المتخصصة، وننح ثانياً إلى ترجمة ما استعصى نقله وفق عمليات التوليد والاشتقاق والتعريب"<sup>2</sup>، وهو ما حاول أن يجسده فعليا في تأليفه لقاموس التحليل السيميائي للنصوص، والذي سنعين من خلاله مجموعة من أهم المصطلحات السيميائية التي نقلها إلى العربية ومدى إسهامه في إثراء المكتبة المصطلحية العربية.

وقد اخترنا نماذجاً لبعض المصطلحات التي نعتقد أنها الأكثر تداولاً في الدرس النقدي السيميائي حيث نورد المفهوم باللغة الأجنبية (الفرنسية) كما صاغه كل من "غريماس" و"كورتيس" في "القاموس المعقلن في نظرية اللغة"، ثم نورد أيضاً بعض ترجمات المصطلح إلى العربية من طرف عدد من الباحثين العرب ونقارنها بترجمة "رشيد بن مالك" من جهة، ومع المفهوم العام عند كل من "غريماس" و"كورتيس" من جهة أخرى.

#### أ - مصطلح (Opposant):

وقد ورد في "القاموس المعقلن في نظرية اللغة" كمايلي :

Quand le rôle d'auxiliant négatif est pris en charge par un acteur différent de celui du sujet de faire il est opposant et correspond . alors du point de vue du sujet du faire à un non-pouvoir faire individualisé qui, sous forme d'acteur autonome .

entrave la réalisation du programme narratif en question<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - م. ن، ص.ن.

<sup>2</sup> - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 72

فقد ترجمه "سعيد بنكراد" إلى (معيق) بالمفهوم المتعلق بالعرقلة المادية وعبد "السلام المسدي" إلى (مناوي)، في حين يتفق "رشيد بن مالك" و "محمد ناصر العجمي" على ترجمته إلى (معارض) بمفهوم المعارضة الفعلية أو المادية، حيث يعتبر (المعارض) "شخصية تضع الحواجز أمام الفاعل، وتحول بينه وبين تحقيق الرغبة وتبليغ الموضوع"<sup>1</sup> بتعبير الباحث، مؤكداً أنه لا يبالغ إذا قال أنّ "غريماس"<sup>2</sup> أول من ابتكر هذا المصطلح، ويمكن أن نسجل أول ظهور له في فصل موسوم بـ "إيزوتوبيا الخطاب من كتاب الدلالات البنيوية"<sup>2</sup>.

### ب- مصطلح (Isotopie) :

لقد اقتبس "غريماس" مصطلح (Isotopie) من علم الفيزياء والكيمياء سنة 1966م، وقد ورد في "القاموس المعقلن لنظرية اللغة" كماي:

A.J. Greimas a emprunté au domaine de la physique – chimie le terme d'isotopie et l'a transféré dans l'analyse sémantique en lui conférant une signification.<sup>3</sup>

ثم تعميم بعد ذلك استقباله في تحليل الخطاب، حيث يشير إلى جملة الوسائل المساهمة في الانسجام القائم على تكرار نفس السمة على امتداد الملفوظات، ويتعلق خاصة بالتنظيم الدلالي للخطاب<sup>4</sup>. حيث توسع الاختلاف حول هذا المصطلح بين النقاد العرب في نقله إلى العربية، فقد ترجمه "محمد الناصر العجمي" إلى (قطب دلالي)، و"السعيد بوطاجين" و "يوسف وغليسي" و"عبد القادر فيدوح" و"محمد مفتاح" إلى (تشاكل)، فيما ترجمه آخرون إلى أكثر من ترجمة كما فعل "سعيد علوش" الذي ترجمه إلى (تشاكل) و(تماثل في الشكل)، بينما يعتمد "رشيد بن مالك" هجرة المصطلح فيعربه إلى (إيزوتوبيا)، والتي تضمن "التحام الرسالة أو الخطاب، وهي بمثابة المستوى

<sup>1</sup>-A. J. Greimas , j. courtés, semiotique- dictionnaire raisonné de la théorie du langage , hachette université, paris 1986, p 262

<sup>1</sup> - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص 124

<sup>2</sup> - رشيد بن مالك، تجرّبي في مشروع ترجمة القاموس المعقلن في نظرية اللغة، ص 28

<sup>3</sup> - A.J.Greimas, j. courtes, dictionnaire raisonné de la théoire du langage, p 197

<sup>2</sup>- ينظر : دومنيك منغون، باتريك شارودو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري و حمادي صمود سلسلة اللسان ، دار سيناترا، تونس،

2008، ص 322

المشترك الذي يرد ممكناً اتساق المضامين، وينبغي أن يفهم من المستوى المشترك ثبات بعض الأدلة على مستوى الجملة حيث يمكن أن يتجدد ثبات دلالة واحدة أكثر من مرة، على امتداد السلسلة الجمالية ليعطي إيزوتوبيا تؤدي إلى التحام مجموعة من السميمات التي تشكل الجملة"<sup>1</sup>.

معتبرا بذلك الإيزوتوبيا نوعان :

الإيزوتوبيا الدلالية وتعلق باتساق المضامين، والإيزوتوبيا السيميولوجية وتعلق بالسميمات التي تشكل الجملة، ولعل نقل هذه الكلمة - إيزوتوبيا- إلى الروسية ( في الفيزياء والكيمياء) وإلى الفرنسية ( في السيميائية)، هي التي شجعت الباحث أن يري حق العربية في ضمها إلى قاموسها، مثلما أفادت الفرنسية من مصطلحاتها مثل (Amiral) من أمير البحر و (magasine) من مخزن، إذ يمكن الإقتراض المبرمج الذي تصوغه المعاهد المتخصصة أو جماعة اللسانيين أو لجنة بحثية مصطلحية، مع مراعاة تكييف الأصوات الذي تحتمه اللغة ومخارج الحروف<sup>2</sup>

ج- مصطلح (conjonctiion) : ورد في "قاموس غريماس وكورتيس" كما يلي:

"En sémiotique narrative, il convient de réserver le nom de conjonction, pour désigner paradigmatiquement, l'un des deux termes ( avec la disjonction ) de la catégorie de jonction qui, sur le plant syntamatique, se présente comme la fonction ( la relation entre le sujet et l'objet ) constitutive des énoncés d'état. si, paradigmatiquement , conjonction et désjonction sont des contradictoires, il néné va pas de meme au plan syntagmatique ou selon la déstribution du semioi-tique"<sup>3</sup>

حيث يقابل هذا المصطلح (إتصال) عند "السعيد بوطاجين" بالمفهوم الإتصالي ذاته للكلمة (communication) بينما عند "عبد السلام المسدي" فالمقابل عنده هو (رابط) بالمفهوم الموحي إلى الظاهر والملموس والمادي، فيما يفضل "رشيد بن مالك" المقابل (وصلة) " وهو بذلك يؤصل للمصطلح بإعادته إلى الجذور"<sup>4</sup>، حيث الوصلة هي ما تصل بالشيء ، ووصل فلان رحمه أي يصلها

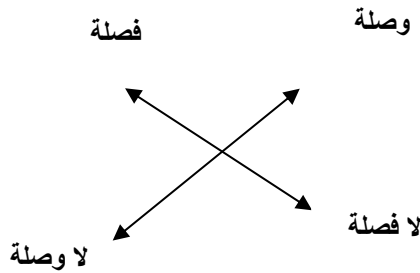
<sup>1</sup>-رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص93-94

<sup>2</sup>- ينظر: لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية ، تر: حسن حمزة، مر: سلام بزي ، المنظمة العربية للترجمة، ص 327

<sup>1</sup>-A. J. Greimas , j. courtés, semiotique- dictionnaire raisonne de la théorie du langues ,p 161

صلة والوصل ضد المحجران، وليلة الوصل هي آخر ليلة من الشهر، والواصلة من النساء هي ما اتصل شعرها بغيرها، والوصل خلاف الفصل حيث الفصل هو ما بين الشيئين والفصل من الجسد موضع الفصل ...<sup>1</sup>

ولا يختلف مفهوم مصطلح (وصلة) الذي أورده "رشيد بن مالك" عن مفهوم مصطلح (cojonction) المقابل له في قاموس غريماس وكورتيس إذ "في السيميائية السردية، ينبغي أن تطابق الوصلة، من المنظور الاستبدالي عنصرا من عنصري مقولة الصلة التي تتقدم على المستوى النظامي كوظيفة (العلاقات بين الفاعل والموضوع) مشكلة للمفوضات الحالة، إذا كانت الفصلة والوصلة من الناحية الاستبدالية متناقضتين، فإن الأمر يختلف على المستوى النظامي، على نحو ما يظهر ذلك في المربع السيميائي التالي :



حيث ينبغي أن نميز بين اللافصلة (يملك بعض الشيء) بين الفاعل و موضوع القيمة، والوصلة (يملك شيئا)<sup>2</sup>.

د - مصطلح (Actant) :

صاغ "غريماس" و "كورتيس" مفهوم هذا المصطلح كما يلي:

"Le terme d'actant renvoie à une certaine conception de la syntaxe qui articule l'énoncé élémentaire en fonctions (telles que sujet, objet, predicat) indépendamment de leur réalisation dans des unités syntagmatiques (exemples : syntagmes nominal et verbal) et considère le prédicat comme le noyau de l'énoncé. c'est dire ainsi que les actants sont à considérer comme les termes- aboutissants de la

<sup>4</sup> - سهام أوصيف، تأصيل النقد السيميائي عند "رشيد بن مالك"- المنهج والمصطلح - بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في النقد الأدبي المعاصر

إشراف: السعيد بوطاجين، المركز الجامعي "خنشلة" 2009/2008، ص 177

<sup>1</sup> - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مج6، ج 53، ط1، 1998، ص 4850-4852

<sup>2</sup> - رشيد بن مالك، قاموس التحليل السيميائي للنصوص، ص 40-41



relation qu'est la fonction. ce concept d'actant est également à interpréter dans le cadre de la grammaire des cas (Fillmore) ou chaque cas peut être considéré comme la représentation d'une position actantielle"<sup>1</sup>

وقد اختلف حتى الرواد الغربيون حول هذا المصطلح (Actant)، فهو يمثل (الوظيفة) عند "سوريو" و (الشخصية) عند "بروب" و (الشخصية الأصل) عند "لوتمان" وعند "غريماس" (عامل).<sup>2</sup>

ومن العرب الذين اشتغلوا على المصطلح النقدي نجد "عبد السلام المسدي" الذي ترجمه إلى مصطلح (مفاعل)، معتمدا فكرة تأصيل المصطلح وإعادةه إلى جذوره انطلاقا من الجانب الصوتي الذي يكشف عن مجاورات بيّنة بين acte و actant، وللتمييز بين الإثنين أضاف الميم، وبعيدا عن مناقشة دلالة الميم في علاقاتها باللفظة التي تتطلب تخصصا وخبرة لغوية مؤثثة مرجعيا، حسب "السعيد بوطاجين" الذي ناقش المسألة من الجانبين الصوتي والمفهومي، وهو ما سيحدث ارتباكا لدى مستقبلي هذه المصطلحات المستحدثة، وإذا وجدنا ترجمة من نوع (مفاعل) فلأن المتلقي أشكل عليه المفهوم أولا<sup>3</sup>، حيث ورود مصطلح (Actant) بقاموس اللسانيات الموحد الذي أشرفت عليه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مترجما إلى (فاعل حقيقي) والذي يقابله مصطلح (العامل) لدى الباحث، تحدث لبسا حقيقيا ليس من حيث الترجمة، لأن ذلك لا يحتاج إلى تدليل كيما نشبت المسافة بين المصطلح الغربي في سياقه التداولي وبين الفهم الوارد الموحد، يفترض أن يكون شاملا جامعا<sup>4</sup>، بينما يتفق كل من "لطفني زيتوني" و"السعيد بوطاجين" مع "رشيد بن مالك" في ترجمة هذا المصطلح - Actant - إلى "عامل".

من كل هذه المفاهيم يمكننا أن نستخلص أنّ: العامل هو الذي يقوم بالفعل أي العاقل، بينما الفاعل هو الذي يقوم بالفعل لغير العاقل، إذ العامل يتعلق بمركزية الإنسان في السرد، فيما الفاعل

<sup>1</sup> -A. J. Greimas , j. courtés, semiotique- dictionnaire raisonne de la théorie du langage.p.3

<sup>2</sup> - ينظر: جبر الدبرنس ، قاموس السرديات، تر: السيد إمام ، مبريت للنشر والمعلومات ، ط1، 2003، ص 08-09

<sup>3</sup> - م. ن ، ص 161-162

<sup>4</sup> - ينظر. م. ن، ص 162-163

يتعلق بالبطل في السرد<sup>1</sup>، حيث يورد "رشيد بن مالك" جملة من التوضيحات والشروحات حول ترجمته لهذا المصطلح:

1- فالعامل حسبه هو الذي يقوم بالفعل أو يتلقاه بمعزل عن كل تحديد آخر، وتشمل العوامل "الكائنات والأشياء... التي تسهم في العملية".

2- قد يحيل العامل على التصور الخاص بالتركيب الذي يجزئ الملفوظ الأولي إلى وظائف (كالفاعل الموضوع، المسند) بصرف النظر عن تحقيقاتها داخل الوحدات النظامية.

3- يحل العامل في السيميائية الأدبية محل الشخصية لشموليته، فهو لا يغطي الكائنات الإنسانية فحسب، بل يغطي أيضا الحيوانات والأشياء والمفاهيم.

4- يميز بن مالك داخل الخطاب الملفوظ بين:

أ- عوامل التبليغ أو (التلفظ): الراوي، المروي له، المخاطب، المخاطب (الذي يشارك في بنية المحاورة)

ب- عوامل السرد: الفاعل / الموضوع، المرسل / المرسل إليه، من منظور نحوي حيث قد يكون العامل فرديا أو ثنائيا أو جماعيا.

5- يمكن أن يقوم العامل - أثناء تطور الخطاب السردى - ببعض الأدوار العاملة المحددة بوضعيته داخل السلسلة المنطقية للسرد (تعريفه التركيبي) وباستثماره الكيفي (تعريفه المورفولوجي)<sup>2</sup>

هـ- مصطلح (Narrativité) :

ورد مفهوم هذا المصطلح في "القاموس المعقلن في نظرية اللغة" كما يلي:

" A première vue, on peut appeler narrativité une propriété donnée qui caractérise un certain type de discours, et à partir de laquelle on distinguera les discours narratifs des discours non narratifs, telle est, par exemple, l'attitude de E. Penveniste qui oppose le récit historique (ou histoire) au discours ( au sens restreint), en prenant comme critère la catégorie de la personne ( la non- personne carac-

<sup>1</sup> - ينظر: لعجال لكحل، المقاربة السيميائية عند رشيد بن مالك، مخطوط رسالة دكتوراه، إشراف: هاجر مدقن، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة ورقلة، 2017/ 2016، ص 80

<sup>2</sup> - ينظر رشيد بن مالك، قاموس مصطلحيات التحليل السيميائي للنصوص، ص 15-16

térisant l'histoire, la personne – le "je" et le "tu" étant propre au discours) et secondairement, la distribution particulière des temps verbaux"<sup>1</sup>

وقد ترجم المصطلح عند النقاد الجزائريين بالسردائي، والسردائية، وعلم السرديات والسرديات<sup>2\*</sup>

وفيما يرى يوسف وغليسي أنّ " الأمثل لنا ولدى عدد غير قليل من الدارسين أن نعبر عن الثنائية

الغربية ( Narrativité, narratologie ) بالثنائية العربية سرديات، سردية"<sup>3</sup>

يعتبر " القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان"، أن مصطلح السرديات ( Narratologie )

كان من اقتراح " تودورف" هذا المصطلح في عام 1969م، وذلك لتدريس علم لم يوجد بعد، ألا

وهو علم القصة.<sup>4</sup>

ويتفق "رشيد بن مالك" مع العديد من النقاد العرب في اقتراحه لمصطلح (السردية) كمقابل

"Narrativité" على غرار "لطف زيتوني" و"عبد السلام المسدي" و"يوسف وغليسي" ... حيث

يفصّل في مفهوم هذا المصطلح من خلال الشروحات التالية التي أوردها في " قاموس المصطلحات

السيميائي للنصوص".

1- يطلق مصطلح السردية على تلك الخاصية التي تخص نموذجاً من الخطابات، ومن خلالها نميز بين

السردية والخطابات غير السردية.

2- إذا استندنا إلى التمييزات المقترحة من "بنفنسيت" و"جينيت"، يمكن أن نتبنى تنظيمًا متقاربا

نسبياً حيث يتعلق المستوى الخطابى بالتلفظ، في حين يرتبط المستوى السردى بالملفوظ.

1- A. J. Greimas , j. courtés, dictionnaire raisonné de la théorie du langage p.247.

\*2- ترجمه عبد الملك مرتاض إلى السردائي ( ينظر: الكتابة من موقع العدم، مساءلات حول نظرية الكتابة، دار الغرب، وهران

2003، ص 189) وإلى السردائية، ينظر: عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 231، وترجمه عبد الحميد بورايو إلى "

علم السرديات"، ينظر: عبد الحميد بورايو: البطل الملحمي والبطل الصحية في الأدب الشفوي الجزائري: دراسات حول خطاب

المرويات الشفوية ( الأداء، الشكل، الدلالة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 02، وترجمه أحمد يوسف إلى

السردية، ينظر: أحمد يوسف السيميائيات وفلسفة المعنى، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، إشراف عبد اللاوي

محمد، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2003-2004، ص 28

<sup>3</sup>- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 279-286

<sup>4</sup>- ديكرو أوزوالد، سشفايفر جان ماري، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ط2، تر، منذر العياشي، المركز الثقافي

العربي، المغرب/ لبنان، 2007 ص 206

3- يحتوي المروي من الخطاب عموماً على أحداث (حكاية) وأفعال بطولية أو غير بطولية، حيث كانت الحكايات في وصفها للأفعال المطردة - حكايات فلكلورية، أسطورية، أدبية- مصدراً للتحليل السردي لدى ( بروب، دوميزيل، ليفي ستروس).

4- يستدعي الإعتراف بالتنظيم الخطابي الملازم ( أو السردية في المعنى العام) طرح مسألة الكفاءة الخطابية ( السردية).

فلقد أظهرت الدراسات الفولكلورية منذ عهد طويل وجود أشكال سردية شبه شمولية تتجاوز حدود الجماعات الألسنية.

5- في إطار المشروع السيميائي، تعتبر السردية المحررة من المعنى الضيق الذي يربطها بالأشكال الصورية للحكايات مبدءاً منظماً لكل خطاب، حيث تحدد البنيات السردية المستوى العميق لكل عملية سيميائية.

#### حوصلة:

الجدول التالي يحوصل المصطلحات المنتقاة، من خلال إيراد المقابل العربي لها عند " رشيد بن مالك" مع تبيان أوجه الإتفاق والإختلاف مع باحثين آخرين .

المصطلح بالفرنسية	المقابل/الترجمة بالعربية عند "رشيد بن مالك"	أوجه الإتفاق والإختلاف مع باحثين آخرين ( في المقابل أو الترجمة)
Opposant	معارض	اتفاق في الترجمة مع " العجيمي" واختلاف مع "بنكراد" ( معيق) و"المسدي" ( مناوئ)
Isotopie	إيزوتوبيا	اختلاف مع "بوطاجين"، "وغليسي"، "فيدوح" و"محمد مفتاح" (تشاكل)، و"بنكراد" ( تناظر) و"العجيمي" ( القطب الدلالي)
Conjonction	وصلة	اختلاف مع "بوطاجين" ( اتصال) و"المسدي"

( رابط ) و "العجمي" ( اتصال انعكاسي )		
اتفاق مع "بوطاجين" و "لطي زيتوني" واختلاف مع "المسدي" ( مفاعل )	عامل	Actien
اتفاق مع "وغليسي"، "لطي زيتوني" و "المسدي"	سرديّة	Narrativité

لقد آمن " رشيد بن مالك " على غرار العديد من النقاد الذين اشتغلوا على المناهج النقدية النصّانية أنّ المنهج النقدي يؤخذ بمصطلحاته، لذلك سعى من خلال مؤلفه ( قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص) إلى " تزويد المشتغلين في حقل السيميائية بالأدوات الإجرائية اللازمة لتحليل النصوص، وذلك أن المصطلحات التي اشتغل عليها الكاتب تمثل مفاتيح لمقاربة أي نص سردي فهي بمثابة الضوابط العملية التي يستأنس إليها الباحث في التحليل السيميائي"<sup>1</sup>

فقد عمد إلى تبسيط تعاريف المصطلحات في قالب لغوي قائم على الشرح والتحليل دون إطناب، كما أنّ رؤيته المنهجية لإنجاز مؤلفه الذي أقر بصعوبته كما أشار، جعله يعتمد كثيرا في ترجمته على السياق المعرفي والدلالي ( الترجمة السياقية) دون العودة إلى جذوره اللغوية، وهو أسلوب قاصر في فهم المصطلح، " وقاصر أيضا على أن يمكن الشخص الذي يقع على هذا المصطلح في قرائته، من أن يستعمله على الوجه المراد منه"<sup>2</sup>، كما أنّ فوضى الترجمة المصطلحية في الوطن العربي جعلت من الباحث يعمد في بعض المواضع إلى النقل المصطلحي المباشر، مثلما فعل مع مصطلحات: Isotopie: إيزوتوبيا وThématique: تيمي و Topique: طويقي ...

وبالرغم من الجهد الذي بذله الباحث في إنجاز هذا العمل، إلا أننا يمكن أن نسجل عليه

الملاحظات التالية:

<sup>1</sup> - عبد الحميد بورايو، قاموس التحليل السيميائي للنصوص، ( كلمة تقديم)، ص 07

<sup>2</sup> - روبرت ثاوليس، التفكير المستقيم والتفكير الأعوج، ترجمة: حسين سعيد الكرمي، مراجعة: صدقي عبد الله خطاب، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والأدب، الكويت، أغسطس، 1979م، ص101

1- لم يخل المؤلف من أخطاء في كتابة المصطلحات باللغة الإنجليزية، ومن ذلك ما نورده في

الجدول التالي:<sup>1</sup>

الصواب	الصفحة	المصطلح الخاطئ الوارد بالإنجليزية في القاموس
- Wanting	256	- Wating
- Narrative surface syntaxe	217	- Narrative syntax
- localization	98	
	148	
- Programme أو program	84	-Localisation
- Glossème		- Program
		- Glossem

2- لقد حوى القاموس العديد من الأخطاء حتى باللغة العربية، (بعضها يظهر أنه مطبعي) وهو

مأخذ آخر على المؤلف يفترض أنه قاموس ويتوجب في إعدادده الحرص الشديد على مسألة سلامة

اللغة، ومن أمثلة ذلك ما نوجزه في الجدول التالي:<sup>2</sup>

الصواب	الصفحة	الخطأ الوارد باللغة العربية
- تحيين	17	- تعيين ( خطأ مطبعي)
- الملاءمة	28	- الملائمة (بين المستوى السطحي والمستوى العميق)
- مشحونة	71	- مُشحنة بقيم جديدة
- تشيؤ أو تشييء	154	- تشييء
- جذورا	185	- ... غير أنّ لمصطلح السيميائية <u>جذور</u> عميقة

<sup>1</sup> - ينظر: يوسف وغليسي، في ظلال النصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية، ص 331-332

<sup>2</sup> - م.ن. ص 330-331

3- تناول الباحث 200 مادة اصطلاحية، منها 189 مادة مأخوذة من معجم (غريماس وكورتيس) بما يعني أنّ قاموس "رشيد بن مالك" استند على 94.5% من المعجم المذكور، وهو ما أقره الباحث ذاته، غير أنّ ما يؤخذ عليه هو أنه "مدين لقاموس غريماس بقسط مفهومي كبير، لا يتجاوز نصيبه - من خلاله- حد الترجمة المجتهدة؟ ويبدو ذلك بوضوح في بعض المواطن التي كانت تتيح له إمكانية التحرر من قبضة غريماس، إلاّ أنه فضّل الاستمرار في الولاء له"<sup>1</sup> و من ذلك :

أ- لجوءه إلى إيراد الأمثلة ذاتها في قاموس "غريماس"، حيث كان بإمكانه استبدالها وفق ما يتماشى مع البيئة العربية أو الجزائرية.

ب- نقله الحرفي عن "غريماس" وسقوطه حتى في الخلط بين الفعل والاسم، وما هو يورد مفهوم مادة "Thématique" بالشكل التالي:

" يفهم من الدور التيمي تمثيل موضوع أو مسار تيمي عاملي ( المسار " اصطاد" يمكن أن يختزل في دور الصيد)..."<sup>2</sup>

حيث استبدل الفعل ( اصطاد) بالاسم ( الصيد)؟

4- بالرغم من أن "رشيد بن مالك" نفسه عاين عن قرب ذلك الإضطراب المصطلحي لدى العرب المشتغلين على موضوع المصطلحية وعانى منه، بل أنه شخّص مظاهر هذه الفوضى كما أشرنا سابقا في ثلاثة مظاهر تجلت في:

- الترجمات العديدة للمصطلح الواحد .
  - الترجمة الواحدة لمصطلحين مختلفين .
  - الترجمتان المختلفتان للمصطلح الواحد لدى المترجم الواحد .
- إلاّ أنّ الباحث ذاته وقع في هذه الفوضى ومن أمثلة ذلك:

<sup>1</sup> - م.ن. 321-322

<sup>2</sup> - رشيد بن مالك، قاموس التحليل السيميائي للنصوص، ص 237

أ- إيراده ترجمات عديدة لمصطلح واحد كإيراده ترجمة مصطلح "manipulation" بـ "استعمال" في ( قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص - ص 102- ) وبـ " إيعاز" في ( مقدمة في السيميائية السردية - ص 34 و37)

ب- ترجم الباحث أيضا مصطلحين مختلفين ترجمة واحدة، ومن ذلك إيراده لمصطلح " الإضمار" تقابلا لمصطلح ( Ellipse ) ( ص 63 ) ولمصطلح ( Virtualisation ) ( ص 256).

5- لم يبذل الباحث جهدا كافيا في إيجاد المقابل العربي للعديد من المصطلحات، سالكا الطريقة الأسهل (التعريب) ومن ذلك مصطلحات: إيزوتوبي، موتيف، سيمنتيم، سيم، سيميد، سيميولوجا فقد كان بإمكانه مثلا، أن ينقل مصطلح " إيزوتوبيا " ( Isotopie ) إلى (التناظر) أو ( التشاكل)...<sup>1</sup> وبرغم كل هذه المآخذ، فقد قدم "رشيد بن مالك" جهدا علميا لا ينكره إلا جاحد في حقل علمي إتسم في سياقه التاريخي والعلمي آنذاك بالإضطراب مع قلة البحوث ذات التوجه الشكلائي السيميائي (الغريماسي)، وحسبه أن عُد قاموسه باكورة التأليف المصطلحي بهذا الحقل المغموم ومن الإجحاف بمكان أن نقل من جهده، بل إننا نأمل أن يكون لهذه الأعوام التي مرت على صدور هذا القاموس أثرها الإيجابي لإعادة المراجعة من قبل الباحث، في الكثير من الملاحظات التي سجلها العديد من الدارسين الذين تناولوا هذا المؤلف، حتى يصدر في طبعة لاحقة أكثر تنقيحا.

### 3- الترجمة عند "رشيد بن مالك":

فضلا عن التأخر الواضح في الترجمة السيميائية الغربية إلى القارئ العربي، فقد ظهرت أيضا مهزوزة الأفكار، بل ومتناقضة في الكثير من الأعمال، ما جعل المتلقي في حالة شك وحيرة وهو يحاول القبض على أهم معالم الوافد الفكري والنقدي الجديد، فكثيرا " ما ترد النصوص المترجمة بلغة عربية مفككة، يغلب عليها الغموض والتضارب في الأفكار والخلط بين المفاهيم، واستعمال

<sup>1</sup> - ينظر: يوسف وغليسي، في ظلال النصوص، ص 328



مصطلحية مضطربة لا يولي أصحابها في أثناء وضعها، أهمية إلى خطورة ما ينجر عنها من انعكاسات سلبية على البحوث النقدية العربية.<sup>1</sup>

فانقطاع التواصل العلمي بين الباحثين العرب، وأحيانا حتى بين باحثي البلد الواحد، وكذا غياب استراتيجية علمية مدروسة، من جملة الأسباب التي جعلت من ترجمة الخطاب النقدي المنجز في إطار السيميائية وتحديدًا في المنظور الغريماسي، كثيرا ما تسقط في التعميمية وجعلت أيضا من الصعوبة بمكان " فهم الخلفيات الحقيقية التي تقف وراء المعينات المنهجية والتضاربات المفهومية المهيمنة على عدد غير قليل من البحوث السيميائية العربية الراهنة"<sup>2</sup> وهو وضع لا يزيد القارئ العربي سوى مزيدا من الارتباك والإحباط، ويزيد أيضا من الهوة مع هذه الدراسات النقدية الجديدة.

وفيما يتضح تأخر ترجمة السيميائية في العالم العربي عموما، إلا أنه يبدو في المغرب العربي في وضع أفضل لأسباب تاريخية ولغوية وضرورات واقعية معروفة<sup>3</sup>، فلقد تميزت فترة الثمانينيات من القرن الماضي بتحليل الباحثين العرب الذين خاضوا في هذا المنهج الجديد بعض النصوص سيميائية، من خلال محاولات إسقاط آلياته التطبيقية، بداية من تحليل "علي العيشي"، للجزء الأول من كتاب (الأيام) ل"طه حسين" سنة 1976م، وانتهاء بقراءة "رشيد بن مالك" السيميائية لرواية (العشاء السفلي) للمغربي "محمد الشركي" سنة 1990م.<sup>4</sup>

للتجسس الأعمال العربية الفردية بعدها نحو ترجمة أصول ومفاهيم النظرية السيميائية، بداية من مؤلف (الخطاب السردي - نظرية غريماس - ) للتونسي "محمد الناصر العجمي" سنة 1990م، حيث يظهر جدول المقارنة التالي مدى التأخر الكبير في ترجمة أهم مؤلفات أصول السيميائية إلى اللغة العربية<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - آن إينو وآخرون، السيميائية: الأصول القواعد، التاريخ، ص 12

<sup>2</sup> - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، دار الحكمة، الجزائر، د. ط، 2001، ص 07

<sup>3</sup> - ينظر: آراء عابد الجرمان، اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان و منشورات الاختلاف الجزائر، ط 1

2012، ص 273-274

<sup>4</sup> - نشر رشيد بن مالك المقال في مجلة آفاق، ع 1، 1 يناير 1990م، المغرب

<sup>5</sup> - لعجال لكحل، المقاربة السيميائية عند رشيد بن مالك، مخطوط رسالة دكتوراه، ص 90

المؤلف	العنوان	سنة الصدور	سنة الترجمة العربية	الفرق بالسنة
أمبرتو إيكو	- القارئ في الحكاية	1979	1996	17
	- السيمياء وفلسفة اللغة	1989	2005	16
	- العلامة، تحليل المفهوم وتاريخه	1973	2007	34
غريماس و جاك فونتايني	سيمائية الأهواء	1991	2010	19
جوزيف كورتيس	مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية	1976	2007	31
بيروي لوتمان	سيمائية الكون	1984	2011	27
غريماس وكورتيس	المعجم المعقلن لنظرية الكلام	1979	لا ترجمة عربية له	؟

وتأتي ترجمات "رشيد بن مالك" باعتبارها امتدادا طبيعيا لمشروعه النقدي، حيث اشتغل في أغلب أعماله على مسألة ترجمة الأصول العملية للنظرية السيميائية السردية، إيماناً منه بمساق التأسيس والتعريف بسيمائية مدرسة باريس وأعلامها ومفاهيمها ومنظومتها المصطلحية، في الكشف عن الخلفية التاريخية والإبستمولوجية لهذه المدرسة، بعد أن لاحظ افتقار المكتبة العربية إلى هذه "الخلفية التاريخية- لهذا التيار، والحقول المعرفية المتنوعة التي سخرها "غريماس" في مساره العلمي لتأسيس النظرية السيميائية"<sup>1</sup> من جهة، وإلى الفوضى الترجمة المضللة الحاصلة في هذا المجال من جهة ثانية كما سبق وأن أشرنا إليه .

فقد إتكا "رشيد بن مالك" على مقومات كفاءة لسانه المزدوج (العربي والفرنسي)، ونهله للسيمائية من منظريها أنفسهم، بحكم دراسته بجامعة السوربون بباريس (كغريماس، جان كلود كوكي بيرنار بوت، آن إينو...)، ومعايشته المستمرة للمشتغلين عليها (عبد الحميد بورايو، عز الدين المناصرة...)، فضلا عن ممارسته تدريس هذا التيار النقدي لفترة طويلة، وهو ما أكسبه خبرة واسعة

<sup>1</sup> - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص 54

بهذه المدرسة حتى عدّه السيميائي المغربي "سعيد بن كراد" أفضل باحث عمل يجد على استيعاب المفاهيم السيميائية المتعلقة بمدرسة باريس<sup>1</sup>.

فقد راكم عددا مهما من الترجمات المتنوعة ( كتب مستقلة، ترجمات مجتزأة، سير أعلام سيميائية مدرسة باريس ) ومن هذه الترجمات :

كتاب السيميائية: ( الأصول، القواعد، التاريخ )، السيميائية (مدرسة باريس)، السيميائية (أصولها وقواعدها)، مقدمة في السيميائية السردية، البنية السردية في النظرية السيميائية، ألجيرداس جوليان كرىماس ( سيرة ومسار)، رهانات السيميائية، السيميائية السردية، من المعجميات إلى السيميائيات.

حيث استقراء عاما لهذه المنجزات الترجمة يقودنا إلى إبداء الملاحظات التالية:

1- يتنزل كل منجزه الترجمي ضمن التوجه النقدي السيميائي السردى - الغرىماسي- تحديدا وهو توجه بقدر ما يجعل من الباحث على اطلاع واسع بهذا المنهج، بقدر ما يحصره في زاوية دوغمائية ضيقة لا ترى إفادة قرائية للنص سوى بآليات هذا المنهج.

2- معظم خياراته الترجمة تتجه نحو مسألة التأسيس والتأصيل، بعدما لاحظ " افتقاد القارئ العربي إلى المرجعية التاريخية لهذه البحوث، وافتقاره إلى الأرضيات البحثية التي انطلقت منها، والتيارات العلمية التي مهدت لظهورها"<sup>2</sup>، وهو بذلك يساهم في بعض حلول إشكاليات الباحثين في تلقي النظرية السيميائية السردية من جهة، وإيمانه بأن تبليغ هذه المعرفة السيميائية يجب أن يكون من مصدرها من جهة أخرى، وهو بذلك "لا يقنع بما هو سطحي، ولا يكفي بنتيجة علمية إلا بعد التحقق من سلامة فرضيتها، وصحة التفكير الذي أفضى إليها"<sup>3</sup>، فضلا على أنّ منجزه الترجمي تميز بالإستمرارية والتراكمية وهو ما يخدم مشروعه الذي لا يزال مستمرا، رابطا بذلك ما مضى من بحوث في الأسس الإبستمولوجية للسيميائية السردية براهنتها.

<sup>1</sup> - ينظر: حوار الكتروني مع سعيد بن كراد بتاريخ 04/11/2015م، لعجال لكحل، المقاربة السيميائية عند رشيد بن مالك، ص 97

<sup>2</sup> - ميشال آرفيه وآخرون، السيميائية: أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، ص 07

<sup>3</sup> - رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ص 16

3- لقد حرص "رشيد بن مالك" في معظم منجزاته الترجيحية، على الإستعانة بأكاديميين عرب أو حتى أجنب في عملية المراجعة والتقديم " لتفادي الإنزلاق الدلالي الذي كثيرا ما يحترفه المترجم"<sup>1</sup>، حيث سعى إلى التروي والتحري، إيمانا منه بأنّ " المراجع أو المترجم الذي اكتسب خبرة واسعة متنوعة ومتدرجة، تفيده في إنتاج نص نهائي قابل للنشر، بحيث يكون خاليا من الأخطاء بسيطها وفادحها"<sup>2</sup> الأمر الذي جعل أعماله تستغرق وقتا طويلا قبل أن ترى النشر. ومن نماذج تأخره في نشر أعماله نصه الموسوم "بالسينمائية الأدبية" إذ يقول بشأنه: "... ولم أفكر في نشرها في تلك الفترة، لأنني كنت أشعر أنّ شيئا ما ينقصها، وبعد مرور عقد من الزمن عدت إليها، فأعدت قرائتها من جديد، وأجريت عليها من التعديلات ما كنت أراه مناسباً"<sup>3</sup>

وقد اعتمد الباحث في الكثير من الأحيان على رواد الفكر السيميائي، وتعلم منهم ميزة الصبر والتحري والمراجعة المستمرة قبل النشر، ومن أمثلة ذلك اتفاهه مع "آن إينو" لترجمة كتابها (Histoire de la sémiotique)، إذ يصرح في مقدمة ترجمته لهذا المؤلف: "... وكثيرا ما كنت أطلب منها توضيحات، فكانت تصوغ إجابات مستفيضة وتطلب مني أحيانا أن أمهلها بعض الوقت للتدقيق في مسألة بعينها"<sup>4</sup>، وهو في كل ذلك يتقبل كل ملاحظات هؤلاء المراجعين ويفيد منها، كما أوضح ذلك عندما شارك صديقيه المترجمين "عبد الحميد بورايو" و "بوزيدة عبد القادر" قضايا الترجمة التي يطرحها كتاب (تاريخ السيميائية)<sup>5</sup>، الذي قدّمت له "آن إينو".

4- إنّ القيمة العلمية للمنجز الترجمي لـ"رشيد بن مالك" لا تتبدى للمتلقّي من خلال عمليات المراجعة والتقديم والتريث في النشر بعد استواء العمل فقط، بل تكمن أيضا في " تلك الإحالات

<sup>1</sup> - قادة مبروك، في الترجمة الأدبية، دراسة تطبيقية، ابن الندم للنشر والتوزيع، الجزائر، ودار الروافد الثقافية، لبنان، ط1، ص 21-22

<sup>2</sup> - محمد الديداوي، منهاج المترجم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط1، 2005، ص 48

<sup>3</sup> - آن إينو وآخرون، السيميائية، (الأصول، القواعد، التاريخ) ص 07-08

<sup>4</sup> - م.ن، ص 10

<sup>5</sup> - ينظر، م.ن، ص 09-10-11

والتوضيحات التي غالبا ما يذلل بها ترجماته، والتي تسلط الضوء على كثير من القضايا التي يستغلق فهمها في المتن، خدمة للقارئ وللبحث العلمي بصفة عامة<sup>1</sup>.

#### 4- المقاربة السيميائية عند "رشيد بن مالك" :

بعد تطرقنا إلى (روافد التجربة السيميائية، المصطلح النقدي السيميائي والترجمة السيميائية) للباحث في النقاط السابقة، جديرٌ بنا أن نقارب في هذا المبحث رؤيته النقدية السيميائية، من خلال ربطها بالبحث السابق من جهة، ومن خلال محاولة التعرّيج على أهم محطاتها من جهة أخرى، بداية من محاولة تشخيص الواقع الأكاديمي والعلمي للمنهج السيميائي في الجزائر والوطن العربي خلال بدايات تلقيه، مروراً باستراتيجيته العلمية، وانتهاءً بالرؤية المنهجية التي اتبعها في مقارنته لهذا المنهج .

لقد كانت الأجواء العلمية السائدة في بداية ثمانينيات القرن الماضي في الجزائر وبالوطن العربي عموماً، غير مهيأة لتلقي القيم الحداثية الجديدة، في ظل رفضها المطلق من قبل المدرسة النقدية الكلاسيكية حيث يوصف "رشيد بن مالك" الوضع بقوله: "كنا نتسرع في الحكم على هذا الشاعر أو ذاك ونرفض من واقع افتقارنا إلى أدبيات الحوار، كل رأي مخالف لقناعتنا"<sup>2</sup>، حيث تخنيط العقل والقوالب النقدية الجاهزة والأحكام المعيارية، ورفض تام لكل حدثي غربي باعتباره شرّاً لا بد من الحذر منه.

إنه الواقع العلمي البائس، الذي لم يقرأ فيه الناقد " في الجامعة الجزائرية من اللسانيات سوى بعض الأسماء، ونادراً ما كانت تقدم- لنا- نظريات اللسانيين وبشكل مضطرب"<sup>3</sup>، والواقع أن الوضع العلمي والأكاديمي العربي، لم يمكن أفضل حال في ظل "المطبات الإبيستمية التي أعاققت استساغتها وتمثلها، على نحوٍ يضمن تقديم الإضافات النوعية المطلوبة، والصعوبات الناجمة عن التواصل بين الباحثين العرب"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص 120

<sup>2</sup> - أن إينو وأخرون، السيميائية، (الأصول، القواعد، التاريخ)، ص 17

<sup>3</sup> - م.ن، ص 78

<sup>4</sup> - رشيد بن مالك، تجرّبي في مشروع ترجمة " القاموس المعقلن في نظرية اللغة"، ص 87

هذه الصورة السوداوية، تقابلها صورة مضيئة مغايرة تماما، لدى تنقل الباحث لمواصلة دراسته لتحضير الدكتوراه بفرنسا، حيث تضحيات الأساتذة " والحركة الملحوظة في قاعات المحاضرات سواء في جامعة السوربون، أو المدرسة التطبيقية في الدراسات العليا، تجعلك تدرك إدراكا تاما أن سُلّم القيم يجري مجرى طبيعيا، نظام يشغل...عكس ماهو جارٍ عندنا... " <sup>1</sup>.

فقد عايش الباحث عن قرب، تلك الحوارات والمناقشات العميقة، بالحلقات العلمية التي كان يلقيها "غريماس" و"كورتيس" و"كلود بريمون" و"جيرار جنيت" و"جمال الدين بن شيخ"...بمختلف الفضاءات العلمية والثقافية، " ولم يكن من السهل على باحث عربي متمدرس في الدراسات التقليدية أن يستسيغ بسرعة الرهانات البحثية لكل هذه التيارات النقدية، ولا الفروق الجوهرية القائمة بينها.. " <sup>2</sup>، والتي لا تحتكم سوى للعقل بعيدا عن المعياري والجاهز، ليحد "رشيد بن مالك" نفسه بذلك وجها لوجه قبالة فكر جديد ومناهج نقدية حديثة وغير معهودة على العقل العربي .

لقد سعى الباحث منذ البداية، من خلال مشروعه النقدي السيميائي في الجزائر إلى " تأسيس منهج في قراءة النظريات الغربية، التي ظلت في العالم العربي تُقرأ مجتزأة، تقدم غالبا مفصولة عن إطارها المعرفي وسياقها وتدرجها التكويني، مما جعلها تخرج في كثير من الأحيان عن أهدافها المنشودة " <sup>3</sup> محاولا الإفادة من تلك التناقضات والتأويلات المهزوزة، التي انجرت بفعل التعامل الخاطيء مع النظريات النقدية الغربية، والتي قُدمت للقارئ العربي مفصولة عن بُناها التحتية، وهو ما أفرز تداعيات سلبية في تلقي مفاهيم هذه النظريات، وعلى الممارسة التطبيقية على حد سواء.

ولتحقيق أهداف مشروعه البحثي، استعان على التواصل مع رواد مدرسة باريس السيميائية (كوكي ، إينو...) وسعى للعمل الجماعي مع المشتغلين على المنهج السيميائي، كما فعل لدى تأسيسه بمعية باحثين جزائريين آخرين " رابطة السيميائيين الجزائريين " <sup>4</sup> \*.

<sup>1</sup> - آن إنيو وآخرون، السيميائية، (الأصول، القواعد، التاريخ)، ص 19

<sup>2</sup> - رشيد بن مالك، تجرّبي في مشروع ترجمة "القاموس المعقلن في نظرية اللغة"، ص 88

<sup>3</sup> - عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، ص 191

<sup>4</sup> \* - تأسست في جامعة سطيف في ماي 1996م، برئاسة عبد الحميد بورايو ومن أعضائها: جمال حضري، حسين خمري السعيد بوطاجين ، يوسف الأطرش ورشيد بن مالك، ومن أهدافها : لم تشمل السيميائيين الجزائريين، ربط الصلة بسيميائي مختلف أنحاء العالم، خلق قنوات الحوار، تشجيع وترجمة

وقد عمل من خلال رؤيته تلك، في إطار المشروع النقدي السيميائي ذي التوجه - الغريماسي - الذي ظل مؤمنا به ومخلصا له، إلى استثمار المعطيات النظرية والإجرائية لهذا المنهج بغية " تأسيس معرفة نقدية متينة في التجربة العربية النقدية، يكون بمقدورها تجديد نظرة نقاد العرب إلى النص الأدبي وفهم بعض آليات اشتغاله"<sup>1</sup>، بعد ما لاحظ غياب استراتيجية عمل عربية جماعية واضحة الرؤية من جهة، وهيمنة الجهود الفردية التي لا تساعد على ترقية البحث العلمي، بل وتحاول القفز على إنجازات سابقة مهّدت لظهور السيميائيات (بحوث لسانية وبنوية) من جهة أخرى، فهو يرى صعوبة تقدم البحث " ما لم تشكل فرق بحث في اللسانيات والسيميائيات لتلتفت إلى هذه الانجازات، وتضع خطاباتها تحت المجهر النقدي، وتعاين مواطن قوتها وضعفها، وتمسك بالنسق الإبستمولوجي العام الذي حامت حوله"<sup>2</sup>.

إنها رؤية باحث عايش عن قرب مسارات البحث السيميائي في الضفتين (العربية والغربية) ووجد البون شاسعا بينهما، ففي الوقت الذي يتسم فيه البحث العربي بكل أشكال التشتت والضياع والضبابية، يرى في الآخر الغربي كل مظاهر احترام وتمثل مساقات هذا البحث، بداية من القبض على النقاط المعلمية الكبرى والمحطات الأساسية التي مرّ عبرها، فهو يؤكد أنّ المشروع السيميائي لم يأت طفرة واحدة، بل أنّ " الجهود التي بُذلت مرّت عبر مخاضٍ عسيرٍ، وتعد محصلة طبيعة لتجارب عديدة للمشكلات المطروحة"<sup>3</sup>، لذلك فهو يدعو وبإلحاح إلى ضرورة البحث في الإطار الجماعي العربي وله في تجربة المسار البحثي العلمي لـ "غريماس" الأنموذج الأمثل، فالمتتبع لمساره - غريماس - يدرك إدراكا تاماً أنّ السيميائية، هي المحصلة الطبيعية لتجارب عديدة في البحث المتواصل، إذ تُعبّر كل تجربة عن مسارٍ علميٍّ لا تُحقق فيه قيمٌ، إلاّ ويُعاد النظر في قيمٍ أخرى، عبر التحري عن البديل للإشكاليات

المفاهيم والأبحاث المتعلقة بالخلفية الإبستمولوجية والتاريخية للنظرية السيميائية، توفير الوثائق والنشريات المتعلقة بالسيميائيات ونشر وتوزيع الدراسات والأبحاث النظرية والتطبيقية، وقد حلّت هذه الرابطة تلقائيا في ظل عدم الحصول على اعتمادها، ( ينظر: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص 09)

<sup>1</sup> - قادة عقاق، سيمياء النص السردي في النقد الجزائري المعاصر، بحوث سيميائية، ع 3 و4، جوان، ديسمبر 2007، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، ص 255

<sup>2</sup> - رشيد بن مالك، تجرّبي في مشروع ترجمة " القاموس المعقلن في اللغة "

<sup>3</sup> - م.ن

المطروحة، وذلك من خلال الحوار المؤسّس والبحوث الجماعية المتواصلة والقناعات الراسخة المبنية على ضرورة التخلّي عن المسار العلمي، كلما تبين أنه يفتقر إلى الحجّة والبرهان.<sup>1</sup> وهي نفس الرؤية، التي يقاسمها إياه السيميائي المغربي "سعيد بنكراد"، الذي وصل إلى هذه القناعة بعد تجربة كبيرة له مع البحث السيميائي، متقاربة في مساراتها مع تلك التي عايشها "رشيد بن مالك" فهو يرى بدوره أنّ "التأسيس للمشروع العلمي مرهونٌ سلفاً بتحويله إلى موضوع تحرّ جماعي"<sup>2</sup>، بالإضافة إلى ضرورة مدّ جسور التواصل مع الأكاديميين الجادّين المشتغلين على السيميائية السردية الغريمانية، وإيمانه بوجوب إنجاز المشروع النقدي العربي، في أطرٍ جماعية منظمّة، يدرك "رشيد بن مالك" أيضاً أنّ من أولوياته التعامل مع الأمر بتفكير علمي، حيث يقول "وجب التفكير في ضرورة إدماج وتكثيف بعض المعارف العلمية في الشعب الأدبية، وخلق قنوات تواصل تضمن تنظيم المعرفة، داخل المؤسسة العلمية."<sup>3</sup>

فقد عايش الباحث منظومةً علميةً متّسمةً بالتقليد والجمود وغياب روح الإبداع والنقاش والانفتاح على العلوم الأخرى، وهو الذي وجد نفسه ذات يوم لما انتقل لمواصلة دراسته بالسوربون عاجزاً عن تلقي تلك المعرفة العلمية المبسطة ولكنها عميقة الفكر، مؤكداً بأنه لم يكن يملك "من المقدرة على تلقي هذه المعرفة الغزيرة ذات الأصول الفكرية المتنوعة من منطق ورياضيات ولسانيات وفيزياء وكيمياء"<sup>4</sup>، فالسيميائيات السردية كما عُرفت لدى "غريماس" وأتباعه "معروفة بتنوع أصولها المعرفية، وغنى جهازها النظري، ووفرّتها المصطلحية"<sup>5</sup>، فضلاً عن اعتمادها الصيغ الرمزية كآلية تحوّل وظّفها "غريماس" في أثناء تحليله للنصوص، ولدى انتقاله من حال إلى حال "متمثلة في أشكال

1- جان كلود كوكي، السيميائية - مدرسة باريس - ، ص8-9

2- سعيد بن كراد ، مدخل إلى السيميائيات السردية، تينمل للطباعة والنشر ، مراكش، المغرب، د.ط، 1994، ص05

3- رشيد بن مالك، قاموس التحليل السيميائي للنصوص، ص12

4- آن أنيو وآخرون، السيميائية: (الأصول ، القواعد، والتاريخ ) ، ص17

5- سعيد بن كراد، السيميائيات السردية، ص08



وترسيمات وجداول، استعان بها في محاولة ضبط دلالة النص والإمساك بجوهره، من أجل الكشف عن ميكانيزمات اشتغال المعنى وأشكال تجليه .<sup>1</sup>

وفي ظل غياب إستراتيجية عمل جماعية عربية، محاكاة لما حدث مع "غريماس" وفريقه لدى تأسيسهم لمدرسة باريس السيميائية كما كان يأمل "رشيد بن مالك"، إتخذ الباحث لنفسه مشروعاً نقدياً خاصاً، متكئاً في ذلك على فكرة التواصل الإيجابي ( تقديماً ومراجعة ومشاركة ) مع المشتغلين الجادين على السيميائية السردية ذات التوجه الغريمائي، معتقداً بأن مشروعه العلمي سيلقى الإقبال والحفاوة يوماً ما<sup>2</sup>، وقد سعى إلى إرساء هذا المشروع، من خلال عمله على أربعة مستويات خطافية\*:

### المستوى الأول (خطاب التأسيس والتأصيل):

هو خطاب ذو نزعة تأصيلية، يهدف إلى وضع الأصول المعرفية و الخلفية الفلسفية والتاريخية لأي نموذج نقدي، حيث استيعاب هذه الأصول ومساءلة أبعادها الإستمولوجية " هو وحده السبيل إلى إغناء معرفتنا بأنفسنا ومعرفتنا بالآخر، فما يأتينا ليس مجرد مفاهيم عارية من أي غطاء حضاري، بل هي نماذج معرفية تخفي داخلها نمط الحياة والموت وإنتاج القيم، فهي تقدم نفسها على أساس أنها نموذج في تحليل النصوص السردية، إلا أنها تعد في الواقع فلسفة في المعنى"<sup>3</sup>.

و"رشيد بن مالك" من الذين نبّهوا إلى أهمية التعريف بأصول المنهج السيميائي، خاصة لما لاحظ وجود نقص كبير في هذا المنجز بالمكتبة العربية حيث " هذه العملية ضرورية وكفيلة بتوجيه القارئ نحو أصولها مباشرة، إذ بدونها سيجد لامحالة مشقة كبيرة في استساغة هذه النصوص السيميائية، التي تكاد تكون معقدة في قرائتها حتى على المتخصصين"

<sup>1</sup> - سعيد يقطين، نظريات السرد وموضوعها في المصطلح السردية، مجلة علامات ، ع6، مكناس، المغرب، 1996، ص70

<sup>2</sup> - ينظر: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص ، ص10-10

\* اتكأنا في تصنيفنا لمستويات تلقي النظرية السيميائية(الغريمائية) على الفكرة التصنيفية للناقد المغربي محمد الدغمومي التي أوردتها في كتابه "نقد النقد وتنظيرات النقد العربي المعاصر"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، الرباط، المغرب، ط1، 1999

<sup>3</sup> - سعيد بن كراد، السيميائيات السردية، مدخل نظري، ص 05

فتبيان النقاط المعلمية الأساسية للبحث السيميائي المعاصر ذي التوجه الغريماسي، وتحريض القارئ العربي على النظر بعمق في الآليات التي تحكم النصوص السردية وفي السبل الكفيلة بتطويق المسارات الدلالية الممكنة للنصوص، لا يتأتى ذلك - للقارئ - إلا بتبيين الأصول الشكلائية واللسانية للنظرية السيميائية، في سبيل الكشف عن التيارات البحثية التي كان لها عميق الأثر في تأصيل قواعد البحث العلمي، وتقوية الحس المنهجي في الممارسة النقدية، وبناء المصطلحية المعتمدة في التحليل السيميائي للنصوص<sup>1</sup>، ومن أعمال الباحث التي تناولت هذا المستوى (التأصيلي التأسيسي) - جزئياً أو كلياً -: السيمائية (أصولها وقواعدها)، مقدمة في السيمائية السردية السيميائية : (الأصول، القواعد والتاريخ)، السيمائية (مدرسة باريس)، ألجيرداس جوليان كرىماس (سيرة ومسار)

### المستوى الثاني (خطاب الترجمة والتعريب):

وهو خطاب يمثل إمتداداً لمساق خطاب التأسيس والتأصيل، إذ اختيارات "رشيد بن مالك" الترجمة للعديد من النصوص الأجنبية، كان بغرض كشف تلك الخلفية الإستمولوجية والتاريخية لمدرسة باريس السيميائية، وكذا التعريف بأعلامها ومنجزاتهم، بما يضمن توجيه القارئ نحو النصوص التي كان لها عميق الأثر في ترقية البحث السيميائي، وقد راكم الباحث (كما أشرنا إلى ذلك في مبحث الترجمة) مجموعة من الترجمات (كتب أو نصوص مجترأة) تخدم هذا المستوى .

### المستوى الثالث (خطاب التأليف القاموسي)\* :

إنّ سعي الناقد للإحاطة بالدرس السيميائي ذي التوجه الغريماسي من جميع جوانبه، حملة على فكرة التأليف القاموسي، بعدما لاحظ عن كتب تلك الفوضى المصطلحية لدى الباحثين العرب المشتغلين على الحقل النقدي المصطلحي - السيميائي - كما كنا قد أشرنا، وتأتي أهمية توجه الباحث إلى التأليف في هذا الحقل (قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص) كون السيمائية السردية تعد من أغنى المناهج والتيارات النقدية مصطلحياً، بل أن قيامها لا يقوم إلاّ بجهازها المصطلحي.

<sup>1</sup> - ينظر: رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص 07

\* نقصد بـخطاب التأليف القاموسي، التأليف المعجمي الكامل أو شبه الكامل في نظرية ما، كما فعل "رشيد بن مالك" مع مؤلفه (قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص)

## المستوى الرابع ( خطاب الممارسة التطبيقية ) :

تعد عملية إسقاط آليات المنهج السيميائي الغريماسي على العديد من النصوص العربية السردية (حديثاً وقديماً)، المستوى الأخير في المقاربة النقدية لـ "رشيد بن مالك"، ومن خلاله عمد على توضيح هذه الآليات التطبيقية، مع مراعاة الخصوصيات المحلية من جهة<sup>1</sup>، وإخلاصه في الإشتغال على النص السردى دون غيره من الأجناس الأدبية الأخرى من جهة أخرى<sup>2</sup>، ومن هذه النصوص التي حلّلتها سيميائياً نذكر: كليلة ودمنة لـ "عبد الله بن المقفع"، نوار اللوز لـ "واسيني الأعرج" عواصف جزيرة الطيور لـ "جليالي خلاص"، قصة عائشة لـ "أحمد رضا حوحو"، رواية الصحن لـ "سميحة خريس"، إغاثة الأمة بكشف الغمّة لـ "المقرئزي"، ربح الجنوب لـ "عبد الحميد بن هدوقة".

حيث صاغ مشروعه النقدي وفق ترسيمة التيار السيميائي الغريماسي ومقولاته المقتفية لمسألة المعنى وإنتاجها، محاولاً كل مرة البرهنة على أهميته المشروع، من خلال سعيه الجاد للإستيعاب الشامل لأصول النظرية السيميائية وقواعدها - مدرسة باريس - وتنزيل آلياتها التطبيقية، على العديد من النصوص السردية العربية التي اشتغل عليها.

وبالرغم من تجاهله للمنجز النقدي العربي التقليدي، منذ ظهور الإرهاصات العربية الأولى في البحوث البنيوية ثم السيميائية، إلا أنّ الباحث ربط ذلك التحول المنتج لقراءات نقدية موضوعية بالامتثال للإنجازات السيميائية الأوربية، لكنه في الآن ذاته تجاهل أيضاً استناد المشروع السيميائي الغربي، إلى فلسفة لها من الخصوصية ما يميزها عن طبيعة البنية الإيديولوجية العربية، فهل سعى الباحث إلى تبيان قدرة سيميائية "غريماس" لاستنطاق المتون السردية بتنوعاتها واختلاف مشاربها وفهم تشكلاتها الدلالية، وأخذ في الحسبان علاقة هذا التشكل بما هو في جمالي من جهة، وما هو اجتماعي إيديولوجي من جهة أخرى؟.

إنّ طموح "رشيد بن مالك" في تمثّل نظرية "غريماس"، واستثمار مقولاتها إجرائياً على نصوص سردية صرفة " لا يكاد يتجاوز مسألة الارتكان لمقولات تنظرية ذات خلفيات إبستمولوجية غربية

<sup>1</sup> - ينظر: رشيد بن مالك السيميائيات السردية، ص 26

<sup>2</sup> - ينظر: محمد فليح الجبوري، الإتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص 191

وهو إذ ذاك فإنه يكسب سمة إعادة الآخر، وإسقاطه على أدب له من الخصوصية ما تبعده عن الآخر (الغربي)<sup>1</sup>، وهو رأي عددٍ غير قليلٍ من المتابعين الدارسين للمسار النقدي للباحث. فالإجراءات التطبيقية المبدعة والخلاقة البعيدة عن السديمية الآلية والرقابة والانغلاق وحدها التي تحلل الإبداع الأدبي بجماليته وخصوصية الفنية، إذ لا يمكننا الرهان على "مسألة تقديم المنهج عن النص التي تعد إحدى أهم العوامل المنهجية التي يمثلها رشيد بن مالك في خطابه السيميائي"<sup>2</sup>، وربما يزداد الأمر أكثر تطرفاً لما نلّفني الباحث لا يحيد عن دوغمائية المنهج النقدي الواحد، ممثلاً في طروحات "غريماس" والإشادة به، الذي قاد حسبه بإصداره الدلالية البنيوية إنجازاً مهماً، بلور فيه للمرة الأولى نظرية تركيبية ودلالية للصعيد العبر الجملي، الخطاب...<sup>3</sup>، فيما يرى نفسه - بن مالك - في اختياره لهذا التوجه النقدي مبرراً لتجنب الوقوع في فخ الانتقائية أو التفليق.

لقد تبدت العديد من الأفكار السيميائية الجديدة على النظرية الغريماشية نفسها، معدلة بذلك بعض مقولاتها التي كانت إلى وقت قريب من الثابت، وقد عمد الباحث نفسه إلى مرافقة هذه التحولات، التي وقف عليها تلامذة "غريماس" ومشيعيه، ليبدو المنهج بذلك أكثر انفتاحاً، فهل تبوّى "رشيد بن مالك" هذا الانفتاح على المستوى الإجرائي؟ وهل تتبعت قراءاته التطبيقية مسارات ذلك التحول؟ ذلك ما سنحاول استقراءه من خلال تناولنا لمقاربة تطبيقية للباحث.

##### 5- المقاربة السيميائية التطبيقية (قصة عائشة أنموذجاً):

لعل المقام لا يسمح بتناول أكثر من عمل واحد فاخترنا قصة قصيرة واحدة، ذلك أن تطبيق المنهج السيميائي على عمل بحجم رواية يحتاج إلى زمن طويل ومساحة عمل كبيرة من جهة، كما أنّ "غريماس" نفسه لم يطبق منهجه "على رواية شاسعة الأطراف، بل طبّقه على مقطّفات من الخطاب الديني وبعض الأساطير والقصص القصيرة"<sup>4</sup>، بالرغم من أنّ "رشيد بن مالك" لا يشاطر صاحب

<sup>1</sup> - سعد بن سنوسي، السيرورة السيميائية ومشروع الدلالات المفتوحة، ص 182

<sup>2</sup> - م . ن، ص 183

<sup>3</sup> - رشيد بن مالك، البحث السيميائي المعاصر، الواقع والآفاق، مجلة بحوث سيميائية، مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي جامعة تلمسان ومركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، مطبعة النخلة، ع 07-08، 2010-2011، ص 15

<sup>4</sup> - محمد مفتاح، التحليل السيميائي، أبعاده وأدواته، مجلة دراسات سيميائية لسانية، ع 1، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب 1987، ص 14

هذا الرأي (محمد مفتاح) معتقدا أنّ عملا بحجم كبير مثل نص المدينة (la ville) لـ "بول كلوديل" (p.claudel) لم يشر له، معزيا ذلك إلى تعقيده لدرجة أنه حيرّ كاتبها بحجم مالارمي (mallarme)<sup>1</sup> وقد اخترنا قصة "عائشة"<sup>2</sup>، لـ أحمد رضا حوحو<sup>3</sup>، لاعتبارين متعلقين بالمكان (كاتب القصة من الجزائر) والزمان، (بعد تجربة للباحث قاربت العشرية من الزمن، حيث المقاربة نشرت سنة 2000 بمؤلف "مقدمة في السيميائية السرديّة").

### 5-1- ملخص القصة:

بطلة القصة فتاة جزائرية تدعى "عائشة" تعيش، في مجتمع محافظ بل مظلم بتعبير الكاتب فقدت فيه المرأة منذ عهد قديم كل حقوقها الإنسانية.

فعائشة لم تتخرج من أية مدرسة، بل ولم تتلق أية تربية أو تنشأة خاصة، وهو ماجعلها تخضع لإدارة مجتمع ذكوري لا يؤمن بتاتا بكينونتها، فهي بذلك كائن لا قيمة له، بل يعد أذنه حتى من الحيوانات التي يملكها والدها، وبينما تألف بطلة القصة وضعها الاجتماعي وتركن إلى قدرها المحتوم يظهر في حياتها شابٌ قدم من أوروبا إلى قريتها، فيستغل جهلها وتخلفها، ويتلاعب بمشاعرها من خلال أناقته، ومعسول كلامه المتمحور حول حياة بنات أوروبا وتحررهن، لتنتهي هذه العلاقة بمتك عرضها، وإقفال الشاب عائدا نحو المهجر الأوروبي من جديد، لتجد الفتاة نفسها مضطرة للسفر إلى المدينة وممارسة البغاء وتعاطي المخدرات، لكن وضعها ذاك لم يدم طويلا، بعد عزمها على التحرر من جديد من هذا الوضع المتعفن فتقرر تغييره، حيث نجحت في الحصول على عمل كخادمة بفندق، ثم توفق لاحقا للزواج والعيش الكريم.

<sup>1</sup> - ينظر، رشيد بن مالك، السيميائية بين التنظير والتطبيق، مخطوط رسالة دكتوراه دوله، ص 05

<sup>2</sup> - أحمد رضا حوحو، عادة أم القرى وقصص أخرى، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د.ط، الجزائر، 1989.

<sup>3</sup> \* - كاتب جزائري ولد بقرية سيدي عقبة ببسكرة سنة 1911م، انقطع عن الدراسة بعد نيله الشهادة الابتدائية لينتقل سنة 1934م، إلى الحجاز لمواصلة دراسته، وهناك أصدر أول مقالة بمجلة "الرابطة العربية" بعنوان "الطرقية في خدمة الاستعمار" سنة 1937 م ليواصل النشر بمجلة "المنهل" بعد ذلك، وبعد عودته إلى الجزائر سنة 1946 م، انضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث عين مديرا لمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، ثم كاتباً عاما بمعهد عبد الحميد بن باديس سنة 1947م والذي ظل يشغله إلى أن استشهد سنة 1956.

## 5-2- المقاربة السيميائية للقصة :

لقد حاول "رشيد بن مالك" من خلال مقارنته السيميائية لقصة "عائشة" الإحاطة بمختلف دلالات هذا النص، متكئاً على مقولات النظرية السيميائية (مدرسة باريس) ساعياً إلى ضبط الدورة الدلالية من خلال استجلاء العناصر السردية حسب ظهورها وتحديد الحالات والتحويلات التي تحكم بنية الخطاب السردية، حيث لا تتم هذه العملية في نظر "غريغاس" إلا باستقراء الدلالة وتفجير الخطاب وتفكيك الوحدات المكونة له التي تسفر بدورها عن حصيلة دلالية هيكلية من خلال إعادة بنائها وفق جهاز نظري منسق التأليف<sup>1</sup>.

فإذا كانت هذه الحالات والتحويلات قائمة على أساس علاقة الفاعل بالموضوع وتحويل هذه العلاقة، فإن الناقد أصبح يقارب النص محل الدراسة باعتباره شبكة من العلاقات القابلة للتحليل وهو ما يسمح له بالاشتغال على مستويين متكاملين للنص السردية، ففيما يُعنى المستوى الأول بالحكي الجزئي، ويعتمد على تقطيع النص إلى مقطوعات سردية وهي "وحدة خطابية تجري مجرى القصة القصيرة"<sup>2</sup>، ينهض المستوي الثاني إلى تسليم النص السردية ككل، حيث الإهتمام بالحكي الكلي .

وبعد أن يفصل في التعريف بالعناصر السردية، من ملفوظ الحالة التي تُظهر علاقة الفاعل بالموضوع (فصلي أو وصلي)، وملفوظ الفعل الذي يعكس التحويلات التي يحدثها الفاعل المنفذ للدخول في وصلة بموضوع القيمة (تحويل وصلي وتحويل فصلي)، يقوم بتقطيع نص القصة إلى خطابين: خطاب موضوعي وخطاب سردي .

حيث سُمي المقطوعة الأولى ( بالخطاب الموضوعي )، وتناوله من خلال تقديمه لوصف الراوي لواقع المرأة في المجتمع الجزائري، حيث اعتبره واقعا مظلما يقصي المرأة ويشيئها، حيث بطلت القصة (عائشة)

<sup>1</sup> - ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية ، ص72

<sup>2</sup> - م. ن. ص73

تعيش في مجتمع أبوي قهري يمنعها من امتلاك المعرفة التي " تعد السبيل الوحيد الذي يضمن ممارسة حقها الطبيعي في القول والفعل " <sup>1</sup>.

ويعرف هذا المجتمع المرأة الجزائرية ممثلة في (عائشة)، بأنها " كائنٌ تافهٌ لا مسؤولية لها في الحياة " <sup>2</sup> وأنها " لا تعرف التطور ولا التغيير... لم تتخرج من مدرسة لا شرقية ولا غربية، ولم تتلق أي تربية خاصة أو نشأة معينة " <sup>3</sup>، فالجهل الذي تحياه في مجتمع محافظ بل ومتخلف، جعلها تستسلم لقدرها حيث وصل الأمر إلى وصفها بالقذارة، و كثيرا ما كان والدها يتحدث مع جاره بخصوص زوجته وبناته قائلا "عبادي حاشاك" <sup>4</sup>، معذرا حتى عن ذكر أسمائهن.

وبناء على توصيف الكاتب للمجتمع الذي تعيش فيه البطلة، يعتبر الباحث هذا المجتمع فاعلا جماعيا يتبنى برنامجا يحاول من خلاله نفي المتحول بإقصائه لدور المرأة ولحريتها الاجتماعية، فهو يمتلك معرفة فعل/ ثابتة، في القدرة على إعادة إنتاج الأشكال الثقافية القارة، والثوابت المتجذرة في نظام القيم الموروثة.

وبالرغم من رفض هذا الفاعل الجماعي للمتحول، فإنه لا يعرف نفسه في التغيير الذي يحمل الجديد ومن ثمة تتجانس معرفته الثابتة مع التقديم المفرز للقيود المفروضة على (عائشة) حيث الثابت يولد مجموعة من الممنوعات تتجلى في المكانة التي تحتلها المرأة في المجتمع <sup>5</sup>.

وقد توصل الناقد إلى تحديد مجموعة الفواعل في هذه القصة، حيث الفاعل الجماعي يمثل المجتمع في النص، وهو المجتمع الذكوري ممثلا في والد عائشة وغيره من رجال القرية، و يعمل هذا الفاعل على منع المرأة من حريتها، فيما يقابله العامل الجماعي ممثلا في عائشة وأخواتها ونساء القرية ليستنتج في تحليله الأخير لهذه المقطوعة، موقف الراوي الملاحظ باعتباره فاعلا شاهدا على الموضوع ومع اعترافه

<sup>1</sup> - م. ن، ص 75

<sup>2</sup> - أحمد رضا حوحو، عادة أم القرى وقصص أخرى، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1989، ص 195

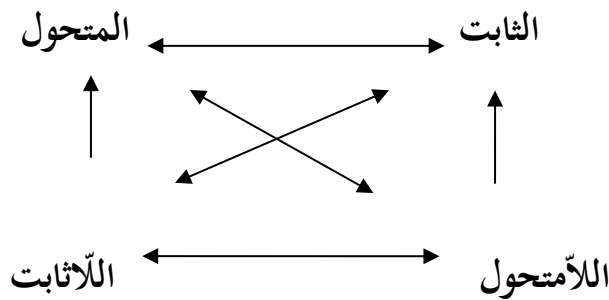
<sup>3</sup> - م. ن، ص 195

<sup>4</sup> - م. ن، ص 195

<sup>5</sup> - ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 77-78

بوجود الظلم، إلا أنه يطمح إلى تحرير المرأة والاعتراف بإنسانيتها وحققها في القول والتفكير وإرساء معرفة متحولة<sup>1</sup>.

كما دعم الباحث تحليله لهذه المقطوعة بعدة ترسيمات، بناءً على المعطيات التي تمكن من الوصول إليها انطلاقاً من المقابلة الأساسية: الثابت/ المتحول وتمثيلها في مربع سيميائي، ثم تمثيل مسار الفاعل الجماعي من المتحول إلى اللامتحول، وصولاً إلى الثابت (المعرفة الثابتة)، ثم مسار الفاعل الشاهد من الثابت إلى اللاتبات، وصولاً إلى المتحول ( الرغبة في الوصول إلى معرفة متحولة).



المربع السيميائي الممثل لمختف القيم الدلالية المقيدة للخطاب الموضوعي دمقصوعه الأولى<sup>2</sup>

وفي تناوله للخطاب السردية في المقطوعة الثانية، يحاول الباحث إظهار الآلية التي تحكم البنية السردية للقصة، من خلال رصده لمجموع الحالات والتحويلات والاختلافات والإنزياحات عبر ملفوظين سرديين: هما ملفوظ الحالة وملفوظ الفعل، ففيما يبيّن ملفوظ الحالة وضعية الذات الفاعلة في علاقتها بموضوع القيمة (الاتصال والانفصال)، فإنّ ملفوظ الفعل يتم عبره إنجاز المتحول في البرنامج السردية بانتقال الذات من حال الانفصال إلى حالة الإتصال بموضوع الرغبة أو العكس<sup>3</sup>.

وقد عدّ الناقد هذه المقطوعة، تصدعا في بنية الخطاب الموضوعي الذي هيمن عليها والتي تبدأ من "وهكذا تابعت أيام عائشة في قريتها... إلى أن حدث الحدث الجليل الذي خرج بها عن المؤلف

<sup>1</sup> - ينظر: م. ن، ص 78

<sup>2</sup> - ينظر: م. ن، ص 77-78

<sup>3</sup> - ينظر: سحنين علي، السرديات السيميائية في النقد الجزائري، رشيد بن مالك أمودججا، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع11، 2015، جامعة بسكرة، الجزائر



وجعل من حياتها... " إلى نهاية القصة<sup>1</sup>، ليتجسد هذا التصدع (التحول)، من خلال الفعل الإغوائي الذي مارسه الشاب، حيث أحدث تغييرا جذريا في الوضعية الإستراتيجية للفاعل الجماعي ( الرجال والفتيات والنسوة ) الذي أضحت تمتلكه الرغبة في معرفة العالم الآخر ( الغرب).<sup>2</sup>

لينفتح بعد ذلك أمام (عائشة) برنامج سردي، يأخذ فيه الشاب العائد من أوروبا دور الفاعل المرسل الذي يعمل على تحريك البطله ويجعلها فاعلا منفذا (sujet opérateur) محتملا لفكرة الفرار من أسرتها، وهو الذي مثل دورا إغرائيا بدأ من مظهره الخارجي غير المألوف والجذاب ( من خلال حلته الإفرنجية الأنيقة وشعره المصقّف البراق)، وانتهاءً بالفعل الإغرائي الآخر الذي مثلته تلك الأحاديث المعسولة عن الحرية في الغرب فلقد "حدّثها عن بنات أوروبا وحريتهن، كما وضّح لها حقوقها في الحياة، ولم ينس ذكر ما ادّخره لها القانون من الحقوق والمحافظة على رغباتها"<sup>3</sup>، ففي النهاية حدّث الشاب (عائشة) عن الهنا (القرية ممثلة للبيئة الجزائرية )، والتي تمثل أيضا كل مظاهر التخلف واحتقار المرأة خاصة، والهناك ( أوروبا) التي تجسد مظاهر الرقي وحقوق الإنسان ومنها حقوق المرأة.

ولأن الفتاة لا تمتلك أية تنشأة، فقد وقعت بسهولة في أسر حديثه الجذاب الذي هيأها للقيام بالفعل الذي ستعتقد أنه سيحصلها من عبوديتها فقد " عرض عليها - بعد ذلك- أن تفر معه لتعيش صحبته في عيش رغد محفوفة بالحرية والحب والسعادة"<sup>4</sup>.

ليتداخل بذلك برنامجان سرديان، برنامج (عائشة) التواقّة الى التحرر والانعتاق من عبودية أسرتها وقريتها، وبرنامج الشاب الذي يخطط لتحقيق مآربه الشهوانية وسلبها شرفها، ثم يعود بعدها من جديد إلى أوروبا "... ولكن هذا السرور لم يدم طويلا، لأنّ الفتى ما كاد يستولي على عفافها ويهتك

<sup>1</sup> - أحمد رضا حوحو، عادة أم القرى وقصص أخرى، ص 196-200

<sup>2</sup> - ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 80

<sup>3</sup> - أحمد رضا حوحو، م . س، ص 198

<sup>4</sup> - م.ن، ص، ن

ستر شرفها، حتى تركها وفرّ قافلا إلى أوروبا من حيث أتى... وكانت الذئاب البشرية لها بالمرصاد وتتعب خطأها فاصطادوها في رمشة عين<sup>1</sup>.

ليواصل الناقد رصد مختلف الوضعيات السردية للقائم بالفعل (بطلة القصة) بعد انحراف مسار الحكيم وتداخل البرامج السردية وتعددتها، ليصل إلى الحالة المغشوشة للشاب الذي قام بأفعال الإغواء إتجاه بطلة القصة، وهو تشكيل يعرف في التحليل السيميائي بمراجع المصدقية .

إنّ وضعية الحيرة والضياع، التي تسبب فيها فعل الشاب بإفقاد (عائشة) لشرفها، والتي أرغمتها على مغادرة قريتها واحتراف البغاء وتعاطي المخدرات والمسكرات، لم تدم طويلا بعد أن اكتشفت حالة الضياع الجديدة، ممثلة في استغلال الذئاب البشرية لها ودخولها في مستنقع التهميش، فقررت تغيير وضعها والبحث عن ذاتها " فأقلعت عن تعاطي المخدرات ... ثم أعقبت المخدرات بالانقطاع عن المسكرات."<sup>2</sup>

ليصل الباحث إلى رصد الوضعية الأخيرة للفتاة والتي تمكنت من النجاح والتحول إلى " كائن جديد بأفكارها الوطنية، فاستطاعت تحقيق ذاتها، وتحصلت على عمل خادم في فندق محترم ... ثم وُفقت للإهتداء إلى زوج متواضع صالح ... ولم يبق من ماضيها إلاّ بصيص ضئيل من الذكريات المريرة"<sup>3</sup>.

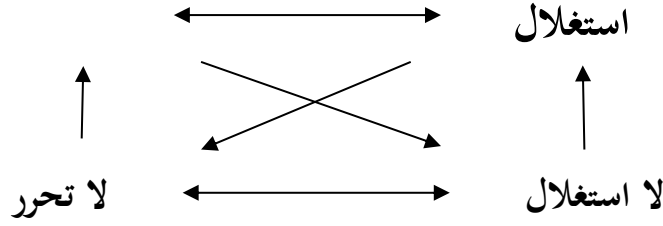
وكما فعل لدى تحليله للمقطوعة الأولى بإدراجه لعدة ترسيمات مدعّمة لقراءته السيميائية ، أعاد "رشيد بن مالك" الأمر ذاته مع المقطوعة الثانية، حيث مثّل التمفصلات الدلالية لدى انتقاله إلى المستوى العميق لهذه المواجهة، من خلال مقولتين أساسيتين: الاستغلال/ التحرر، في المربع السيميائي التالي<sup>4</sup> :

<sup>1</sup> - م.ن، ص، ن

<sup>2</sup> - م.ن، ص 200

<sup>3</sup> - م.ن، ص. ن

<sup>4</sup> - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية ، ص 91



ليخلص إلى أنّ الراوي/ الملاحظ " سخّر قصة عائشة باستشارة الماضي وتحيين الحاضر، لإقناع الأطراف الفاعلة بهذا الوضع الذي آلت إليه، وأنّ السبيل الوحيد لخلاصها منه وتحررها من قيوده وبناء مستقبل يكفل لها كرامتها الإنسانية، هو نضالها"<sup>1</sup>.

إنّ استقراء التحليل السيميائي لقصة (عائشة)، وبالعودة إلى بعض المقاربات التطبيقية الأخرى

للباحث تمكنا من تسجيل الملاحظات التالية:

1- لدى مقارنته للقصة، أقام "رشيد بن مالك" تحليله على مجموعة من الثنائيات التي تستجلي دلالات هذا النص، كثنائيات: الثابت/ المتحول، الماضي/ الحاضر، العبودية/ التحرر، المدينة/ القرية هنا/ هناك، رجال/ نساء... وقد تم ذلك من خلال تبيان مختلف العناصر السردية، وتحديد الحالات والتحويلات التي تحكم بنية النص السردية، وقد عضد ذلك بجداول ورموز تستوضح ما طرح من أفكار وقضايا من قبل الكاتب - حوحو- في المستوى العميق، والتي تتكئ إجمالاً على مقولتي الاستغلال / التحرر.

2- لقد عمل الباحث من خلال هذه المقاربة ومقاربات أخرى، وفق إجراءات التحليل السيميائي الغريماسي، على محاولة إثبات فعالية إجراءاته ومفاهيمه التحليلية، متجاوزاً بذلك المقاربات النقدية الكلاسيكية المتصلبة التي تتخذ من المعيارية مبتغاً لها.

3- إنّ مقاربة الناقد لهذا النص السردية وفضلاً عن هدفها في ضبط الدورة الدلالية للنص، ومنهجها في الإتكاء على مفاهيم السيميائية السردية وطريقة التحليل والتقطيع<sup>2</sup>، فإنّها تتميز بقيامها على ثلاث

<sup>1</sup> - م. ن، ص 93

<sup>2</sup> - ينظر: قادة عقاق، السيميائيات السردية وتجلياتها في النقد العربي المغربي المعاصر ( نظرية غريماس نموذجاً) - مخطوط دكتوراه دولة في الأدب العربي قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سيدي بلعباس، 2003-2004، ص361

بنيات أساسية ( بنية خطابية، وبنية سردية، وبنية دلالية)<sup>1</sup>، وهو ما أفضى عليها طابعا نقديا، يتميز بنوع من الخصوصية ذات المرجعية العلمية والمصطلحية المحددة، المستوعبة للمفاهيم النظرية للسيميائية الغريماسية.

4- لقد سعى "رشيد بن مالك" من خلال مقارباته التطبيقية إلى محاولة تبسيط تحليله، رغم إقراره بصعوبة تصميم خطاب مبسط يفهمه العام والخاص، لكن ليس على حساب المقولات المؤسّسة للنظرية السيميائية الغريماسية، بل من خلال التعاطي مع المفاهيم المبسطة المتجاوزة لعقبات إختلافات الترجمة المصطلحية وتطويعها بما يفيد المتلقي العربي، فالتطبيق في النهاية هو وحده الذي يمثل " استثمارا لمعارف ولذكاء خاص بالقراءة، وأسرارها وإضافة معرفية تبين ملائمة التطبيق ونباهته"<sup>2</sup>

5- يبدو أنّ توجّه الناقد نحو الالتزام بتطبيق مقولات النظرية السيميائية الغريماسية ومفاهيمها وبالرغم من عمله على انتقاء الآليات المناسبة لعملية التحليل السردية، وإرفاقها بالرموز الرياضية والترسيمات المعصّدة والشارحة بالقدر الذي أفضى عليها نوعا من الصرامة العلمية، إلاّ أنه في مقابل ذلك غيّب عنها ذلك الحس الفني الذي من شأنه إمتاع المتلقي بدل تنفيره.

6- في سعيه إلى الامتثال لتلك اللغة العلمية الواصفة، التي لها أن تثبت فعالية النظرية السيميائية وقدرتها الإجرائية على التحليل، انعكس ذلك في مقاربات الباحث " بصورة واضحة في مظاهر رضوخ قاعدة التحليل للمبدأ المحايث، كونه يسعى إلى تقصي تحولات المسار السردية عبر التجليات الداخلية للنص"<sup>3</sup>، منتصرا بذلك للبرامج السردية والعلاقات المنطقية والتشاكلات الدلالية من جهة، ومحاولا إلغاء الخارج الحكائي ( مختلف الأنساق الثقافية والإيديولوجية والاجتماعية...) من جهة أخرى محاولا بذلك الامتثال ما أمكن لمفاهيم "غريماس" وجهازه الإجرائي.

7- إنّ ضرورة التفكير في علمنة الممارسة النقدية، بتبني مشروعا علميا قائما على فرضية التشاكل (Isomorphisme) بين صعيدي التعبير والمضمون، ومن خلال تحديد المنهج والموضوع وتطويق

<sup>1</sup> - ينظر: سحنين علي، السرديات السيميائية في النقد الجزائري ( رشيد بن مالك أمودجا)، ص 118

<sup>2</sup> - سعيد يقطين، السرديات والتحليل السردية، الشكل والدلالة، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص 37

<sup>3</sup> - سعد بن سنوسي، السيرورة السيميائية ومشروع الدلالات المفتوحة، ص 190

إشكالية البحث، والنظر في الأصول النظرية التي تأسست عليها فلسفة العلم، هي التي تمثل الإطار المنهجي للدراسة التطبيقية للبحث برأي "رشيد بن مالك"، والتي لا تعدو أن تكون في النهاية مجرد قراءة تحاول استكناه التفصيلات الأساسية للنص، ولا تنفي إمكانات قرآنية أخرى<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 67

## الفصل الرابع:

### تجليات النقد السيميائي السروي الجزائري

ج- تجليات النقد السيميائي عند

"عبد الحميد بورايو"

أولاً: خطاب الممارسة النظرية

**1- التعريف بـ "عبد الحميد بورايو":**

ولد الناقد الباحث "عبد الحميد بورايو بن الطاهر" سنة 1950م بمدينة سليانة التونسية من أصل جزائري أين زاول تعليمه بمسقط رأسه، وبعد الاستقلال (سنة 1964م) عاد إلى الجزائر حيث استقر بالعاصمة، ليواصل دراسته الثانوية والجامعية بها بعد أن انتسب إلى الجامعة وتخرج من معهد اللغة والأدب العربي عام 1973م، بشهادة الإجازة، ليوفد بعدها في بعثة علمية إلى مصر وينتسب إلى جامعة القاهرة التي تحصل منها على شهادة الماجستير سنة 1978م، من خلال رسالة أعدها بعنوان "القصص الشعبي في منطقة بسكرة".

انتسب بعدها إلى جامعة باريس لتحضير رسالة دكتوراه دولة حول موضوع "البطولة في القصص الشعبي"، لكنه آثر أن يعود إلى الوطن لينتسب مرة أخرى إلى جامعة الجزائر، التي يتحصل منها عام 1966م على شهادة دكتوراه من قسم اللغة العربية في رسالة موسومة بـ "المسار السردى وتنظيم المحتوى (دراسة سيميائية لنماذج من ألف ليلة وليلة)"<sup>1</sup>.

وقد كان للباحث عمل إبداعي مع بداية الثمانينيات تمثل في مجموعة قصصية بعنوان "عيون الجازية" بيد أن انشغالاته الأكاديمية وشغفه البحثي حالا دون مواصلة مسيرته الإبداعية، فقد تنقل بين العديد من الجامعات الجزائرية محاضرا ومشرفا على عدد غير قليل من رسائل الماجستير والدكتوراه ( تيزي وزو تيبازة، تلمسان، الجزائر العاصمة) منذ تسعينيات القرن الماضي.

كما تقلد خلال مسيرته العلمية مناصب عدة منها: عضو أمانة إتحاد الكتاب العرب، رئيس المجلس العلمي بجامعة الجزائر، رئيس رابطة السيميائيين الجزائريين التي تأسست عام 1998، رئيس مجلة "بحوث سيميائية" مدير مخبر أطلس الثقافة الشعبية الجزائرية.

**1-1 مؤلفاته:**

1- عيون الجازية (مجموعة قصصية)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1985م .

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو الغلافان الخارجيان، لمنطق السرد ( دراسات في القصة الجزائرية الحديثة) ، والبعد الاجتماعي والنفسي في الأدب الشعبي الجزائري

- 2- القصص الشعبي في منطقة بسكرة، المؤسسة الوطنية للكاتب، الجزائر 1986م .
- 3- الحكايات الخرافية للمغرب العربي ، دار الطليعة، بيروت 1992م .
- 4- منطق السرد (دراسات في القصة الجزائرية)، ديوان المطبوعات الجماعية، الجزائر 1994م .
- 5- البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1998م .
- 6- التحليل السيميائي للخطاب السردى (دراسة لحكايات من " ألف ليلة وليلة" و" كليلة ودمنة") منشورات مخبر "عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر" ، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران 2003م .
- 7- الأدب الشعبي (دراسة لأشكال الأداء في الفنون التعبيرية والشعبية في الجزائر)، دار القصة للنشر والتوزيع 2008م .
- 8- المسار السردى وتنظيم المحتوى (دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة) ، دار السبيل للنشر والتوزيع، 2008م .
- 9- البعد الإجتماعي والنفسي في الأدب الشعبي الجزائري، منشورات مؤسسة بونة للبحوث، والدراسات، عنابة الجزائر، 2008م
- 10- حوارات ومقدمات وافتتاحيات وشهادات "تتعلق بالتراث الشعبي والسرديات ومنهج التحليل" ( مخطوط)، 2018م .
- 11- في التراث اللامادي المغاربي ،"التوثيق والتصنيف ومنهجية البحث" ( مخطوط).

### 1-2- ترجماته:

- مدخل إلى السيميولوجيا ( مجموعة من المؤلفين) .
- المنهج السيميائي ( الخلفيات النظرية وآليات التطبيق)، غريماس، كورتيس وآخرون .
- رواية النهر المحمول لرشيد ميموني .
- الكشف عن المعنى في النص السردى ( 03 أجزاء) .
- الرواية (مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي )، برنار فاليت.



كما قام الناقد بالتقديم لعدد من المؤلفات، ومن ذلك كتاب "رشيد بن مالك" (البنية السردية في النظرية السيميائية)، و(قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص) للمؤلف ذاته، إضافة لنشره عددا من الأبحاث والدراسات الأدبية والنقدية في مجالات ودوريات جزائرية وعربية.

لقد تعامل النقاد الجزائريون مع المناهج النسقية منذ نهاية سبعينيات القرن الماضي، بداية من المنهج البنيوي وانتهاءا بالمناهج الأخرى، وكان ل"عبد الحميد بورايو" قصب السبق في ذلك، من خلال بحثه الأكاديمي المتميز (رسالة الماجستير) الموسوم بـ "القصص الشعبي في منطقة بسكرة" والذي اعتمد فيه آليات المنهجين البنيوي والسيميائي السردية.

غير أن الناقد تبنى قبل ذلك مع بداية حياته النقدية المنهج الاجتماعي الراجح بين أوساط النقاد الجزائريين خلال فترة سبعينيات القرن الماضي التي عرفت هيمنة الإيديولوجيا الاشتراكية، حيث يؤكد ذلك بقوله: "لقد كان وراء عنايتي بالنقد السوسولوجي في بداية اهتماماتي البحثية، قناعاتي الإيديولوجية ذات التوجه اليساري، وكان المحيط الذي تكوّن فيه خلال السبعينيات يعرف انتشارا لهذه القناعات"<sup>1</sup>، لكن بعدما وجّه عنايته للأدب الشعبي تعيّن عليه إيجاد آليات تحليل نقدية بديلة للنقد السوسولوجي تماشيا مع التراكم المعرفي ومسايرة لجديد المناهج النقدية الغربية، حيث يقول: "يمكن تفسير انتقالنا للشكلانية والبنوية ثم السيميائية بتطور معارفنا المنهجية، التي استندت إلى تراكم معرفي شهده القرن العشرين"<sup>2</sup>.

وقد عدّ الكثير من الباحثين تجربته النقدية واحدة من بين أهم التجارب التي أثرت الساحة النقدية الجزائرية والعربية تنظيرا وترجمة وتطبيقا، خاصة فيما يتعلق بالمنهج السيميائي السردية، فما هي المناهل التي أفاد منها؟

<sup>1</sup> - عبد الحميد بورايو، حوارات ومقدمات وافتتاحيات وشهادات (تتعلق بالتراث الشعبي والسرديات ومنهج التحليل)، مخطوط ص 32

<sup>2</sup> - م.ن، ص 33

## 2- الأصول المعرفية لتجربة "عبد الحميد بورايو" النقدية:

ونعني بالأصول المعرفية، الخلفيات الفكرية التي اتكأ عليها الباحث في تناوله بالدراسة والتحليل لمختلف النصوص السرديّة التي اشتغل عليها، حيث أن ثراء الآليات النقدية يعود أساسا إلى مختلف المرجعيات التي يعترف منها الناقد، و"عبد بورايو" من النقاد القلائل الذين وعوا مبكرا أهمية مواكبة المنجزات العلمية من جهة، وتمثل كل مشروع من جهة ثانية، حيث يؤكد ذلك في كتابه "منطق السرد" بقوله: " لقد عرفت جميع الثقافات بمختلف اللغات توجهها نحو علمنة الدراسة الأدبية ، استنادا للمنجزات العلمية للفروع اللسانية ولقد عرفت الفترة الحالية من تاريخ الدراسات الأدبية لنمو مباحث جديدة بالاطلاع تتميز بالثراء، تندرج ضمن ما يسمى بالسيميائيات، وهي مشروع بحث يعتمد في دراسة النصوص الأدبية على نتائج اللسانيات والإناسة الثقافية والإبستمولوجيا"<sup>1</sup>.

أدرك الباحث أهمية العودة إلى الأصول المعرفية الغربية في أي ممارسة نقدية ، لكنه اجتهد في المقابل في إخضاعها للتجربة النقدية المحايثة، فمعالجته لمواد الحكايات الشعبية تسعى إلى تجسيد ثراء طرق " تحليل الخطاب الأدبي الشعبي وتأصيلها، وتهيئة الظروف التي تسمح بتراكم العمل التطبيقي والمنهجي من أجل تحقيق مشروع معرفي يسهم في تحقيق حداثة الدراسات الشعبية العربية، باعتبارها حلقة هامة من حلقات الثقافة العربية<sup>2</sup>، فهو استطاع بذلك الجمع بين مستويين:

## المستوى الأول :

يتعلق بتحديد المفاهيم الأولية التي تعد مصطلحات إجرائية استكمالا للجانب النظري بما يفيد تحديد الإشكالية وتيسير التطبيق.

## المستوى الثاني:

ويمثل العملية النقدية التي تتخذ من المفاهيم/ المفاتيح مكونات أساسية، تقيم بفضلها العلاقات التي تتحكم في عناصر الخطاب، ثم تحديد هوية كل مكون داخل هذا الكل (الخطاب) ومن ثم محاولة تحقيق

<sup>1</sup>- عبد الحميد بورايو، منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، منشورات السهل، الجزائر، د. ط، 2009م، ص 25

<sup>2</sup>- عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، دراسات حول خطاب المرويّات الشفوية ( الأداء ، الشكل، الدلالة) الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م، د. ط، ص81

المعادلة النقدية الصعبة ذات الطرفين: الأصل المعرفي الغربي والخطاب الشفوي العربي لأن "عناصر المنهج النقدي ومتغيراته المتعددة التي يكون لها أثر بالغ على العملية الإجرائية إذا لم تدخل في عملية تفاعل مستمرة مع جميع عناصر النص، وإذا لم تكن كافية لإجراء التحليل فإنها غالبا ما تؤدي إلى إحداث خلخلة في الرؤية إلى النص وبالتالي في البناء النقدي للناقد..."<sup>1</sup>.

في تحليله لمختلف نصوص القصص الشعبي- على وجه الخصوص- اعتمد الباحث على مرجعيات نقدية تحليلية غربية عديدة، تعود إلى كل من : إنجازات (بروب، ستراوس، غولدلمان، تودوروف، بريمون وغريمانس)، حيث أفاد من كل هؤلاء خاصة على المستوى الإجرائي.

## 2-1- التحليل البنيوي الوظائف ( فلادمير بروب):

يرجع لـ " فلادمير بروب" الفضل في ظهور الدراسات البنيوية فهو من " وضع أسس المنهج البنيوي عندما كشف عن وجود نموذج فريد للبنية الحكائية الخرافية الروسية"<sup>2</sup>.

وقد أفاد "عبد الحميد بورايو" منهجيا من هذه المدرسة الشكلانية بزعامة "بروب" ثم البنيوية بعد ذلك وهو ما تجلّى بوضوح في مؤلفه "الحكايات الخرافية للمغرب العربي ( دراسة تحليلية في معنى المعنى) حيث اعتمد آليات البنيوية الشكلية، وهو الذي يقر بذلك في مقدمة هذا الكتاب: " تأخذ دراستنا في حسابها البحث الشكلاني البنيوي الذي أنجز في هذا المجال، والذي تعود ريادته لفلادمير بروب وكلود ليفي شتراوس"<sup>3</sup>.

لقد أولى الباحث عناية كبيرة للتحليل الوظيفي البروبي لدرجة أنه أصبح من الثوابت المنهجية في كل تحليلاته، وهو الذي رهن "حياته العلمية للحكايات الشعبية المغاربية موضوعا، وللدراسات السردية الحداثية منهجا، بالشكل الذي يجعله حقيقا بلقب: فلادمير بروب الجزائري"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- عمار زعموش، النقد الأدبي المعاصر في الجزائر، قضاياها و اتجاهاتها، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، 200-2001 ص 56

<sup>2</sup>- عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص، 19

<sup>3</sup>- عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي ، ص 05

<sup>4</sup>- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 302

ويعزي سبب ذلك إلى طبيعة المادة السردية التي يشتغل عليها ( القصص الشعبي/ الخرافي) التي تتواءم بشكل كبير مع الأنموذج التحليلي البروي، حيث تبني الناقد هذا التوجه النقدي الجديد بعدما تعذر عليه من خلال النقد السوسيوولوجي الوصول إلى المعطيات المتحكمة في إنتاجه، وهو الذي يؤكد ذلك بقوله: " لقد تم إبداع هذا الإنتاج في عصور موعلة في القدم، وظل متداولاً يعاد إنتاجه من جديد في كل حقبة تاريخية، ومن الصعوبة بمكان تفسيره بالوسائل المنهجية التي يتيحها المنهج السوسيوولوجي... وذلك بسبب صعوبة الحصول على المعطيات السوسيوولوجية المتحكمة في إنتاجه بسبب علاقته بحقب تاريخية موعلة في القدم لا تتوفر عنها حالياً أي معلومات سوسيوولوجية"<sup>1</sup> والتحليل الوظيفي البروي عند الناقد خطوة أولية هامة لا بد من المرور عبرها لأجل الكشف عن مختلف دلالات النص محل الدراسة، لذلك عادة ما يصدر به تحليلاته ثم يقترنه بتحليلات أخرى كالتحليل السيميائي السردية والتحليل البنيوي التكويني أو البنيوي الأنثروبولوجي، حيث يعبر عن ذلك بقوله: " تسمح لنا هذه الخطوة المنهجية بالانتقال من تحليل الأشكال إلى فحص المحتوى أي العبور من الدراسة الكلية إلى الدراسة الدلالية"<sup>2</sup>.

وبالرغم من إقرار الناقد لأهمية أفكار بروب، إلا أنه يسجل مؤاخذات عدة خاصة ماتعلق منها بالتصنيف، حيث يعتقد " أن محاولة فلاديمير بروب (v.propp) ، بقدر ما كان لها التأثير الواسع في مجال التحليل الداخلي للحكاية الخرافية ودراسة مكوناته المختلفة، لم يكتب لها النجاح في مجالي التصنيف والترتيب، نظراً لشدة اهتمامها بالتنوعات الفرعية للحكاية الخرافية، وإهمالها للأشكال الأخرى المختلفة عنها"<sup>3</sup>، فهو لم يخضع - كما سنرى لاحقاً- النصوص التي قام بتحليلها من خلال المناهج النقدية التي أفاد منها بشكل ميكانيكي مثلما ما وردت، بل كان يخضعها للتمحيص والانتقاء والتعديل مثلما ما فعل لما تجاوز النظام الوظيفي لـ"بروب" وفكرة الترتيب المنطقي للوظائف من خلال محاولة إعادة التمييز بينها في أصولها ومسارها وتطورها واختلاف مكوناتها الفنية...

1- عبد الحميد بورايو، حوارات ومقدمات وافتتاحيات وشهادات، ص32

2- عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري (دراسة حول خطاب المروييات الشفوية، الأداء، الشكل، الدلالة)

ص 82

3- عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دراسة لأشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر، دار القصة للنشر الجزائر، 2007، د. ط،

## 2-2- البنيوية الأنثروبولوجية (كلود ليفي ستراوس):

اشتغل "عبد الحميد بورايو" في كل دراساته على السرديات، إضافة إلى إفادته لمعالجة البنية السطحية من المفهوم السيميائي الغريماسي ومنطق القصة عند "كلود بريمون" و"جمال الدين بن الشيخ"، وكذا دراسته للدلالة من خلال تناول البنية العميقة، متكئا على تحليلات "غريماس" و"كورتيس" كما سنرى لاحقا عندما سنتناول منهجه النقدي، فقد أفاد أيضا من "مفاهيم منهجية مستمدة من الأنثروبولوجيا البنائية خاصة عند ليفي ستراوس، حيث يتم الربط بين النص السردى وتداوله، وطبيعة التفكير البشري"<sup>1</sup> حيث كان ستراوس يهدف في دراساته إلى معرفة الإنسان في كليته من خلال اكتشاف عدد من الحقائق المتعلقة بالذهن البشري، فهو يرى في الإناسة "علم الاختلافات المتكاملة الذي يبحث عما هو جامع في الخصائص المشتركة بين كل المجتمعات، في ديمومة البنى الذهنية المشتركة عند الإنسان"<sup>2</sup>.  
وبخصوص دراسته للأسطورة، فقد وضع "ستراوس" معالجته للقصة على صعيد الدلالة مقترحا تحليلا لإرساليتها بمعزل عن تطورها السردى، فعوض العناية بطرق السرد وتقنياته على الدارس أن يهتم بالأغراض الأسطورية التي تتكفل بأدائها طرق السرد، وعند التحليل يعتمد على أسطورة مرجعية واحدة لكنه يستنجد في تحليلها بالسياق النياسى وبأساطير أخرى من نفس المجتمع، ثم يوسع المقاربة لتشمل أساطير تنتمي لمجتمعات مجاورة إلى أن يصل إلى مجتمعات أبعد، شريطة أن تكون هناك علاقة بين هذه المجتمعات<sup>3</sup>.

وقد تأثر "عبد الحميد بورايو" بتحليلات "ستراوس" الأنثروبولوجية معتقدا أنها تعتمد على آليات تحليل تستجيب لمتطلبات النص الحكائي الشعبي (الخرافي)، الزاخر بالمعتقدات والعادات والتقاليد... ومن ثمة إيجاد تلك الرابطة بين النص السردى محل التحليل وطبيعة تفكير المجتمع الذي أنتجه، ويبرر مكنم الإستفادة في موقع الحكاية الخرافية المتوسط للأسطورة والأدب" فهي ترتبط من ناحية بالفكر

1- م، ن، ص 50

2- جاك لومبار، مدخل إلى الإثنولوجيا، تر:حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997، ص 267

3- ينظر: عبد الحميد بورايو، البعد الإجتماعي والنفسي في الأدب الشعبي الجزائري، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط1، الجزائر، 2008 ص

الميثولوجي، لأنها سليلة الأسطورة، ومن ناحية أخرى تمثل الوسط الثقافي الذي سمح بانتقال المكونات الأسطورية من الخطاب العقائدي إلى الخطاب الثقافي، ذي الوسائط الجمالية والطبيعة الفنية الهادف إلى الإمتاع، إلى جانب تمثيله الرمزي لمنطق الجماعة ورؤيتها للكون<sup>1</sup>.

### 2-3- لوسيان غولدمان (البنوية التكوينية):

في إجابته عن سؤال موجه له من قبل "علي ملاحى" متعلق بأهم المصادر والمراجع النقدية التي شكلت وبلورت وجهة نظره النقدية عموما والسردية خصوصا، يذكر "عبد الحميد بورايو" إضافة إلى أمهات الكتب التراثية كمقدمة "ابن خلدون" و"عبد القهار الجرجاني" في كتابه عن الإعجاز والمدرسة البنوية الفرنسية (تودوروف وجنيت) والسردية والمتفرعة عنها (بريمون، جمال الدين بن الشيخ) ودراسات "كلود ليفي ستراوس" المتعلقة بالأساطير كما أسلفنا، خلفيات أخرى تمتد جذورها إلى النقد البنيوي التوليدي ذي التوجه الاجتماعي عند "لوسيان غولدمان" (البنوية التكوينية) خلال مرحلة السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي<sup>2</sup>.

فقد ساهمت البنوية التكوينية ل"غولدمان" في بعث منهج جديد لدراسة العمل الأدبي، يزواج بين البنوية والاجتماعية بعدما قارب المنهج الاجتماعي على الفناء، وفي ظل اقتصار التحليل البنيوي على التحليل المحايث للنص المكتفي ببنيته اللغوية المغلقة والملغى للذات المبدعة وظروفها الاجتماعية ما حدا برواد المنهج الجديد (البنيوي التكويني) إلى "ترقيع البنوية بإخفاء ما في رداؤها من ثوب، فإن كان قد أخذ عليها إقصاء التاريخ وإهمال البعد الاجتماعي للنص الأدبي، فإن البنوية التكوينية التي تنسب إلى الناقد الروماني "لوسيان غولدمان" تلافي هذا النقص وسداد هذه الثغرة"<sup>3</sup>، من خلال محاولة المزج بين المنهجين وإيجاد علاقة بين برّاني النص وجوّانه، ومن خلال أيضا الإفادة من أفضل ما فيهما، من مبادئ

<sup>1</sup> - عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، دراسة تحليلية في "معنى المعنى" لمجموعة من الحكايات، وزارة الثقافة، (بمناسبة الجزائر عاصمة

الثقافة العربية)، الجزائر، د. ط، 2007، ص 123

<sup>2</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو، حوارات ومقدمات وافتتاحيات وشهادات، ص 51-52

<sup>3</sup> - إبراهيم خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة، الاردن، ط1، 2007، ص 204

(التأصيل المضموني في الثانية، والتأصيل الشكلي في الأولى)، ثم تأسيس نظرية نقدية على أنقاض من ذلك<sup>1</sup>.

وتتكئ البنيوية التكوينية على عدة مفاهيم، يمكن اختزالها في مفهومي :

#### أ - رؤية العالم (Vision du monde):

هو مفهوم استعاره "غولدمان" من أستاذه "لوكاتش"، حيث يقوم على رؤية إجتماعية تنتمي إلى مجموعة أو طبقة لا إلى فرد بعينه و تدفع هذه الرؤية أفراد الجماعة إلى مخالفة الجماعات الأخرى التي تحمل رؤية مغايرة لرؤيتهم<sup>2</sup>.

#### ب - الفهم والتفسير (الشرح):

وهما عمليتان متكاملتان، فإذا كانت الأولى تعين على فهم النص داخليا، فالثانية تساهم في تفسيره وفق معطيات خارجية ضمن بنية المجتمع، حيث "إلقاء الضوء على بنية دلالية يؤلف عملية فهم، في حين أن دمجها في بنية أوسع من الأولى يؤلف عملية تفسير"<sup>3</sup>.

وبالرغم من أن "عبد الحميد بورايو" يكتفي بالبنيوية وصفا لمنهج المعتمد في دراسته الموسومة بـ "القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية)" التي نال من خلالها شهادة الماجستير في أكتوبر 1978م بالقاهرة وقام بنشرها سنة 1986م ولم يأت على ذكر البنيوية، إلا أنه يتعاطى في تحليله لهذه القصص مع "مصطلحات (غولدمانية) من نوع (الشرح ، البنية الدالة، البنية الإجتماعية رؤية العالم البنية الأكبر...)"<sup>4</sup>.

#### 2-4- ألجيرداس جوليان غريماس (السيميائية السردية):

مع أنّ المنهج السيميائي ظل مبهما، بل ومعقدا في بداية تبنيه لدى العديد من الباحثين العرب إلا أن "عبد الحميد بورايو" حاول جاهدا تطبيقه في دراسته للنص السردى، وهو دليل على جرأته في تجريب

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردى، ص 08

<sup>2</sup> - ينظر: جورج لوكاتش، التاريخ والوعي الطبقي، تر: حنا الشاعر، دار الأندلس، ط2، 1983م، ص 47

<sup>3</sup> - لوسيان غولدمان، مقدمات في سوسولوجيا الرواية، تر: بدر الدين عروذكي، دار الحوار، اللاذقية، سوريا ، ط1، 1993 ص 238

<sup>4</sup> - يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 152

آلياته بعد إطلاعه على المبادئ والمفاهيم الأولية التي تتكأ عليها السيميائية، كما أن استيعابه للدراسات النقدية وإحتكاكه بالغرب ولحاجة الماسة إلى نقلها للدارسين الجزائريين، أدى به إلى " تأسيس الحركة السيميائية في الجزائر، بحيث ظهرت دعوته إلى هذا التيار في وقت مبكر من خلال الدروس التي كان يلقيها على طلبة معهد اللغة العربية وآدابها بجامعة تلمسان في بداية الثمانينيات-من القرن الماضي-"<sup>1</sup>.

كما أنّ "غريماس" من خلال نظريته السيميائية كان يمثل للناقد أنموذجا للباحث العلماني الذي كرس حياته لوضع آليات للتحليل السيميائي وقواعده ومفاهيمه، بما يسهم في تحليل النصوص السردية باعتبارها نظاما دلاليا<sup>2</sup>.

فقد أفاد كثيرا من هذا المنهج بعد تركيبه (سيميائي / بنيوي) وقام بتوظيفه في مجال السرد القصصي الشعبي، باعتبار أن آلياته تصلح لأن تطبق على كافة الأنواع السردية، ويظهر ذلك جليا في مختلف كتاباته النقدية، فقد توج تأثره به بعد أن راكم مجموعة غير قليلة من الدراسات والترجمات المتعلقة بهذا المنهج، وأهله ذلك لأن يعده الكثير من الباحثين أحد أقطاب النقد السيميائي في الجزائر والعالم العربي ولعل أهم أعماله في هذا الحقل مؤلفه ( التحليل السيميائي للخطاب السردى دراسة لحكايات من " ألف ليلة وليلة" و" كليلة ودمنة" )، الذي عدّه "رشيد بن مالك" بعد صدوره " حدثا نقديا في الجزائر، استطاع أن يستثمر الإنجازات البروبية من منطلقات سيميائية ... وأن أهم ما تتميز به هذه الدراسة هو أن الباحث التزم حدود النص وأدرك مستوياته، واستطاع من خلال اشتغاله على اللغة صناعة خطاب نقدي يوفق فيه بين القيود التي يفرضها الجهاز السيميائي، وتطلعات القارئ العربي إلى نص نقدي ييسر له الإتصال بالمناهج الحداثية"<sup>3</sup>.

كما كان تأثير المنهج السيميائي جليا في مؤلف آخر هام للباحث هو ( المسار السردى وتنظيم المحتوى- دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة )، حيث يظهر أثر ذلك واضحا من عنوان الكتاب ومن تحليلاته لنماذج من الحكايات المذكورة، إذ يؤكد الناقد ذاته في هذا المؤلف تبنيه

<sup>1</sup> - عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب السردى، دار القدس العربي، وهران، الجزائر، د. ط، 2009م، ص 120

<sup>2</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو، حوارات ومقدمات وافتتاحيات وشهادات، ص 41

<sup>3</sup> - رشيد بن مالك، السيميائية السردية، ص 35



للمنهج السيميائي الغريماسي، عندما يصرح: " نستمد أغلب أدواتنا المنهجية من نصوص تنتمي في أغلبها لنفس المدرسة السيميائية، والتي يمكن أن نطلق عليها اسم المدرسة السيميائية ذات التوجه الشكلايني"<sup>1</sup>، بل إننا نجد في مؤلف صدر له قبل ذلك بسنوات عديدة (عام 1986م) ويمثل رسالة الماجستير التي ناقشها سنة 1978م (القصص الشعبي في منطقة بسكرة)، يوظف العديد من المفاهيم السردية الغريماشية كالبنية الدلالية العميقة، البرنامج السردية، التحريك، الكفاءة، التقويم، الأداء الإنجاز...

إضافة لهؤلاء الأعلام فقد تأثر "عبد الحميد بورايو" أيضا بأفكار "كلود بريمون" وتحليلاته السردية وهو الذي كان يتردد على حلقاته الدراسية التي كان يشرف عليها في علم السرد، لقراءة السنتين بمدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية بباريس، حيث تكمن أهمية تحليلات "بريمون" في التعديلات التي إتكا في إقامتها على الأنموذج الوظيفي البروي، والتي اتسمت بالاحتكام إلى قواعد المنطق والشمولية التي مست كل أنواع الحكيم، على النقيض من بروب الذي سعى إلى استجلاء البنية المشتركة وشملت تحليلاته الحكاية الخرافية فقط.

وقد أفاد الباحث من "بريمون" في دراسته لحكايات من " ألف ليلة وليلة" وتحليله لها انطلاقا من تفرعات المسار السردية وأدوار الشخصيات والسياقات الحديثة المسندة لها، بخلاف "بروب" الذي ركز على خطية المسار السردية لبطل الحكاية الخرافية فقط، واهتم بالوظائف مفصولة عن أصحابها. كما أفاد الناقد أيضا من الآليات التحليلية " لتزفيتان تودوروف" للنصوص السردية مستثمرا بعض تقنياته المساعدة على كشف القوانين الداخلية للسرد.

والجدول الإحصائي التالي يوضح بعض مناهج الباحث<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - عبد الحميد بورايو، المسار السردية وتنظيم المحتوى، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، 2008، ص 05

<sup>2</sup> - ينظر: فاطمة قموي، التحليل السيميائي للخطاب السردية عند "عبد الحميد بورايو"، مخطوط مذكرة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة

قاصدي مرياح، ورقلة، 2014-2015، ص 91

عنوان الدراسة	المنهج	طبيعة الاعتماد	التيارات المعتمدة
القصص الشعبي في منطقة بسكرة	مركب	جزئية	بنوية شكلية + سيميائية + بنوية تكوينية
منطق السرد ( دراسات في القصة الجزائرية الحديثة)	مركب	جزئية	بنوية شكلية + سيميائية + بنوية تكوينية
الحكايات الخرافية للمغرب العربي	مركب	جزئية	بنوية شكلية + سيميائية + بنوية تكوينية
المسار السردى وتنظيم المحتوى	مركب	جزئية	بنوية شكلية + سيميائية
التحليل السيميائي للخطاب السردى	مركب	جزئية	بنوية شكلية + سيميائية

### 3- المصطلح السيميائي السردى عند "عبد الحميد بورايو":

يعد المصطلح مفتاح أي مبحث علمي والضرورة التي لا بد من التسليح بها لفهم أي إجراء نقدي لتحليل النص، فضلا عن كونه القناة التي تصل (الفكر الغربي بالفكر العربي)، حيث تتجاوز دلالاته اللفظية أو المعجمة إلى تشخيص وضبط المفاهيم المنتجة وهو بهذا المفهوم "يستطيع الإمساك بالعناصر الموحدة للمفهوم، والتمكن من انتظامها في قالب لفظي"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - بشير ابرير، علم المصطلح وممارسة البحث في اللغة والأدب، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع02 2005، ص 266

وقد استشرع "عبد الحميد بورايو" إشكالية المصطلح النقدي مبكرا منذ منجزه النقدي الأول (القصص الشعبي في منطقة بسكرة)، مؤكدا في مقدمته "أنه مقدم على تجربة عسيرة، غير مأمونة السبيل في الدراسات البنائية العربية، مما جعل مسألة استخدام المصطلحات تطرح نفسها بإلحاح على الباحث وقد حاول في تصديه لها أن يستفيد من الأبحاث السابقة في هذا الميدان رغم ندرتها، إلى جانب استخدامه لمصطلحات مألوفة في الدراسات العربية، مع تنبيه إلى السياق الذي يستخدمها فيه، وما يمكن أن تحمله من اصطلاحية جديدة"<sup>1</sup>.

ولعل خيار التركيب المنهجي الذي اعتمده في مقارباته النقدية منذ بدايات ولوجه الحقل النقدي والذي يستدعي معرفة شمولية بمصطلحات المناهج النقدية، وكذا صعوبة تمثل هذه المناهج الغربية الوافدة على النقد العربي الحديث في بداياته، أوقع الباحث في اضطراب مصطلحي واضح في مؤلفه الأول (القصص الشعبي في منطقة بسكرة)، بل أن الأمر تعدى حتى إلى اصطلاحات المناهج النقدية ذاتها. إن استقراء أوليا لهذا المؤلف، يكشف تحبط الناقد الواضح في عدم إدراكه للحدود الفاصلة بين المناهج التي اعتمدها، مكتفيا بإدراجها ضمن دائرة البنيوية، مغفلا تسميتها رغم اعتمادها إجرائيا في النماذج التحليلية الثلاثة، ومن أمثلة ذلك: البنيوية، السيميائية، السرديات ... ، والتي ظهرت إما مضطربة أو غير مترجمة أصلا، ليستقر مفهومها الترجمي في منجزاته النقدية والترجمية اللاحقة، والجدول التالي يظهر بعض الأمثلة لمظاهر هذا الاضطراب:

<sup>1</sup>-عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، د.ط، ص 07

المصطلح	القصص الشعبي في منطقة بسكرة	الحكايات الخرافية للمغرب العربي	البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب العربي	التحليل السيميائي للخطاب السردى وتنظيم المحتوى	المسار السردى وتنظيم المحتوى
<b>structuralisme</b>	البنوية	- البنوية - البنائية	البنوية	البنوية	البنوية
المصطلح	القصص الشعبي في منطقة بسكرة	الحكايات الخرافية للمغرب العربي	منطق السرد	البطل الملحمي والبطلة في الادب الشفوي الجزائري	المسار السردى وتنظيم المحتوى
<b>Narratologie</b>	لا وجود لهذا المصطلح	- النظريات المتعلقة بالسرد - الأبحاث السردية	- علم القص - علم السرد	- علم - السرديات	- السرديات
المصطلح	القصص الشعبي في منطقة بسكرة	مدخل إلى السيميولوجيا ( ترجمة )	الكشف عن المعنى في النص السردى	المسار السردى وتنظيم المحتوى	التحليل السيميائي للخطاب السردى
<b>sémiotique</b>	لا وجود لهذا المصطلح	- السيميولوجيا - السيميوطيقا - علم الدلائل	- السيميائية - السيميائيات	- السيميائية - السيميائيات	- السيميائية - السيميائيات

وبما أنّ للسميائية السردية مصطلحاتها الكثيرة الخاصة التي تحدد جهازها المفهومي، فإن الأمر يحتم علينا الوقوف عند البعض منها - الأكثر شيوعاً في النقد العربي السيميائي - من حيث مفهومها ومسارات ترجمتها لدى "عبد الحميد بورايو".

### 3-1 - مصطلح السيميائية (sémiotique):

لقد عرف هذا المصطلح كما كنا قد أشرنا في مبحث سابق، اضطراباً حتى في البيئة الغربية التي ولد ونشأ بها، حيث ظل الأمر مستمراً لسنوات إلى أن فصلت اللجنة الدولية للسيميائيات في هذا الإشكال سنة 1969م معتمدة مصطلح "sémiotique" باعتباره يغطي معنى الفظتين دون إلغاء "sémiotique"، وبعد ظهور مدرسة باريس السيميائية شاع استخدام مصطلح السيميائية (sémiotique) لهذه المدرسة ولغيرها، ويوضح الباحث ذلك بتأكيد استخدام الدراسات السيميائية للمصطلحين حيث "يميل الباحثون إلى استعمال مصطلح السيميولوجيا للدلالة على تاريخ العلم ومبادئه النظرية وروافده في العلوم الأخرى، أما السيميائيات أو السيميائية فتشمل الدلالة على الحقل التطبيقية"<sup>1</sup>.

فيما انعكست هذه الفوضى المصطلحية على البيئة النقدية الجزائرية والعربية لسنوات طويلة، وتجلت ذلك في العدد الهائل للمقابل العربي لهذا المصطلح.

ولدى الناقد "عبد الحميد بورايو" فلقد غاب المصطلح تماماً عن باكورة أعماله النقدية (القصص الشعبي في منطقة بسكرة)، ليعتمد بعدها مصطلحات: السيميولوجيا والسيميوطيقا وعلم الدلائل لدى ترجمته لكتاب "مدخل إلى السيميولوجيا، نص - صورة"، ثم يستقر به الحال لاحقاً بمختلف ترجماته ومؤلفاته النقدية (منطق السرد، المسار السردى وتنظيم المحتوى، التحليل السيميائي للخطاب السردى الكشف عن المعنى في النص السردى، النظرية السيميائية السردية) على مصطلحي السيميائية والسيميائيات.

<sup>1</sup> - عبد الحميد بورايو، حوارات ومقدمات وافتتاحيات وشهادات، ص 42

## 3-2- في البنية السطحية:

## 3-2-1- المكون السردية:

## السردية:

يذكر "القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان" أن مصطلح السرديات (Narratologie) كان من اقتراح "تودوروف" سنة 1969م لأجل "تدريس علم لم يوجد بعد، ألا وهو علم القصة"<sup>1</sup>. وقد أثار مصطلح (Narrativité) إشكالات كثيرة، حيث تداخل مع لفظة (العلم) من جهة (Narratologie) التي ترجمت إلى سرديات وحكايات وعلم السرد، وكذا مع الصفة (Narratif) حيث ترجمة لفظة (Narrativité)، إلى السردية والقصصية والحكاية.

وفيما ترجم مصطلح (Narratologie) من قبل عدد من النقاد إلى (السردانية، السردية السرديات السردانية...) فإن "عبد الحميد بورايو"، يعيب المصطلح كلياً من مؤلفه الأول (القصص الشعبي في منطقة بسكرة)، ثم يستخدم مقابلاً له (النظريات المتعلقة بالسرد) و(الأبحاث السردية) في كتابه (الحكايات الخرافية للمغرب العربي)<sup>2</sup>، وفي مؤلفه (منطق السرد) يورد مقابلاً له كلاً من (علم القص وعلم السرد)<sup>3</sup> بينما في كتابه (البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري) يقترح مصطلحاً آخر هو مصطلح (علم السرديات)، حيث يقول في ذلك "... خطوات منهجية تستفيد من منجزات السيميولوجيا وعلم السرديات Narratologie"<sup>4</sup>

ليستقر به الأمر بداية من مؤلف (المسار السردية، وتنظيم المحتوى) على مصطلحي (السرديات والسردية) ومن ذلك قوله: " يدعم اختيارنا للمدونة رأي أحد رواد السرديات...."<sup>5</sup>، وقوله أيضاً " ... استراتيجية سردية، تندرج وتتمثل فيها جميع التجارب..."<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - ديكرو أوزوالد، سشايغر جان ماري، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر العياشي، المركز الثقافي العربي المغرب/ لبنان، ط2 2007، ص

<sup>2</sup> - عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص 06، 123

<sup>3</sup> - عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 28-64

<sup>4</sup> - عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطل الضحية في الادب الشفوي الجزائري، ص 02

<sup>5</sup> - عبد الحميد بورايو، المسار السردية وتنظيم المحتوى، ص 10

وما يستدعي الإشارة إليه في هذا الشأن مؤاخذاً الناقد "يوسف وغليسي" على "عبد الحميد بورايو" المزوجة بين مصطلحي (السرديات البنيوية والسيميائية السردية)، حيث لا علاقة بين منهجية بين (جينات وتودوروف) ومن تبعهما وبين جماعة مدرسة باريس السيميائية (تيار غريماس وكورتيس)، حيث استعمل في كتابه (البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري) مصطلح "تودوروف" (Narrtologie)، لكنه بالمقابل يطبق منهج "غريماس" من خلال المحتوى الحكائي وآلياته الاصطلاحية وهو أمر لا يستقيم<sup>2</sup>.

### الملفوظ السردى:

لقد ورد (الملفوظ) في لسان العرب على لسان ابن بري: واسم ذلك الملفوظ ألفاظه ولقّاطه ولفيظ ولفظ ابن سيده " لفظ الشيء وبالشيء يلفظ لفظاً، فهو ملفوظ ولفيظ: رمى، والدنيا لافظة تلفظ بمن فيها إلى الآخرة، أي ترمي بهم، والأرض تلفظ الميت إذا لم تقبله، ويلفظ البحر الشيء يرمي به إلى الساحل"<sup>3</sup>، وقد ورد (يلفظ) أيضاً في القرآن الكريم في قوله تعالى: " مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ " <sup>4</sup>.

قدم "عبد الحميد بورايو" (الملفوظ السردى) مقابلاً للمصطلح النقدي الفرنسي "enonce-narratif"، من خلال مؤلفه ( المسار السردى وتنظيم المحتوى) في تحليله السيميائي لحكايات من ألف ليلة وليلة، معتبراً أن الملفوظ السردى ينتظم في القصة "حسب محورين اثنين نظمي وإيجابي، فكل قصة معنى من حيث هي أولاً: منتجة لقضية تتطور وتؤدّى من خلال وحدات توزيعية سنسميها وظائفنا وثانياً من حيث كونها تمثل استثماراً لعدد من الدلالات المنتهية لنسق مرجعي ومتجسد عن طريق الحوافز" <sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - م، ن، ص 08

<sup>2</sup> - ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 302

<sup>3</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج 9، ص 64

<sup>4</sup> - سورة ق، الآية: 18

<sup>5</sup> - عبد الحميد بورايو، المسار السردى وتنظيم المحتوى، ص 23.

معارضاً بذلك "غريماس" الذي قصر ( الملفوظ السردى ) على ما ينتظم من مقولات الحالة ومقولات الفعل موسعاً بذلك المفهوم ليشمل الوظائف في سيرورتها، والتي من خلالها يتشكل المسار السردى للقصة وتعدد دلالاته.

### المقطوعة السردية:

ورد مصطلح (المقطوعة) في التراث العربى في معجم أساس البلاغة لدى الزمخشري في قوله:

"... بمقطوعة وقطعة وما عليها من الحلى إلا مقطوع شيء يسير من شذور ونجوم"<sup>1</sup>.

وفيما يستعمل كل من "سعيد بنكراد" و"حميد حميداني" و"صلاح فضل" مصطلح (متتالية) مقابلاً للمصطلح الفرنسى (sequence)، حيث يقول "صلاح فضل": "إن النص لا يمثل مجرد متوالية" séquence "من مجموعة علامات تقع بين حدين فاصلين"<sup>2</sup>، يفضل "رشيد بن مالك" المقابل العربى (مقطوعة) "في السيميائية السردية للدلالة على الوحدة النصية التي تصدر عن التقطيع"<sup>3</sup> مفضلاً بذلك العودة إلى مفهوم التراث العربى.

ويتفق "عبد الحميد بورايو" مع "رشيد بن مالك" في ترجمة المصطلح "sequence" إلى (مقطوعة) للدلالة على مجموعة من المتتاليات، تخضع لأشكال مختلفة من العلاقات وتمثل المقطوعة بنية متكاملة، وهي تعد الوحدة الحقيقية محتوية القصة على المستوى الدلالي، وتتمتع بحرية نسبية في ارتباطها بغيرها من المقطوعات، إذا ما قيست بالوحدات السالفة الذكر"<sup>4</sup>، غير أنه استعاض عن المقطوعة بالمتوالية في كتاب (الحكايات الخرافية للمغرب العربى).

### البنية الفاعلية:

يستخدم العديد من النقاد العرب مصطلح (عامل) مقابلاً للمصطلح الفرنسى (Actant) على غرار "محمد مفتاح" الذي يعده "كل كيان مؤهل لأن يمارس على كيانات أخرى حكمه، مغيراً خصائصها

<sup>1</sup> - الزمخشري، أساس البلاغة، ج2، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ص 88

<sup>2</sup> - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، مجلة عالم المعرفة، ع 164، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1992م، ص 216

<sup>3</sup> - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص189

<sup>4</sup> - عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص 138



ومواقعها"<sup>1</sup>، وهو نفس المقابل الذي ذهب إليه كل من "رشيد بن مالك" و"السعيد بوطاجين" لأجل التمييز بينه وبين مصطلح (فاعل) حيث مصطلح "عامل، قد يستخدم بغرض لا يرتبط ارتباطا وثيقا بالفعل...ومن ثم فإن ربط العامل بـ: الفعل يعد إخلالا بمعناه"<sup>2</sup>.

بينما يترجم "عبد الحميد بورايو" مصطلح (Actant) إلى (الفاعل) أو (القائم بالفعل) ثم يستعويض عنهما بمصطلح (الشخصية) أو (الدور) أو (الممثل) قبل ذلك، مما يدل على اضطراب واضح في تحليلاته الأولى.

ليستقر في الأخير على مصطلح (الشخصية)، حيث يقول: "وقد احتفظنا في بحثنا بمصطلح "شخصية" لعدم وجود بديل يمكن أن يحل محله من ناحية، ولأنه قابل لأن يحمل فهما جديدا يتماشى مع النتائج التي نتوصل إليها من خلال استقراءنا للنصوص من ناحية أخرى، مع تنبيهنا إلى أنه يجب استبعاد ما يتعلق بهذا المصطلح من مفاهيم تقليدية للشخصية، ككائن مستقل يتحدد معناه في ذاته"<sup>3</sup>.

وقد أدخل مصطلح (Actant) إلى السرد من قبل "غريماس"، الذي استخدمه ليشير إلى وحدة تركيبية أسمائها (البنية الفاعلة) حسب ترجمة الباحث، والتي تتألف من ستة عناصر هي: الذات / الموضوع، المرسل/المرسل اليه، المساعد/ المعارض.

### الذات:

في بداية كتاباته النقدية (القصص الشعبي في منطقة بسكرة) أورد الباحث مصطلح (فاعل) مقابلا للمصطلح الفرنسي (Sujet) وواصل ذلك مع مؤلف (الحكايات الخرافية للمغرب العربي) لكنه عدل عن ذلك ليفضل مصطلح (الذات) في مؤلفاته الأخيرة (المسار السردى وتنظيم المحتوى والتحليل السيميائي للخطاب السردى).

<sup>1</sup> - نورالدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، ج1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، 1997م، ص

<sup>2</sup> - السعيد بوطاجين، الترجمة والمصطلح، ص05

<sup>3</sup> - عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص153-154

## الموضوع:

يعني مصطلح (Objet) في الحقل السيميائي " مجموعة دلالية مجسّمة ومبكرة، أو إطار متدرج من عناصر غير مستمرة، تعتبر بأنها تصور وتعبّر عن الوحدات التجريبية الأكثر شمولية"<sup>1</sup>. وقد اختار "عبد الحميد بورايو" (الموضوع) مقابلا عربيا لمصطلح (Objet) الفرنسي، حيث العلاقة الجامعة بين الذات وموضوعها هي علاقة الرغبة ( relation de desive )، والتي من خلالها تظهر حالي التناقض.

## - انفصال (Disjonction):

وتعني الوظيفة المحددة لحالة الرحيل أو الفراق على مستوى الشخصيات أو الشخصية وممتلكاتها وهو نمطين ( إنفصال النقيضين وإنفصال المقابلين)

## - إتصال (Conjonction)

" يجب أن تطابق الوصلة من المنظور الاستبدالي في السيميائية السردية عنصرا من عنصري مقولة الصلة، التي تتقدم على المستوى النظمي كوظيفة ( العلاقات بين الفاعل والموضوع) مشكلة للمفوضات الحالة"<sup>2</sup>، وقد استعمل الباحث مصطلح (إتصال) مقابلا للمصطلح الأجنبي (Conjonction).

## - المرسل/المرسل إليه:

وهما عاملان من عوامل التبلي وهما ضمنيان في كل ملفوظ ومفترضان بشكل منطقي، وقد اختار الناقد المقابل العربي: المرسل/المرسل إليه، ترجمة للمصطلحين الأجنبيين (destinateur/destinataire).<sup>3</sup>

## المساعد والمعارض:

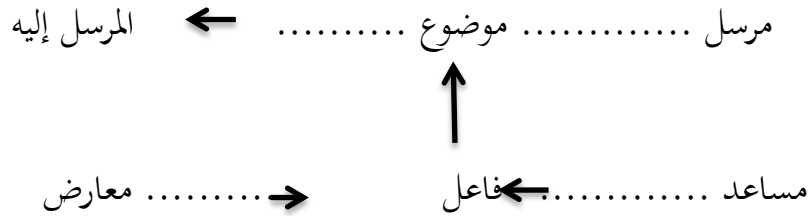
أورد "عبد الحميد بورايو" مصطلح (مساعد) مقابلا ل (Adjuvant)، وهو يعمل على تقديم المساعدة إلى الفاعل (البطل) لتحقيق الرغبة وتسهيل الإتصال، فيما ترجم مصطلح (Opposant) إلى (معارض) وهي شخصية تعمل على وضع الحواجز أمام الفاعل للإحالة دون تحقيق رغبة، حيث تقوم بين الطرفين

<sup>1</sup> - جيرالد برنس، قاموس المصطلح السردية، ترجمة: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، للقاهرة، ط1، 2003، ص 232

<sup>2</sup> - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص 40

<sup>3</sup> - ينظر: منطق السرد، ص 49-50

(المساعد والمعارض) علاقة تقابل، ولأجل تلخيص العلاقة بين عناصر البنية الفاعلية يورد الباحث الترسيم التالية<sup>1</sup>.



### التحويل:

"يفهم من التحويل بصفة عامة التعالق بين موضوعين أو مواضيع سيميائية متعددة: جمل مقطوعات نصية، خطابات، أنظمة سيميائية ..."<sup>2</sup>، حيث أطلق "عبد الحميد بورايو" مصطلح (التحول) مقابلا للمصطلح الفرنسي (Transformation)<sup>3</sup>، وهو فعل صادر عن أحد الأطراف المساهمة في الوضعية الافتتاحية، ويؤدي إلى تغيير العلاقات المذكورة سابقا<sup>4</sup>.

### البرنامج السردى:

أورد الناقد (البرنامج السردى) للمصطلح الفرنسي (programme narratif)، في دراسته لحكايات من "ألف ليلة وليلة" و"كليلة ودمنة"، والبرنامج السردى هو تتابع الحالات وتحولاتها المتسلسلة على أساس العلاقة بين الفاعل والموضوع وتحولها (ملفوظات الحالة وملفوظات الفعل) حيث يعمل البرنامج السردى على تمثيل سردي "shéma narratif" ويعمل على تنظيم الملفوظات في أربعة مراحل على النحو التالي:

<sup>1</sup> - ينظر: م، ن، ص 50

<sup>2</sup> - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص 242

<sup>3</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو، المسار السردى وتنظيم المحتوى، ص 48

<sup>4</sup> - م.ن، ص 24

## أ- التحريك:

آثر "عبد الحميد بورايو" استعمال مصطلح (التحريك) أو (الاستعمال) لترجمة المصطلح الفرنسي (manipulation)، حيث يقول: " يتحدد " التحريك " (أو الاستعمال) (manipulation) باعتباره فعل فعل ، أي أن المرسل المحرك والمحفز<sup>1</sup>، بالرغم من موافقته على مقترح "رشيد بن مالك" الذي ترجمه إلى (التفعيل) وهو الذي يؤكد ذلك بقوله " وقد عرضنا هذه الترجمة على الأساتذة، بورايو عبد الحميد بوزيدة عبد القادر، وبيرنار بوتي (مؤخرا في جلسة علمية جمعني به بتاريخ 2000/01/04م في باريس فأبدوا موافقتهم المبدئية على هذه الترجمة"<sup>2</sup>، بعد تحفظاته على مصطلحات : " الاستعمال"، " الايعاز" " التحريك" التي كان قد تبناها فيما سبق.

## ب- الكفاءة:

يقترح الباحث المصطلح العربي (الكفاءة) لترجمة المصطلح الفرنسي (competence) ، حيث يتفق في ذلك مع كل من "رشيد بن مالك" و"محمد ناصر العجمي" حيث تكفل بحسبه الكفاءة للذات المنجزة القيام بدورها المتمثل في الإتصال بموضوع القيمة<sup>3</sup>.

## ج- الأداء:

يترجم "بورايو" المصطلح الأجنبي (performance) إلى (الأداء) في العربية، حيث يكمن الأداء بحسبه في البرامج السردية التي تأسست عليها القصة، والتي قد تنتهي بفشل أو نجاح الذات في إتصالها بموضوع قيمتها ، فيما يترجم المصطلح ذاته إلى (الإنجاز) عند ترجمته لقصة (الغراب والثعلب) لـ"جورج موراند" (Georges maurand)- مقارنة سردية خطابية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - م.ن، ص 77

<sup>2</sup> - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص 27

<sup>3</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو، التحليل السيميائي للخطاب السردى، ص 76

<sup>4</sup> - ينظر: ترجمة عبد الحميد بورايو لقصة "الغراب والثعلب" (المنهج السيميائي، الخلفيات النظرية والآليات التطبيقية، غريماس وآخرون ، دار التنوير الجزائر،

ط1، 2013، ص390)

## د- التقويم:

يؤثر "عبد الحميد بورايو" المقابل العربي (التقويم) للمصطلح الأجنبي (sanction)<sup>1</sup>، بينما يترجمه "رشيد بن مالك" إلى (التقييم)<sup>2</sup>، لكن "يوسف وغليسي" يعيب عليه ذلك مقترحا مصطلح (الجزء) لأن (تقييم) أقرب إلى ترجمة مصطلح (evaluation)<sup>3</sup>.

## 3-2-2- المكون التصوري:

## أ- الحقل المعجمي:

خلاف لـ "رشيد بن مالك" الذي يقترح مصطلح (الحقل الدلالي) في ترجمته لـ (Champ Sémantique) يورد "محمد الناصر العجمي" مصطلح (القطب الدلالي)، بينما يفضل "عبد الحميد بورايو" المقابل العربي (الحقل المعجمي)، حيث "تعتمد عملية إقامة جدول الحقل المعجمي على الفصل بين الأغراض من جهة والتجسيّدات التصويرية من جهة أخرى، وتسمح العملية في معالجة أولية للمعنى من خلال المظهر اللفظي للخطاب وبادراك مراتب التشاكل الدلالي في النص، وكذلك باكتشاف بنيات القيم والأدوار الغرضية والأغراض وموضوعات القيمة والفاعلين، ومختلف الأداءات المشكلة للبرامج السردية"<sup>4</sup>.

وكإجراء عملي وبعد قراءة النص محل الدراسة عدة مرات، يقترح الناقد استخراج المفردات الأساسية المبينة للدلالة ويضعها في جداول مجمعة وفق مقولات دلالية معممة ودقيقة في تعيينها للمعنى الإجمالي للنص، من خلال اعتماد مبدأي التشابه والتخالف وحيث المعنى المتعلق بكل مفردة مستخرجة من النص يتم وفق دلالتها في السياق النصي<sup>5</sup>.

## ب- الممثل:

يترجم "عبد الحميد بورايو" مصطلح (Actant) إلى (فاعل) ومصطلح (Acteur) إلى (ممثل)، حيث يميز

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو، التحليل السيميائي للخطاب السردى، ص 78

<sup>2</sup> - ينظر: رشيد بن مالك قاموس، مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص 157

<sup>3</sup> - ينظر: يوسف وغليسي، في ظلال النصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية، ص 329

<sup>4</sup> - عبد الحميد بورايو، التحليل السيميائي للخطاب السردى، ص 69

<sup>5</sup> - ينظر: م، ن، ص 69-70

بين المصطلحين، إذ الفواعل تنتمي لتكوين سردي، فيما يمكن التعرف على الممثلين من خلال الخطابات الخاصة، وهو تمييز يعتقد أنه يفيد في التفريق بين المستويين، أين يمكن أن يتموقع التفكير حول السردية، مقرا في الآن ذاته، الأمر آثار عدة صعوبات في البداية، وهو ما عقّد من الإشكالية السردية<sup>1</sup>، حيث لا يستطيع هذين المصطلحين استعاضة (الشخصية) لأنهما لا يستطيعان أن يحلا محلها. والواقع أن "غريماس" نفسه قد أورد هذين المصطلحين، نظرا لدقتهما وتجاوزهما الدلالة النفسية لمصطلح (الشخصية).

### 3-3- في البنية العميقة:

وهي المقابل الترجمي العربي للمصطلح الفرنسي (structure profonde) لدى الباحث، وهي تقابل البنية السطحية وتعود إلى المجال القابل للملاحظة، حيث العمق مع ذلك حامل لإيحاءات إيديولوجية بفعل إحالة إلى سيكولوجية الأعماق، ولأن معناه يقترب دائما من معنى الأصالة<sup>2</sup>. وتمثل البنية الأولية أنموذجا للتمفصل يقع في مستوى البنيات العميقة والمجردة، حيث تلعب دور الطريقة الوصفية التي تسمح بالكشف عن الوقائع السيميائية أو (التشكيلات المعنوية) السابقة للتجلي<sup>3</sup>.

### 3-3-1- المربع السيميائي:

لجأ "عبد الحميد بورايو" من أجل رصد المعنى في الحكايات التي قام بدراستها (من ألف ليلة وليلة) إلى استخدام أنموذج البنية الأولية المسمى عند السيميائيين بـ "المربع السيميائي"<sup>4</sup>، فالناقد يوازي بين البنية الأولية والمربع السيميائي "carre sémiotique" الذي يعتبره صياغة منطقية قائمة على نمذجة العلاقات الأولية (أو التأسيسية) للدلالة القاعدية التي تتلخص كما هو معروف في مقولات: التناقض والتقابل والتلازم، فهو بذلك أنموذج توليدي ينظم الدلالة ويكشف عن آلية إنتاجها عبر التركيب الأساسي للمعنى من جهة، ويعد أيضا أداة منهجية تسمح برصد انبثاق المعنى منذ حالاته الأولية وحتى حالاته

<sup>1</sup> - ينظر: غريماس وآخرون، الكشف عن المعنى في النص السردي، النظرية السيميائية السردية، تر: عبد الحميد بورايو، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2008، ص 24

<sup>2</sup> - ينظر: م، ن، ص 07

<sup>3</sup> - عبد الحميد بورايو، المسار السردية وتنظيم المحتوى، ص 28

<sup>4</sup> - ينظر: م، ن، ص 28

التركيبية المختلفة المتبدية في الدلالة التأسيسية، ثم في مختلف التجليات: الصيغية والفاعلية والوظائفية والخلافية والفضائية... من جهة أخرى.<sup>1</sup>

### خلاصة:

إن ما يمكن رصده في دراستنا لمبحث المصطلح النقدي السيميائي عند "عبد الحميد بورايو" يمكن تسجيله في الملاحظات التالية:

1- لعل الخيار المنهجي الذي اعتمده مع بداية مساره النقدي (القصص الشعبي في منطقة بسكرة) قد زاد من تضخم إشكاليتي المصطلح والمنهج النقدي معاً، حيث يقتضي الأمر استدعاء جهاز مصطلحي معقد من جهة، ومعرفة شمولية بمصطلحات كل منج من جهة أخرى.

2- من مظاهر الاضطراب المصطلحي لدى الباحث خاصة مع بداية مساره النقدي أيضاً:

أ- عدم تمثله للحدود الفارقة بين المناهج النقدية التي اعتمدها في تركيبه المنهجي، وإغفال إيرادها بمسمياتها بالرغم من تبنيه لتطبيقاتها (البنوية التكوينية، السيميائية السردية، السردية، البنوية الأنتربولوجية...).

ب - إعراضه عن نقل بعض المصطلحات أو ترجمتها إلى العربية (المربع السيميائي، النموذج العملي...)، رغم تعامله معها إجرائياً.

ج - تعديده المقابلات العربية للمصطلح الأجنبي الواحد ومن ذلك ترجمته لمصطلح (Manipulation) إلى: التحريك، الاستعمال، التفعيل، وكذا مصطلح (Isotopie)، الذي قابله بمصطلحات: إزوتوبيا القطب الدلالي والتشاكل.

د- ترجمته لبعض المصطلحات الأجنبية ثم الاستعاضة عنها بأخرى، كما فعل لدى ترجمته لمصطلح (Actant) إلى (الفاعل) و (Acteur) إلى (الممثل) ثم العدول عنهما بمصطلح (الشخصية).

<sup>1</sup> - م. ن، ص 28

3- لقد اعتمد " عبد الحميد بورايو " عدة آليات في نقله للمصطلح الأجنبي إلى العربية، ومن ذلك تعريبه للعديد من المصطلحات ( إزوتوبيا، مرفولوجية...) واعتماده الإشتقاق في مواضع أخرى (السيميائية).

4- إن الجهاز المصطلحي للناقد يظهر تأثره الواضح بمرجعيتي (بروب وغريماس)، حيث استقى أغلب مصطلحاته السيميائية منهما ( مورفولوجيا الحكاية الخرافية لبروب والقاموس المعقلن لغريماس وكورتيس).

5- لقد أصبح الباحث أكثر تحكما في جهازه المصطلحي مع منجزاته النقدية الأخيرة بعد نضوج تجربته النقدية وإفادته من منجزات غيره، حيث يصرح بنفسه قائلا في إحداها:

"حاولت قدر الإمكان أن أتقارب في اختيارها - المصطلحات النقدية- مع زملائي المنشغلين بها فأستفيد من اجتهاداتهم، وأخص بالذكر هنا الأساتذة: رشد بن مالك والسعيد بوطاجين والسعيد بنكراد"<sup>1</sup>.

كما أن تسخير جهده للسيميائيات السردية في دراساته الأخيرة أيضا، كان له الأثر الإيجابي في وضوح المصطلح ودقته.

#### 4- الرؤية النقدية عند "عبد الحميد بورايو":

##### 4-1- إشكالية المنهج عند "عبد الحميد بورايو":

إن الممارسة النقدية تتطلب توفر المنهج الذي يعد أساس الفعل النقدي، حيث العملية النقدية ذاتها لا تتحقق إلا بتوفر عملية قبلية ممثلة هوية المنهج وقنواته، إذ المنهج في النهاية" يعتمد على نظرية ذات أبعاد فلسفية وفكرية، ويشترط فيه أن تحدد أدواته الإجرائية بدقة ليتمكن من تحليل الظاهرة المدروسة."<sup>2</sup> كما أنّ الآليات النقدية لا تؤتي أكلها إلا إذا تماهت مع النص المقارب وتفاعلت مع متغيراته المتعددة إذ" لا يكون لها أثر بالغ على العملية الإجرائية، إذا لم تدخل في عملية تفاعل مستمرة مع جميع عناصر

<sup>1</sup> - عبد الحميد بورايو، المنهج السيميائي، الخلفيات النظرية وآليات التطبيق، ص 06

<sup>2</sup> - نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 95



النص، - فغياب ذلك - تؤدي غالبا إلى خلخلة في الرؤية إلى النص، وبالتالي في البناء النقدي للناقد<sup>1</sup>.

ولقد أدرك "عبد الحميد بورايو" إشكالية المنهج، حيث عدها من بين أهم الإشكالات التي طرحت في النقد العربي المعاصر، باعتبارها قضية شائكة مرتبطة بالإنجازات النقدية الواسعة التي حققها العصر بحيث تعد هذه المسألة - حسب - ألف ياء الأزمة النقدية المطروحة بالنسبة للدراسات العربية<sup>2</sup>، على اعتبار أن المدونات النقدية العربية القديمة لم تستطع - رغم جهودها - تقديم منهج نقدي قابل للحياة "واكتفت بما تستشفه من جوانب لغوية وبلاغة وتاريخية، ومن ثم ازدادت الحاجة إلى مناهج جديدة يدرس النص الأدبي في ضوءها"<sup>3</sup>.

ليدرك الناقد العربي في الأزمنة الحديثة والمعاصرة، أن لا مناص له سوى التفاعل مع المناهج الغربية ومحاولة تطويعها بما تخدم الفعل النقدي العربي، حيث كان وعي النقاد العرب بالمناهج النقدية العلمية وأهميتها في الدراسات النقدية متأخرا، إذا ما قورن بزمن ظهورها في الغرب مع بدايات القرن التاسع عشر من القرن الماضي .

و"عبد الحميد بورايو" من نخبة المثقفين والأكاديميين التي كانت ترى بأن الواقع المعرفي في العالم المعاصر أصبح يتطلب معرفة علمية ومنهجية تسير التطور العلمي<sup>4</sup>، لذلك كان من الذين ثاروا على المناهج النقدية التقليدية التي ظلت مهيمنة ردحا من الزمن على المشهد النقدي العربي، ودعا إلى ضرورة مراجعة الأمر، مؤكداً بأن " لا بد من أن نعيد النظر في تلك الدراسات التي استمدت مناهجها وطرق بحثها من علم النفس ومن التاريخ ومن علم الجمال..."<sup>5</sup>.

فقد حول توجهه النقدي نحو الطروحات الغربية الحداثية في مجال علم السرد، منذ نهاية القرن الماضي وقد كان قبل ذلك ميالا إلى النقد السوسولوجي بسبب قناعاته الإيديولوجية اليسارية، وكان من ثمار هذا

1- عمار زغموش، النص الأدبي المعاصر في الجزائر - قضاياها واتجاهاته، ص 56

2- ينظر: عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 02

3- عبد الملك مرتاض، النص الأدبي، من أين؟ وإلى أين؟، ص 03

4- ينظر: عبد الله أبو هيف، النقد الأدبي العربي الجديد في القصة والرواية والسرد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا 2000، ص 275

5- عبد الحميد بورايو، المسار السردى وتنظيم المحتوى، ص 21

التوجه النقدي الجديد ظهور منجزه النقدي الرائد ( القصص الشعبي في منطقة بسكرة) سنة 1979م والذي أحدث هزة عنيفة في الخطاب النقدي الاكاديمي الذي لم يعهد تلك المقاربات النصّانية الجديدة التي مارسها الناقد (المنهج البنيوي) وحتى هو نفسه كان يدرك " أنه مقدم على تجربة عسيرة غير مأمونة السبيل، فالدراسة البنائية للنص الأدبي ما زالت تخطو خطواتها الأولى، وعلى استحياء في الدراسات الأدبية العربية"<sup>1</sup>.

وقد كان من تداعيات هذه التجربة تصدي النقاد الكلاسيكيين الانطباعيين لذلك، مقابل مساندة ثلة من الحدائين الداعين إلى الإفادة من المناهج النقدية الغربية النسقية، والذين حملوا على عاتقهم لواء تحديث الخطاب النقدي الجزائري.

لقد وجد "عبد الحميد بورايو" نفسه مرغما على تغيير مساره النقدي بعد توجه معظم الدراسات الأدبية نحو علمنة الأدب والإفادة من العلوم الأخرى وتطبيق البحث وفق مناهجها، وقد لفت انتباهه خلال مرحلة إنجازه لبحوثه الأكاديمية (الماجستير والدكتوراه) مناهج عدة ( المنهج الشكلاني الروسي مع رائده فلاديمير بروب والبنوية الأنثروبولوجية لليلفي ستراوس...)، بعد أن حوّل إهتماماته نحو التراث الأدبي الشعبي الموغل في القدم والذي ظل متداولاً "ومن الصعوبة بمكان تفسيره بالوسائل المنهجية التي يتيحها المنهج السوسولوجي"<sup>2</sup>.

حيث عمل الباحث على تبليغ التيارات النقدية الجديدة للطلبة للإفادة منها في إنجاز أبحاثهم، إضافة إلى مساعدتهم على تحليل النص الأدبي الشعبي، و التعامل معه تعاملًا مميزًا من خلال تمييزه والتعرف على قيمه الرمزية، كما استثمر تيارات منهجية أخرى (الأنثروبولوجيا، التحليل النفسي، التداولية...) معتبرا إياها مداخل وأدوات منهجية لتحليل النصوص السردية<sup>3</sup>.

وبرغم صعوبة البدايات بسبب مقاومة النقاد التقليديين ودرج الدرس النقدي على الانطباعية والمناهج السياقية، إستطاع الناقد مع ثلة من أقرانه الإفادة من المناهج النقدية الحدائية، حيث تمكن جيله

<sup>1</sup> - عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص 07

<sup>2</sup> - عبد الحميد بورايو، حوارات ومقدمات وافتتاحيات وشهادات، ص 32

<sup>3</sup> - ينظر: م، ن، ص 38

"من استنابات الممارسة العلمية في مجال البحث الأدبي في نطاق الجامعة - ونجحوا نجاحا يعتبره الباحث باهرا - في علمنة الدرس الأدبي مستفيدين من المناهج الغربية ومن النقد العربي في عصر تراكمه وازدهاره ومن البحث اللساني خاصة"<sup>1</sup>، وظهرت دعوته مبكرا خلال ثمانينيات القرن الماضي إلى تحديث الدرس النقدي من خلال الدروس التي كان يلقيها بجامعة تلمسان، حيث شكل ذلك حدثا "محملا بقطيعة إيستمولوجية تؤسس لقيم علمية جديدة، يكون تثبيتها مرهونا بإعادة النظر في المنظومة التربوية المتسمة بالجمود والتقليد وغياب روح الإبداع والمبادرة"<sup>2</sup>.

#### 4-2- التركيب المنهجي، توفيق أم تلفيق؟:

لقد تلقى الناقد العربي المناهج النقدية الحداثية (من بنيوية وبنوية تكوينية وأسلوبية وسيميائية وتفكيكية...) بشكل متقارب زمنيا، فوجد نفسه أمام ركام من هذه المناهج الغربية الجديدة بمفاهيمها ومقولاتها ومصطلحاتها وتطبيقاتها، إضافة إلى رصيد معرفي تراثي كبير، وهو ما دفع عددا غير قليل من النقاد إلى اعتماد فكرة التركيب المنهجي<sup>3</sup>، التي تتطلب جهدا كبيرا في استيعاب مختلف هذه المناهج والإفادة منها بغية تطبيق ما يستجيب منها لطبيعة النص المدرس وعطائته التي "تناسب تناسبا طرديا مع مرونة المنهج النقدي المطبق عليه ومدى انفتاحه ودرجه تطويعه لاستيعاب ما يتيح النص من خصوبة دلالية وجمالية"<sup>4</sup>.

فالدافع إلى التركيب المنهجي هو السعي إلى تلقف مقولات المناهج الحداثية الغربية والإفادة منها ومسايرة مستجدات الفكر النقدي المعاصر، الذي يتكئ على المنهجة والعلمنة والفلسفة بما تخدم الدرس النقدي العربي، الذي ظل لردح من الزمن رهينا للانطباعية والشروح البلاغية والتصويبات اللغوية وأحكام القيمة والتفسيرات المضمونية الساقية، فيما المبادئ التي نبعت منها المناهج الحداثية ذات طبيعة نظرية تنحو إلى الكلية والتعميم ولا تختص بثقافة معينة، ومن ثم على الباحث الجزائري والعربي فهمها

<sup>1</sup> - م. ن، ص 51

<sup>2</sup> - رشيد بن مالك، من مقدمة ترجمته للسيميائية - مدرسة باريس - لجان كلود كوكي، دار الغرب، وهران، 2003، ص 10

<sup>3</sup> - من جملة هذه الأسماء: عبد الملك مرتاض، عبد الحميد بورايو، محمد مفتاح، عبد الله الغدامي، كمال أبو ديب ...

<sup>4</sup> - يوسف وغليسي، في ظلال النصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية، ص 306

ومحاولة إدراك خلفياتها الإيديولوجية ومسايرة مراحل تطورها، حتى يتسنى له تمثلها وفق رؤية نقدية متفحصة وواعية<sup>1</sup>.

إن توجه "عبد الحميد بورايو" للاشتغال على الأدب الشعبي كان دافعا آخرًا لتجريب آليات المناهج الحدائرية، حيث رأى أنها تفيد في "تحليل المواد الأدبية الشعبية مثل الإثنوآدبية والأنثروبولوجيا والسيميائيات والتداولية...، نظرا لكونها توفر مادة مناسبة للكشف عن طبيعة مواد الثقافة الشعبية وخاصة الأدب الشعبي، وبهدف تعليمي... والعناية بخاصة بالبعد الثقافي باعتباره مادة دالة بالنسبة للإنتاج الجمعي، يمكننا من التعرف على الذات الجمعية للمجتمع الجزائري..."<sup>2</sup>

إن التركيب المنهجي هو ديدن الباحث في مقارنته النقدية يلحظ ذلك كل متابع لمساره النقدي فالمهم بالنسبة له أن تنأى دراسة النص الأدبي عن التحليل السياقي التقليدي وعن الحكم القيمي، لأن ذلك ليس من المهام الأساسية لعملية التحليل النقدي إذا ما انتهج نهجا علميا.

ففي دراسته للحكايات الخرافية للمغرب العربي مثلا، أفاد الناقد في منهجيته التحليلية من دراسات عدة (البنوية الأنثروبولوجية لليفي ستراوس والأبحاث السردية الشكلية لبروب والدراسات الدلالية لجريماس والأبحاث الإثنوآدبية لجوزيف كورتيس) ويبرر ذلك لموقع الحكاية الخرافية ذاتها بين الأسطورة والأدب، فهي ترتبط بالفكر الميثولوجي لأنها سليلة الأسطورة من جهة، وتمثل الوسيط الثقافي الذي يسمح بانتقال المكونات الأسطورية من الخطاب العقائدي، إلى الخطاب الثقافي ذي الوسائط الجمالية والطبيعة الفنية من جهة أخرى<sup>3</sup>.

كما يلاحظ أيضا على مقاربات الباحث توجهها نقديا طاغيا بعينه، فلقد استثمر مقولات السيميائية السردية عند كل من (بروب وغريماس وبريمون) في مؤلفه، في تحليله السيميائي لحكايات من السرد العربي القديم ( ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة)، من خلال مؤلفه (التحليل السيميائي للخطاب السردية)، بينما في كتابه (منطق السرد - دراسات في القصة الجزائرية الحديثة)، فقد أفاد من أطروحات "جيرار جنيت"

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو، حوارات ومقدمات وافتتاحيات وشهادات، ص 24

<sup>2</sup> - م، ن، ص 28

<sup>3</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص 123

خاصة فيما يتعلق بدراسته للزمن، وفي الدراسة التطبيقية استثمر الباحث دراسات "كلود برعمون"، إضافة إلى تطعيم مقارباته بالمنهج التكويني لـ"لوسيان غولدمان".

وهو في ذلك وإن أخضع النص محل الدراسة إلى أكثر من منهج نقدي، فقد أولى عناية خاصة لتحليل الوظائفني لـ"فلاديمير بروب"، لدرجة أنه طغى في معظم تحليلاته بسبب طبيعة المادة المشتغل عليها (التراث الأدبي الشعبي في الغالب)، حيث دأب على تصدير تحليلاته بهذا المنهج ثم يقرنه بتحليلات أخرى كالتحليل السيميائي السردي أو البنيوي التكويني أو البنيوي الأنثروبولوجي فهو يعتبره - التحليل الوظائفني - خطوة أولية هامة للكشف عن دلالة النص المدروس.

ومن التقاليد التي دأب "عبد الحميد بورايو" السير عليها، اعتماده منهجية تحليلية واحدة يبقى وفيها لها طيلة دراسته التحليلية، وهي تلك التي يوضحها في مقدمات مؤلفاته مستندا على أنموذج أساسي وحيد يتم من خلاله تقطيع الخطابات موضوع الدراسة إلى مقاطع، لأن ذلك في رأيه يمثل شرطا لازما لتحليل مقارن يحافظ على طبيعة التكوين، ومظهر الانسجام وسياق التصور في المادة الخاضعة للنمذجة إذ تكشف مثل هذه النمذجة عن تنوعها وتساعد على المقارنة بينها وعلى إبراز الخصوصية البنيوية<sup>1</sup> غير أن إشكالية التركيب المنهجي تطرح لدى الناقد مدى إخلاصه حقيقة لمسألة هذا التركيب فضلا عن تهمة التوفيق أو التلفيق التي لم يسلم منها، فقد أحاط الكثير من اللبس طبيعة هذا المنهج الذي اعتمده في بداية مقارباته وفق المناهج النقدية النسقية على غرار العديد من النقاد المتخصصين ومن ذلك مؤلفه الأول (القصص الشعبي في منطقة بسكرة) الذي صرح في مقدمته اعتماد " المنهج البنيوي، ويرجع اختيار الباحث لهذا المنهج ليكون أدواته في تحليل النصوص إلى ما يوفره من وسائل تفتح آفاقا عديدة في دراسة النص وتكشف عن أبعاده المختلفة"<sup>2</sup>، فيما اعتبر "رشيد بن مالك" دراسته هذه - القصص الشعبي في منطقة بسكرة - تعكس البدايات الأولى للتوجه السيميائي في الجزائر، بينما اعتبر "يوسف وغليسي"<sup>3</sup> الدراسة ذاتها أول تجربة بنيوية تكوينية في النقد الجزائري<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو، المسار السردي وتحليل المحتوى، ص 29

<sup>2</sup> - عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص 06

<sup>3</sup> - ينظر: حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر (قراءة في مشاريع عبد الحميد بورايو، عبد الملك مرتاض، رشيد بن مالك)، ص 153

لكن المتتبع للإجراءات التحليلية المتبعة والجهاز المصطلحي المعتمد والمرجعية النقدية التي استند عليها الناقد، تظهر بأنه مزج بين توليفة منهجية متعددة، حيث لم يكن الوحيد صاحب قصب السبق فيها فقد اعتمد "كمال أبو ديب" أيضا تركيبا منهجيا في دراسته للشعر الجاهلي من خلال كتابه "الرؤى المقنعة" اعتبرها "سعد البازعي" خلطة بمقادير طريفة ومليئة بالدلالات على طبيعة المشكلة التي لا يعاني منها "أبو ديب" وحده، وإنما جانب كبير من الخطاب النقدي المعاصر... وإذا كان هناك نص عربي حديث يوضح مشكلة المنهج في خطابنا النقدي على نحو بارز لا يكاد يحتاج إلى تعليق، فهو الذي يضم هذه القائمة المثيرة للدهشة<sup>1</sup>.

إذ من غير المعقول إسقاط الآليات التطبيقية لمناهج متعددة دون الوقوع في مطب التلغيق أو التقصير حيث تزول صفة الشكلائية بالانفتاح على الدلالة، وتخرق المحايثة بالانفتاح على السياق...<sup>2</sup>.  
غير أن "عبد الحميد بورايو" لا يرى الأمر كذلك، فهو يعتقد أن الشكلائية والبنوية والسيميائية تترابط فيما بينها لتكون رؤية للنص، تراعي بصفة أساسية طبيعة بنائه الرمزية وتنحو نحو علمنة الدراسة الأدبية وتجعلها ممارسة مقلّدة ومنطقية، وتولي أهمية للبعد اللغوي في الظاهرة الأدبية وتساعد على تحليل النص الأدبي الشعبي - وتتعامل معه تعاملًا مميّزا، يسمح بتثمينه والتعرف على قيمه الرمزية، إضافة إلى أنه عني أيضا بتيارات منهجية أخرى حاول استثمارها (الدرس الأنثروبولوجي والتحليل النفسي والتداولية) معتبرا إياها مداخل وأدوات منهجية لتحليل النصوص السردية مراعيًا في ذلك القيمة التي يريد إبرازها والكشف عن أهميتها<sup>3</sup>.

كما راعى الناقد في أبحاثه أيضا، أن يبدأ تحليل النص بالتعرف على بنيته ذات الطبيعة الشكلية ثم ينتقل إلى محاولة معرفة ظروف إنتاجه الاجتماعية والنفسية، وهو ما تسمح به الأنثروبولوجية البنوية

<sup>1</sup> - سعد البازعي، مستقبل النقد، غربة السياق: من إشكالية المثاقفة في النقد الأدبي العربي الحديث، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع4، 2000، ص 136-137.

<sup>2</sup> - ينظر: هيام عطية عريعر، الخطاب النقدي العربي المعاصر وعلاقته بمناهج النقد الغربي، تموز للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط 1، 2012، ص

<sup>3</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو، حوارات ومقدمات وافتتاحيات وشهادات، ص 38

وسيميائية الثقافة، إذ يتم التعامل مع الإنتاج الفني باعتباره أنساقاً رمزية في حاجة إلى كشف مورفولوجيتها أولاً، ثم التعرف على البنية الاجتماعية التي أنتجتها<sup>1</sup>.

وفي موقف آخر يؤكد الباحث تبنيه للمبدأ ذاته (التركيب المنهجي) الذي عده ضرورة لا خيار للناقد عنه، بغية الوصول إلى نظرية تكاملية للنص الأدبي "من أجل معرفة مورفولوجية النص والاقتراب من منظور بروب وغريماس وكوريتس، ثم الانتقال إلى تأويل الدلالة (المحتوى) من منطلق منهجي منظم، يستعين بمفهوم البنية العميقة عند السيميائيين ومفهوم بنية المحتوى عند الأنثروبولوجيين (وخاصة ليفي ستروس) والمدرسة الأنثروبولوجية الرمزية عند غيرتز"<sup>2</sup>.

#### 4-3- بين صرامة المنهج وخصوصية النص:

إنّ المتأمل لمقاربات "عبد الحميد بورايو" يلاحظ دونما عناء ورغم إتكائه على إجراءات وآليات غريبة عدة، إلا أنه لا يرتبط بها ارتباطاً ميكانيكياً، فهو يدرك تماماً خصوصية النص المعالج، لذلك فهو يجتهد في تطويع تلك الآليات التي لا ريب أنها فصلت على مقاس نصي مختلف، والتي لا شك أن تكون غريبة نسبياً عن خصوصية النص المدروس ما دام الأمر يتعلق بمنهج نقدي غربي المنشأ أصلاً. فناقدنا تحذوه رغبة مستمرة في التأسيس لرؤية نقدية خاصة، تحاول الإفادة من المناهج الغريبة دون الخضوع الآلي لها، فهو يستعير منها الأدوات والوسائل من خلال قيامه بعمليات التمحيص والانتقاء ثم التعديل، بعد أن ينصت إلى ما يمليه النص وما يستدعيه من انسجام منهجي دون الوقوع في فخ ما يطلبه المنهج، وهو مكمّن السر في أصالة تجربته النقدية.

فالصرامة المنهجية قد تسم معارف أخرى ولكنها لا تتحقق على نحو مطلق في الدرس الأدبي، حيث الموقف "يتطلب نوعاً من العصيان، تمرداً على حدود المنهج وصرامته، كما يتطلب أيضاً، وهذا هو الأهم

<sup>1</sup> - م، ن، ص 33

<sup>2</sup> - م، ن، ص 52

أثاثا معرفيا يسوغ موقف الناقد ويرره فنيا وجماليا، تأسيسيا على الزاد السردي في سيرورته من أجل تفادي الأحكام الضمنية التي تصدر عن قلة معرفة"<sup>1</sup>.

وتعد دراسات "عبد الحميد بورايو" من المقاربات العربية القليلة التي استطاعت تجاوز ذلك الطابع التقني الذي تفتش في كثير من الدراسات، حيث أفلح الناقد نسبيا " في تجنب التطبيق الميكانيكي والارتباط الحرفي بالطرق والمناهج الغربية"<sup>2</sup>.

وعادة ما يوضح من خلال مداخل مؤلفاته النقدية - كم أسلفنا الذكر- الأطر المنهجية التي تنتظم وفقها خطواته التحليلية، هدفه في كل ذلك الابتعاد قدر الإمكان عن تحاليل تغرق في المفاهيم التقنية التي لا تقدم تصورات لقراءة النص في تميزه وخصوصياته فهو يركز جل اهتمامه على كيفية مواجهته - النص- منطلقا من " المفهوم الذي يرى في المنهج الوسائل الاجراءات التي تمكن من السيطرة على مادة معينة وفحصها فحصا دقيقا ومعرفة حقيقتها والكشف عنها، فإن أول خطوة ينبغي القيام بها هي تحديد نوعية المادة، ذلك أن هذه الوسائل والاجراءات يجب أن تستمد خصائصها بمراعاة طبيعة المادة التي تتعامل معها"<sup>3</sup>.

وقد توصل الناقد إلى هذه القناعة "لا طاعة لمنهج غربي في معصية النص العربي"<sup>4</sup> بتعبير "يوسف وغليسي"، بعد خبرة نقدية كبيرة ( تأليفا وتدريسا)، حيث يتطلب الأمر تجاوز ذلك النقد الذي أغرق في الانطباعية خلال أزمنة الخمسينيات والستينيات والسبعينيات من القرن الماضي من جهة والحاجة الماسة " إلى الدعوة إلى نقد يتجاوز الطرق الميكانيكية التي انبهرنا بها في فترة سابقة، نتيجة ميلنا المبالغ فيه إلى علمنة الدراسة الأدبية "<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - السعيد بوطاحين، المقاربات السردية، الحالة الجزائرية، ندوة الرواية العربية والنقد، المداخلات والتوصيات، 8-9 يناير 2010 الدار العربية للعلوم

ناشرون، ط1، 2010، ص 85

<sup>2</sup> - عبد الله أبو هيف، النقد الادبي العربي الجديد في القصة والرواية والسرد، ص 277

<sup>3</sup> - عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 09-10

<sup>4</sup> - يوسف وغليسي، في ظلال النصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية، ص 318

<sup>5</sup> - عبد الحميد بورايو، حوارات ومقدمات وافتتاحيات وشهادات، ص 25



فقناعة الباحث بضرورة تحرير النقد من القوالب المسبقة الجاهزة، والنحو به إلى التحرر والإبداع ظل قناعة راسخة في معظم مقارباته، وهو ما قاده إلى تحقيق ذلك النوع من التميز وتلك الأصالة المنشودة، حيث يؤكد هذه القناعة في عدد غير قليل من أعماله النقدية، ومن ذلك ما أورده في مؤلفه "البطل الملحمي والبطلة الضحية": "لقد حرصنا في معالجاتنا المختلفة لخطابات الحكاية الشعبية الجزائرية على استبعاد المفاهيم المنقولة بشكل حرفي عن الدراسات الغربية، كما عملنا على تجاوز التطبيقات الميكانيكية التي لا تعتمد على أدنى جهد تأصيلي وتمثيلي لهذه المفاهيم، وذلك درءاً للمزالق التي تقع فيها عادة التناولات النقدية الضحلة المستكنة لراحة السهولة والكسل، المعتمدة على إجتزار المفاهيم السطحية المستهلكة"<sup>1</sup>. وهي نفس الرؤية في مؤلف آخر له (الحكايات الخرافية للمغرب العربي) إذ يقول: "حاولت هذه الدراسة أن تتجنب قدر الإمكان الاعتماد على التطبيق الميكانيكي والارتباط الحرفي بالطرق والمناهج الغربية وعملت على الاستفادة منها، حسبما تمليه ضرورة مراعاة درجة تطور الأبحاث العلمية العالمية في هذا الميدان وما يتطلبه تحقيق الانسجام المنهجي، وكذلك طبيعة المادة موضوع الدراسة، دون التقيد بطريقة باحث معين أو فرع وحيد من فروع الدراسات الإنسانية، كما عملت على احترام خصوصية الخطاب الشفوي ذي الطبيعة الفنية"<sup>2</sup>.

إنها ولاشك رؤية تولدت لدى الناقد بعد خبرة طويلة من الممارسة النقدية، تنم عن وعي بأهمية التعامل مع المناهج النقدية وإن كانت غريبة المنشأ، من خلال إخضاعها لخصوصية النص المقارب الذي يجب الإنصات له، ولكن بعيداً عن كل أشكال التعميم والتسطيح، وبعيداً أيضاً عن تلك الميكانيكية الفجة .

#### 4-4- المقاربة المنهجية في التحليل السيميائي عند "عبد الحميد بورايو":

يسعى "عبد الحميد بورايو" من خلال مقارباته النقدية إلى التأسيس لمنهجية نقدية مغايرة، يمكن من خلالها وصف مكونات النصوص السردية التي يشتغل عليها و تفسيرها وتلمس مختلف جوانبها، وفق

<sup>1</sup> - عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطلة الضحية، ص 81

<sup>2</sup> - عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص 123

مرجعيات مضبوطة ورؤية خاصة، متجاوزا بذلك ما كان مألوفا وسائدا من أدوات تقليدية غارقة في العمومية والسطحية والعنقاة استنفذت كل آلياتها القرائية وفق رؤية نقدية فاعلة. فقد كانت منهجية الناقد التي وسمت تحليلاته للنصوص السردية التراثية / الشعبية التي قاربها، في عمومها تنقسم إلى ثلاث خطوات منهجية أساسية<sup>1</sup>:

#### أ- التحليل الخطي:

ويتم عادة عبر التحليل الوظيفي لـ "فلاديمير بروب" والذي طوره لا حقا كل من "غريماش" و "كورتيس" و "كلود بريمون"، وهو تحليل يراعي التسلسل السردى المبني على العلاقات السياقية السردية.

#### ب- التحليل الدلالي:

ويتم عادة عبر التحليل البنيوي الأنثروبولوجي أو السيميائية السردية على المستوى البنية العميقة حيث يمكن ذلك من كشف علاقات التضاد الكامنة ومن ثم البنى الأولية للدلالة، إذ لا بد حسب الناقد من "قراءة لخطاب الحكاية، الأولى خطية تراعي التسلسل السردى وتضع في اعتبارها العلاقات السياقية، والثانية تعمل على استخراج علاقات التضاد الكامنة ذات الطبيعة الاستدلالية..."<sup>2</sup>.

#### ج- التفسير السياقي:

وهو الخطوة النهائية التي تسمح بانثاق دلالة النص في صيغتها النهائية، حيث يتم ذلك من خلال ربط البنى النصية وحمولتها الدلالية بسياق الإنتاج الثقافي والظروف الاجتماعية والنفسية والمعطيات الأنثروبولوجية...

فالمقاربة المنهجية لدى الباحث تنطلق من المفهوم الذي يرى فيها حاملا لدلالة وجب الكشف عنها، حيث الخطاب ينظر إليه كنتاج للأحداث في مستوى التجلي ثم معالجة مستوى الرسالة المبتوثة

<sup>1</sup> - ينظر: حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، ص 134

<sup>2</sup> - عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطلة الملحمية في الأدب الشفوي الجزائري، ص 82

(المعنى العميق)، والذي يقود هو الآخر إلى استخراج العلاقة المفترضة للحكاية المدروسة بغيرها من الحكايات وعلاقتها بالمجتمع التي تداولت فيه<sup>1</sup>.

كما أنّ هذه المقاربة يمكن تقسيمها إلى مرحلتين أساسيتين:

### المرحلة الأولى:

هي مرحلة نهاية السبعينيات من القرن الماضي والتي وسّمها الناقد بمرحلة المنهج البنائي، ويمثلها مؤلفه "القصص الشعبي في منطقة بسكرة"، حيث أفاد في مختلف تحليلاته لقصص المنطقة من عدة تيارات منهجية هي: التحليل الوظيفي عند "بروب"، شعرية النثر عند "تودوروف"، علم الدلالة البنائي عند "غريماس"، منطق الحكيم عند "بريمون"، تحليل الأسطورة عند "ستراوس" والبنائية التوليدية عند "غولدمان"، مركزا في بحثه على فكرة التكامل بين هذه التيارات المنهجية من حيث معالجتها لتركيب المكونات النصية، تبعا للمستويين السطحي الذي يتمثل في بناء الأحداث ونسق الشخصيات والعميق الذي يتعلق بنسق القيم<sup>2</sup>.

حيث رأى في الأنموذج الوظيفي البروي منطلقا في الاقتراب من النص، خاصة في بعده الحدتي ومنطق تركيبه (خطوة التحليل الخطي) إذ "تسمح هذه الخطوة المنهجية بالانتقال من تحليل الأشكال إلى فحص المحتوى، أي العبور من الدراسة الشكلية إلى الدراسة الدلالية"<sup>3</sup>، حيث ساعدته تعديلات "غريماس" على خطاطة "بروب" في تحديد المنطق الذي يحكمها وتأويلاته، فيما أفاد من رؤيا كل من "تودوروف" و"بريمون" في تحديد طبيعة العلاقة ما بين الوظائف أو الأفعال المسندة للشخصيات وكذا طبيعة عمل الشخصية في سيرورة الفعل القصصي وحالات الشخصية، بينما اعتمد طريقة "ستراوس" في الكشف عن البنية المستقرة للتحويلات الحادثة في الفعل القصصي وسيرورة مواقف الشخصيات ومن "غولدمان" دعم عملية الربط بين بنية الحكاية والبناء الاجتماعي الذي أنتجها، حيث رأى أن يفيد من

<sup>1</sup> - ينظر: م. ن، ص، ن

<sup>2</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو، في التراث اللامادي المغاربي (التوثيق والتصنيف ومنهجية البحث)، مخطوط، ص77

<sup>3</sup> - عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطلة الملحمية في الادب الشفوي الجزائري، ص82

بنتي كل منهما (ستراوس وغولدمان) حتى يكون وفيها للمادة المدروسة في عموميتها وفي خصوصيتها أيضا<sup>1</sup>.

### المرحلة الثانية:

وهي المنهج السيميائي - سردي كما وسمها الناقد، وتمثلها الكتب التي ألفها منذ بداية تسعينيات القرن الماضي وهي على وجه التحديد ( الحكايات الخرافية للمغرب العربي، البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، البعد الاجتماعي والنفسي في الأدب الشعبي الجزائري، التحليل السيميائي للخطاب السردى، المسار السردى وتنظيم المحتوى)، حيث اتكأ في بناء مقارباته النقدية بشكل أساسي على السيميائية السردية لمدرسة باريس وأتباعها ( "جوزيف كورتيس" على وجه الخصوص)، حيث ظلت بعض مؤلفاته معتمدة في افتتاحية تحليلاتها على خطاطة "فلامير بروب" لكنها لم تخضع للأنموذج كلياً، حيث لم يتقيد بالتسلسل والتدرج الوظيفي الذي حصره "بروب" في إحدى وثلاثين وظيفة، بل استخرج الوظائف وفق ما تمليه سلطة النص " لقد استعنا بالترسيمة الخطية البروبية، لكننا تعاملنا معها بحرية، بحيث راعينا في توزيع وحداتها عدم الاكتفاء بمراعاة ما يتعلق بوجهة نظر البطل وحده مثلما فعل "بروب"، بل وضعنا في اعتبارنا وجهات النظر المتعلقة بالشخص الأخرى المشاركة في الحدث"<sup>2</sup>، مستفيداً أيضاً من "بريمون" في ربط الوظيفة بفاعلها على النقيض من "بروب" الذي عزلها عنه، كما لم يتقيد الباحث أيضاً بتسمية الوظائف وترتيبها ولا عددها في السلم الوظيفي البروبوي، وهو ما ينم عن وعيه في محاولة تكيف هذا المنهج مع النص السردى الذي يشتغل عليه وهذا ما يؤكد "يوسف وغليسي" في هذا الشأن بقوله: "وتحديد الناقد للوظائف هو تحديد واع، يضع النص فوق كل اعتبار ثم يستنبط منه ما تيسر من وظائف، حسب ورودها فيه ومن غير أن يتعسف في إخضاعها لسلم (بروب) ذي الدرجات الإحدى والثلاثين ترتيباً مقدساً"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو، في التراث الأمازيغي المغربي، ص 77

<sup>2</sup> - عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص 17

<sup>3</sup> - يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، ص 126

وفي استعارته لمفهوم الإختبار من النظرية الغريماسية لم يتقيد أيضا باختبارات " غريماس " الثلاث (التمهيدي، الرئيسي، الإضافي) وإنما قام باكتشاف اختبارات أخرى كما فعل مع تحليله للحكاية الشعبية "ولد المتروكة"، حيث أقر خمسة اختبارات أخرى هي: اختبار تمهيدي فاشل، اختبار إيجابي أول اختبار رئيسي إيجابي، اختبار إضافي سلبي، اختبار إضافي إيجابي، ونفس الأمر تكرر مع مفاهيم أخرى كالمربع السيميائي وآليته التطبيقية والذي كثيرا ما كان يجيد عن حرفيته.

وفيما استعان بمفهوم البرامج السردية في بعض كتبه، فقد ظل منهج "ليفي ستراوس" مصدرا لتناول البعد الأنثروبولوجي في هذه النصوص، خاصة في كتابي "الحكايات الخرافية للمغرب العربي" و "البطل الملحمي والبطل الملمحة في الأدب الشفوي الجزائري"، حيث أفاد في اعتماد نماذج لتكون وسائط بين النصوص المتعينة والبنية التجريدية، فقام بتوزيع الوظائف (الوحدات المعنوية الصغرى) المشكلة للمقطوعات (الوحدات السردية الكبرى) وفق محتوى التزامن والتتابع الزمني، كما مكنه النموذج الثلاثي مثلا في مبدأ الوساطة "بين قطبين متناقضين من أجل تجاوز التناقض وخلق تضاد جديد، بهدف الوصول إلى التوحيد بين النقيضين أو إلغاء أحدهما من رصد لتحويلات الحكاية الخرافية والمنطق الذي يحكمها<sup>1</sup> كما مكنه إطلاعه على نظم القرابة المتبدية في تحليلات "ستراوس" من الكشف عن تجسيدات لتحول نظام الأسرة الأموسية (Matriarcat) إلى الأبوسية (Patriarcat) من خلال عدد من الحكايات التي جمعها من عدة مناطق في الجزائر، إضافة إلى تمكنه من توظيف مبدأ المقابلة بين الطبيعة والثقافة الذي سمح له برصد تطور مصائر الشخصيات في الحكاية<sup>2</sup>.

كما جرب الناقد متكئا على هذه المبادئ دراسة نصية تستند إلى آليات منهج علم النص عند "فان ديك Van Dyck"، (بعدهما تبين له إمكانية إفادته من علوم إنسانية شتى بما تحقق تكاملا لعدة مناهج)، حيث تناول ظاهرة رواية شكل فرعي للحكاية الخرافية أسماه "البطل الضحية"، حيث إتبع في دراسته لنصوص هذا الشكل الفرعي للحكاية الخرافية، الخطوات التالية: تحديد البنية الكبرى/

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو، حوارات ومقدمات وافتتاحيات وشهادات، ص 77-78

<sup>2</sup> - ينظر: م. ن، ص. ن

الكشف عن المسار السردي / بيان الأدوار الغرضية/ إبراز أهم الصور والتجسيديات / معالجة السياقات التداولية والإدراكية والنفسية والثقافية<sup>1</sup>.

وبالرغم من تصريح "عبد الحميد بورايو" نفسه تبنيه للمنهج البنيوي، الذي يتنافى ومبدأ المحايثة منذ مؤلفه النقدي الحدائي الأول ( القصص الشعبي في منطقة بسكرة) كما ورد في مقدمته إلا أنه خرق هذا المبدأ، وكأننا به لم يسلم من ضغط الرؤية السوسولوجية التي لازمته قبل ذلك، وربما يعود الأمر إلى جملة أسباب لعل أهمها طبيعة المادة التي اشتغل عليها في أغلب أبحاثه (القصص الشعبي) المحيل إلى المرجعية الاجتماعية والرمزية وطبيعة الدراسة ذاتها (دراسة ميدانية)، حيث وظيفة القص أساسية.

ليستمر خرق هذا المبدأ حتى في مقارباته النقدية اللاحقة مع المنهج السيميائي الطاغوي في العديد من دراساته التي قاربت النص السردي الحكائي/ الشعبي، المتميز بالتنوع والثراء ويتطلب نوعاً من المرونة لتجاوز ذلك التعقيد في المنهج، ديدنه في ذلك خرق "غريماس" نفسه لمبدأ المحايثة وإقراره بوجود عناصر خارج نصية تسهم في بناء النص ودلالته، حيث السيميائية بهذا المعنى ليس مجالها المحايثة المغلقة فقط كما تؤكد ذلك "آن إينو": "إن الأعمال الأخيرة لغريماس تجتهد في إعادة تأويل من منظور هيئاتي كل ما يتعلق بدائرة الإحساس والإحاطة، إلى جانب التشكيل الهياتي للمستوى الخطابي (الطرق المتنوعة للإسهام في وجود الفضاء والزمن وسير الممثلين) بالهيات العميقة المتعلقة بالتقويمات المتنوعة"<sup>2</sup>.

وكما امتازت الآلية الإجرائية للناقد بالتنوع، امتازت المادة المشتغل عليها بالثراء والتنوع هي الأخرى، حيث تراوحت بين نصوص حديثة (من قصة ورواية) وأخرى موعلة في التاريخ القديم (نصوص الأدب الشعبي القديم)، حيث تركيزه على النص الحكائي/ الشعبي يدحض فكرة استعصائه على القراءة وفق الآليات النقدية الحدائية، إنطلاقاً من قناعة الباحث بأن هذه النصوص تمتاز بالانفتاح والثراء الدلالي مقارنة بالنصوص الأخرى.

<sup>1</sup> - ينظر: م.ن، ص 78

<sup>2</sup> - آن إينو وآخرون، السيميائية (الأصول، القواعد، والتاريخ)، تر: رشيد بن مالك، ص 123

كما أن ذلك كان خياره المنهجي، حيث التطبيقات الأولى للسيميائية الشكلانية، أولت عناية خاصة للقصص الشعبي/ الخرافي، وقد حاول سد الفراغ الكبير، حيث قلة الدراسات التي اشتغلت على الموروث الشعبي في الدراسات النقدية العربية .

إنّ الآليات النقدية النسقية الحدائية التي مارسها الناقد وفق تركيب منهجي مطواع، لم تغفل تنبهه إلى الجانب المعرفي في الدراسات النقدية العربية، حيث لم يعمل على تكييف تلك الآليات وفق ما يتلاءم وخصوصية النص المقارب فقط " بل ويثرى معرفتنا بهذا النص من خلال التأويلات الدلالية التي يطعم بها تحليلاته"<sup>1</sup>، فضلا عن اجتهاده لجعل دراساته ذات توجه تعليمي حاول تيسيرها لتمكين الطلبة من جعلها أرضية، يمكن البناء عليها لدراسة النصوص التراثية السردية على وجه الخصوص.

وبالرغم من كل تلك الجهود المبذولة على مدى سنوات طويلة من البحث والدراسة والممارسة النقدية، إلا أن بعض النقاد أعابوا عليه تميز مقارباته بالغموض والتعقيد في بعض المواطن بعد محاولة علمتنا، من خلال استعانة بالمعادلات الرياضية والخطاطات البيانية لاستخلاص النتائج، حيث يظهر ذلك جليا في العديد من مؤلفاته كما هو الحال بالنسبة "للتحليل السيميائي للخطاب السردى". كما أعاب عليه آخرون تعثره في ترجمة بعض المصطلحات، إضافة إلى تحفظات عديدة أخرى سجلت على بعض ترجماته.

ومع ذلك فإنّ المطلع على مؤلفات "عبد الحميد بورايو" التحليلية النقدية، لا يكتفي بالجانب المعرفي فقط، بفضل ما يقدمه من رؤية نقدية متميزة، بل تعدى ذلك إلى ما يقدمه من كم غير قليل من الدلالات الاجتماعية والأخلاقية والثقافية ... ، وهو ما يجعل المتلقي يستمتع إضافة إلى النص السردى موضوع المقاربة إلى الدراسة التحليلية ذاتها، التي تحقق هي الأخرى كما من الجمالية.

## 5- مستويات الخطاب النقدي السيميائي عند "عبد الحميد بورايو":

لاشك أن المدونة النقدية السيميائية الجزائرية تنحو في غالبية مستوياتها ( النظرية والترجمة والإجرائية) إلى الوجهة الغربية، يحذوها في ذلك محاولات التأسيس لرؤية نقدية منسجمة يمكن اتخاذها أرضية متينة

<sup>1</sup> - قادة عقاق، سيمياء النص السردى في النقد الجزائري المعاصر، ص 262

لوصف مكونات النص الأدبي وتفسيره، واستكناه مختلف دلالاته من خلال اختبار الآليات الإجرائية عليه، حيث حاول هؤلاء رغم ما لا قوه من معوقات التجاهل والرفض والاستنكار مع بدايات مشاريعهم النقدية، تجسيد رؤاهم ومقارباتهم وفق محطات علمية متتابعة، بداية من التعريف بتاريخ النظرية السيميائية ومرجعياتها ومفاهيمها، مروراً بترجمة مقولاتها ومصطلحاتها، وانتهاءً بالممارسة التطبيقية وفق آلياتها.

### 5-1- خطاب التأسيس والتأصيل والتعريف :

لقد تعرض الخطاب النقدي عامة والجزائري على وجه الخصوص إلى زعزعة قناعات رواده وخلخلة رؤاهم منذ ثمانينيات القرن الماضي، ومن ثم الدفع بهم إلى مراجعة أدواتهم التحليلية للنصوص الأدبية التي أصبحت متجاوزة، بعدما وجدوا أنفسهم قبالة سيل من النظريات الغربية الحديثة الوافدة تباعاً " وكلها تقدم نفسها على أنها المحاولة الأمثل للكشف عن خبايا النص وأسراره، ولها في ذلك من الأسس المعرفية والمفاهيم والإجراءات، مايزكي هذا الإدعاء ويقويه"<sup>1</sup>، فكان من الطبيعي أن ترجح كفة التلقي والإستهلاك والتخلي عن تلك المناهج النقدية التقليدية، التي لم تستطع التنبه إلى العديد من المستويات والأبعاد القرائية للنص الأدبي، فكان أن أغرق ذلك الخطاب المعطوب المتلكئ "بسيل جارف من المفاهيم والمصطلحات (المبهمه)، المنقطعة عن سياقها المعرفي فتحوّلت مع مرور الزمن إلى أدوات صماء لا تحيل إلا على ذاتها، بعيداً عن ثراء النص و تنوع دلالاته"<sup>2</sup> ولعل السبب الرئيس في ذلك هو نقل تلك النظريات من خلال مفهوماتها ومقولاتها ومصطلحاتها وإجراءاتها التطبيقية، مفصولة عن سياقاتها الفكرية ومرجعياتها الفلسفية، لأن "ماينتمي إلى البعد الفلسفي التجريدي هو وحده الذي يمكننا من استيعاب الحالات العامة، أمّا الممارسة فتعد التطبيق المخصوص الذي يقود إلى إغناء النظرية من خلال مداها بعناصر محلية تمنحها تلوينا فكريا خاصا ."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - سعيد بنكراد، إمكانات النص وحدود النموذج، ص01، عن قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغربي، ص65

<sup>2</sup> - م.ن، ص66

<sup>3</sup> - م.ن، ص. ن



وانطلاقاً من ذلك القصور في تلقي المناهج النقدية الحداثيّة الوافدة من الغرب، كان لزاماً مبادرة العديد من النقاد الجزائريين ومنهم "عبد الحميد بورايو" إلى محاولة إصلاح هذا العطب بوعي نقدي يعمل على محاولة التأصيل والتعريف بهذه النظريات ومنها النظرية السيميائية السردية، آخذاً في الحسبان متلقي خطابه النقدي، فيعمل على تهيئته من خلال وضعه في سياق النظرية، بعد عرض لأسسها المعرفية ومرجعيتها الفلسفية ومقولاتها المفهومية، حتى يتسنى له بعد ذلك الأخذ بيده إلى فهم الإجراءات التطبيقية .

وهذه الرؤية كانت وليدة خبرته في متابعة الكثير من النقاد العرب المشتغلين على البحث السيميائي الذين أدخلوا مفاهيم ورؤى النظرية السيميائية من الغرب إلى الساحة النقدية العربية، دون مساءلة أو نقد أو حتى محاولة تكييف آلياتها مع خصوصية النص الأدبي العربي المقارب، فنجم عن ذلك كثرة البحوث الفردية المتعددة الخطابات النقدية واختلاف مقاصدها العلمية، بسبب انقطاع التواصل بين الباحثين العرب وفي أغلب الأحيان داخل البلد الواحد<sup>1</sup>، كما أن الدراسات السيميائية الغربية ذاتها شهدت إعادة نظر جذرية بداية مع بداية تسعينيات القرن الماضي "فما كان من البديهيّات بالأمس أضحى في الحقبة الأخيرة موضع تساؤل وجدل، ولكنه جدل يهدف إلى صياغة حلول جديدة على نحو ما رأينا ذلك مع "كورتيس"، الذي تراجع عن إنجازات اعتبرناها من الثوابت في وقت مضى"<sup>2</sup> وهو ما يجتم على الباحث السيميائي العربي مساندة مستجدات الدرس السيميائي الغربي من جهة وفي الوقت ذاته التفكير على جبهات بحثية متعددة تتعلق بكل ما أنجز من بحوث سيميائية وعلى مستويات عدة (فهما وتمثلاً وترجمة)، ثم تطويع الآليات الإجرائية مع خصوصية النص الأدبي العربي في أثناء عملية التطبيق.

وقد أدرك "عبد الحميد بورايو" أهمية التعرف على المناهج النقدية الغربية الحداثيّة وخلفياتها الفكرية والفلسفية، وضرورة الإفادة منها بما تخدم الدراسات البحثية ويساير مختلف مراحل تطورها بتصور ووعي حيث "يعتقد أن على الباحث العربي والجزائري في ميدان الدراسة الأدبية، أن يتعرف على هذه المناهج

<sup>1</sup> - ينظر: رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 24

<sup>2</sup> - م، ن، ص 25

ويدرك خلفياتها المعرفية ووجهة النظر الإيديولوجية التي تنبع منها ويتمثلها بصفة جيدة ويواكب مراحل تطورها وينظر إليها من موقف نقدي متخصص<sup>1</sup>.

لذا تقوم أولوية تلقي هذا الخطاب النقدي السيميائي الوافد، كغيره من الخطابات الأخرى على تأصيل النظرية السيميائية برأي الناقد" من خلال ردها إلى أصولها وروافدها العلمية وعرض أسسها التي قامت عليها، هدفه في ذلك التعريف بها وتقريبها من أذهان القراء والمتعلمين وممارسي النقد على حد سواء وتيسير سبل استيعابها لديهم عبر تحديد منطلقاتها وضبط أبعادها وأهدافها"<sup>2</sup>.

حيث يعد "عبد الحميد بورايو" من النقاد الجزائريين الرواد الذين عملوا على توطين النظرية السيميائية بالجزائر وبالوطن العربي " سواء من خلال تلك الدروس التي دأب على تقديمها بمدرجات الجامعة منذ ثمانينيات القرن الماضي، أو من خلال تلك المقالات والمدخلات المنهجية المضبوطة التي ما فتئ يسهم بها في الملتقيات والمناسبات العلمية، أو من خلال تلك المؤلفات المنشورة تباعا منذ أواخر الثمانينات"<sup>3</sup> والمتفاوتة من حيث تناولها للجانب التأسيسي التأصيلي.

ولعل مؤلفه "منطق السرد (دراسات في القصة الجزائرية الحديثة)" الصادر بالجزائر سنة 1994 من أهم المؤلفات التي تناولت هذا الجانب، حيث عدّه "عبد القادر شرشار" "إنجازا مهما في تحليل الخطاب السردى، لبساطة خطابه النقدي ووضوح مقاصده"<sup>4</sup>.

كما عدّه "قادة عقاق" هو الآخر "إنجازا مهما في التأسيس المنهجي لتجربة نقدية واعدة ليس من خلال ضبط آليات إجرائية تساعد على تيسير سبل تحليل النصوص السردية فحسب، بل أيضا من خلال محاولة تأصيلها و التأسيس لها عبر إرجاعها إلى أصولها العلمية التي انبثقت عنها ومراعاة سياقها الثقافي والمعرفي الذي أنتجها."<sup>5</sup>

1- عبد الحميد بورايو، حوارات ومقدمات وافتتاحيات وشهادات، ص 24

2- قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغربي، ص 67

3- م، ن، ص 68

4- عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب وقضايا النص، ص 90.

5- قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغربي، ص 68

وقد قسم الباحث مؤلفه إلى ثلاثة أقسام، حيث خصص القسم الأول للجانب النظري والقسمين الآخرين للجانب التطبيقي (مقاربات حول القصة القصيرة الجزائرية ثم مقاربات حول الرويات الجزائرية). ويتجلى الخطاب التأصيلي في القسم الأول من المؤلف، والذي تناول من خلال مدخله المنهجي أربعة مباحث دوّنها الباحث خلال ثمانينيات القرن الماضي، وهي زمن انفتاح النقد العربي على مستجدات الحداثة الغربية يوضح من خلالها رؤيته المنهجية للنقد الأدبي للتراث والنص الإبداعي الأدبي أيضا إضافة إلى موقفه من مسألة تدريس الأدب العربي بالمنظومتين التربوية والجامعية بالجزائر، وموضوع رابع (مدخل تطبيقي) وسمه "بالبنية التركيبية للقصة"، حيث اعتبر المقالات المشكلة لهذا القسم مدخلا منهجيا لموضوعه الأساس (دراسات في القصة الجزائرية الحديثة) التي تتخذ من النص السردي موضوعا لها وقاسمها المشترك هو التعريف بالمناهج النقدية الغربية في تحليل النصوص السردية، وقد كتبت هذه المقالات في فترات متقطعة ما بين (1981م-1991م)، وهي المرحلة التي عرفت نضج الباحث علميا وتمرسه في مجال الكتابة النقدية والتأليف الأكاديمي والتدريسي<sup>1</sup>، وقد أورد الناقد هذه المباحث كمايلي:

- نحو منهج لدراسة النص الأدبي (1981م)

- الإبداع الأدبي والتراث (1982م)

- أزمة تدريس نصوص الأدب العربي (1991م)

- البنية التركيبية للقصة

حاول "عبد الحميد بورايو" في المبحث الأول إثارة قضية المنهج، ديدنه في ذلك التأسيس لمنهج نقدي متين في دراسة النص الأدبي ودافعه قلقه الدائم حيال كيفية مقارنة النص الأدبي وهو المدرك للبون الشاسع بين راهن النقد الأدبي العربي أسير الآليات النقدية التقليدية، مقابل نقد غربي حديثي متجاوز لتلك الآليات العتيقة، حيث أدرك مسألة التعامل مع النص الأدبي النقاد الشكلانيون منذ بداية القرن الماضي وتمحور حولها الجدل في الثلاثينيات إبان نشاط النقاد الجدد الأنجلوساكسون وكانت من أهم

<sup>1</sup> - ينظر: عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب السردية، ص 181

المسائل التي طرحها النقد الجديد بفرنسا، حيث تعد هذه المسألة - قضية المنهج - ألف باء الأزمة النقدية المطروحة حاليا بالنسبة للدراسات الأدبية العربية<sup>1</sup>.

وقد سعى الباحث من خلال إثارة هذه القضية الإجابة عن سؤالين مهمين، هما: كيف تتم مواجهة النصوص الأدبية؟ وماهي الوسائل الكفيلة لمعالجة صائبة لنص أدبي معين؟<sup>2</sup>.

وهي التساؤلات ذاتها التي يثيرها في مقدمات مختلف مؤلفاته، ويثيرها أيضا غالبية النقاد العرب في تصديرات كتبهم التي تطرح أسئلة المنهج وآليات التعامل مع النصوص، على غرار ما فعل "عبد الملك مرتاض" مع العديد من مؤلفاته<sup>3\*</sup>.

وانطلاقا من ذلك يدرج الناقد في الإجابة عن تساؤلاته من خلال المفهوم المحدد للمنهج والذي يرى فيه الوسائل والإجراءات التي تمكن من السيطرة على مادة معينة وفحصها فحصا دقيقا ومعرفة حقيقتها والكشف عنها<sup>4</sup>، معتبرا أن هذه الوسائل والإجراءات يجب أن تستمد خصائصها بمراعاة طبيعة المادة التي تتعامل معها<sup>5</sup>، وهو مفهوم قاصر في نظر العديد من الباحثين حيث يعارض "عبد الوهاب المسيري" ما ذهب إليه "عبد الحميد بورايو" معتبرا أن "المنهج ليس مجرد آليات وإجراءات مجردة بريئة، بل هي آليات وإجراءات تتضمن تحيزات محددة واعباء إيديولوجية<sup>6</sup>.

فهو إذا ليس "مجرد وسيلة للبحث عن المعرفة وفحصها أي مجرد خطة مضبوطة وقواعد وطرق تساعد على الوصول إلى الحقيقة وتقديم الدليل عليها هذه مجرد أدوات إجرائية، وهي في نظرنا لا تمثل إلا جانبا غير مرئي"<sup>7</sup> بل يعد منظومة معرفية متكاملة ومنسجمة من المقولات والمفاهيم التي تتولد عن رؤيا وتصور.

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو منطق السرد، ص 09

<sup>2</sup> - م. ن، ص، ن

<sup>3\*</sup> - ينظر: مؤلفات عبد الملك مرتاض: - عناصر التراث الشعبي في "اللاز" (دراسة في المعتقدات والأمثال الشعبية)، أ-ي، دراسة سيميائية تفكيكية تحليل الخطاب السردية (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق).

<sup>4</sup> - عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 09

<sup>5</sup> - م. ن، ص 10

<sup>6</sup> - عبد الوهاب المسيري، حوار الثقافة والمنهج، جمع وتحرير: سوزان حربي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 1، 2015، ص 231

<sup>7</sup> - عباس الجراري، خطاب المنهج، منشورات السفير، مكناس، المغرب، ط 1، 1990، ص 40

لينتقل بعد ذلك إلى ضرورة تحديد موضوع الدراسة الأدبية التي يعتبرها ليست بالأمر السهل رغم بدايتها، وبعد أن يعرج على عدة مفاهيم وتساؤلات عن ماهية الأدب وما يميز الدراسات الأدبية يصل إلى أن ما يفرق الدراسات الأدبية عن مختلف الدراسات الأخرى ويكفل لها استقلاليتها، هو كونها تتخذ من أدبية الأدب موضوعاً لها وهو ما نبّه إليه الشكلازيون الروس، كما أن الخاصية التي تجعل النص الأدبي يختلف عن النصوص الأخرى هو طبيعته المختلفة، وهو ما يجب أن تهتم به الدراسة الأدبية، لذلك لا بد من إعادة النظر في مختلف الدراسات التي استمدت منهاجها وطرائق بحثها من علوم شتى ( علم النفس، التاريخ، علم الجمال...).

لكنه يستطرد الأمر، معتبراً أن هذه العلوم وبالرغم من إمكانية إفادتها في كشف جوانب عدة من النص الأدبي إلا أنها لم تفد في كشف خصائصه الأدبية<sup>1</sup> التي يجب أن تدرس من الداخل وليس سياقياً، حيث الدراسة السياقية تقوم في النهاية بإلغاء "المعطيات الجوهرية التي تشكل الإبداع الأدبي وهو ما تم تداركه فيما بعد من قبل المناهج المرتكزة على النقد النصي *critique textuelle* بتنوعاته المتعددة"<sup>2</sup>، والتي مثلتها مختلف المناهج النسقية من بنيوية وسيميائية وأسلوبية وتفكيكية، فالنقد السياقي فرض على النص وبشكل تعسفي أحكاماً مسبقة وغير علمية، ووصل الأمر إلى التشويش على المتلقي وإرباكه بعد عزل عناصره - النص - وقطع أوصالوله، عاجزاً بذلك على فهم تلك العلاقة التي تربطه بالبناء الاجتماعي ففي النهاية ليس النص من وجهة نظر الناقد سوى "مظهر لبنية كامنة على الدارس أن يكشف عنها لأنها تمثل النموذج البنائي الذي ينبثق عنه الأثر الأدبي"<sup>3</sup>.

وفي المبحث الثاني تناول "عبد الحميد بورايو" قضية علاقة الإبداع الأدبي بالتراث، حيث يرى ضرورة تحديد خصوصية العمل الأدبي وعلاقته بالتراث الأدبي، متكئاً في ذلك على رأي ابن خلدون من مسألة الأسلوب بمعناه العام، باعتباره "المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو القالب الذي تفرغ فيه"<sup>4</sup>، وكونه يمثل

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 10

<sup>2</sup> - المصطفى عمري، مناهج الدراسات السردية واشكالية التلقي، روايات غسان كنفاني نموذجاً، عالم الكتب الحديثة، الأردن ط1، 2011م، ص 14

<sup>3</sup> - عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 11

<sup>4</sup> - عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: أحمد جاد، دار قصر البخاري، الجزائر، د. ط، 2012، ص 569

خلاصة مركزة للتجارب العربية السابقة ويتميز باستخدامه المضبوط للمصطلحات وهو ما يحقق للباحث نظرية تستوحى منها طرق معالجة النصوص الأدبية.

حيث القالب أو المنوال يقترب من المفهوم الذي يسميه النقد الحديث "النموذج البنائي" الذي تنتج المادة الأدبية في حدوده، وينسب ابن خلدون ذلك إلى القوى النفسية (هيئة ترسخ في النفوس)<sup>1</sup>.

إن مفهوم العملية الأدبية في علاقتها بالتراث وفي تفردتها (خصوصيتها) حسب الباحث، تصبح من المهام الأساسية للنقد الأدبي في تعامله مع النصوص الأدبية، وهي الكشف عن النماذج أو الصور الذهنية الكامنة وراء النص وتمييز ما هو موروث منها عن ما هو مبتكر، ومن مهام النقد أيضا أن يكون نشاطا معرفيا كما المعارف الأخرى، يتطلب من النقاد النظر إلى العمل الإبداعي على أنه نتاجا طبيعيا وعضويا قابل للكشف والتحليل والتشريح كأى ظاهرة أخرى<sup>2</sup>.

ومن خلال هذا الخطاب النقدي يسعى الباحث إلى التأسيس لرؤية نقدية متميزة، تحاول الكشف عن الصور الذهنية المتوارية خلف عناصر النص الأدبي وتمييز أيضا ما هو موروث منها عن ما هو مبتكر مشيدا بذلك بالمقاربة النسقية للنص مقابل دعوته إلى ضرورة التخلص من تلك الرؤى السياقية التي "لا تغفل في فهمها للظاهرة الأدبية عن واقعها، ولا تنقطع في ذلك عن تراثها، فيما هي لا تغلق الباب في وجه ما ينتجه الآخر من وسائل وإجراءات يمكن أن تفيدها في الكشف عن جوانب عدة من النص الأدبي، وهو ما يتضح في ممارساته التطبيقية"<sup>3</sup>، حيث عادة ما يعود إلى الأبعاد السوسيو ثقافية لفهم النص المقارب.

وفي المبحث الثالث تناول الباحث أزمة تدريس نصوص الأدب العربي في الجزائر حيث يشخص الوضع، رادا إياه إلى عدة أطراف (المدرس والسلطات والمناخ الثقافي والاجتماعي) باختلاف درجة

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 15

<sup>2</sup> - ينظر: م، ن، ص، ن

<sup>3</sup> - قادة عقاق، السيميائيات السردية وتحليلاتها في النقد المغربي المعاصر، ( نظرية غريماش نموذجًا)، ص 397

قربها من مسألة تدريس الأدب العربي، وهي ذات طبيعة مؤسسية واقتصادية وإيدولوجية ومنهجية<sup>1</sup> حيث:

أ- ديمقراطية التعليم في الجزائر بعد الاستقلال، بقدر ما أدت إلى انفتاح التعليم أمام الجميع بقدر ما ألفت الاهتمام بتكوين النخبة، كما أن العلوم الانسانية في عمومها كانت أكثر تعرضا للأدلة الرسمية في محاولة لإرضاء جميع التيارات السياسية والثقافية، وكانت الغلبة للتيار الديني لأسباب تاريخية معروفة.

ب- عرف سوق العمل بالجزائر أفضلية واضحة لمتخرجي التخصصات العلمية، ومع توقف هيئتي التعليم والشؤون الدينية عن استيعاب هؤلاء أصبحت البطالة تترصص بهم، حيث أعاب الباحث على مختلف الإدارات ومعاهد تكوين المعلمين لجوئها إلى التكوين التقني السريع لسد حاجياتهم، ونحن لا نشاطره الرأي باعتبار هذا النوع من التكوين ضرورة لا بد منها شريطة حصول المتكويين على تكوين قاعدي جامعي متين من جهة، وشريطة تأطير هذه الهيئات من طرف مكونين ذوي مستوى أكاديمي عالي من جهة أخرى.

ج- يشخص الباحث أزمة تدريس الأدب في الجزائر بعد الاستقلال معرجا على تلك الانطباعات والأحكام والقيم الجاهزة التي ظلت لصيقة به، معتبرا أن أزمة تدريسه تكمن أساسا في المنظومة التربوية التي انقطعت عن متابعة التطورات التي عرفت الدراسات الانسانية عامة والدراسات اللغوية الأدبية على وجه الخصوص، فظلت دراسة اللغة العربية وآدابها بمعزل عن تلك المنجزات العلمية للفروع اللسانية حيث تقدم البحث في ميادين عدة (كعلوم الاجتماع والنفس والإناسة والسيمياء والابستمولوجيا...) من جهة، وظلت دراسة- اللغة العربية وآدابها- حبيسة أدوات عتيقة خاضعة للأدلة وتوجهات المؤسسة الرسمية تارة، وللتقسيمات التاريخية المتعسفة التي نادى بها مناهج التاريخ الأدبي في بداية القرن الماضي تارة أخرى.

لذلك فتطور دراسة الأدب مرهون بتجاوز تلك العوائق والظروف والعمل على اللحاق بركب المعرفة الانسانية، لأنه لا يمكن تدريس النصوص الأدبية وتجاهل نظريات تحليلها<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 21

إنّ الهدف من تشخيص "عبد الحميد بورايو" لأزمة تدريس الأدب العربي في الجزائر، هو سعيه للتوعية بالمخاطر التي تنجر من خلال القطيعة مع التطور الحاصل بمختلف العلوم عبر العالم، وكذا تنبيهه إلى ضرورة استكشاف مختلف المناهج التحليلية الجديدة، التي قد تفيد الدرس الأدبي وتدفع به نحو الحداثة والتطور، فقد "عرفت الفترة الحالية حسب الباحث مباحث جديدة بالاطلاع وتميز بالشراء تندرج ضمن ما يسمى بالسيميائيات وهي مشروع بحث يعتمد في دراسته للنصوص الأدبية على نتائج اللسانيات والإناسة الثقافية والأبستمولوجيا وهي ذات ثلاث سمات: بنيوية وتوليدية وموضوعية"<sup>2</sup>

ثم يوضح مشروع البحث السيميائي في مجال دراسة النصوص الذي يقوم حسبه على:

أ- الاعتناء بمستويات الدلالة وبالعلاقات فيما بين عناصرها والوحدات الدالة ومراتب القيم.

ب- رصد طريقة تولد المعاني.

ج- الاعتناء أساسا بالموضوع الذي ينصب عليه التحليل (مادة النص)، دون الإهتمام بظروف إنتاجه وبيئته وشخصية منتجه .. ، إلا ما يفيد التحليل الداخلي للنص.

ليختتم مبحثه بتوضيح مختلف زوايا النظر الذي يقوم عليها المشروع البحثي السيميائي لدى تناوله للنص الأدبي بالقراءة والتحليل<sup>3</sup>.

إن النهوض بالمهمة التعليمية الشاقة لدراسة الأدب، لا يمكن أن يتم إلا من خلال إدراك الأصول التي تنهض عليها -النظريات التحليلية- قبل استثمار آلياتها المفهومية ومصطلحاتها في تحليل النصوص واستجابة لهذا المبتغى لتطوير تعاملنا مع النص الأدبي وتفسير نظرتنا إليه، لم يجد الناقد بدا من تخصيص المبحث الرابع "البنية التركيبية للقصة" وهو أطول المباحث على الإطلاق في القسم النظري (قراءة 50 صفحة) يستعرض فيه بعض الأصول العلمية للسيميائيات السردية.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: م. ن، ص 21 إلى 25

<sup>2</sup> - م. ن، ص 25.

<sup>3</sup> - ينظر: م. ن، ص 26.

<sup>4</sup> - قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغربي، ص 70.



وقد اجتهد الباحث في تقديم نقد كرونولوجي منتظم لجهود المنظرين الغربيين حول بنية النص السردي مشددا على أهمية الإفادة من التجربة النقدية الغربية البنائية للسرد، التي استطاعت أن تعيد النظر في طبيعة ممارسة تحليل الأعمال الأدبية استنادا إلى معطيات علمية، خاصة بعد التطور الكبير الذي عرفته الدراسات اللغوية واللسانية الحديثة.<sup>1</sup> حيث قدم عرضا مفصلا " لأسس نظرية السرد من طرف هؤلاء المنظرين الذين اهتموا ببنية القصة، بداية من العالم الفرنسي "جوزيف بيديي" Joseph bedier من خلال مؤلفة "الخرافات" المنشور في نهاية القرن التاسع عشر، والذي اعتبر القصة كيانا حيا يتم هدمه بمجرد إسقاط أحد مكوناته الأساسية. لكنه انصرف إلى عقد مقارنات بين الروايات القصصية المختلفة في عناصرها الشكلية الثابتة، دون أن يولي إهتماما بتحديد هذه العناصر ولا وصف الكيفية التي تعمل بها، وهو ما استثمر فيه الروسي "فلاديمير بروب" Vladimir proppe فيما بعد من خلال كتابه "مورفولوجية الحكاية الخرافية الروسية المنشور في نهاية عشرينيات القرن الماضي، إذ بعد تناول جهد سلفه (بيديي) بالنقد عمل على وضع أسس المنهج البنيوي عندما كشف عن وجود نموذج فريد للبنية التركيبية للحكاية الخرافية الروسية"<sup>2</sup>.

وقد أبرز "عبد الحميد بورايو" أهمية كتاب "بروب" أيضا من خلال قراءة نقدية لجهود باحثين آخرين سبقوه، في محاولة وصف الحكاية الشعبية ويتعلق الأمر ب"فسلوفسكي" Veselowski و"بيديي" bedier و"فولكوف" Volkoff، حيث قدم قراءة نقدية لكل واحد على حدى.<sup>3</sup> وقد رسم بروب في دراسته المورفولوجية للحكاية الخرافية الروسية كهدف له: وصف الحكايات حسب أجزائها المكونة وعلاقة هذه الأجزاء ببعضها وبالمجموع، فميز بذلك بين نوعين من العناصر المكونة للحكايات التي أخضعها للبحث، عناصر ثابتة وأخرى متغيرة تتصل الأولى بشكل الحكاية الثابت، وتتصل الثانية بالمحتوى المتغير لهذا الشكل"<sup>4</sup>، حيث حصر الوظائف في إحدى وثلاثين وظيفة

<sup>1</sup> - حميد حمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص05.

<sup>2</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص28

<sup>3</sup> - ينظر: عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب السردي، ص183.

<sup>4</sup> - عبد الحميد بورايو، م. س، ص28-29

معتبرا كلا منها -الوظيفة (fonction)- عنصرا ثابتا في النص السردي وتمثل فعل الشخصية ضمن حبكة القصة بغض النظر عن أعيان شخوص الحكى المتغيرة، والتي لا يعتد بها في استنباط العناصر البنيوية الثابتة والمتكررة في الحكايات الخرافية، حيث تتفاوت هذه الوظائف أهميه وليس بالضرورة أن توجد كلها مجتمعة في الحكاية الواحدة.

وقد إتكا عدد من الباحثين الذين إهتموا بالقصة، على منهج "بروب" أساسا لأبحاثهم فقد أجرى "آلان دندس" A Dunds بعض التعديلات وتبنى اصطلاحات عليه محاولا تطبيقه على قصص جماعات عرقية معينة، فيما عمد "ستراوس" البحث في منهج القصة موازاة مع منهج "بروب" ومنطلقا من منطلقات مختلفة وعمل "غريماس" و"بريمون" على الإفادة من المنهج البروبوي وتعميم نتائجه لأجل الحصول على أنموذج عام يحكم جميع أشكال التعبير القصصي، بينما حاول "تودوروف" في كتابه (نحو الديكاميرون) إتباع "بروب" في بحثه عن بنية القصة، لكنه خالف أنموذجه الوظائفى مستندا على النماذج النحوية.<sup>1</sup>

يعرض بعد ذلك جملة الانتقادات التي واجهها هؤلاء المنظرون للأنموذج الوظائفى البروبوي وتعديلاتهم المقترحة بعد الإفادة منه والاستناد عليه، لبناء مناهجهم ونماذجهم النقدية حيث الاختلاف بين بحوث هؤلاء يعود إلى عوامل ثلاثة هي، طبيعة المادة محل تطبيقهم الفكرية وكذا الأهداف التي أرادوا بلوغها.

ولكن بالرغم من ذلك يتفقون في عدة نقاط، أوجزها "كلود بريمون" في مبدأين أساسيين من خلال مؤلفه (منطق القصة logique de récit) هما:

أ- التمييز بين مستويين بنيويين للقصة، يتعلق أحدهم حسب اصطلاح "غريماس" بالمستوى الكامن للبنيات السردية، ويتعلق الآخر بالمستوى الظاهر للبنيات اللغوية، وحسب اصطلاح "تودوروف" يتعلق بالتضاد بين التاريخ والخطاب عندما يتعلق بتفرع القصة المرويه والقصة الساردة.

<sup>1</sup> - ينظر م. ن. ص 32-33.

ب- الإيمان بإمكانية أداء الحوادث المروية في متواليات للأحداث (وظائف بروب)، حيث بعضها على الأقل يستطيع أن يأخذ مكانه في معظم للمفردات شامله السرد، وكذلك الإيمان بإمكانية استخراج قواعد تركيب هذه الوحدات، وهي قواعد شامله أيضا"<sup>1</sup>.

إن ما يميز هذا العرض النظري الرامي إلى وضع المتلقى العربي في مواجهه مباشرة مع مستجدات الساحة النقدية الغربية (العالمية)، هو توفير خطاب نقدي تأسيسي تأصيلي حامل لمادة تعريفية وحصيلة نظرية وآليات منهجية، وهو ما يشكل أرضية صلبة للانطلاق السليمه في مواجهه النص (العربي) المراد مقارنته، وفق مقولات وإجراءات هذه المناهج والنظريات النقدية.

ولعل ما ميز هذا العرض أيضا، هو تمثل "عبد الحميد بورايو" الدقيق لأصول هذه النظريات المتقاطعة والمستند بعضها إلى بعض، ووضوحه وأمانته في نقل حصيلتها العلمية المعرفية دون تحريف أو ابتسار<sup>2</sup>، ولعل ما قدمه من خطاب نظري في مؤلفه هذا (منطق السرد) ما يغنيه ويغني دارسي مدونته النقدية أيضا عن تلك المداخل المنهجية التي ألف تقديم منجزاته النقدية بها، حيث دأب في كل ذلك على توخي بساطة الطرح مادام الهدف تعليمي وهو الذي يؤكد ذلك بقوله "نحاول قدر الإمكان توخي الدقة في العرض والوضوح في الخطاب والإحالة على المصادر والمراجع الأصلية لتحقيق الاستفادة القصوى التي تتطلبها كل عمليه تعليميه ناجحة"<sup>3</sup>.

يبقى أن نشير إلى أن الخطاب التعريفي التأسيسي والتأصيلي، يعد قليلا لدى الناقد إذا ما قورن بمنجزاته التطبيقية التي وسمت مدونته النقدية.

## 5-2- خطاب الترجمة:

لا بد أن نشير إلى أن مستويات خطاب الترجمة النقدي السيميائي (الغريماسي) تتقاطع فيما بينها إلى درجة الالتباس ضمن المتن الواحد لدى المتلقي، فإضافة إلى اشتراكها في المنطلق والهدف فإن الدارس

<sup>1</sup> - م. ن ص 76

<sup>2</sup> - ينظر عبد القادر شرشار، خصائص الخطاب في رواية الصراع العربي الصهيوني، دراسة تحليلية، مخطوط رساله دكتوراه دوله، جامعه وهران 2000-2001، ص 132.

<sup>3</sup> - عبد الحميد بورايو، م.س، ص. ن.

أيضا وهو يؤصل للنظرية ويؤسس لها، يجد نفسه مضطرا في كثير من الأحيان إلى ترجمة مقاطع أو نصوص أو ترجمة مصطلحات أو تقريبها أو إعطاء رأي حول بعض القضايا المطروحة وتوضيحها والتمثيل لها.<sup>1</sup>

وكنا قد أفردنا مبحثا للمصطلح السيميائي السردى لدى "عبد الحميد بورايو"، وسنحاول إلقاء حزمة ضوء أخرى على الخطاب الترجمي الذي أنجزه الباحث والذي طغى عليه التوجه السيميائي، حيث كان يروم إطلاع المتلقي العربي على مختلف إتجاهات الآخر الغربي، من معارف ومناهج تكون له سندا في مقارنة النصوص السردية، فهو يدرك بوعيه النقدي أهمية تلك التحولات الإبستمولوجية الحاصلة في الفكر النقدي الغربي ومن ثم ضرورة مسيرتها من خلال فعل الترجمة والتعريب، باعتباره يمثل بعدا آخر من أبعاد الخطاب النقدي السيميائي.

وقد اعترى هذا الخطاب - الترجمي - الكثير من الخلل والقصور لأسباب عدة نجملها في عاملين أساسيين، أولهما يتعلق بطبيعة الخطاب النقدي السيميائي ذاته في مواطن ولادته ونشوءه باعتباره خطاب يشتغل على جهاز مصطلحي غني ومعقد، وثانيهما يتعلق بغياب الرؤية الجماعية العربية الموحدة لجهود الترجمة والتعريب والسقوط في فخ المنجز الفردي المعقدة والمبهم والمنقطع عن التواصل مع الباحثين الآخرين .

لقد استطاع عبد الحميد بورايو على مدى سنين طويلة من الاشتغال على مشروعه النقدي إنجاز أعمال ترجمية مهمة، تركزت أساسا حول السيميائيات والسرديات التي راجت بشكل لافت لدى القارئ الغربي، ووجدت لها متلقيا عربيا متلهفا لمعرفة هذه العلوم الرائجة هناك في الغرب.

وقد عمل الباحث في مواجهته لمسألة ترجمة المصطلحات الحاملة للمفاهيم الأساسية والمفتاحية في ميدان السيميائيات، على التقارب في اختيارها مع زملائه المشتغلين في هذا الحقل على غرار "رشيد بن مالك"، "السعيد بوطاجين"، و"سعيد بنكراد"، إضافة إلى استعانتة بالقواميس اللسانية المتخصصة التي ظهرت في العالم العربي في تلك الحقبة - الربع الأخير من القرن الماضي - نظرا للصلة الوثيقة بين

<sup>1</sup> - ينظر، قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغربي، ص 107.

الدرسين السيميائي واللساني<sup>1</sup>، وقد تراوحت أعماله في هذا المستوى الترجمي بين مقالات مركزة ومؤلفات لرواد هذه الدراسات، وهو ما شكّل مداخل مهمة للتعريف بها، فقد ترجم لكل من (غريماس، كورتيس راستيي، باط، كمبروي، لينتفيلت، جمال الدين بن الشيخ، وآخرون)، حيث المطلع على مدونته الترجمة يمكنه رصد الملاحظات التالية :

أ- كان غرض الباحث من خلال منتجاته الترجمة هو تقديم مداخل منهجية لتلك الدراسات ومحاولة مد جسور بين الملتقى العربي وتلك الدراسات الغربية، والعمل على ترتيب مفاهيمها وضبط مصطلحاتها.

ب- لقد مزج الناقد بين ترجمات نظرية ومعالجات تطبيقية بهدف إلحاق التطبيقي بالنظري ومحاولة ردم الهوة بينهما، حيث توضيح المفاهيم المنهجية مهد لتطور الدراسات السردية خلال السنوات الأولى من القرن الماضي، كما أن تقديم دراسات نموذجية لمواد من التراث الشعبي العربي والعالمي من قبل مختصين مسلحين بوسائل منهجية حديثة، بغرض تحفيز الطلبة والباحثين على خوض غمار الدرس المعمق لمواد التراث، والإستفادة من مناهج التحليل البنيوي والسيميائي<sup>2</sup>.

ج- يحاول الباحث في ترجمات التبسيط والتوضيح ما أمكن، دون الإخلال بمبدأ روح العمل الذي يشتغل عليه، وقد دأب على هذا النهج في مختلف مقدمات أعماله السردية النظرية منها والتطبيقية مؤكداً ذلك بقوله: "قمت بترجمتها بغرض تعليمي، يرمي إلى توفيرها لطلبة الدراسات العليا في أقسام اللغة العربية، لتكون بين أيديهم وتزيدهم خبرة بمعالجة النصوص الأدبية"<sup>3</sup>.

د- تركزت أعمال "عبد الحميد بورايو" الترجمة أساساً حول السرديات ضمن منظور النقد السيميائي الشكلائي، حيث يعد نفسه من المترجمين الذين "أسهموا في ترسيخه في المحيط الجامعي الجزائري من خلال دروسه وإشرافه على الأطروحات والرسائل ومساهمته في الملتقيات والندوات العلمية والمناقشات

<sup>1</sup> ينظر: غريماس، كورتيس وآخرون، المنهج السيميائي، الخلفيات النظرية وآليات التطبيق، تقديم المترجم، ص 06.

<sup>2</sup> م.ن، ص.ن.

<sup>3</sup> كورتيس وآخرون، السيميائيات السردية (نمذجة سردية - الأشكال السردية - وظائف العنوان)، تر: عبد الحميد بورايو، الجزائر، 2013، تقديم المترجم

التقويمية للرسائل والأطروحات الجامعية"<sup>1</sup>، حيث استأثر ذلك باهتمام الباحث على غرار الكثير من الدارسين، بعد أن استتبنت أسسه العلمية وتوضحت منهجيته الإجرائية مع نهاية ستينيات القرن الماضي لدى رواد مدرسة باريس السيميائية.

هـ- اشتغل "عبد الحميد بورايو" في مؤلفاته الترجمة على مقالات منشورة في دوريات أكاديمية متخصصة أو مجتزأة من كتب لها صيتها، ضمن مجال معرفي يرى أنه يخدم مشروع النقد مثلما فعل مع مؤلفه "الكشف عن المعنى - السرديات التطبيقية"، حيث المقالات التي عمل على ترجمتها تشترك في الكشف عن طبيعة المعنى السردى العميق.

كما اشتغل على إخضاع الكثير من النصوص السردية العربية التراثية لإجراءات المنهج السيميائي الشكلائي المطعم بآليات مناهج نقدية أخرى، معتقدا أن ذلك "يعبر عن رؤية للعالم منسجمة تعود لحضارات إنسانية موعلة في القدم، لكنها تحمل تجربة إنسانية غنية وعميقة جديدة بأن تكشف أسرارها وهو أمر قد لا يتأتى إلا عن طريق البحث العلمي العميق والأصيل"<sup>2</sup>.

و - اشتغل الناقد أيضا في المستوى الترجمي مع باحثين آخرين، ومثال ذلك ترجمته بالتعاون مع "رشيد بن مالك" للدراسة التطبيقية الموسومة بـ "التحليل السيميائي للخطاب، التشاكل والترابط والمضمون: الموكب الجنائزي" لجوزيف كورتيس.

(Isormorphie et corrélation entre expression et contenu: le cortège funebre)

حيث يعزي المترجمان سبب اختيارهما لترجمة هذه الدراسة لاعتبارين:

أحدهما: بسبب أهمية الاقتراب السيميائي من الظواهر الاجتماعية وضرورة العمل على تجديد الخطاب في العلوم الاجتماعية من خلال اللجوء إلى الأدوات الإجرائية في التحليل السيميائي ومن ثم تنبيه الباحثين إلى أهمية الدراسات الأنثروبولوجية وضرورة الإفادة منها.

<sup>1</sup>- غريغاس وآخرون، النظرية السيميائية، مسار التوليد الدلالي، تر: عبد الحميد بورايو، الجزائر، ط1، 2013م، تقديم المترجم، ص 03

<sup>2</sup>- مراد شاوش بلس وآخرون، السرديات التطبيقية (مقاربات سيميائية سردية)، تر: عبد الحميد بورايو، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013، تقديم

وثانيهما: إشعار القارئ العربي بأن التحليل السيميائي يتجاوز دراسة النصوص إلى حقول معرفية أخرى، وهذا دليل على مصداقيته وفعاليته، حيث الدرسين من ذوي التخصصات المختلفة ملزمون في الوضع الراهن للبحث بإقامة تواصل وحوار مستمر بخصوص المستجدات الطارئة على الفكر العربي.<sup>1</sup>

ز- ما لوحظ على بعض المؤلفات الترجمة للباحث هو إعادة نشرها و بعناوين مختلفة ومن ذلك مؤلف "المنهج السيميائي ( الخلفيات النظرية وآليات التطبيق) الصادرة سنة 2014م ، وقد جمع من خلاله ثلاث مؤلفات كان قد ترجمها من قبل وهي: النظرية السيميائية (مسار التوليد الدلالي) السرديات التطبيقية (مقاربات سيميائية سردية )، السيميائيات السردية ( نمذجة سردية- الأشكال السردية- وظائف العنوان)، وكلها كانت قد صدرت سنة 2013م.

وقبل ذلك كانت قد وردت ترجمة بعض أجزاءها بعناوين مختلفة أيضا في أجزاء ( الكشف عن المعنى في النص السردية) الصادرة سنة 2008م.

وقد أحصينا جملة المؤلفات التي ترجمها الباحث مرتبة كرونولوجيا بالعناوين التالية :

- 1- دليلة مرسلتي وآخرون، مدخل إلى السيميولوجيا (نص / صورة) ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995م
- 2- برنار فاليت، الرواية، مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي، دار الحكمة الجزائر 2002م
- 3- غريماس وآخرون، الكشف عن المعنى في النص السردية- في جزأين - ( النظرية السيميائية السردية و السرديات التطبيقية)، دار السبيل، الجزائر، 2008م.
- 4- نتالي بيبقي- غروس، مدخل إلى التناس، دار نينوى، دمشق، سوريا، 2012م.
- 5- لينتفيلت، كورتيس، كامبروني، السيميائيات السردية ( نمذجة سردية- الأشكال السردية - وظائف العنوان) ، دار التنوير، الجزائر 2013

<sup>1</sup> - ينظر: قادة عقاق ، الخطاب السيميائي في النقد العربي المغربي، ص 119-120

6- غريماس، كورتيس، راستيي، باط، النظرية السيميائية ( مسار التوليد الدلالي)، دار التنوير، الجزائر

2013م

7- مراد شاوش يلس وآخرون، السرديات التطبيقية (مقاربات سيميائية سردية)، دار التنوير، الجزائر

2013 م

8- غريماس، وكورتيس وآخرون، المنهج السيميائي ( الخلفيات النظرية وآليات التطبيق) دار التنوير

الجزائر 2014م

9-مارك أبيليس، أنثروبولوجيا العولمة، دار نينوى، دمشق، سوريا، 2017م



## الفصل الخامس:

### تجليات النقد السيميائي السروي الجزائري

ج- تجليات النقد السيميائي عند

"عبد الحميد بورايو"

ثانياً: خطاب الممارسة التطبيقية

إنّ إقران الممارسة التطبيقية لنظرية نقدية أو منهج نقدي بالجانب النظري، هو وحده الذي يستطيع أن يجلي جدوى مقولات وآليات ذلك المنهج أو النظرية وأبعادها، إذ العروض النظرية وبالرغم من أهميتها في العملية النقدية " بقصد إنجاز فهم أو إعطاء فهم على الفهم"<sup>1</sup>، تظل قاصرة عن تحقيق ذلك الاستيعاب الشامل لدى المتلقي.

إنّ ذلك الاقتران لن يتم إلا من خلال محاولة الناقد تقليص تلك المسافة الفاصلة بين الوجه الجرد - للنظرية أو المنهج - (الجانب النظري)، وبين الوجه المتحقق (الممارسة التطبيقية)، حيث يمر الأمر حتما عبر مزج النظرية بالنص المراد مقارنته، إلى الحد الذي تذوب الفواصل بينهما ويصبح على إثر ذلك، التنظير تطبيقيا والتطبيق تنظيرا<sup>2</sup>.

لذلك عادة ما تقرن متون النقد العربي السيميائي السردية في جانبها النظري بجانب تطبيقي يعضدها حيث يحاول الناقد من خلال ذلك إضافة إلى قدراته على تمثيل تلك النظرية، إثبات قدراته أيضا على تحليل النص المقارب وفق آليات تلك النظرية، لترداد بذلك الرؤية النقدية أكثر تكشفا ووضوحا بالممارسة التطبيقية.

فهل استطاع الناقد "عبد الحميد بورايو" تقليص تلك المسافة بين الجانبين (التنظيري والتطبيقي) في النقد السيميائي السردية؟

إن محاولة الوصول إلى إجابة لهكذا تساؤل، يقتضي قراءة شاملة لمتون الناقد السيميائية والتي لم يول بالاكبيرا إلى جانبها التنظيري، حيث اكتفى كما كنا قد أشرنا بمقدمات أو مداخل أراد من خلالها تحديد الآليات الإجرائية التي يريد الاشتغال عليها، إضافة إلى تقديم بعض المفاهيم الأساسية التي سببني عليها رؤيته المنهجية التي سيتبعها في تحليل النصوص المراد مقارنتها.

<sup>1</sup> - محمد الدغموني، نقد النقد وتنظيرات النقد العربي المعاصر، ص301

<sup>2</sup> - ينظر سعيد بنكراد، مدخل السيميائيات السردية، ص06

- حيث يرى الناقد نفسه، أن خمسة من مؤلفاته تمثل تبنيه حقيقة للمنهج السيميائي وهي:
- الحكايات الخرافية للمغرب العربي (دراسة تحليلية في "معنى المعنى" لمجموعة من الحكايات).
  - البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري .
  - البعد الاجتماعي والنفسي في الأدب الشعبي الجزائري .
  - التحليل السيميائي للخطاب السردي (دراسة لحكايات من "ألف ليلة وليلة" و "كليلة ودمنة").
  - المسار السردي وتنظيم المحتوى (دراسة سيميائية في نماذج من حكايات أف ليلة وليلة)<sup>1</sup>.
- إن تناول هذه المدونات (في جانبها التطبيقي خاصة)، من شأنه أن يكشف الرؤية النقدية -التطبيقية- للباحث، لكن إقامة مسح شامل لهذه المتون، يقتضي قراءة استقرائية استنطاقية لكيفية ومدى تطبيق الآليات الإجرائية لنظرية غريماس السيميائية، ومن ثم الوصول إلى النتائج المرجوة، حيث يتطلب الأمر جهدا مضاعفا ومساحة كتابية أكبر، لذلك نقترح اختصار المدونة المختارة في ثلاث مؤلفات فقط.

#### □ - الحكايات الخرافية للمغرب العربي: دراسة في "معنى المعنى" لمجموعة من الحكايات

:

صدر هذا المؤلف سنة 1992م، ثم أعيد طبعه سنة 2007م من طرف وزارة الثقافة بمناسبة تظاهرة الجزائر عاصمة للثقافة العربية، ويقع في 127 صفحة من الحجم الصغير.

في تقديم الكتاب يعرف الناقد الحكاية الخرافية ويجلي مميزات لها لدى العديد من الباحثين، ثم يتناول مفهوماتها وخصائصها لدى المجتمعات التقليدية للمغرب العربي، ليصل إلى سبب اختياره لعنوان الدراسة المذكورة، حيث حدده في مبررين يتعلق أحدهما بوحدة ملامح ثقافة مجتمع -المغرب العربي- فيما يعزي المبرر الآخر إلى المعطى الثقافي الشعبي الميداني المتنوع، بعيدا عن معطى الحدود السياسية.

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو، في التراث اللامادي المغربي ( التوثيق والتصنيف ومنهجية البحث)، مخطوط، ص 75 - 81

ثم يذكر المتن الذي اعتمده في الدراسة والذي يتكون من خمس حكايات مشيراً إلى تنوع مناطق هذه الحكايات، مختتماً تقديمه لهذه الدراسة بأنها لا تهدف إلى تقديم صورة شاملة عن الحكايات الخرافية للمغرب العربي، بقدر ما ترمي إلى تقديم بعض النماذج المعالجة عن طريق منهجية روعي فيها التجانس والتدرج بين مختلف مستويات خطاب الحكاية الخرافية واستخراج المعنى الذي لا يتجلى للمتلقي دفعة واحدة، وإنما يتم استكشافه شيئاً فشيئاً من خلال تحليل يتميز بشيء من الصرامة ومراعاة الخصائص الذاتية للخطابات وربطها بالمحيط الثقافي الذي أنتجها وتداولها<sup>1</sup>.

وأتبع الباحث هذا التقديم بمدخل لتحليل الحكايات الخرافية في المغرب العربي، ابتداءً بعرض منهجي أبان فيه عن اعتماده في تحليل هذه الحكايات على قراءة مزدوجة، الأولى ذات منحى خطي تضع في اعتبارها التسلسل السردى وتراعي وضع العلاقات الحاضرة في السياق، فيما تعمل القراءة الثانية على استخراج علاقات التضاد الكامنة المستنتجة من العلاقات الغائبة عن السياق حيث تسمح هذه الخطوة المنهجية بالانتقال من تحليل الأشكال السردية إلى معالجة المضامين، أي من الدراسة الشكلية إلى الدراسة الدلالية<sup>2</sup>.

ليشير في موضع لاحق إلى اعتماده منهجاً نقدياً مركباً، يأخذ في الاعتبار البحث الشكلاني لـ "فلاديمير بروب" والبنائي لـ "كلود ليفي ستراوس" وتابعيهما (بريمون وغريماس وكورتيس).

وعن الخطوات المعتمدة في دراسة هذه الحكايات، فإن الباحث يعتمد على تقطيع الحكاية إلى متواليات وتقطع المتوالية إلى وظائف ودراسة الشخص في علاقاتها ببعضها، مما يسمح بالاستخراج التدريجي للترتيب الذي تنبثق على أساسه الأدوار الغرضية والفاعلية<sup>3</sup>، وكل خطوة من هذه الخطوات تستدعي مفهومات واصطلاحات أوضحها في عرضه المنهجي (المتواليات والوظائف، نظام الشخص

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص 13

<sup>2</sup> - ينظر: م. ن، ص 15

<sup>3</sup> - ينظر: م. ن، ص 16

دلالة الحكايات، التحليل المقارن)، مبينا أنه أفاد مثلا من الترسمة الخطية البروبوية، لكنه تعامل معها بشيء من الحرية، حيث مكنه ذلك من أن يخفف " من تبعات التضييق البروبي، ومن نسجوا على منواله تعديلا، وأعطى لنفسه الحق بمثل هذا التعديل دون الوقوع في وحدة التبسيط"<sup>1</sup>.

كما أنّ "عبد الحميد بورايو" يعتقد أنّ الدراسة المقارنة للحكايات من النوع السردي نفسه يتطلب استخراج الصور القابلة لأن توفر عنصرا دلاليا من جميع الخطابات التي تتم مقارنة بعضها لبعض بشكل منهجي، حيث التحليل المقارن يعتمد على فرضية مفادها أنه لا يمكن أن يعطي أي خطاب معزول معناه الكلي، وبالتالي تصبح المواجهة المنهجية بين الخطابات المتوفرة هي وحدها القادرة على مدنا بجميع الدلالات التي تحملها كل حكاية<sup>2</sup>.

وفي مقارنته التحليلية للنماذج الحكائية المختارة، يعمد الباحث على تصدير كل مثال بخطة تحليلية يتبعها، نلخصها في الجدول التالي:

<sup>1</sup> - عبد الله أبو هيف، النقد الأدبي العربي الجديد في القصة والرواية والسرد، ص 285

<sup>2</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص 20

حكاية "ولد المتروكة"	حكاية "نصيف عبيد"	حكاية " لونجة "	حكاية "محذوف ومحروش مع الغولة"	حكاية " اعمر الأتان "
1- تقسيم النص	1- تقديم الحكاية	1- تقديم الحكاية	1- نص الحكاية	1- نص الحكاية
2 وظائف المتوالية الأولى	2- النظام العام للحكاية	2- النظام العام للحكاية	2- تحديدات منهجية للحكاية	2- الوحدات المكونة للحكاية
3- انبثاق القصة - المدخل	3- القصة - المدخل	3- معنى الحكاية	3- المسار السردى	أ- الوحدات الكبرى ب- الوظائف
4-وظائف المتوالية الثانية	4- القصة الرئيسية	4- الجميلة " لونجة "	3- القائمون بالفعل (الشخص)	3- القائمون بالفعل (الشخص)
5- انبثاق القصة الرئيسية ونظامها	5- الوساطة الرئيسية	5- التنظيم المكاني وبنية القرابة	4- العالم الدلالي للحكاية	4- الأدوار الفاعلة
6- النظام العام للحكاية	6- التحليل المقارن	6- القدر مصدر الغذاء والكيس المحتوي على اللحم البشري المقطع إربا	5- دلالة الصور في الحكاية	5- العلاقات المكانية
7-معنى الحكاية: الزوجة المتروكة تنجب ولدا شجاعا	7- البنية والرسالة المبلّغة	7- العلاقة محتوى / محتوى المعبرة عن التجرد	6- نظام الشخص	6- العلاقات الزمنية
				7-الدلالة الاجتماعية للحكاية: البطل حامل الحضارة

لقد عمد الباحث أيضا إلى إقران العنوان الرئيس لكل حكاية خرافية بعنوان فرعي يحيل المتلقي إلى الدلالة العامة للحكاية، تماما كما فعل مع عنوان الكتاب بإضافة عبارة دراسة تحليلية "في معنى المعنى" مقتصدا في تحليله تفاديا للاستطراد والحشو، ثم يربط خطواته بخيط معنى المعنى في المآل الأخير استخلاصا له من الدراسة التحليلية لا من خلال الإضفاء أو الحكم الخارجي<sup>1</sup>.

يفتح الناقد كل تحليلاته بملخصات للحكاية محل الدراسة، وهو عمل نعتقد أنه قاصر ويصعب من عملية متابعة تفاصيل التحليل، وكان بإمكان الباحث إيراد النص الكامل لكل حكاية بملحق خاص في نهاية الدراسة، ولا يكتفي بالملخص الذي أورده فقط.

ويلاحظ المتتبع لهذه الدراسة في جانبها التطبيقي تقاطع خطط تحليل الحكايات المحللة في نقاط عدة فصل فيها الباحث (تقديم الحكاية، النظام العام، المدخل، معنى الحكاية)، إضافة إلى مفهومات أخرى أو ضحها أيضا بشيء من التفصيل، متبنيا منها مركبا كما أشار إلى ذلك في تقديم الدراسة مدعما تحليلاته بجداول وخطاطات وترسيمات عضدت عملية التحليل.

حيث "أفاد الناقد من الدراسات البنيوية الأنثروبولوجية عند ليفي ستراوس خاصة، ومن الأبحاث السردية الشكلية عند فلاديمير بروب والدراسات الدلالية عند "غريماس" وكذلك الأبحاث الإثنو أدبية Ethno littéraire عند كورتيس، ويكمن مبرر الاستفادة في موقع الحكاية الخرافية ما بين الأسطورة فهي ترتبط من ناحية بالفكر الميثولوجي لأنها سليلة الأسطورة، ومن ناحية أخرى تمثل الوسيط الثقافي الذي يسمح بانتقال المكونات الأسطورية من الخطاب العقائدي إلى الخطاب الثقافي ذي الوسائط الجمالية والطبيعة الفنية الهادف إلى الإمتاع، إلى جانب تمثيله الرمزي لمنق الجماعة ورؤيتها للكون"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الله أبو هيف، النقد الأدبي العربي الجديد في القصة والرواية والسرد، ص 286

<sup>2</sup> - عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص 123

ووفاء لمنهجه التحليلي، حاول الناقد الاستفادة من هذه المناهج "فلم يسرف في تحليل عناصر الحكايات سرديا وبنويوا وإناسيا"<sup>1</sup>، إذ في تشريحه للنماذج الحكائية المدروسة حاول من خلال الاستعانة بالمنهج المقارن الاستفادة في معرفة أوجه الشبه والاختلاف بين هذه النماذج من جهة وبين النظم الاجتماعية التي نشأت فيها الحكايات من جهة أخرى، وهو ما سمح في النهاية بتحديد مستوى الانتفاع الحضاري، حيث "تتطلب الدراسة المقارنة للحكايات من النوع السردى نفسه استخراج الصور القابلة لأن توفر عنصرا دلاليا من جميع الخطابات التي تتم مقارنة بعضها ببعض بشكل منهجي ... وحيث المواجهة بين الخطابات المتوفرة، هي وحدها القادرة على مدنا بجميع الدلالات التي تحملها كل حكاية"<sup>2</sup>

يؤكد "عبد الحميد بورايو" في خاتمة دراسته أن جميع النماذج المدروسة تعبر عن علاقات اجتماعية وقيم ومفاهيم تبدو في مستهل كل حكاية مرفوضة لأنها ناقصة، حيث يظهر الإنسان فيها مقهورا بسبب غياب العدالة، فيتكفل الفرد من خلال وساطة متن الحكاية بمصير الكون مقترحا بديلا لذلك الوضع غير المحتمل، ليتم بذلك تعويض النقص والقضاء على الاستلاب في خاتمة كل حكاية<sup>3</sup>، إذ الإتفاق بين النماذج الحكائية المدروسة في تمثيل مسار مصير الانسان يؤكد انتمائها الى الشكل القصصي ذاته (الحكاية الخرافية)، ويبرز ملمحا واضحا يمكن من خلاله التمييز بين الحكاية الخرافية وغيرها من الأشكال القصصية الشعبية، وهو تصويرها لانقلاب العلاقات الاجتماعية والقيم المرتبطة بها، وتبشيرها بضرورة إحلال نظام جديد على أنقاض النظام السابق، وهو ما يدل على نشوئها في مراحل تغيير جذري في العلاقات الاجتماعية التي عرفها المجتمع العربي القديم.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - عبد الله أبو هيف، النقد الأدبي العربي، ص 287

<sup>2</sup> - عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص 20

<sup>3</sup> - ينظر، م. ن، ص 122

<sup>4</sup> - ينظر: م. ن، ص، ن



□ - المسار السردى وتنظيم المحتوى (دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلية وليلة):  
يمثل هذا المؤلف الرسالة التي تقدم بها "عبد الحميد بورايو" لنيل شهادة الدكتوراه (1995م -  
1996م) وأعيد طبعها سنة 2008م بدعم من وزارة الثقافة في إطار الصندوق الوطني لترقية  
الفنون والآداب عن دار السبيل للنشر والتوزيع، حيث يتضمن الكتاب 359 صفحة من الحجم  
المتوسط.

و "تندرج هذه الدراسة ... في سياق الدراسات الحداثية التي يمت شطر السرديات في مقاربتها  
للنصوص السردية التراثية الشعبية"<sup>1</sup> أيضا، وتوزع على ستة فصول تحليلية ومدخل، ويرمي الكاتب من  
خلال مقدمة مؤلفه إلى "الكشف عن القوانين السيميائية التي تحكم السرد في قسم من كتاب  
الليالي"<sup>2</sup>، حيث اجتهد الباحث في كسر تلك النمطية التي تناولت بالدراسة حكايات من "ألف ليلة  
وليلة"<sup>3\*</sup>، من خلال تناول أبعادها المختلفة (الثقافية، السوسولوجية السياسية، الإيديولوجية  
الأخلاقية ...) وقد اعتمد الناقد تحليلا مغايرا، ذلك أن حكايات الليالي تتميز بالتعدد والتنوع حيث  
انتقالها من منطقة جغرافية إلى أخرى ومن بيئته ثقافية إلى أخرى، جعلها تخضع لمبدأي الحذف  
والإضافة.

لقد سعى "عبد الحميد بورايو" في هذه الدراسة إلى استكشاف عملية تشكل المعنى في الحكايات  
المدروسة، انطلاقا من البنيات السطحية ووصولاً إلى البنيات العميقة، مع مراعاة أن المعنى ليس كيانا

<sup>1</sup> - سليمة لوكام، تلقي السرديات في النقد المغربي المعاصر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الانسانية  
والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، 2008، ص 271

<sup>2</sup> - عبد الحميد بورايو، المسار السردى وتنظيم المحتوى، ص 03

<sup>3\*</sup> - تناول العديد من الباحثين بالدراسة حكايات "ألف ليلة وليلة" ومنهم سمير القلماوي (ألف ليلة وليلة)، عبد الله ابراهيم (السردية العربية  
"بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي")، أحمد محمد الشحاذ (الملامح السياسية في حكايات ألف ليلة وليلة) ...

جاهزا ولا معطى بديها يمكن إدراكه بدون وسائط، بل باعتباره سيرورة خاضعة لمجموعة من الشروط تسعى السيميائيات السردية ذات التوجه المنهجي الشكلي إلى معرفة قواعدها<sup>1</sup>.

ولتحديد المسار السردى والدلالة العميقة للحكايات المختارة، عمد الباحث إلى آليات المنهج السيميائي الشكلاني وسيلة لذلك، بغية التوصل إلى إدراك العلاقة الدلالية بين الحكايات المؤطرة والحكايات المؤطرة، مراعيًا في كل ذلك الطبيعة الرمزية لهذه الحكايات<sup>2</sup>.

ففي مدخل الكتاب الذي أرفقه بعنوان " تحديد المدونة والإشكالية والمنهج " يعتبر الباحث دراسته للنماذج التي اختارها من " ألف ليلة وليلة " اختبارا للنظرية السيميائية السردية ( المدرسة الغريماسية ذات التوجه الشكلاني)، معتبرا أن هذا المؤلف - ألف ليلة وليلة - قد عرف محاولة تصنيفية من طرف الباحثة " نيكيتا إليسيف " Nikita elissef وهو التصنيف الذي سوف يراعيه في اختيار المدونة وفي تمييز الوحدات السردية الكبرى المكونة للمؤلف<sup>3</sup>.

ويستأنس الناقد في اختياره لمدونة الليالي برأي أحد رواد السرديات الذين عنوا بهذا المؤلف وهو "كلود بريمون"، والذي ميز بين مواد ذلك الشكل التقليدي الذي تشترك حكاياتها في الأغراض وفي طريقة السرد المستمدة من التراث الشفوي، وخاصة منه الهندي والمتجسد في مجموعة الحكايات الأولى حسب الترتيب الوارد في المخطوطات الأقدم، وهي تسع حكايات يرى "بريمون" أنها تحافظ على أسلوب الترابط الموروث عن التقاليد الشفوية<sup>4</sup>، ولعل سبب اختيار الباحث لحكايات الليالي هو أيضا ذلك الثراء والحركية والتوالد والتداخل الذي تتميز به، حيث الحكاية الإطار تتولد عنها مجموعة من القصص المتضمنة (الثانوية)، والتي تتولد عنها هي الأخرى مجموعة من الوحدات الكبرى (المقاطع)

<sup>1</sup> - عبد الحميد بورايو، المسار السردى وتنظيم المحتوى، ص 03

<sup>2</sup> - ينظر: م. ن، ص، 03-04

<sup>3</sup> - ينظر: م. ن، ص، 06-07

<sup>4</sup> - ينظر: م. ن، ص، 10

حيث كل مقطع يشتمل على أصناف الوظائف وكل صنف يجتوي على مجموعة من الوظائف، منطلقاً في النهاية من افتراض أن مدونة "ألف ليلة وليلة" ذات بناء متميز وخاص<sup>1</sup>.

لقد اعترضت الباحث صعوبات جمة بسبب طبيعة المادة القصصية ذات الكثافة العالية وتركيبها شديد التعقيد، حيث عملية اختزلها إلى ترسيمات خطية قابلة للتحليل والتعليق أمر صعب المنال يتطلب حذافة خاصة وطريقة في التحليل تتميز بنوع من الصرامة المنهجية من جهة ومرونة في التفاعل مع طبيعة هذه النصوص شديدة الثراء والتنوع<sup>2</sup>.

كما سعى "عبد الحميد بورايو" في هذا البحث إلى محاولة القبض على المعنى ورصد الدلالة والتعرف على نظام المحتوى في نص تراثي اخترق قروناً من الزمن، وألفت حوله العديد من الدراسات العربية والغربية، ولأجل هذه الغاية إتبع في تحليله لنصوص القصص المختارة عدد من الخطوات:

- 1- الانتقال من الجمل السردية السطحية إلى الجمل السردية الملخصة التي نتحصل عليها عن طريق عملية الاختزال، معتمداً قواعد: الانتقاء والتعميم والتركيب.
  - 2- تعيين كل وحدة منها بإطلاق تسمية نمطية للحافز المعين .
  - 3- تصنيف هذه الحوافز حسب التسلسل المنطقي .
  - 4- إقامة ترسيمات شاملة تجسد البرنامج السردية لجميع الحكايات .
- وتكون هذه الخطوات متبوعة برصد للدلالة، لأجل استخلاص المعنى وتحديد الأقطاب الدلالية المباشرة عبر الرسالة التي تسعى الحكاية إلى إيصالها للمتلقي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: م. ن، ص 11

<sup>2</sup> - ينظر: م. ن، ص 13

<sup>3</sup> - ينظر: م. ن، ص 14-15

لقد اجتهد الباحث في أن يكون تأويله موضوعيا ومبررا، متكئا في ذلك على القرائن الكافية ومسترشدا بتجربته في التحليل من جهة، ومفيدا من الدراسات السابقة غير المتعارضة مع الإتجاه العام لمنهجه التحليلي.

وانطلاقا من أول مرحلة في التحليل تظهر للناقد محاور بحث عدة تستند على مايلي:

أ- إعادة تأليف الشبكات الغرضية اعتمادا على وضع ثبت للحوافز مع إيجاد تلك العلاقات التي تربطها مع النماذج المنطقية ( السببية والزمكانية والاجتماعية والتاريخية والعاطفية والاقتصادية).

ب - تحديد النماذج الإيديولوجية والجهاز التقويمي.

ج - تقويم الإمكانيات العلمية والنظرية للإستراتيجية السردية المستثمرة في الليالي<sup>1</sup>.

وتستند نقطة الانطلاق في التحليل على مظهر النص، حيث يتطلب التعامل مع ذلك الشروع في معالجة مسألة اللفظ من خلال إجراء تحليلي تركيبى لأشكال الحديث أو القول.

لعل ما يلاحظ على هذا المدخل هو دأب الباحث على غرار العديد من الدارسين العرب الذين تناولوا النظرية السيميائية في جانبها التطبيقي، هو هذا التصدير (المدخل) الذي يحاول فيه توضيح منهجه التحليلي من جهة، ويحاول أيضا تعويض المستوى النظري لهذه النظرية من جهة أخرى، بل والولوج إلى المستوى الإجرائي.

ونحن بذلك نخالف بعض الباحثين الذين رأوا أن عناية (بورايو) بالعرض النظري وعدم إغراقه في البسط والتفصيل، يعود من جهة إلى إيلاء إهتمامه بالخصائص البنيوية المميزة لنصوص " ألف ليلة وليلة" وإلى حرصه على تحليلها تحليلا يتناسب مع تفرد بنائها وخصوصية السياق الذي ظهرت فيه.<sup>2</sup>

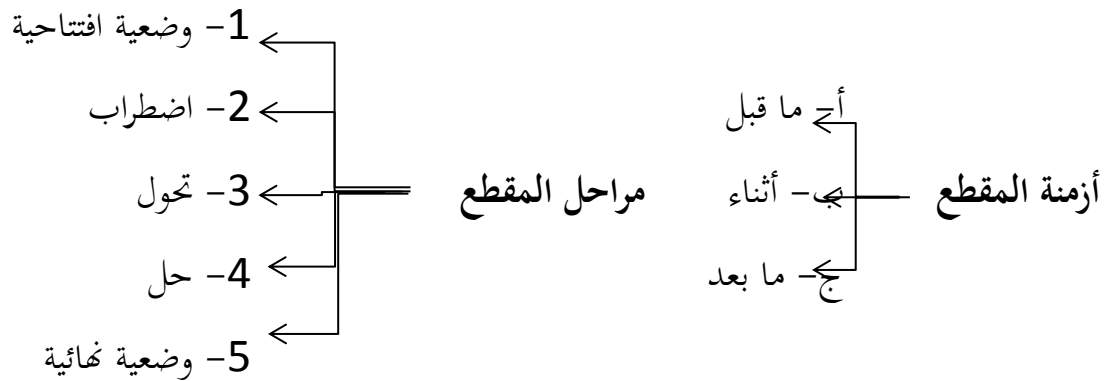
<sup>1</sup> - ينظر: م. ن، ص، 19

<sup>2</sup> - سليمة لوكام، تلقي السرديات في النقد المغاربي المعاصر، ص 272

بل أن الناقد يفرد في بعض مؤلفاته تصديرات تقارب الأربعين صفحة، تتعلق بمفاهيم نظرية لهذه النظرية أو تلك تقديمًا أو ترجمة<sup>1</sup>.

في توضيحه للملفوظ السردي الذي يفيد تحليله في الكشف عن البنية العميقة للنص من خلال الكشف عن البنيات الفاعلية، فإنّ انتظامه يتم حسب المحورين: النظمي والايحائي، حيث تسمح قراءة القصة بالاستناد على هذين المحورين "ببناء النسق المنطقي الذي تنتظم على أساسه الوحدات التوزيعية (صيغ المقاطع) ووصف وضع وحدات المعنى في تسلسلها المتتابع"<sup>2</sup>

وتمثل الوظيفة لدى الباحث "الوحدة المعنوية البسيطة التي يتشكل منها المقطع"<sup>3</sup>، وهو بذلك لا يختلف عن مفهومها لدى بروب باعتبارها "فعل شخصية قد حُدّد من وجهة نظر دلالية في سيرورة الحكمة"<sup>4</sup>، وتشكل مجموعة الوظائف المرتبطة فيما بينها ما يسمى بالمقطع الذي يمثل بدوره قاعدة للقصة، حيث يحدد على اعتباره تطور منطقي خطي بين ثلاثة أزمنة وخمس مراحل كما توضحه الترسيم التالية:



<sup>1</sup> - ينظر: مقدمات مؤلفات: الكشف عن المعنى في النص السردي بجزئية، السيميائيات السردية، السيميائيات التطبيقية...

<sup>2</sup> - عبد الحميد بورايو، المسار السردي، وتنظيم المحتوى، ص 23

<sup>3</sup> - م، ن، ص، ن

<sup>4</sup> - فلاديمير بروب، مورفولوجية الحكاية الخرافية، تر: ابراهيم الخطيب، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1986، ص 35

حيث أفاد "عبد الحميد بورايو" في بناء هذا التصور من النموذج الذي استخدمه "كلود كازالي بيرارد" Claude Casali Perard في دراسة قصص "الديكاميرون" التي تستعير من ألف ليلة وليلة طريقتها السردية، ويمكن التعرف على مفاهيم الوظائف القاعدية الخمسة فيما يلي:

### 1/ الوضعية الافتتاحية:

"هي مجموعة علاقات تتمتع باستقرار نسبي"<sup>1</sup>، وهي تمثل أيضا الحالة الأولية للحكاية وعنهما تتفرع الأحداث والتحويلات، وعادة ما تتضمن حدثا يساهم في عملية التغيير في حبكة القصة ويتبعه أحداث أخرى، إذ الوضعية الافتتاحية التي تنتقل من حالة التوافق والانسجام (الجزء الساكن من النص) إلى حالة الإثارة والنزاع (الجزء المتحرك من النص)، تقدم للسرد قصدا ذا نظرة مستقبلية حيث تثير عدة إمكانيات وتعني أيضا التساؤل عما سوف يتحقق بتعبير "بريمون"<sup>2</sup>

### 2/ اضطراب:

"هو تغيير يصيب إحدى هذه العلاقات على الأقل، مما يخلق حالة فقدان للتوازن"<sup>3</sup> فهو تغيير يضرب العلاقات المستقرة المعبر عنها في الوضعية الافتتاحية، ويؤدي ذلك إلى حالة من اللااستقرار وفقدان التوازن.

### 3/ تحول:

"هو فعل صادر عن أحد الأطراف المساهمة في الوضعية الافتتاحية يؤدي إلى تغيير العلاقات المذكورة سابقا"<sup>4</sup> وهو انقلاب من حالة إلى ضدها، حيث تكمن التحويلات - في المستوى السردى -

<sup>1</sup> - عبد الحميد بورايو، المسار السردى وتنظيم المحتوى، ص 24

<sup>2</sup> - ينظر: جيرالد برنس، قاموس السرديات تر: السيد إمام، ميريت للنشر، القاهرة، ط1، 2003

<sup>3</sup> - عبد الحميد بورايو، المسار السردى وتنظيم المحتوى، ص 24

<sup>4</sup> - م. ن، ص، ن

في عمليات التملك أو الحرمان بين الفاعل الدال على الحال وبين موضوع الرغبة، ولا يتحول أي وضع إلا إذا وقع حدث ما أدى إلى تحويل واحد أو إلى سلسلة من التحويلات.

#### 4/ حل:

"هو نوعية التحول الناتج عن تغيير العلاقات المذكورة"<sup>1</sup>، ويمثل كل من (الاضطراب والتحول والحل)، مجموعة الأحداث التي تقع بين الوضعية الافتتاحية والوضعية النهائية، فهو بذلك "الوسط الذي يتوجه على نحو مزدوج (مستقبليا من البداية إلى النهاية، وإرجاعيا من النهاية إلى البداية)، إنه يتقدم على نحو متناقض صوب النهاية"<sup>2</sup>.

#### 5/ الوضعية النهائية:

هي "مجموعة علاقات جديدة مستقرة"<sup>3</sup>، تمثل الحالة الأخيرة التالية لمجموعة من الأحداث حيث الغاية من القصة تكمن في هذه الوضعية النهائية (الخاتمة)، حيث يؤكد الباحث أن مقطعاً سردياً نمطياً واحداً قد يجسد قصة دنيا، وقد يكون عنصراً لسلسلة من المقاطع يلحق بها ويندرج فيها على مستوى الحل مثلما تمثله الترسيم التالية:

و ف < ض < ت < ح + (ض) < ت < ح + (ض) < ت < ... < و ن

أي أن الوضعية الافتتاحية تتبع باضطراب ثم يليها تحول ثم حل، وينضاف اضطراب ثان يتبع بتحول فحل وينضاف اضطراب ثالث يتلوه تحول ... لتأتي في النهاية الوضعية النهائية<sup>4</sup>.

ويستطرد الناقد في توضيحه لتحليل الملفوظ السردى مقدماً ملاحظات نوردها في النقاط التالية:

<sup>1</sup> - م. ن، ص، ن

<sup>2</sup> - جيرالد برنس، قاموس السرديات، ص 111

<sup>3</sup> - عبد الحميد بورايو، المسار السردى وتنظيم المحتوى، ص 24

<sup>4</sup> - ينظر: م، ن، ص 25

1- لا يمكن العثور على الوضعيتين الافتتاحية والنهائية ، إلا عند انفتاح المسار القصصي وانغلاقه في قصة منتهية.

2- يحدث الربط بين المقاطع السردية المتتالية وفق صيغتين:

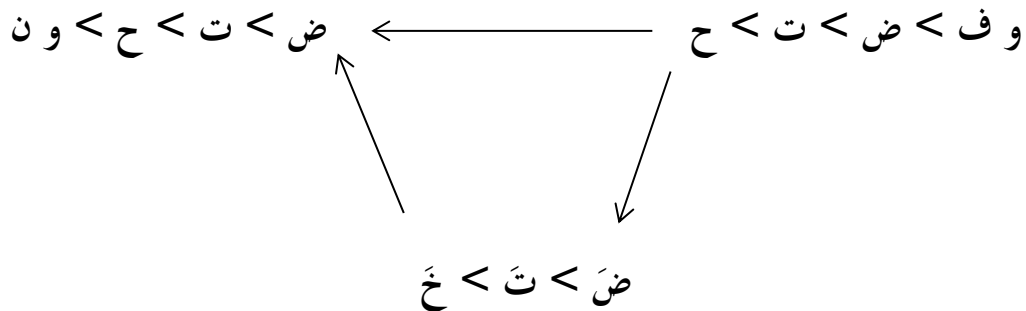
أ- حالة الروايات ذات الكثافة التشخيصية العالية غالباً، حيث: في حالة وجود ح + ض، إذ يدل الحل على وجود اضطراب جديد، ويقع تراكم المقاطع وفق الوجه التالي:

و ف < ض < ت < ح + (ض) < ت < ح + (ض) < ت < ح < و ن

ب- حالة الروايات ذات الانقلابات المفاجئة ( غير المتوقعة من طرف المتلقي) في حالة وجود ح < ض، أي تعاقب الحل والاضطراب، فيكون عندئذ تتابع الأحداث وفق الوجه التالي:

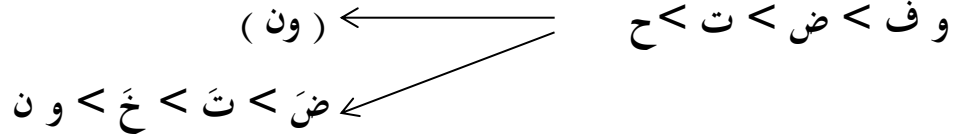
و ف < ض < ت < ح < ض < ت < ح < ض < ت < ح < و ن

3- قد تكون القصة أكثر تعقيداً، بحيث تبرز مجموعة ملامح متشابكة لعدد من الأفعال التي ينفتح عليها المسار القصصي فيحدث انتقال مؤقت الى محور ثان في القصة، حيث يمكن توضيح هذا التفرع بالشكل التالي:





4- قد يطول التفرع، مما يجعل الطرف المبادر في القصة ينمّحي ( يختفي ) وتسمى هذه الحالة استبدالاً، ويمكن تمثيل ذلك بالشكل التالي:



5- عند ما يقع تمثيل المسار سردي في مقاطع إثر إجراء التقطيع، يصبح بالإمكان الانتقال التدريجي من وصف الجمل السردية الأولية الى الجمل السردية الأكبر والأشمل، من خلال عمليات التبسيط والاختزال المنهجي والمنتظم<sup>1</sup>.

إن الاتكاء على النموذج المنطقي يعين على بيان " نحو " للقصة تحكم معاييرها الخاصة قواعد السرد في مدونة ما، حيث الترسمة الأنموذجية الشاملة تشكل في حد ذاتها قاعدة للمقارنة الموضوعية نسبياً والتي انطلاقاً منها يمكن المقارنة بين قصة وقصة ضمن مجموعات مشكلة للمدونة مثلما هو الحال في الليالي<sup>2</sup>، مادام معنى القصة الواحدة لا يمكن أن يتحدد بمعزل عن باقي القصص التي تنتمي إلى النوع السردية نفسه.

إنّ تحليل الملفوظ السردية يفيد في تحديد معالم الدلالة ولا يمكنه من كشف الدلالة النهائية للقصة حيث يبقى هذا التحليل قاصراً إن لم يقترن بتحليل البنية العميقة لتلك القصة.

ففيما يقع تحليل الملفوظ السردية على مستوى المحور النظمي، فإن تحليل الدلالات يكون على مستوى البنية العميقة، والتي تعد " ضمنية وتتمثل في ذهن المتكلم والمستمع، فهي حقيقة عقلية قائمة يعكسها التابع الكلامي المنطوق الذي يكون في البنية السطحية، من هنا ترتبط البنية العميقة

<sup>1</sup> - ينظر: م. ن، ص 25-26

<sup>2</sup> - ينظر: م، ن، ص 27

بالدلات اللغوية أي أنها تحدد التفسير الدلالي للجمل، في حين ترتبط البنية السطحية بالأصوات اللغوية المتتابعة وتحديد التفسير الصوتي للجمل<sup>1</sup>.

لقد لجأ "عبد الحميد بورايو" من أجل رصد انبثاق المعنى في الحكايات المنتقاة للدراسة، إلى استخدام أنموذج البنية الأولية المسمى لدى السيميائيين "المربع السيميائي" ويعد لدى الباحث صياغة منطقية قائمة على نمذجة العلاقات الأولية (أو التأسيسية) للدلالة القاعدية، التي تتلخص في مقولات: التناقض والتقابل والتلازم، فهو أنموذج توليدي ينظم الدلالة ويكشف عن آلية إنتاجها، كما يعد أيضا أداة منهجية تسمح برصد انبثاق المعنى منذ حالاته الأولية وحتى حالاته التركيبية المختلفة لذلك يعتبر الناقد أن الكشف عن الوقائع السيميائية من خلال البنية العميقة لا يتحقق بمعزل عن المربع السيميائي الجسد لذلك الجانب الشكلي للمعنى.

نشير الى أن الناقد يطعم تقديمه هذا بين الحين والآخر، بمفاهيم عدة للنظرية السيميائية الغريماسية ذات التوجه الشكلي، إضافة إلى إيراد لمقولات رواد هذا الإتجاه النقدي (غريماس كورتيس...).

على مدار ستة فصول تطبيقية حلّل الباحث ست حكايات اصطلح على تسميتها "الحكايات الإطار" التي تشتمل على مجموعة من الحكايات الأخرى تسمى "حكايات التضمن" تندرج ضمن الحكاية الكبرى - الإطار - حيث بنية التضمن تميز بين حكاية كبرى "متضمنة" (Enchassante) وحكايات "متضمنة" (Enchassés)، وهي الفكرة التي تبنت للناقد من مفهوم "تودوروف" Todorov عن قصص الليالي والذي يرى أن "التضمن يتمثل في دمج قصة داخل قصة فكل حكايات ألف ليلة وليلة - مثلا- متداخلة ضمن حكاية شهرزاد"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص 205-206

<sup>2</sup> - تريفيتان تودوروف، مقولات الحكاية الأدبية، تر: عبد العزيز شبيل، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، ع 10، ربيع 1990، ص



مختتما ذلك أيضا بملاحظات يراها عند كل اقتضاء.

### ج- نظام المحتوى:

**1- المسار الغرضي:** وفيه يبرز الأدوار والمسارات الغرضية عبر المراحل الزمنية الرئيسية للقصة وتحولاتها ( الماقبل، الأثناء، المابعد).

**2- البنية الدلالية العميقة:** حيث تتكشف لدى الباحث من خلال توظيفه للمربع السيميائي.

إنّ ما يمكن أن نستشفه من قراءتنا لهذا المؤلف-الدراسة- نوردّه موجزا في جملة النقاط التالية:

أ- إنّ الكشف عن نظام المحتوى للنصوص السردية المقاربة من طرف الباحث كان الهدف الأساس الذي رمى إلى تحقيقه، من خلال تناوله بالدراسة والتحليل للبنيتين السطحية (مثلة في المسار السردى) أو العميقة (مثلة في التركيب الدلالي)، متخذا آليات ومقولات النظرية السيميائية السردية الغريماسية ذات التوجه الشكلاى متكنا منهجيا لتفكيك وإعادة تركيب النماذج القصصية المدروسة بلغة علمية حاول من خلالها رصد جوهر هذه الحكايا وتوضيح قواعد انبجاسها وتوالدها.

ب- اجتهد الناقد في التأكيد بأن علاقات التضمن التي تمثل أهم سمة لقصص مدونة ألف ليلة وليلة لا تمثل ميزة شكلية فقط، تتوالد من خلالها الحكايات في إطار نسقها العام، بل هي مبرر أيضا في مستوى البنية العميقة حيث تم توظيف القصص المتضمنة لأجل توكيد القصص الإطار وهي أيضا ميزة تجعل قصص الليالي بعيدة عن تلك التصانيف العالمية للحكاية الشعبية، كما أن دلالات الوصعيتين الافتتاحية والختامية لقصص الليالي المحددة بالدور الوظيفي الذي تشغله من خلال موقعها في حركة التضمن، مسوغ آخر يميزها عن الحكايات الخرافية التقليدية المتصنفة بالاستقرار النسبي لطبيعة تلك العلاقة بين الوصعيتين ( الافتتاحية والختامية).

ج- لقد تبين "عبد الحميد بورايو" من خلال دراسته لمدى قدرة المناهج النقدية الحدائية في استنطاق النص العربي التراثي، ومنها النظرية السيميائية السردية من خلال اصطلاحاتها ووسائلها الإجرائية

حيث يمكن الاستفادة من منهجية الدراسة السيميائية للنص السردي في العملية التعليمية بمختلف مراحلها.

د- ما يميز تحليلات الباحث النقدية من خلال هذه الدراسة، إفادته من مفاهيم وآليات مناهج نقدية متعددة وتتسم مقارباته أيضا باجتهاده في ابتكار آليات خاصة به في تحليله للنصوص السردية الحكائية بعيدا عن تلك الممارسة الميكانيكية الفجة، مثبتا بذلك مدى استيعابه للمناهج النقدية النصّانية حيث يعمد في الإنصات بوعي نقدي إلى ما يميله النص من متطلبات الانسجام المنهجي التركيبي بعيدا عن محاولة فرض منهج بعينه.

ه- تشترك مختلف الحكايات المقاربة بحسب الناقد في ميزة متكررة، تتعلق بحضور قيم أخلاقية واجتماعية يعود لها أمر تحديد العديد من المسارات والقرارات الإنسانية، حيث لا يستبعد العنصر الثقافي والاجتماعي العام الذي انبنت عليه نصوص حكايات ألف ليلة وليلة، وهو ما يسيء إلى توجه التحليل السيميائي حسب منتقديه، بعد أن يتجاوز بذلك أحد أهم مبادئ النظرية السيميائية (مبدأ المحايثة)<sup>1</sup>.

و- لقد عمد "عبد الحميد بورايو" في خاتمة تحليله لكل فصل، إلى جملة من الاستنتاجات في مجملها تؤكد حضور رؤية موحدة بين الحكاية الإطار والحكايات المتضمنة.

ز- لم يلتزم الباحث بالخطة المنهجية التي اتبعها في تحليله لغالبية النصوص الحكائية، ومن ذلك تناوله بالدراسة نظام المحتوى ثم البنية الفاعلية ( الملك السندباد، ص 133، 134، 135) أو دراسة المسار الغرضي والبنية العميقة معا، في العديد من القصص التي حللها أو تطرق إلى البنيات الفاعلية

<sup>1</sup> - ينظر: فتيحة سريدي، السيميائية الغريماسية في تطبيقات "عبد الحميد بورايو" النقدية، المسار السردي وتنظيم المحتوى أنموذجا، الملتقى الدولي الثامن

المسيما والنص الأدبي"، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، من 08 الى 10 نوفمبر 2015، ص 19

للمسار السردي للوصفتين الافتتاحية والختامية معا، كما في تحليله لقصة الملك يونان والحكيم دوبان (ص 124، 125).

ح- ما يسترعي انتباه متلقي هذه الدراسة أيضا، أنها تهتم بالمصطلح السيميائي السردي في لغته الأم ولم يرد ملحقا لها في نهاية البحث، ومرد ذلك برأينا هو اعتقاد الناقد بأن دراسته موجهة إلى المهتمين والباحثين المتخصصين في التحليل السيميائي السردي من جهة، أو أن الأمر يتطلب الرجوع الى مؤلفات الباحث الأخرى التي اهتمت بالمسألة من ترجمات ومقدمات لفهم هذه الدراسة.

ط- لم يعتمد الباحث من خلال إطلاعنا على مكتبة مراجعه سوى على الكتب التاريخية والاجتماعية والثقافية التي تناولت بالدراسة قصص ألف ليلة وليلة، إلى جانب مؤلفات قليلة لرواد المنهج النقدي السيميائي والشكلاني، أو تلك الدراسات التي تشكل علامات بارزة في المناهج النقدية التي طعم بها منهجه التركيبي، وهو أمر يحسب للناقد في قدرته على تنفيذ رؤيته النقدية إجرائيا.

نعتقد أن هذه الدراسة تعد عملا متميزا ضمن الأعمال التطبيقية التي تناولت بالبحث والتحليل منجزا إبداعيا سرديا تراثيا، خاصة وأنها تعد من بواكر التطبيقات في حقل البحث السيميائي السردي العربي، التي أنجزها الباحث بعد ممارسة طويلة له مع هذا النوع من الدراسات في مستوياته المختلفة (النظرية والتطبيقية و الترجمة).

### III- التحليل السيميائي للخطاب السردي (دراسات لحكايات من "ألف ليلة وليلة" و"كليلة و

دمنة"):

صدر هذا المؤلف عن دار الغرب والتوزيع ضمن منشورات مخبر " عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر"، حيث لم توضح دار النشر سنة الصدور واكتفت بتاريخ الإيداع القانوني فقط (سنة 2003م).

ويتضمن الكتاب 130 صفحة من الحجم الصغير نسبيا، وقد عدّه "رشيد بن مالك" كما كنا قد أشرنا من قبل "حدثا نقديا في الجزائر، استطاع أن يستثمر الإنجازات البروبية من منطلقات سيميائية"<sup>1</sup> حيث تعد هذه الدراسة إمتداد لدراسته السابقة التي تناولناها بالقراءة وقد إتبع الناقد نفس منهجية التحليل السيميائي لدى مقارنته للحكايتين المنتميتين لمدونة "ألف ليلة وليلة" (ينظر أطروحة الباحث حول موضوع "المسار السردي ونظام المحتوى، دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة" إشراف د. عبد الله بن حلي، نوقشت سنة 1996، معهد اللغة العربية وآدابها جامعة الجزائر مخطوط، ص 1-20)<sup>2</sup>.

وقد قسم "عبد الحميد بورايو" دراسته هذه إلى قسمين: قسم نظري (تناول فيه مقدمة - أوليات منهجية- ثم قضية تقطيع الملفوظ السردي ) في ست صفحات فقط، وقسم تطبيقي تناول فيه بالتحليل السيميائي قصيتين من مدونة " ألف ليلة وليلة " وقصتين من حكايات " كليلة ودمنة " حيث المقارنة الأولية بين الدراستين، تظهر الملاحظات التالية:

أ- دراسته لقصتي " ألف ليلة وليلة " (قصة الملك شهريار وقصة الصياد والعفريت) المكررتين في المؤلفين، وردت في كتاب "المسار السردي وتنظيم المحتوى" أكثر تنظيما ووضوحا وتفصيلا، بالنسبة للجداول والترسيمات.

ب- نلاحظ تغييرا واضحا في بعض صيغ العناوين الفرعية المشتركة بين الدراستين.

ج- إن إحالات مؤلف " المسار السردي وتنظيم المحتوى" كانت في نهاية الصفحات المهمشة، فيما كانت بمؤلف " التحليل السيميائي للخطاب السردي " في نهاية تحليل كل قصة.

<sup>1</sup> - رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 35

<sup>2</sup> - عبد الحميد بورايو، التحليل السيميائي للخطاب السردي، دراسة لحكايات من " ألف ليلة وليلة" و " كليلة ودمنة"، ص 10

د- تضمن كتاب " المسار السردي وتنظيم المحتوى " قبل تحليل كل حكاية، صفحة خاصة تشمل عنوان الحكاية الإطار وعناوين القصص المتضمنة، فيما اكتفى الباحث بمؤلف "التحليل السيميائي في الخطاب السردي" بإيراد عنوان الحكاية الإطار فقط، قبل عملية التحليل.

هـ- لدى تناول الناقد لقضية تحليل الملفوظ السردي بالقسم النظري لكل من المؤلفين، كان التفصيل أكثر لهذا المفهوم بكتاب " المسار السردي وتنظيم المحتوى".

و- على النقيض من مؤلف "المسار السردي وتنظيم المحتوى " تضمن كتاب " التحليل السيميائي للخطاب السردي" ملحقا للنصوص الحكائية المدروسة مع الإشارة إلى مصادرها.

إن المقارن بين الدراستين في جانبيهما الشكليين، يلاحظ بيسر أن كتاب " المسار السردي وتنظيم المحتوى" أولاه الباحث عناية أكبر، وربما مرد ذلك هو إعادة مراجعته وتنقيحه، قبل نشره سنة 2008م، وهو الذي ظل مخطوط أطروحة دكتوراه قبل ذلك لسنوات طويلة (منذ سنة 2006م) حيث أفاد الباحث أيضا من مؤلفه " التحليل السيميائي للخطاب السردي" لإجراء ما أمكن من التعديلات اللازمة.

يتبدئ "عبد الحميد بورايو" دراسته (التحليل السيميائي للخطاب السردي) بمقدمة يقترح من خلالها منهجيته التحليلية السيميائية القائمة على نماذج منطقية " يحكم البناء الشكلي للمسار السردي ولانبثاق الدلالة،- حيث هذه النماذج- تمثل إكليسيات مشعاعية للخطاب المدروس وأطرا هيكلية مفرغة، يتم استنباطها من المدونة المدروسة في شكل أنساق تنتظم على أساسها مختلف التجسيديات ذات الطبيعة السردية، أو الخاصة بالقيم المرجعية التي تستند إليها الخطابات السردية"<sup>1</sup> ليقتراح بعد ذلك عرض النماذج التي يروم من خلالها دراسة القصص المنتقاة وفتحها، وهي أربعة نماذج :

1- نموذج المسار السردي.

<sup>1</sup> - م. ن، ص 05



2- نموذج الفاعلين .

3- نموذج المسار الغرضي ( المسار المتعلق بالأغراض) .

4- نموذج البنية الدلالية العميقة .

مشيرا إلى أن لكل نسق من هذه الأنساق النموذجية المقترحة قواعد عمله وانسجامه، فمنها ما يتعلق بمظهر الخطاب وبعناصره الحاضرة في السياق والمتجاورة في خطاب القصة، ومن ذلك المسارين (السردى والغرضي) ومنها ما هو ضمني ومحيط يُستنبط وفق آليات تحليل يسمح بها الأنموذج المستنبط، ومن ذلك بنية الفاعلين والبنية الدلالية العميقة<sup>1</sup>.

وبعد تحديده للنماذج التي سوف يتكئ عليها في تحليله السيميائي، يوضح الباحث نقطة انطلاق مقارباته ممثلة في مظهر النص السردى ذاته، حيث كل نص سردي حامل بالضرورة لقضية ما، من خلالها يتم تعاقب مجموعة من المراحل متسلسلة منطقيا وزمنيا وتمتع بتمثيل غرضي معين<sup>2</sup>، حيث لكل نص بداية (وضعية أولية) ونهاية مختلفة عن البداية ( حصيلة المسار السردى المتسلسل)، وما بينهما " هناك عدة مستويات مندجة في بعضها البعض ومتداخلة، ابتداء من المستوى التركيبي، مرورا بالمستوى المنطقي أين تتم فصل الوحدات الوظيفية، وانتهاء بالمستوى الغرضي أين تتجسد صورة العالم"<sup>3</sup>.

إنّ معالجة المستوى التركيبي للقول السردى وكذا التعامل مع مظهر الخطاب يتطلب فرز " السرد " عن "الأسرد" ، حيث لا يمكن التعرف على أحدها إلا بوجود العنصر النقيض.

<sup>1</sup> - ينظر، م. ن، ص، ن

<sup>2</sup> - ينظر، م. ن، ص 06

<sup>3</sup> - م. ن، ص، ن

ومن الأشكال المختلفة للأسرد تدخلات وتعليقات السارد أين يتوقف فيها السرد، وبالاستعانة بالنموذج المنطقي الذي يساعد على بيان "نحو" للقصة، وتحكم معايير الخاصة قواعد السرد في مدونة معطاة<sup>1</sup>.

إنّ "الترسيمة النموذجية الشاملة"، تشكل في رأي الباحث "قاعدة للمقارنة الموضوعية نسبيا والتي انطلاقا منها يمكن المقارنة بين قصة وقصة، ضمن شكل سردي معين مثلما هو الحال في الحكايات الخرافية"<sup>2</sup> التي يعترم الباحث مقاربتها، حيث استخدام نموذج قاعدي وحيد يمثل شرطا لا بد منه لتحليل مقارن متجانس، يكشف تلك التنوعات الشكلية الفرعية و يعمل على إبراز الخصوصيات البنيوية، فهو يعتقد "أنه لا يمكن أن يعطي أي خطاب معزول معناه الكلي وبالتالي تصبح المواجهة المنهجية بين الخطابات المتوفرة هي وحدها القادرة على مدنا بجميع الدلالات التي تحملها كل حكاية"<sup>3</sup>.

في تناوله لتقطيع الملفوظ السردية (أورده بعنوان "تحليل الملفوظ السردية" في مؤلفه "المسار السردية وتنظيم المحتوى") يعيد "عبد الحميد بورايو" نفس شروحات دراسته السابقة، مختتما ذلك بتأكيد أهمية- تحليل الملفوظ السردية - في الانتقال في الكشف عن البنيات الفاعلية والمسار الغرضي ثم البنية العميقة منبها إلى "أن تحديد موضوعات القيمة في النص يمثل دليلا لتحديد البنيات الفاعلية، وأن تعيين أهم التحليلات الغرضية يتم استنادا على مراعاة تقابلاتها وتحولاتها كما أن تحليل النية العميقة، يتم عن طريق المربع السيميائي الذي يمثل تمثيلا مرثيا التمثيل المنطقي للمقولات الدلالية القاعدية، التي انبثقت عنها مختلف دلالات الخطاب المدروس"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر، م. ن، ص، ن

<sup>2</sup> - م. ن، ص، ن

<sup>3</sup> - عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص 20

<sup>4</sup> - عبد الحميد بورايو، التحليل السيميائي للخطاب السردية، ص 10

مشيرا في إطار هذه المقدمة إلى تناوله لإشكالية منهجية التحليل السيميائي لنصوص حكايات الليالي بمؤلفه - الأطروحة- ( المسار السردى وتنظيم المحتوى)، وفق رؤية نقدية واضحة وتصور منهجي متماسك، ضمن إطار النقد السيميائي السردى الغريغاسي ذو التوجه الشكلاني المعصّد بوعي نقدي متجلي في ما ينتقي الباحث من مفاهيم ومقولات وآليات إجرائية لمقاربة الحكايات المختارة الأربع، حيث لا تختلف تحليلاته لحكايتي ألف ليلة وليلة ( قصة الملك شهريار وقصة الصياد والعفريت) في الدراستين، عدا أنه اكتفى بتحليل القصة الإطار " الصياد والعفريت" في مؤلف " التحليل السيميائي للخطاب السردى"، فيما قام بدراسة الحكايتين المذكورتين المنتميتين إلى مدونة " ألف ليلة وليلة" من خلال مفاهيم وآليات إجرائية مختلفة، كالمسار السردى، البنيات الفاعلية تنظيم المحتوى... بمختلف مستوياتها.

حيث قصتي كليلة ودمنة (قصة الحمامة المطوقة وقصة الحمامة والثعلب ومالك الحزين) قد قاربهما الباحث من خلال مجالات أخرى، متخذا " من الأمكنة والأبعاد الزمانية طيلة المسار القصي إشارات للدلالات العميقة الموجودة في النص، عبر نظام التقابل وتمثيلها من خلال المربع السيميائي"<sup>1</sup>. وقد كان الباحث يهدف من وراء ذلك، إلى محاولة القبض على " السردية" ومكوناتها في هذه النصوص والتي يتعذر الإمساك بمظاهرها إلا من خلال " الخطاب"، مستندا على دراسته الخطابية التالية:

### 1- الحقل المعجمي

### 2- المقطوعات الخطابية

### 3- التجسيديات الخطابية<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، من اللانسونية الى الألسنية، ص 127

<sup>2</sup> - ينظر: عبد الحميد بورايو، التحليل السيميائي للخطاب السردى، ص 69

في دراسته للحقل المعجمي يعمد الباحث إلى إنشاء جدول لهذا الحقل، يفصل بين الأغراض والتجسيديات التصويرية، حيث تسمح العملية بمعالجة أولية للقصة وبإدراك مراتب التشاكل الدلالي فيها، إضافة إلى اكتشاف بنيات القيم والأدوار الغرضية وموضوعات القيمة والفاعلين ومختلف الأداءات المشكلة للبرامج السردية<sup>1</sup>.

وإجرائيا يعمل الناقد على استخراج المفردات التي تبدو أساسية في إبراز الدلالة بعد قراءة القصة عدة مرات، حيث يصنفها بجدول مجمعة، معتمدا مبدأ التشابه (القائم على علاقة انضوائية) والتخالف (القائم على تعارضات نسبية) بناء على معنى كل مفردة من خلال دلالتها في السياق النصي، ثم يعمد إلى تحليل وتحويل ذلك التوزيع والتعليق عليه<sup>2</sup>.

وفي مرحلة إجرائية ثانية يقوم بتقطيع النص إلى متواليات رئيسية والكشف عن جملة الوظائف المكونة لكل متواليات عملية وبيان حدود تفصل الخطاب بالاستناد إلى مقاييس يحددها في كل قصة وفي مرحلة التحليل السردية الخطابي يقوم الناقد بـ"أهم التجسيديات التصويرية وبيان العلاقات المتمثلة في الرؤى السردية والزمان والمكان"<sup>3</sup>.

وبالاعتماد على نظام المتواليات يقارب الباحث من خلال معطيات كل نص سردي مفاهيم مثل "الذات وموضوع القيمة والظاهر والباطن، معرفة الفعل والقدرة على الفعل، والكفاءة وعناصرها والبرامج السردية الأساسية والاستعملية والاتصال والانفصال، وذات الفعل وذات الحالة التحريك والتقييم والأداء"<sup>4</sup>.

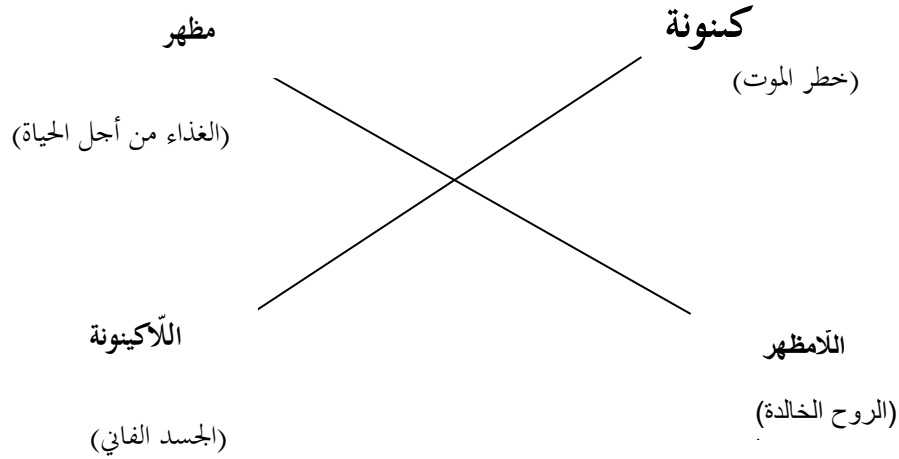
<sup>1</sup> - ينظر: م. ن، ص، ن

<sup>2</sup> - ينظر: م. ن، ص 69-70

<sup>3</sup> - م. ن، ص 25

<sup>4</sup> - ينظر: قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغربي، ص 196

ولدى تناوله لتنظيم المكان في القصة (نظام الانتقالات المكانية)، يبيّن مدى تحقيق المفاهيم - الأداءات، بين الأمكنة المذكورة في كل قصة، كما يتتبع المسار الغرضي تبعا للتسلسل الزمني للحكاية. ليقترح في نهاية تحليله التأويل المناسب " للدلالات العامة، بالنظر لبعدها التداولي كأمثولة تم تقديمها في سياق معين"<sup>1</sup>، كاشفا البنية العميقة التي تولدت عنها الدلالات الأساسية في كل قصة مدروسة ( القصتان تتميتان لنفس المجموعة القصصية)، من خلال المربع السيميائي الموضح في الترسيمة التالية:



هكذا ومن خلال قراءتنا لمدونة "عبد الحميد بورايو" النقدية (عينة الدراسات المختارة) يتبين لنا أن الناقد قد أبان عن رؤية تحليلية عميقة "في فهم العوامل التحليلية للحكايات الشعبية، كما أبان في الآن نفسه عن اقتراب موفق في تشخيص أشكالها التعبيرية والكشف عن أبرز تقنيات السردية ليس من خلال استثماره لمقولات النظريات الجديدة ومواكبة تطوراتها بوعي فحسب، بل أيضا - وهو الأهم- من خلال احترام خصوصية النص المعالج والإنصات إلى ما يقوله"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الحميد بورايو، التحليل السيميائي للخطاب السردية، ص 85

<sup>2</sup> - قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص 196

فهو يعتقد أن التحليل السيميائي أكثر ملاءمة لمقاربة النصوص الشعبية، ديدنه في ذلك التحليلات الغريماسية التي انبت على الجهود البروبوية، وكذا مواصلة رواد هذا التيار (كجوزيف كورتيس) لنفس التوجه المنهجي لتحليل الحكايات الشعبية، إضافة إلى أن مشروع الناقد في البدء انبنى هو الآخر على الموروث الحكائي الشعبي (رسالته في الماجستير)، وتسجيله لذلك النقص الفادح في الدراسات السيميائية العربية لهذا النوع من النص السردي الحكائي.

بل أن الباحث ذاته توسم في هذا التوجه النقدي، أنموذجا تعليميا ينبغي الإفادة منه في تعليم الطلبة بمختلف المراحل التعليمية مقارنة النصوص التراثية السردية وفق آلياته الإجرائية المختلفة، لما لها من جدوى في فهم هذه النصوص وفاعلية في القبض على مختلف دلالاتها.

#### IV - أنموذج تحليلي لقصة "الصبية المقتولة ظلما":

يحاول الباحث في الفصول التطبيقية اختبار الإطار المنهجي الذي صدّر به دراسته (المسار السردية وتنظيم المحتوى)، وتشمل مجموع القصص التي اصطلح على تسميتها كما كنا قد أشرنا "الحكايات الإطار" حكايات أخرى جاءت ضمنها سمّاها "حكايات التضمن"، حيث تقوم بنية التضمن على التمييز بين حكاية كبرى متضمنة (Enchâssante) وهي حكاية شهرزاد التي تقوم بالحكي، وحكايات متضمنة (Enchâssées) وهي الحكايات المشكلة لمدونة ألف ليلة وليلة، حيث تحتاج الحكاية المتضمنة إلى إطار لتصبح فيه جزءا من حكاية أخرى، ويتفق النوعان (القصة الإطار والقصص المتضمنة) على حضور القيم الأخلاقية والاجتماعية التي يؤول لها قرار تحديد الاختيارات الإنسانية.

وللوقوف على مدى توفيق الباحث في إخضاعه لنص سردي لمقارنته المقترحة ضمن إطارها السيميائي الغريماسي، اخترنا أنموذجا تطبيقيا ممثلا في قصة "الصبية المقتولة ظلما" المتضمنة في الحكايات الإطار (قصة هارون الرشيد ووزيره جعفر البرمكي والعبد الأسود)، حيث يشير في البداية

إلى أن القصة الإطار (قصة هارون الرشيد ووزيره البرمكي) لا ترتبط بما سبقها من قصص إلا من حيث علاقة هارون الرشيد ووزيره بها، ولا تندرج في الإطار الأول لحكاية الحمال والبنات، حيث تبدو مقحمة عليها.

- |   |   |  |
|---|---|--|
| <p>1- قصة المقدمة الذريعة.</p> <p>2- قصة الصبية المقتولة ظلما.</p> <p>3- قصة الوزيرين شمس الدين ونور الدين.</p> | } | <p>القصص المتضمنة للحكاية الإطار</p> <p>( قصة هارون الرشيد ووزيره</p> <p>البرمكي والعبد الأسود )</p> |
|---|---|--|

### 1- المسار السردي لقصة "الفتاة المقتولة ظلما":

#### أ- الوضعيتان الافتتاحية والختامية:

تروي بداية القصة حياة زوجان شابان يعيشان في حب وهناء ، إلى أن تقع تحولات في متن القصة مع ظهور علامة مزيفة على جسد الفتاة وهو ما أثار الغيرة في نفس الزوج، الذي لم يتردد في قتل زوجته والرمي بها في البحر، وعند اكتشافه الحقيقة يصبح الندم يلاحقه.

يترجم "عبد الحميد بورايو" الوضعيتين (الافتتاحية والختامية) حسب الاصطلاحات السيميائية

كالتالي:

كانت في البداية ذات الحالة موصولة بموضوع القيمة (الزوج والزوجة)، وقد حدث فيما بعد الانفصال بينهما، وهو انفصال نهائي<sup>1</sup>.

#### ب- متن القصة:

يلخص الباحث الوحدات المشكلة لقصة "الصبية المقتولة ظلما" في الجدول التالي:

<sup>1</sup> ينظر: عبد الحميد بورايو، التحليل السيميائي للخطاب السردى، ص 235 .

المقطع	أصناف الوظائف	الوظائف	ملخص الجمل السردية
(1)	1- اضطراب. 2- تحوّل 3- حل	- حصول افتقار - خروج - تلقي مساعدة - قضاء على الافتقار	مرضت الزوجة واشتتت تفاحا في غير أوانه. خرج الزوج يبحث عن التفاح الذي ترغب فيه في غير أوانه. تمكن الزوج من الحصول على التفاح من بستان الملك وجلبه لزوجته. حصلت الزوجة على ما ترغب فيه .
(2)	1- اضطراب 2- تحوّل 3- حل	- علامة مزيفة - إدعاءات كاذبة - مواجهة - عقاب	شاهد الزوج عبدا أسودا من قصر الملك يحمل في يده تفاحا مثل الذي جلبه، فشك في كونه قد تسلّمه من زوجته. إدعى العبد أنه عشيق الزوجة، وأنها سلّمته التفاح هدية. واجه الزوج زوجته وأتهمها بالخيانة الزوجية. عاقبها على غير وجه حق، فقتلها.
(3)	1- اضطراب 2- تحوّل 3- حل	- ندم - مواجهة - تكليف بمهمة - إنجاز المهمة - نجاة	لما عرف حقيقة ما حدث، ندم على ما فعل. سعى الشاب بنفسه إلى وزير الخليفة ليعترف بجريمته. طلب منه أن يروي قصّته أمام الخليفة. - روى ما حدث للخليفة هارون الرشيد. - عفا عنه الخليفة مقدّرا الظرف الذي دفعه إلى ارتكاب الجريمة معتبرا العبد الأسود هو المجرم الحقيقي.



ثم يبين الباحث المسار الخطي الذي اتبعته أصناف الوظائف في هذه القصة، من خلال هذا النموذج:

وف < ض < ت < ح < ض < ت < ح < ض < ت < ح < ض < ت < ح < و  
 (1) (2) (3)

حيث تشير هذه الرموز إلى أصناف الوظائف التالية:

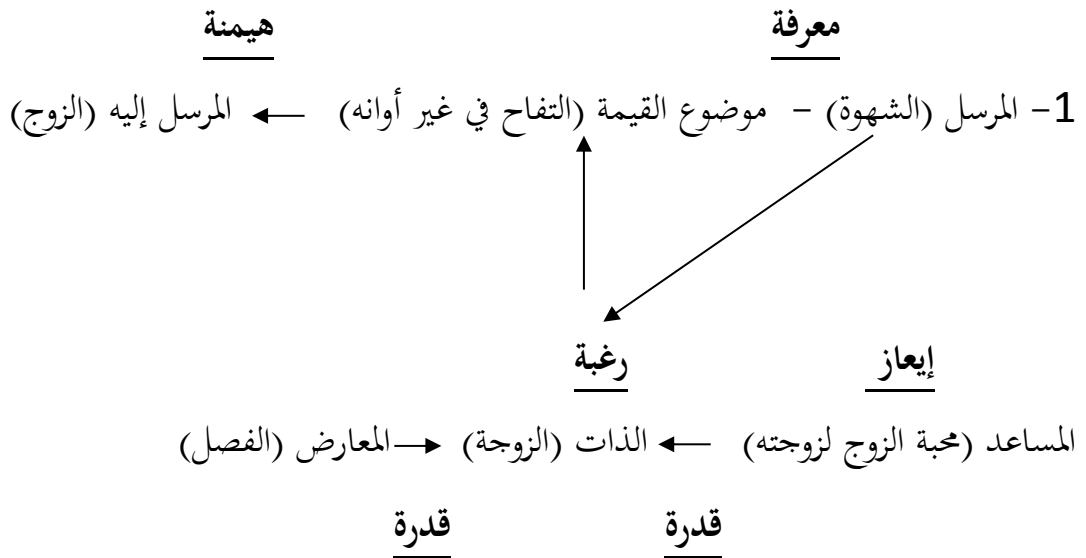
و ف = وضعية افتتاحية، ض = اضطراب، ت = تحوّل.

و ن = وضعية نهائية (ختامية) ، < = الاستتباع.

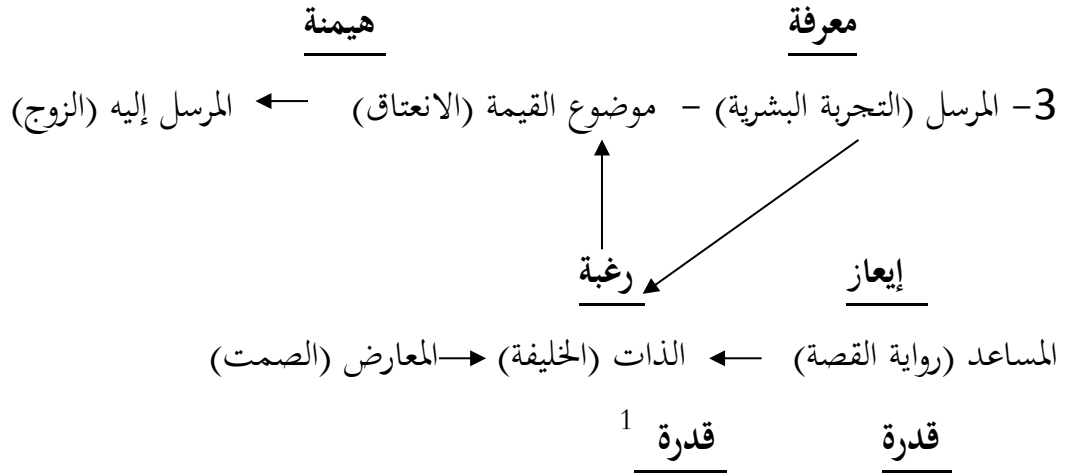
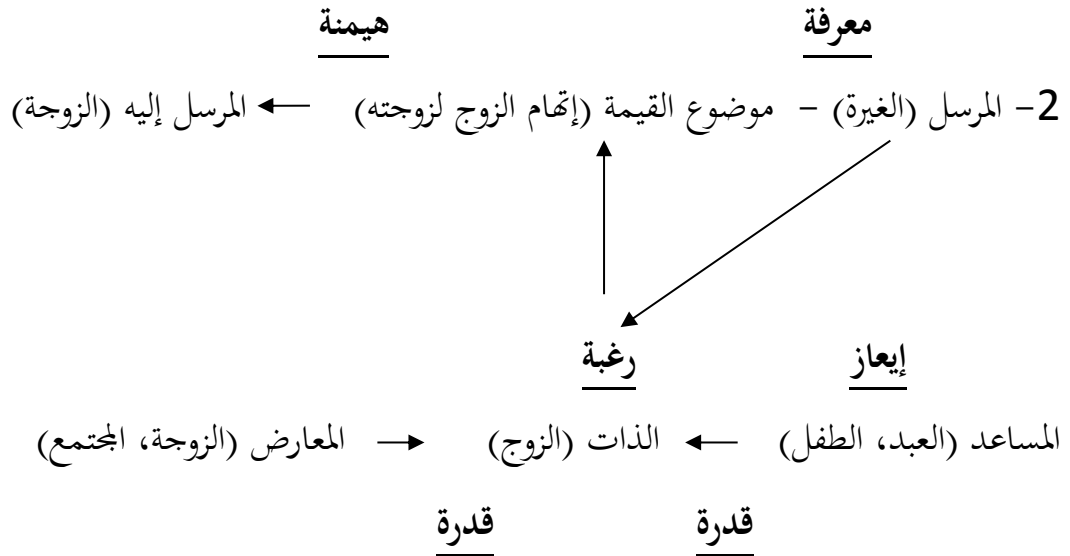
وجاءت مقاطع القصة متوالية، حيث كلما انتهى مقطع ظهر إثر الحل اضطراب جديد، يستند على إعادة النظر في قيمة هذا الحل من وجهة نظر الشخصية الأساسية (الزوج)<sup>1</sup>.

## 2- البنية الفاعلية:

لقد بنيت القصة على ثلاث بنيات فاعلية، تمثل كل بنية مقطعا من مقاطع القصة كما هو مبين في الأشكال البيانية التي يقترحها الباحث:



1- ينظر: م. ن، ص: 237 - 238



<sup>1</sup> م.ن، ص 237-238

- نظام المحتوى:

أ- المسار الغرضي:

لقد صوّرت القصة للمتلقي حسب الباحث، ثلاث مسارات متخالفة للشخص لخصها فيما يلي:

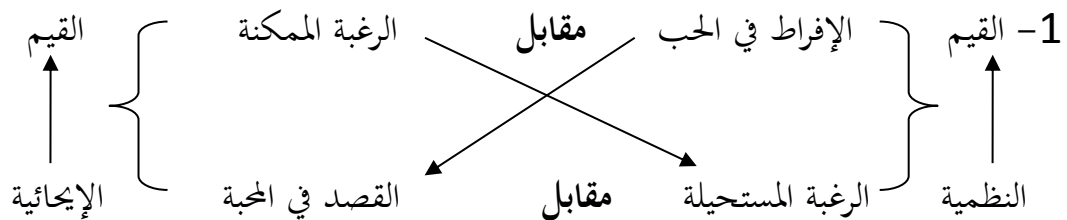
- المحبة المبالغ فيها التي استفادت منها الزوجة الشريفة من زوجها عادت عليها بالضرر الذي كلفها حياتها بعد أن تسببت غيرة الزوج في قتل زوجته.

- عبد أسود عديم الأخلاق، يتهم زوجة شريفة في عرضها مستغلا افتكاكه لتفاحة من طفل صغير يحكم عليه الخليفة بالإعدام، لكنّه يفتدى نفسه بعد ذلك حينما يقبل سيّده بحكاية يرويها له مقابل حياته.

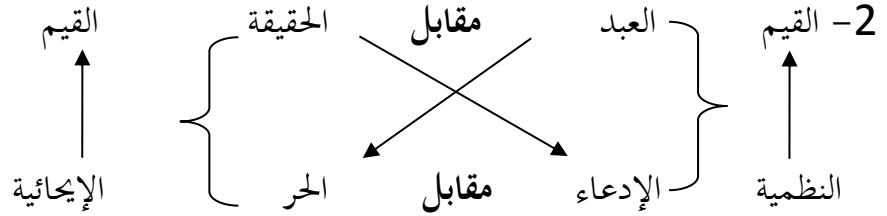
- شيخ عطوف (والد الزوجة) وبرغم حزنه على مقتل ابنته، إلا أنّه يعمل على إنقاذ زوجها من الهلاك حتى لا تتضاعف المصيبة.

ب- البنية الدلالية العميقة:

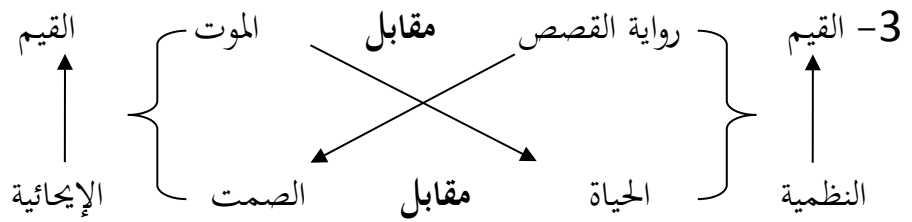
من خلال المسار الغرضي لشخص القصة المبني على علاقات جسدها الناقد ضمن مرتّعات سيميائية، تبعا لظهورها في المقاطع الثلاثة السابقة.



حيث يحيل هذا المربع إلى علاقة الإفراط في الحب التي كانت نتيجتها سلبية على مصائر الشخصوس في هذه القصة، وفي قصّة سابقة (قصّة الصعلوك الأول).



يشير هذا المربع إلى لعب العبء لدور سلبي في هذه القصة، كما في قصص أخرى سابقة فيكون دائما سببا في تدهور مصائر الأبطال من خلال ظهوره في أزمنة حصول الخديعة والتهديدات ...



حيث يحيل المربع السيميائي هنا إلى نفس القيم والعلاقات المشتركة في جميع نهايات القصص السابقة التي قام الباحث بتحليلها في الفصل (الحكاية الإطار لقصّة هارون الرشيد ووزيره جعفر البرمكي والعبء الأسود)<sup>1</sup>.

1- ينظر: م . ن ، ص: 239- 240.

الحاتمة

لعل أبرز ما يمكن أن نخلص إليه من ملاحظات ونتائج عامة، إضافة إلى تلك التي أوردناها

في ختام بعض البحوث أو الفصول، نسجلها في النقاط التالية:

1- إنّ النظرية السيميائية السردية (مدرسة باريس) كغيرها من النظريات النقدية، وبالرغم من قدرتها على تقديم مشروع علمي قائم على مفاهيم عميقة، وآليات إجرائية فاعلة في قراءة النص الأدبي، إلا أنها وقعت في أتون البعد الميكانيكي الجاهز المغيب لخصوصية النص المدروس، لكنها مقابل ذلك تعتبر نفسها مشروعاً معرفياً يمارس النقد الذاتي باستمرار من قبل منظريها الأوائل وتابعيهم، بل وتحاول الإفادة حتى من منتقديها.

2 - لقد عُدَّ الخطاب السيميائي الأكثر حضوراً في المشهد النقدي الجزائري المعاصر نظراً

لاعتبارات عدة (تاريخية، ثقافية، اجتماعية...)، حيث المتابع للشأن النقدي الجزائري يكشف بيسر ذلك التباين الواضح في تلقي هذا المنهج -السيميائي- بين النقاد الجزائريين .

3- لقد عُدَّ "عبد المالك مرتاض" من النقاد الشموليين في تعامله مع المناهج النقدية ومنها المنهج السيميائي، فهو أحد المجتهدين الذين حاولوا الجمع بين أصالة التراث النقدي العربي والإفادة من المناهج النقدية الغربية بمختلف مفهوماتها وخصوصياتها وإجراءاتها التطبيقية، حيث دعا بعد تجربة طويلة وانشغال عميق بمسألة المنهج إلى ما أسماه "باللامنهج" في دراسته ونقده للنص الأدبي، وقد كان قبل ذلك قد وظّف مناهج نقدية مركبة، ومن ذلك دراسته السيميائية التفكيكية لرواية "زقاق المدق" لنجيب محفوظ.

4- لقد واجه "عبد المالك مرتاض" إشكالية توظيف المصطلح النقدي ومنه ( السيميائي ) مستثمراً تحكّمه في علوم اللغة العربية وإطلاعه الواسع على التراث العربي إضافة إلى تعمقه في النهل من الحداثة الغربية، حيث اتكأ في ذلك على آليات التوليد المعروفة ( الاشتقاق، النحت، الإحياء التعريب، الترجمة) ومستحدثاً مصطلحات كان له الفضل في إطلاقها وشيوعها.

5- لقد عايش "رشيد بن مالك" منظومة علمية متمسمة بالتقليد وغياب روح الإبداع لذلك ثار على ذلك الوضع، وإتجه نحو المناهج النقدية الغربية الحداثيّة التي كانت وحدها المشكلة لروافده

المعرفية والفكرية، لكنه نحا باتجاه مدرسة باريس السيميائية السردية التي ظل ويا لها طيلة مساره النقدي بعد ذلك، حيث صاغ مشروعه النقدي وفق توجه التيار السيميائي الغريماسي ولم يجد عن طروحات هذا التيار، معللاً ذلك بتجنب الوقوع في الانتقائية والتلفيق.

6- لاحظ "رشيد بن مالك" عمق الفوضى المصطلحية السيميائية العربية، فقدم رؤيته لحل الإشكالية في إطار العمل الجماعي ولما لم يتحقق له ذلك، بادر إلى إعداد مؤلفه "قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص" والذي عُددَ باكورة التأليف المصطلحي بهذا الحقل النقدي المملووم، بالرغم من جملة النقائص التي سجلت عليه.

7- لقد راكم "رشيد بن مالك" عدداً مهماً من الترجمات السيميائية المتنوعة لمدرسة باريس وروادها وتابعيهم، بعدما ظل على تواصل مستمر معهم يحاول الإفادة منهم، ومن ثمة نقل مستجدات تلك المعرفة النقدية للمتلقي العربي.

8- في دراسته لمختلف نصوص القصص الشعبي - على وجه الخصوص - والتي اشتغل عليها في الكثير من مقارباته، استند "عبد الحميد بورايو" على مرجعيات نقدية وتحليلية غربية عديدة تعود إلى كل من: التحليل البنيوي الوظيفي "لفلاديمير بروب"، البنيوية الأنتروبولوجية "لكلود ليفي ستراوس"، البنيوية التكوينية "للوسيان غولدمان"، السيميائية السردية "لألجيريداس جوليان غريماس" إضافة إلى أفكار "كلود بريمون" وتحليلاته السردية، حيث أفاد من كل أعمال هؤلاء الأعلام خاصة على المستوى الإجرائي.

9- لقد اعتمد "عبد الحميد بورايو" آليات عدة في نقل المصطلح الأجنبي إلى اللغة العربية (كالتعريب والإشتقاق...)، ويُظهر جهازه المصطلحي تأثره الواضح بمرجعيتي "بروب" و"غريماس" على وجه الخصوص، وهو الذي تبني المنهج السيميائي ذي التوجه الشكلياني في الكثير من مقارباته، ورغم بعض الهنات التي وقع فيها مع بداية مساره النقدي مع قضية المصطلح النقدي إلا أنه أصبح أكثر تحكما في الأمر في منجزاته النقدية الأخيرة.

10- لعل خيار التركيب المنهجي الذي اعتمده "عبد الحميد بورايو" منذ بداية مساره النقدي زاد من تضخم إشكاليته المصطلح والمنهج النقدي لديه معاً، حيث يقتضي الأمر استدعاء جهاز مصطلحي معقد وواسع من جهة، ومعرفة شمولية بمصطلحات ومنهج كل تيار نقدي، وهو ما أوقع الناقد (في مؤلفاته النقدية الأولى) في اضطراب مصطلحي ومنهجي أيضاً.

11- يعتقد "عبد الحميد بورايو" أن فكرة التركيب المنهجي ضرورة لا بدليل للناقد عنها حيث تيارات نقدية متعددة، كالشكلانية والبنوية والسيمائية يمكن أن تترايط فيما بينها لتكون رؤية تحليلية للنص المقارب، تراعي بصفة أساسية طبيعة بناء قيمه الرمزية وتنحو به نحو علمنة الدراسة الأدبية وجعلها ممارسة مقعدة ومنطقية، وتولي أهمية كبيرة للبعد اللغوي للظاهرة الأدبية ومن ثم المساعدة على تحليل النص الأدبي و التفاعل معه.

12- لم يغفل "عبد الحميد بورايو" التنبيه إلى الجانب المعرفي في دراساته، حيث عمد إلى تطعيم مقارباته بتلك التأويلات الدلالية التي يثري بها تحليلاته، وهو ما يجعل المتلقي يستمتع إضافة إلى تلك التحليلات إلى كم غير قليل من الجمالية، فضلاً عن اجتهاده في جعل دراساته ذات توجه تعليمي يفيد الطلبة في الإتكاء عليها في دراسة و تحليل النصوص التراثية السردية على وجه الخصوص.

13- إن المتأمل لمقاربات الناقد يلاحظ دوغماً عناء ورغم استناده على منابع نقدية غربية عدة اجتهاده في ابتكار آلياته الإجرائية الخاصة، بعيداً عن تلك الميكانيكية الفجة التي سقطت في متاهاتها عديد النقاد، فهو يدرك تماماً خصوصية النص المقارب، لذلك يعمل على تطويع تلك الآليات الغربية التي لا شك أنها فصلت على مقاسات نصية مختلفة، بما يخدم تلك الخصوصية .

14- لقد تبين للباحث من خلال تجربته النقدية الطويلة، مدى قدرة المناهج النقدية الحداثية ومنها النظرية السيميائية السردية لمدرسة باريس، من خلال اصطلاحاتها ومقولاتها وآلياتها الإجرائية على استنطاق النص السردي التراثي، حيث يعتقد أن التحليل السيميائي الشكلاني هو الأكثر ملاءمة لمقاربة النصوص الشعبية، ديدنه في ذلك التحليلات الغريماسية التي انبتت أساساً على



الجهود البروبوية واستمرار رواد هذا التيار في نفس التوجه المنهجي، إضافة إلى أن مشروع الناقد ذاته انبنى منذ البدء على دراسة الموروث الحكائي الشعبي.

15- يمكن تقسيم المسار النقدي إجمالاً لـ "عبد الحميد بورايو" إلى مرحلتين أساسيتين:

### المرحلة الأولى:

هي مرحلة نهاية سبعينيات القرن الماضي والتي سمها الباحث بمرحلة المنهج البنائي، ويمثلها مؤلفه الأول ( القصص الشعبي في منطقة بسكرة ) حيث أفاد من عدة تيارات منهجية، واجتهد على تحقيق فكرة التكامل بينها.

### المرحلة الثانية:

هي مرحلة المنهج السيميائي-سردى وتمثلها كتبه التي ألفها منذ تسعينيات القرن الماضي وهي على وجه الخصوص: الحكايات الخرافية في المغرب العربي، البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، البعد الاجتماعي والنفسي في الأدب الشعبي الجزائري، التحليل السيميائي للخطاب السردى، المسار السردى وتنظيم المحتوى. حيث اتكأ في بناء مقارباته من خلال هذه المؤلفات، أساساً على السيميائية السردية لمدرسة باريس وأتباعها.

محقق:

حوار مع الناقد "عبد الحميد بورايو"

السلام عليكم دكتور

هذه مجموعة من التساؤلات، التي خطرت ببالي وأنا على وشك إنهاء إعدادي لأطروحة

دكتوراه موسومة ب: " مدرسة باريس السيميائية بين النظرية والتطبيق في الجزائر (عبد الحميد بورايوأمودجا)"

أرجو أن يتسع صدركم للإجابة عنها، قصد إدراجها بملحق هذه الأطروحة .

مع خالص تشكراتي مسبقا .

## السؤال 01 :

عبد الحميد بورايو من النقاد الذين وعوا مبكرا أهمية مواكبة مختلف المنجزات النقدية

الغربية من خلال معرفة خلفياتها المعرفية والفلسفية، ومن ثم تمثلها ومحاولة الإفادة منها في

تحليل ومقاربة مختلف النصوص السردية التي اشتغل عليها .

هل لنا أن نعرف أهم تلك الخلفيات الفكرية، التي اتكأتم عليها في بناء رؤيتكم النقدية ؟

**ج1:** مسألة الخلفيات الفكرية تستند إلى المعارف المتراكمة عبر السنين منذ بداية الاهتمام بالشأن

النقدي بالنسبة لي، وهي ليست خطية تسير في اتجاه واحد، ومتجانسة، لكن تَعْبُرُهَا من حين لآخر

مراجعات وقناعات جديدة قد تختلف عن القناعات السابقة وتتناقض معها، فتعمّقها أو تضيف إليها

قناعات جديدة، وقد تكون هناك محاولة للملاءمة بين قناعات قديمة وقناعات جديدة قد تكون

مختلفة عنها، وهذه العملية الأخيرة غلبت على توجّهي النقدي.

في بداية اهتماماتي النقدية في النصف الأول من سبعينيات القرن الأول، غلبت قناعاتي النقدية التي

تعطي الأولوية للبعد الاجتماعي، وإرجاع الإبداع الأدبي لأصوله الطبقية وبيان موقفه من الصراع

الطبقي في المجتمع؛ ويتضح هذا في المقالات والتغطيات التي كتبتها في المجلات والصحف خلال هذه

الفترة (مجلة آمال، الملحق الثقافي لجريد الشعب، الصفحة الثقافية لنفس الجريدة). خضعت هذه

القناعات لما كان منتشرا وقتئذ في النقد الأدبي العربي (عند أمين محمود العالم مثلا)، والتي ترى بأن

الأدب هو انعكاس للحركة الاجتماعية ولموقف الكاتب منها. وهي قناعات تدعمها التوجهات

اليسارية عامة والفلسفة الماركسية بصفة خاصة. وقد مثلت خلفية كتاباتي عن الأدب في الصحف،

والتي مازالت حتى اليوم في الأرشيف ولم تعرف طريقها للنشر، ويمكن تعيينها بالمرحلة الأولى في كتاباتي النقدية، وهي مستندة على النزعة الانطباعية الإيديولوجية، فيها شيء كثير من الحماسة ومن التبسيط.

في المرحلة الثانية، التي تغطي النصف الثاني من السبعينيات والنصف الأول من الثمانينيات، اطلعتُ على النصوص النقدية ذات التوجه الشكلي البنوي، وقد مثلت هذه المرحلة الاتجاه نحو البحث النقدي الأكاديمي. انطلقت تحليلاتي للأدب من مفهوم "البنية" باعتبار الكشف عنها هو الهدف من الكتابة النقدية للأدب، ويمثل توصيفها جوهر الدرس الأدبي، واتجهتُ لما يمكن تسميته بالتحليل البنوي للنص الأدبي، اتضح هذا بصفة أساسية في بحثي المقدم في جامعة القاهرة حول القصة الشعبية في منطقة بسكرة، والذي طُبع فيما بعد ككتاب، والذي نوقش سنة 1978 بقسم اللغة العربية بجامعة القاهرة من أجل نيل شهادة الماجستير. استندت قناعات هذه المرحلة على الإيمان بأنّ للنص الأدبي بنية خاصة به، في حاجة إلى الكشف عنها وفق خطوات منهجية، وهو أمر أساسي، يسبق الربط بين هذا النص وسياقه الاجتماعي والنفسي والمعرفي الخ..

مثلت الكتابات الشكلية والبنوية عند فلاديمير بروب وليفني ستروس وتزفيتان تودوروف وجيرار جينيت ورولان بارث الخلفية المعرفية التي استندتُ إليها في فهم النص الأدبي، وكنتُ أدرّسها للطلبة في جامعة تيزي وزو خلال الثمانينيات، وأساهم في الملتقيات بمدخلات حولها أو بتطبيقات نصية لها. في هذه الأثناء اطلعتُ على مقدّمة ابن خلدون وتوقفت عند الباب الخاصّ بالأسلوب، ووجدت فيه كلاماً عن البناء في اللغة والأدب يتفق تماماً مع ما جاءت به البنوية الغربية، فحاضرْتُ حول الموضوع، واعتبرتُ ذلك مندرجاً في سياق الطبيعة العالمية للنظريات النقدية ووحدة المنطق العلمي المعالج للظاهرة الأدبية في مختلف الحضارات، وكان في ذلك ردّ على من كانوا يهتمون جيلي باستيراد المناهج الغربية !.

حاولتُ في هذه الأثناء التوفيق بين الخلفية النظرية التي كانت منطلقاً لكتاباتي الصحفية في النصف الأول من السبعينيات، والتي كانت تستند على نظرية الانعكاس، والقناعات النقدية التي أصبحتُ

أعتمد عليها في المرحلة الثانية، والتي كانت تعتدّ بظاهرة "أدبيّة الأدب" واختلافه عن ظواهر الحياة الأخرى، وذلك باهتمامي بالبنويّة التكوينيّة عند كلّ من جورج لوكاش وقولدمان، وهي نظرية تقول بالطبيعة المستقلة للنص الأدبي، ووجود علاقة ما بين بنيته والبناء الاجتماعي. فهي ترفض فكرة انعكاس الحياة الاجتماعية في الأدب بصفة مباشرة. هي نظرية نقدية متأثرة بالبنوية والنقد الاجتماعي في نفس الوقت؛ ووجدتُ فيها نوعاً من التسويغ لانتقالي من خلفيات النقد الاجتماعي المحض إلى خلفيات النقد الشكلاني البنويّ، فهي تراعي البعد الاجتماعي لكنها لا تقول بانعكاسه المباشر في لغة الأدب بل تعتبر أن للأدب بنيته الخاصة التي على النقد أن يكشف عنها قبل أن يربط بينها والسياق الاجتماعي، وبالتالي فإن العلاقة تكمن في ما يصل البنية النصية بالبنية الاجتماعيّة.

في المرحلة الثالثة التي تمتد من منتصف الثمانينيات إلى نهاية التسعينيات، وحدثت في السيميائيات الشكلانيّة (مدرسة باريس) سندا مرجعياً لتحليلاتي الأدبيّة، نظراً لكون هذه المدرسة انطلقت من البنوية الدلالية واللغوية، وبالتالي لم أجد في خلفيتها ما يُناقض خلفية المنهج البنويّ؛ فغريماس مثلاً بدأ بنويا في دراساته الدلاليّة وكان مؤسساً للسيميائيات السردية بالخصوص، ويمثل كتابه المشهور <<الدلالات البنوية>> لحظة العبور بين المنهجين. ويكمن الفرق بين المنهجين، في التوجه العام والمنفتح على مختلف المقاربات البنويّة في المنهج الأول، والتحديد العلمي للخطوات الدراسية ومستويات النص وعناصره المكونة في الاتجاه الثاني، الذي أصبح ينحو إلى الشكلنة وضبط المصطلحات أكثر، وعلمنة الدرس الأدبي وتقريبه من النزعة الرياضيّة.

يمكن القول بأنّ الخلفيّة النظرية لدراساتي النقدية استندت على النقد الاجتماعي والنقد البنويّ والبنوية التوليديّة والسيميائيات. ولكل من هذه المناهج خلفياتها النظرية المتمثلة بالخصوص، أولاً: في النظر إلى الأدب باعتباره ظاهرة اجتماعية، ثانياً: النص الأدبي باعتباره بنية موضوعيّة تخضع للتحليل بمراعاة طبيعتها الخاصّة، المتميزة بالثبات النسبيّ وتتعقد العلاقات والمستويات ما بين مكوناتها، ثالثاً: معالجة النص الأدبي باعتباره علامات (دلائل) قابلة للرصد من خلال العناية بطبيعتها ومساراتها

والنظر إليها من منظورات اختصاصات متعدّدة (الدرس الأدبي، اللسانيات، التواصل، الفنون، علم النفس، علم الاجتماع).

## السؤال 02 :

يعد المصطلح مفتاح أي بحث علمي، والضرورة التي لا بد من التسلح بها، لفهم أي إجراء نقدي لتحليل النصوص الأدبية، وما يلاحظ على الناقد عبد الحميد بورايو، أنه أصبح أكثر تحكما في الجهاز المصطلحي السيميائي مع منجزاته النقدية الأخيرة حسب بعض الباحثين، رغم أن فكرة التركيب المنهجي التي تعتمدونها في مقارباتكم، تتطلب معرفة واسعة بمصطلحات مختلف المناهج النقدية في ظل فوضى مصطلحية عربية كبيرة .

ما رؤيتكم لقضية المصطلح النقدي، بعد كل هذه السنوات الطويلة من تجربتكم النقدية ؟

ج2: يمثل المصطلح النقدي مفتاح الدرس الأدبيّ، فهو الحامل للمفاهيم التي تفتح لنا الطريق في تعاملنا مع النصّ الأدبيّ. في مساري النقدي اعترضتني منذ البداية صعوبة اختيار المصطلح المناسب، خاصة وأني تعاملتُ مع توجّهات غربية حديثة غلبت على النصف الثاني من القرن العشرين: النقد الاجتماعي، النقد الشكلاني البنويّ، نقد البنية التوليدية، النقد السيميائي، وهي في أغلبها متأثرة باللسانيات الحديثة. كُنْتُ أُلجأ إلى الترجمة مستعينا بالقاموس اللغويّ العام نظرا لعدم وجود قواميس مختصة في الفترة التي أنتجت فيها دراساتي الأولى خاصّة. كُنْتُ أجتهد في البحث عن المصطلح العربي المقابل للمصطلح الغربي والذي أراه موافقا نسبيا، وأستعين بما يقع تحت يدي أبحاث أو ترجمات لها علاقة بالمناهج النقدية التي اعتنيتُ بها، قام بها في الغالب مغاربة وتونسيون وجزائريون ومشرقيون. أذكر مثلا أنني اعتمدتُ على كتاب حسين الواد الذي كان قد قدم بحثا في منتصف السبعينيات استعان فيه بالبنوية (بحث حول رسالة الغفران للمعريّ)، وكذلك رشيد ثابت (بحث حول حديث عيسى بن هشام للمويلحي)، وهما من خريجي الجامعة التونسية، كما اعتمدت في البداية على كتاب صلاح فضل حول البنائية، وهو من مصر، وفي الثمانينيات ظهرت بعض الترجمات، خاصة منها المغربية، المتعلقة بكتابات تودوروف وجيرار جينيت وبروب، وكانت تنتهي في أغلبها بمسارد

للمصطلحات، إلى جانب بعض ما أصدرته المجمع اللغوية العربية ، وخاصة منها ما يتعلق بالدرس اللساني. كنتُ أبدأ للمصطلح الأكثر شيوعاً، وقد أُغير موقفي أحياناً فأستبدل بعض المصطلحات التي أقتنع بدائل لها، بعد ظهور مقالات تستعملها وأجدها أنسب، وهو ما أُؤخِّد عليّ أحياناً من استعمال أكثر من مصطلح لنفس الدلالة (أنظر مثلاً كتاب يوسف وغليسي حول المصطلح..). في النصف الثاني من الثمانينيات بدأت الدراسات السيميائية تنضج وتعطي ثمارها في الجامعة الجزائرية، مما أتاح لي التشاور مع بعض الدارسين المختصين بخصوص المصطلح كرشيد بن مالك وسعيد بوطاجين، وقد حاولتُ قدر الإمكان توحيد استعمال المصطلح فيما بيننا على الأقل. أعتقد أن ظاهرة تعدد المصطلحات الدالة على نفس المفهوم، أو التي لها مقابل واحد في اللغة الأجنبية مردّه غياب عمل منظم لمجمع اللغة العربية، ولندرة اللقاءات بين الباحثين العرب المهتمين بنفس المناهج النقدية، وبالتالي غياب التنسيق والتشاور بينهم، مما جعل الاختيارات الشخصية هي الغالبة.

ترجمة المصطلحات للغة العربية أو وضع بدائل للمصطلحات الأجنبية تحتاج إلى تراكم معرفي يتعلق بالمصطلح المختص، يقوم بها دارسون يعودون للغة الأصلية ويتبعون المسار الدلالي الذي اتخذته المصطلح من فترة تاريخية إلى أخرى، ويعتنون بصفة خاصة بالمجال المختص الذي استعيرت منه الكلمة، مثل اللسانيات والفلسفة والعلوم الاجتماعية. اهتمّ بالموضوع كل من سعيد بوطاجين ورشيد بن مالك، تعلق عمل الأول بالمصطلح النقدي عامة، وتناول عمل الثاني المصطلح السيميائي واللساني.

أعتبر ما قام به رشيد بن مالك في المدة الأخيرة من ترجمة للقاموس المعقلن للسيميائيات (من تأليف جريماص وكورتيس)، وهو قاموس جامع لمصطلحات مدرسة باريس، خطوة جبارة على طريق التعامل العلمي المناسب مع المصطلح السيميائي، فقد عاد إلى أصوله اللغوية، وإلى الدراسات السابقة واللاحقة، وقام بفحص علمي رصين ودقيق، ولعل هذا القاموس الذي تم نشره مؤخراً في الأردن يساهم بفعالية في توحيد المصطلح السيميائي في العالم العربي.

### السؤال 03 :

اعتمدتم فكرة التركيب المنهجي، على غرار العديد من النقاد وهو ما يتطلب جهدا كبيرا في استيعاب مختلف المناهج النقدية للإفادة منها في مقارنة النص المدروس، لكن ما يعاب على أصحاب هذه الفكرة وقوع بعضهم في مطبات التلغيق أو التقصير بدل التوفيق الذي يسعون إلى تحقيقه إذ من غير المعقول الجمع بين آليات منهجية تبدو متناقضة، حيث تزول صفة الشكلانية بالإنفتاح على الدلالة وتخرق المحايثة بالإنفتاح على السياق... الخ

ما تعليقكم على فكرة التركيب المنهجي التي تعمدونها في مقارباتكم النقدية ؟

ج3: أرى بأن عبارة التركيب المنهجي، بالنسبة لاجتهاداتي النقدية، غير ملائمة، وإنما يمكن الحديث عن منهج شكلائي بنائي سيميائي، يراعي تطوّر منهجية البحث المستحدثة منذ نهاية العشرينيات في أوروبا الشرقية ثم الغربية إلى غاية نهاية القرن العشرين (أي خلال ثلاثة أرباع القرن العشرين)، والتي دعت إلى علمنة الدراسة الأدبية عن طريق الاستفادة من اللسانيات الحديثة باعتبارها أقرب العلوم الاجتماعية لمناهج العلوم المادية، وهو منهج انتقل من التركيز على البعد الشكلاني للنص الأدبي إلى بنيته المعقدة ذات المستويات العديدة، لينتهي بضبط تقني ومصطلحي لدراسة العلامات (البحث السيميائي). هناك بعض الاختلاف بين هذه المراحل الثلاثة، بالنظر لتطور الفكر النقدي من عناية بالشكل في البداية إلى عناية بالبنية المتعددة الأبعاد، إلى التخصص الدقيق في البعد العلامي الرمزي للنص الأدبي. ينعكس هذا التطور ثلاثي الأبعاد، إن جاز التعبير، على مراحل تحليل النص؛ فيعني في البداية بالخصائص الشكلية للنص الأدبي، والمتعلقة عموما بمظهره وزمنيته (قراءة زمنية)، ثم يتم الانتقال إلى بناء النماذج التي يقوم عليها العمل من حيث بنيته في مختلف مستوياتها، وتتوجه العناية هنا إلى الدلالة (قراءة تزامنية)، يتم التعبير عن القراءتين السابقتين بقراءة سيميائية تعتمد على ضبط خطة التحليل ومصطلحيته، والتركيز على القيمة الرمزية للنص. قد يراعي تحليل النص هذه الرؤية الثلاثية الأبعاد، فنسميه تحليلا سيميائيا، وقد يكتفي بالتركيز فقط على البعدين الأولين (الشكلائي



والبنوي)، فنسميه تحليلاً بنوياً. وليس هناك فيما أرى تناقضا أو اختلافا أو تركيبا، وإنما هناك اهتمام بأبعاد مختلفة للظاهرة الأدبية، قد يأخذ بُعد ما حصة الأسد في التحليل.

#### السؤال 04 :

ضرورة تحرير النقد من القوالب المسبقة الجاهزة، والنحو به إلى التحرر والإبداع ومراعاة خصوصية النص المدروس بعيدا عن تلك الميكانيكية الفجة، أصبح قناعة راسخة في مقارباتكم .

ما هي مبررات رؤيتكم النقدية هذه ؟

ج 4 : نَبَّهْتُ دائما في مُفْتَتِحِ دراساتي إلى ضرورة مراعاة طبيعة المادة التي ندرسها، لأن المناهج وطرق التحليل ماهي إلا وسائل تساعدنا على الاقتراب من النص أكثر وبالأحرى فهمه فهما عميقا، لا أنكر بأن المنهجية التي استعملتها مستمدة من نظريات نقدية غربية، غير أن هذه النظريات كانت قد استفادت من التراث البشري وعلى رأسها التراث اليوناني -بالنسبة للنقد على الأقل- وهي نظريات شاملة مستخلصة من نصوص أدبية تنتمي لكثير من شعوب العالم، ومن بينها مثلا كتاب ألف ليلة وليلة، عندما أُطبِّقُ مناهج التحليل المستمدة من هذه النظريات، عليّ أن أنظر في المادة التي أدرسها إن كانت تستجيب للتحليل وفقها، وما دامت المنهجية التي اتخذتها وسيلة للتحليل تتناول عدة أبعاد، عليّ أنظر في البعد الذي يناسب المادة التي بين يديّ لكي لا يكون المنهج قالبا جاهزا أطبقه على كل نص أدبي. أقدم مثلا من الأدب الجزائريّ يتمثل في شعر محمد العيد آل خليفة، لو طبّقنا عليه منهجية تراعي البعد الشعري الفنيّ في نظرية الشعر لصعب علينا إدراجه في مادة الشعر، ولقلنا عليه أنه مجرد نظم خال من الروح الشعرية. بينما لو تنبّهنا إلى السياق الذي أبداع فيه وهو فترة الحركة الإصلاحية ومرحلة تنامي الحركة الوطنية، يُصبح لزاما علينا أن نستفيد منهجيا من نظرية التواصل ومن المنهج التداولي، الذي يربط قيمة النص بصلة التخاطب وأفق الانتظار الخ.. حينئذ يمكننا أن نقدم تحليلا أدبيا يراعي خصوصية المادة التي بين أيدينا.

لهذا يكون تعاملنا مع المادة موضوع الدراسة مبنيا على اختيار الأداة المنهجية المناسبة في أدق تفاصيلها، والتركيز على البعد البارز في النص الأدبي، والذي قد يكون نفسيا أو اجتماعيا أو أسلوبيا أو رمزيا الخ..، ويتيح هذا الأمر البعد عن تطويع المادة المدروسة لوصفات منهجية جاهزة تهدف إلى استعراض العضلات (بخصوص التمكّن من المناهج) أكثر ممّا تهدف إلى معرفة النص المدروس.

## السؤال 05 :

تميزت مقارباتكم في عمومها بطغيان الإشتغال على نصوص الأدب الشعبي.

هل يعزى ذلك، إلى ما يميز هذه النصوص من انفتاح وثراء دلالي، مقارنة بالنصوص السردية الأخرى أم هو خيار منهجي مبدئي، باعتبار التطبيقات السيميائية الأولى أولت عناية خاصة للقصص الشعبي ( الخرافي )، أم هو نوع من سد الفراغ، حيث قلة الدراسات التي اشتغلت على الموروث الشعبي، أم لاعتبارات أخرى ؟

ج5: في البداية أنبه إلى أنّ عنايتي بالأدب الشعبي واتخاذ اختصاصا أدرسه وأتابع فعالياته وأكتب عنه ارتبط بظروف لعبت فيها الصدفة دورا كبيرا إلى جانب الوعي المبكر الذي ظهر في الجامعة الجزائرية بضرورة العناية بهذه المادة التي ظلّت مستبعدة من الدرس الأدبي في الجامعة الجزائرية وفي الجامعات العربيّة عموما لظروف تاريخية ونزعات إيديولوجية ومعرفية يضيق هنا المجال عن الإسهاب فيها، إلى جانب الوعي السياسي اليساري الذي ساد بين أوساط الطلاب في الجامعة الجزائرية في النصف الأول من السبعينيات، والذي كان من بين أهدافه إحلال الفئات الشعبيّة الدنيا في المجتمع المكانة المناسبة في الدولة الوطنية لما بعد الاستقلال، لكونها كانت السند الأساسي للثورة التي حققت هذا الاستقلال.

كان عليّ باعتباري من رواد الدعوة لتوسيع العناية بالتراث الشعبي في الوسط التعليمي أن أتخذ هذه المادة موضوعا للتحليل. اقترن ذلك بخياري المنهجي، لأنّ تبني المنهج البنائي بالنسبة لي ارتبط في البداية باطلاعي على نظرية فلاديمير بروب (شكلانية- بنويّة) ذات الصيت العالمي، والتي استنبطها من دراسته للحكايات الخرافية الروسية، خاصة وأني بدوري كان موضوع بحثي للماجستير يتناول القصص

الشعبي الذي تمثل فيه الحكاية الخرافية قسما هاما جدا. بالإضافة إلى اطلاعي المبكر على نظرية ليفي ستروس البنائية الأنثروبولوجية (في منتصف السبعينيات من القرن الماضي) التي وجدتها تكمل نظرية بروب من حيث تجاوزها للبعد الشكلي وتناولها للدلالة الاجتماعية (النية الأنثروبولوجية)، وقد وجدت في دراسته المنهجية لأساطير الهنود الحمر، ما يفيدني في تحليل القصص الشعبي، باعتبار أن هذا القصص يقوم تقريبا على تصوّر للكون موروث عن عصور موعلة في القدم لا يختلف كثيرا في جوهره عن التصرّور الأسطوري وإنما هو استمرار له في ظروف تاريخية جديدة وحضارات عاشتها البشرية بعد تجاوز العصور التي سادت فيها الأساطير في العالم (أي عصر الحكاية الخرافية بالخصوص، ثم عهد الأدب الملحمي الخ..). اطلعت بعد ذلك على دراسات كل من جمال الدين بن الشيخ وكلود بريموند، والذان تناولوا حكايات ألف ليلة وليلة، كموضوع للدراسة والتحليل. كلّ ذلك ساعدني على التعمق في تحليل الحكايات الشعبية التي كنت قد جمعتها من الميدان في الجزائر، وتقديم منهجية التحليل لطلبتي في الجامعة والمشاركة في المنتقيات في الجزائر وبعض البلدان العربية لتقديم منهجيتي ونتائج تحليلاتي..

وتعدّ الموادّ السردية الشعبية الأكثر صلاحية لتطبيق المنهج البنويّ، خاصة في مرحلته الأولى مع فلاديمير بروب وكلود ليفي ستروس، باعتبار أن مفهوم البنية يستند إلى دراسة بُنى ذهنية مكتملة ومغطّية عرفتها حضارات تاريخية منتهية؛ اتضحت فيها مرتكزات هذه البنية على جميع المستويات، وهي عناصر نُظر إليها من قبل الأنثروبولوجيا على أنها منسجمة ومترابطة وتقوم بدورها في حياة الناس وفق الوعي السائد في كلّ حضارة ومرحلة تاريخية. هذه الطبيعة للمنتوج الثقافي الموروث عن العهود القديمة يختلف طبعا عن المنتوج الثقافي في الحضارة الحديثة الذي يفتقد إلى الانسجام والتكامل، مما كان سببا في الانتقال من البنوية إلى التفكيكية كمنهج للتحليل..

يأتي في الأخير عامل المغامرة المنهجية، إذ أني قمتُ بذلك في مجال لا تهتم به الثقافة العربية والتعليم الرسميين، وبالتالي كنتُ في مأمن من ردود الفعل الراضية لمثل هذه المغامرة التجديدية في البحث العلمي للتراث الشعبيّ، تمتعتُ بحريّة أكثر لأنني قدّمتُ معالجة لموادّ تعتبرها الدوائر النخبوية في الجزائر

والعالم العربي من سقط المتاع، لا تحضى بالتفتات وليس لها حرّاس معبد ولا فقهاء يفرضون الحدود ويعتبرون كلَّ مُحدِّثٍ بدعةً! ..

## السؤال 6 :

قاربتهم سيميائيا نماذج من حكايات ألف ليلة وليلة، التي صدرت في مؤلف لكم بعنوان " المسار السردي وتنظيم المحتوى " سنة 2008، وهي موضوع أطروحتكم للدكتوراه التي ناقشتموها سنة 1996، واشغلتكم أيضا على نصوص من الأدب الشعبي الجزائري و المغربي ضمن نفس الحقل النقدي ( السيميائي ).

### ما الذي يميز المقاربتين ؟

**ج6:** نصوص كتاب ألف ليلة وليلة شديدة التنوع، تحمل بصمات العديد من الحضارات من أهمها الهندية والفرسيّة والعربيّة، لاقت انتشارا واسعا واعترافا من لدن جميع الدوائر الثقافية والأكاديمية وكثرت حولها الدراسات. اخترت نماذج منها تنتمي للتراث الهندي، انتقلت مرت الفارسيّة ثمّ اللغة العربية. تبرز بطريقة رمزيّة عالما ذهنيا تحكمه بنية مغلقة، يتميز بالانسجام والتكامل وبطريقة تعبير رمزيّة محدّدة ومتجانسة. بنيتها الشكليّة واضحة الحدود، تعتمد على التأطير القصصي (قصة داخل قصة) ووجدت أنها صالحة لتجربة تقنية مستمدة من السيميائيات تسعى إلى الوصول إلى الدلالة الرابطة بين القصة المُؤطرّة والقصة المُؤطرّة، وكان علي للوصول إلى هذه الدلالة أن أقوم بفحص للتقنيات السردية في مستوياتها المختلفة عبر آليات استعملها كل من غريصاص وكورتيس في تحليلا تهما المنهجية للتراث السرديّ. قمتُ بنوع من التجريب التقني فاصطنعتُ نفس الخطوات المنهجية في جميع النماذج المحلّلة (وعدها محدود بالنسبة للعدد الإجمالي لحكايات الليالي). اخترت النماذج المتشابهة لكونها تقدّم تمثيلا رمزيا واحدا لذهنية حضاريّة معيّنة، أردتُ أن تكون نموذجا لتحليل الفاحص الصبور الذي يتطلبه التحليل السيميائي الصارم وفق نظرية مدرسة باريس، وأن تُقدّم للطلبة والباحثين نموذجا تطبيقيا للتحليل. يجد القارئ في هذا الكتاب شيئا من المبالغة في البعد التقني، والرتابة في تطبيق خطوات التحليل، والعناية بالتخطيطات البيانية، وهي جوانب ميزت المنهج السيميائي، واعتُبرت لدى

البعض عيبا لكونها تستعمل لغة وصفية جافة وأشكالا بيانية مكررة. أعتبر هذا الكتاب تمرينا على التحليل السيميائي أكثر منه كتابا نقديا بالمعنى الخالص.

مثلت تجربتي في تحليل الحكايات الجزائرية والمغربية عمق تجربتي في الدراسة العلمية للأشكال السردية وقد راعيتُ فيها بعدها الشفويّ، نظرا لكون عدد كبير من الروايات المحلّلة استقيتها من الميدان أو جمعها طلبتي، كما سعت فيها إلى ممارسة حرّيتي في انتقاء الوسائل المنهجية، تدرّجتُ فيها من مرحلة دراسة الأحداث (البعد الزمني)، إلى دراسة شبكة الشخصيات المشاركة في الفعل والعلاقات المكانية والزمنية، كلّ ذلك من أجل الوصول إلى الدلالات الاجتماعية والثقافية. أعتبرها من أهم ما قدّمته للطلبة والباحثين في هذا المضمار، وقد ساهمت إلى درجة كبيرة في جلب الانتباه لأهمية هذا النوع من الأدب، واستفاد منها الطلبة بالنظر إلى الطريقة البيداغوجية التي اتبعتها، وهناك مذكرات ورسائل جامعية كثيرة استوحتها، وقدمت دراسات على منوالها. أعتبر نفسي قدمتُ جهدا متواضعا في مضمار الدراسات الأدبية، لكنه بالغ النفع للأجيال الجديدة وللمهتمين بالنقد الأدبي وبدراسة الأدب الشعبي.

اختلفت تجربتي في دراسة الحكايات الجزائرية والمغربية والمتمثلة في العديد من المنشورات والمداحلات عن كتاب "المسار السردى وتنظيم المحتوى في نماذج من ألف ليلة وليلة" من حيث الانفتاح على اختيارات منهجية مناسبة لخصوصية التراث المدروس، ولكونها تناولت عددا أكبر من النصوص المتنوعة، والتي شملت أنواعا مختلفة مثل الحكاية الخرافية والأدب الملحمي والأسطورة وقصص الحيوان الخ.. أعتبرها هي التجربة الأعمق والأكثر تمثيل لتعاملي مع مناهج التحليل البنويّ والسيميائيّ، والتي تظهر فيها بصمتي الخاصة في تحليل النصوص.

## السؤال 7 :

بعد كل هذه السنوات من جهودكم في التأصيل والترجمة والممارسة التطبيقية

السيميائية

ماهي الخلاصة التي توصلتم إليها ، من خلال اشتغالكم في الحقل النقدي السيميائي ؟

ج7: كان اهتمامي في البداية بالمنهج البنوي لأنه كان يمثل مخرجا من الأزمة التي عاينناها في الوسط الجامعي والثقافي والمتمثلة في هيمنة الانطباعية على النقد الأدبي مع الجيل الأول من النقاد خلال السبعينيات وما قبلها، وقد كانت في الغالب انطباعية تبسيطية لا تتبع من ثقافة عميقة وحساسية أدبية ناتجة عن التمرس الحقيقي بالظاهرة الأدبية. استعنتُ بقراءاتي في النقد الأدبي الفرنسي الذي عرف أوج ازدهار البنوية منذ العقد الثاني من النصف الثاني من القرن العشرين، واقتنعتُ بضرورة علمنة الدرس الأدبي مادام قد أصبح مدرجا في التعليم الأكاديمي، إذ لا يُعقل أن تُدرس الظواهر في مستوى جامعي بشكل انطباعي، مهما كانت هذه الظواهر لغوية أو أدبية أو اجتماعية، ولا بد من اصطناع الموضوعية النسبية من خلال اتباع طرق علمية مرسومة تتماشى مع تطور الدرس النقدي في العالم، وتتطلب التحصيل المعرفي والتأمل الفكري والتمرّن.

ظهرت فيما بعد السيميائية الفرنسية (مدرسة باريس)، وقد نُعتت بالفرنسية نظرا للغة التي تستعملها، أما روادها فقد كانوا من جنسيات مختلفة وأصول ثقافية متنوّعة، وكانت تطورا للدرس البنوي في اتجاه ضبط خطوات الدراسة وتوحيد المستويات المدروسة والمنظومة الاصطلاحية، وهي أكثر إغالا في العلمنة لأنها اضطنعت طرق المنطق الرياضي في التحليل والوسائل البيانية المستعملة في ميادين علمية مادية. وجدتها أكثر تحديدا وأكثر قابلية للتحصيل والتدريب، فاستعنتُ بها في دروسي الجامعية ومداخلاقي في المنتقيات، وشجعتني الصدى الذي وجدته بين طلبتي وزملائي الباحثين.

فتحت كل من البنوية والسيميائية لي الطريق لدراسة الأدب الشعبي الجزائري بصفة خاصة ومعتمّة وفعالة تكشف عن قيمته الفنية والثقافية، مما أتاح الاعتراف به في الوسط الجامعي والثقافي وتزايد العناية به، رغم أنّ هذه العناية لم تبلغ بعد المكانة المناسبة لقيّمته وتاريخه ووجوده في حياة الناس في مختلف المراحل التاريخية.

سهّل عليّ تمثلي للمنهج التحليلي الذي اصطنعته مهمّتي التكوينية، فوجدتُ إقبالا كبيرا من الطلبة والزملاء الباحثين، على ما أقدمه في هذا المجال، وأشرفتُ على عدد كبير منهم أثناء إعدادهم لأبحاثهم الجامعية، وعدد هام منهم أصبح يدرس في الجامعات الوطنية مستلهما ما قدمته، وهو أمر

يشعرني بالرضى عن مساري المهني، والاعتزاز بما قدمته للجامعة الجزائرية ولثقافة الوطنية الجزائرية خصوصا والثقافة العربية عموما.

## السؤال 8 :

يعتبر الكثير من الباحثين ، أنّ الدراسات السيميائية العربية مغاربية النبتة بعد تلقيها من الآخر الغربي، لكن ما يلاحظه المتابع لنتائج المنجز الجزائري تبدو أقل إذا ما قورنت مع نتائج التونسيين والمغاربة، خصوصا في الأعوام الأخيرة .

### إلى ماذا تعزّون الأمر ؟

صحيح أنّ التحليلات السيميائية تمثل مجالا أبداع فيه المغاربة أكثر من المشاركة، لدواعي واضحة تمثلت في علاقة أبناء البلاد المغاربية باللغة الفرنسية -باعتبارها غنيمة حرب كما قال المرحوم كاتب ياسين-، وقد صادف أيام العناية بالبنوية والسيميائية في أهم الجامعات الفرنسية تواجد الطلبة من المغرب والجزائر وتونس (خاصة في سنوات الثمانينيات من القرن الماضي). هناك اهتمام بالسيميائيات في الجامعات الجزائرية والمغربية، أما في تونس فالعناية توجهت أكثر للبنوية، وما قدمه الجزائريون والمغاربة في السيميائيات يفوق كثيرا ما قدمه التونسيون. عرف المغرب حركة نشطة في مجال النشر ونشاط بعض المؤسسات الثقافية مثل اتحاد الكتاب المغاربة، ولهذا ظهرت جهود هامة للمغاربة في مجال الدرس السيميائي وتم تداولها في البلاد العربية، بينما في الجزائر تركز العمل في أوساط الطلبة المنتشرين في عدد كبير من الجامعات، ولم تكن هناك ظروف نشر مناسبة تتيح ظهور الجهود المبذولة منذ بداية الثمانينيات، ولم يحظ إلا عدد قليل من الدارسين بإمكانيات النشر، وقد نشر بعضهم في المشرق. يمكن القول بأنّ الجامعة الجزائرية كانت أكثر إقبالا على الدراسات السيميائية بمراعاة عدد المذكرات والرسائل العلمية واتساع تدريس النقد الأدبي في عدد كبير من الجامعات، وعرفت المغرب عملية نشر موسعة للدراسات والترجمات، بينما الاهتمام بالسيميائيات في الجامعات - على مستوى

الطلبة- أظن أنه أقلّ بكثير من الجزائر، أما تونس في حدود علمي فلم تعرف انتشارا للدرس السيميائي، بل هناك تكريس أوضح للتطبيقات البنيوية.

## السؤال 9 :

لقد انفتح الوسط الأكاديمي الجزائري على الدرس السيميائي، منذ تسعينيات القرن الماضي وكنتم أحد الرواد الذين كان لهم فضل توطينه بالجزائر وبالوطن العربي .  
كيف ترون المشهد النقدي السيميائي في الجزائر اليوم ؟ وماهي أهم التحديات المستقبلية التي ترونها تواجه هذا النقد ببلادنا ؟

يبدو أنه في العقدين الأخيرين تناقص الاهتمام بالسيميائيات في البلاد العربية، وذلك نظرا لظهور مناهج جديدة فرضت نفسها في الساحة مثل التفكيكية والدراسات الثقافية والنقد الاجتماعي في منظوره الجديد والأنثروبولوجيا الأدبية، ونظرا لما يشهده المشهد الجامعي عموما من ضعف فإن ما تتطلبه السيميائية من تكوين علمي في مجالي اللسانيات والفلسفة يعاني من النقص والضحالة، وأصبح الطلبة والباحثون المتدربون يكتفون من المنهج السيميائي بتقنياته الشكلية ومنظومته الاصطلاحية الجافة مما أصبح يهدد المشهد السيميائي عن الإبداع والعطاء في مجال الدرس النقدي.

هناك بعض الجهود الرصينة التي يقوم بها متخصصون في السيميائيات مدعّمة بتجربة هامة وخبرة علمية معتبرة، وأقدم هنا مثلا؛ ما يقوم الأستاذ رشيد بن مالك، تلميذ مدرسة باريس الوفي، الذي هو في السنوات الأخيرة بصدد ترجمة المراجع الأساسية للسيميائيات وعلى رأسها "القاموس المعقلن للسيميائيات" (من تأليف غريماص وكورتاس). استطاع رشيد بن مالك أن يتمثل المنهج السيميائي في إنتاج مدرسة باريس وأن يعقد صلات علمية مع أبرز ممثليه، وقد تميزت إنتاجاته بالنضج والدقة العلمية ومراعاة شروط البحث المنهجي، وهو يمثل فيما أعتقد أهم دارس للسيميائيات في العالم العربي، والضامن لمكانة عالمية للبحث السيميائي في الثقافة العربية حاليا ومستقبلا.



## السؤال 10 :

يدعو البعض إلى خصوصية نقدية جزائرية، رغم علاقة النقد الوطيدة بالمنجز النقدي

العربي والعالمي .

هل هذه الدعوة، ترونها مؤسسة ؟

النقد الأدبي ظاهرة عالميّة؛ ساهم فيها اليونان والرومان والعرب وغيرهم من الأقوام والحضارات. تبلورت هذه العالمية من خلال النقد البنوي والسيميائي الذي انتشر في أوروبا وفي آسيا وأمريكا وشيئا ما في البلاد العربيّة منذ بداية الثلث الثاني من القرن الماضي، وكانت للقفزة النوعية التي حققتها اللسانيات والدراسات الفلسفيّة في هذه الفترة الدور الأساسي في بروز هذا النوع من النقد. لا يمكن أن يكون هناك نقد قطري (جزائري أو مصري أو ياباني)، بل هناك حركة نقدية للأدب باعتباره ظاهرة إنسانية شاملة لجميع اللغات سواء كانت مكتوبة أو شفويّة وفي جميع الحقب التاريخية والحضاريّة.

يمكن الحديث عن خصوصية المادة الأدبيّة باعتبارها نتاجا لظروف تاريخية وحضارية وثقافية معيّنة، وفي هذه الحالة على النقد أن يراعي هذه الخصوصية في اختياراته المنهجية.. أي أنّ السؤال الذي يُطرح حينئذ هو: ما هي الأدوات المنهجية المناسبة لدراسة هذه المادة؟. وتكون عادة مستمدة من أي نظرية أو منهج مكرّس في العالم. هناك مادة أدبية لها خصوصيتها محتاجة إلى مرونة منهجية في التعامل معها، وليس هناك منهج نقدي خاص بقطر معيّن.

## المصادر والمراجع العربية

القرآن الكريم برواية حفص.

إمام، زكريا بشير:

1. أساسيات علم المنطق، منشورات روائع مجدلاوي، ط1، 2001.

ابراهيم، عبد الله وآخرون :

في معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، الدار البيضاء ط2، 1996.

إبراهيم، عبد الله:

2. المتخيل السردى، مقارنة نقدية في التناسخ والرؤى والدلالة، المركز الثقافى العربى ط1،

1990.

إبراهيم، السيد :

3. نظرية الرواية، دراسة لمناهج النقد الأدبى فى معالجة القصة، دار قباء للطباعة والنشر

والتوزيع، القاهرة، ط 1988.

ابن منظور، محمد بن جلال الدين :

4. لسان العرب، تحقيق: الشيخ عبد الله العلايلى، دار المعارف، بيروت، ب.ت

اخلاصي، وليد :

5. المتعة الأخيرة، اعترافات شخصية في الأدب، دار طلاس، دمشق، ط1، 1986.

أبو هيف، عبد الله:

النقد الأدبي العربي الجديد في القصة والرواية والسرد، منشورات اتحاد الكتاب العرب  
دمشق، سوريا، د.ط، 2000.

الأحمر، فيصل:

6. معجم السيميائيات، منشورات الإختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت  
والجزائر، ط1، 2010.

التريكي، فتحي:

7. قراءات في فلسفة التنوع، الدار العربية للكتاب، القاهرة، د.ط 1988

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:

8. كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة العامة للكتاب، مصر، د.ط د.ت .

الجراري، عباس :

9. خطاب المنهج، منشورات السفير، مكناس، المغرب، ط1، 1990

الجزار، محمد فكري:

10. العنوان وسيميوطيقا الإتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1988.

الجبوري، محمد فليح:

11. الإتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات ضفاف ومنشورات

الإختلاف، بيروت والجزائر، ط1، 2013 .

الجرجاني، الشريف علي بن محمد :

12. التعريفات، تحقيق ابراهيم الأبياري، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1998.

الجرماني، آراء عابد:

13. إبتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012
- الديداوي، محمد:
14. منهاج المترجم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.
- الزمخشري، جار الله :
- أساس البلاغة، ج2، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1 1988.
- الزين محمد، شوقي:
15. تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي لبنان، 2002.
- الصافي، حبيبة:
16. السيميائيات إيديولوجية، النايا للدراسات والنشر و التوزيع، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2011.
- السد، نور الدين :
17. الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، ج1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 1997.
- العجمي، محمد ناصر:
18. في الخطاب السردي، (نظرية غريماس Greimas)، الدار العربية للكتاب تونس، 1993.
- العسكري، أبو هلال :
19. الصناعتين - الكتابة و الشعر - ، دار الكتب العلمية، ط1،

المرباط، عبد الواحد:

20. السيمياء العامة وسيمياء الأدب، منشورات الإختلاف، الدار العربية للعلوم دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2010.

الماضي، شكري عزيز:

21. محاضرات في نظرية الأدب، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، د.ط، 1984.

المرزوقي، سمير و جميل شاكر:

22. مدخل إلى نظرية القصة، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1985.

المسيري، عبد الوهاب:

حوار الثقافة والمنهج، ترجمة وتحقيق: سوزان حربي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2  
2010.

المقداد، قاسم :

23. هندسة المعنى في السرد الأسطوري الملحمي، دار السؤال، ط1، دمشق 1984.

بركة، فاطمة الطبال:

24. النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسات و نصوص)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1993.

ابن خلدون، عبد الرحمان:

25. مقدمة ابن خلدون، تحقيق: أحمد جاد، دار قصر البخاري، الجزائر، د.ط 2012.

بن سنوسي، سعاد:

26. السيرورة السيميائية ومشروع الدلالات المفتوحة، قراءة في الخطاب النقدي المغاربي، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2012.

بنكراد، سعيد:

27. السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، الرباط، د.ط، 2003.

28. سيرورات التأويل، من الهرموسية إلى السيميائيات، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1  
2012.

29. السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2008.

30. مدخل إلى السيميائيات السردية، تينمل للطباعة والنشر، مراكش، المغرب، د.ط  
1994.

بن مالك، رشيد:

31. مقدمة في السيميائية السردية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000.

32. السيميائيات السردية، دار مجدلاوي للنشر، عمان، الأردن، 2006.

33. قاموس التحليل السيميائي للنصوص (عربي-فرنسي-إنجليزي)، دار الحكمة للجزائر،  
د.ط، 2000.

34. من المعجميات إلى السيميائيات، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ط1  
2001.

35. البنية السردية في النظرية السيميائية، دار الحكمة، الجزائر، د.ط، 2001.

بوخاتم، مولاي علي:

36. الدرس السيميائي المغاربي، دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض  
و محمد مفتاح، د.ط، 1995، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.

بورايو، عبد الحميد:

37. القصص الشعبي في منطقة بسكرة، المؤسسة الوطنية للكاتب، الجزائر 1986م

38. التحليل السيميائي للخطاب السردية، دراسة لحكايات من ألف ليلة وليلة وكليلة  
و دمنة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2003.

39. منطوق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، منشورات السهل، الجزائر د.ط،  
2009.

40. البطل الملحمي والبطللة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، دراسات حول خطاب المرويّات الشفوية (الأداء، الشكل، الدلالة)، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.
41. الأدب الشعبي الجزائري، دراسة لأشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر، دار القصبة للنشر، د.ط، الجزائر، 2007.
42. الحكايات الخرافية للمغرب العربي، دراسة تحليلية في "معنى المعنى" لمجموعة من الحكايات، وزارة الثقافة (بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية)، الجزائر، د.ط 2007.
43. المسار السردي وتنظيم المحتوى، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط 2008.
44. البعد الاجتماعي والنفسي في الأدب الشعبي الجزائري، منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2008 م .

بوشفرة، نادية:

45. مباحث في السيميائية السردية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو الجزائر، 2008

بوطاجين، السعيد:

46. الترجمة و المصطلح، دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2009.
47. الاشتغال العملي (دراسة سيميائية) منشورات الاختلاف، دار هومة، الجزائر 2000.

بوطيب، عبد العالي:

48. مستويات دراسة النص الروائي، مطبعة الأمنية، الرباط، المغرب، ط 1999.

جاد، عزت محمد:

49. نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 2002.

حوحو، أحمد رضا:

50. غادة أم القرى قصص أخرى، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د.ط، الجزائر،  
1989.

خليل، ابراهيم:

51. النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2007.

زعموش، عمار:

52. النقد الأدبي المعاصر في الجزائر، قضاياها و اتجاهاتها، مطبوعات جامعة منتوري قسنطينة  
2001-2000.

سيطي، عبدة و نجيب بخوش:

53. مدخل إلى السيميولوجيا، دار الخلدونية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2009.

شرشار، عبد القادر:

54. مدخل إلى السيميائيات السردية (نماذج و تطبيقات)، منشورات الدار الجزائرية ط1،  
2015.

55. تحليل الخطاب السردية و قضايا النص، دار القدس للنشر والتوزيع، وهران الجزائر،  
ط1، 2009.

طالب، أحمد:

56. الفاعل في المنظور السيميائي (دراسة في القصة القصيرة الجزائرية)، دار الغرب للنشر  
والتوزيع، وهران، الجزائر، ط 2002.

عريعر، هيام عطية:

57. الخطاب النقدي العربي المعاصر وعلاقته بمناهج النقد الغربي، تموز للطباعة والنشر  
دمشق، سوريا، ط1، 2012.



عقاق، قادة:

58. الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، دار الألفية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 2014.

عمراني، المصطفى:

59. مناهج الدراسات و السردية و إشكالية التلقي، روايات غسان كنفاني نموذجاً عالم

الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2011.

فاضل، جهاد :

60. أسئلة النقد (حوارات مع النقاد العرب)، د.ط، د.ت، الدار العربية للكتاب

فضل، صلاح:

61. نظرية البنائية في النقد الأدبي، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، ط2، 1992.

قاسم، سيزا:

62. مدخل إلى السيميوطيقا، حول بعض المفاهيم والأبعاد، ج1، ط2، منشورات عيون

المقالات، الدار البيضاء، المغرب، ط1.

قطوس، بسام موسى:

63. سيميائية العنوان، مطبعة البهجة، عمان، الأردن، د.ط، 2001.

لحمداني، حميد:

64. بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي بيروت، لبنان ط1،

1991.

ميروك، قادة:

65. في الترجمة الأدبية، دراسة تطبيقية، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد

الثقافية، لبنان، ط1.

محفوظ، نجيب:

66. زقاق المدق، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، 1972.

محمد علي، أبو ريان:

67. تاريخ الفكر الفلسفي الثاني، أرسطو والمدارس المتأخرة، دار الفضة العربية بيروت، د.ط، 1976.

مرتاض، عبد الملك:

68. في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1998.

69. الكتابة من موقع العدم، مساءلات حول نظرية الكتابة، دار الغرب، الجزائر ط1، 2003.

70. نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، ط2، 2010.

71. هؤلاء أصدقائي، ملامح من ذكرياتي مع الأدباء العرب، دار البصائر الجديدة ط2013.

72. أ-ي، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد آل خليفة ديوان المطبوعات الجامعية، 1992.

73. في الأمثال الزراعية، دراسة تشريحية لسبعة وعشرين مثالا شعبيا جزائريا، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1987.

74. ألف ليلة و ليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حَمَّال بغداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

75. ألف-ياء (تحليل مركب لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد آل خليفة)، دار الغرب للنشر والتوزيع، د.ط، 2003، وهران، الجزائر.

76. شعرية القصيدة-قصيدة القراءة (تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية)، د.ط دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان.

77. تحليل الخطاب السردية، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق" لنجيب محفوظ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1995.

78. تحليل الخطاب الشعري، تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة "شناشيل ابنة الحلبي"، دار الكتاب العربي، الجزائر، د.ط، 2001.

79. نظرية البلاغة، متابعة لجماليات الأسلبة إرسالاً و استقبالاً، دار القدس العربي وهران الجزائر، 2010.

80. الشعر الأول، معالجة تاريخية رصداً وأنتروبولوجية، مقارنة وسيميائية وتحليلاً لمطالع المعلقات، أكاديمية الشعر، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة ط2015.

81. عناصر التراث الشعبي في "اللاز"، دراسة في المعتقدات والأمثال الشعبية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1987.

82. النص الأدبي من أين؟ و إلى أين؟ ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط 1983.  
مفتاح، محمد:

83. مجهول البيان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990.

84. تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت، ط2، 1986.

مونسى، حبيب:

85. فعل القراءة (النشأة والتحول)، مقارنة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض، د.ط، 2002، منشورات دار الغرب، وهران، الجزائر.

وغليسي، يوسف:

86. إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الإختلاف ط1، 2009.

87. الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، د.ط الجزائر، 2002.

88. في ظلال النصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية، جسور للنشر والتوزيع الجزائر، ط2، 2012.

يقطين، سعيد:

89. قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت، ط1، 1997.

90. السرديات والتحليل السردى، الشكل والدلالة، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2012.

يوسف، أحمد:

91. القراءة النسقية، سلطة البنية و وهم المحايثة، منشورات الإختلاف، الجزائر الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2007.

92. السلالة الشعرية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس الجزائر، د.ط، 2004.

93. الدلالات المفتوحة، مقاربات سيميائية في فلسفة العلامة، منشورات الإختلاف، الدار العربية للعلوم و المركز الثقافي العربي، بيروت، د.ط، 2005.

المراجع المترجمة:

إدموند ليتش، كلود ليفي ستراوس :

94. دراسة فكرية، تر: ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، د.ط 2002.

أمبيرتو، إيكو:

95. السيميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2005.

آن إينو، وآخرون:

96. السيميائية (الأصول، القواعد و التاريخ)، تر: رشيد بن مالك، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008.

برنار، توسان:

97. ما هي السيميولوجيا؟ تر: محمد نظيف، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب ط1، 1994.

بول، ريكور:

98. من النص إلى الفعل، ترجمة: محمد فرادا، حسان بورقبة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، د.ط، 2001.

جان كلود، كوكي:

99. السيميائية: مدرسة باريس، تر: رشيد بن مالك، دار الغرب للنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 2003.

جيرالد، برنس:

100. قاموس السرديات، ترجمة: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، ط1 2003.

101. قاموس المصطلح السردية، ترجمة: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، ط1، 2003.

جوزيف كورتاس و آخرون:

102. السيميائيات السردية (نمذجة سردية-الأشكال السردية-وظائف العنوان)، ترجمة: عبد الحميد بورايو، الجزائر، 2013.

جورج، لوكاتش:

103. التاريخ والوعي الطبقي، تر: حنا الشاعر، دار الأندلس، ط2، 1983.

جوزيف، كورتيس:

104. مدخل إلى السيميائية الخطابية، ترجمة: جمال حضري، منشورات الإختلاف الجزائر، ط1 2007.

105. جيرار جينيت وآخرون

نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تر: ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989.

دومينيك منغو، باتريك شارودو:

106. معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري وحماد صمود، سلسلة اللسان، دار سيناترا، تونس، 2008.

ديكرو أولزوالد، سشايفر جان ماري:

107. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر العياشي، المركز الثقافي العربي، المغرب/لبنان، ط2، 2007.

روبرت، ثاوليس:

108. التفكير المستقيم والتفكير الأعوج، ترجمة: حسين سعيد الكرمي، مراجعة: صدقي عبد الله حطاب، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، أغسطس، 1979.

رولان، بارت:

109. مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، تر: نخلة فريفر، مجلة العرب والفكر العالمي، ع05، شتاء، 1989.

غريماس و آخرون:

110. المنهج السيميائي، الخلفيات النظرية و الآليات التطبيقية، تر: عبد الحميد بورايو، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013.

111. الكشف عن المعنى في النص السردي، النظرية السيميائية السردية، ترجمة: عبد الحميد

بورايو، دار السبيل للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ط، 2008.

فلاديمير، بروب:

112. مورفولوجية الحكاية الخرافية، ترجمة: ابراهيم الخطيب، د.ط، 1986، الدار البيضاء

المغرب.

لوسيان، غولدمان:

113. مقدمات في سيولوجيا الرواية، تر: بدر الدين عرودكي، دار الحوار، ط1 1993.

لويس جان ، كالفلي:

114. حرب اللغات و السياسة اللغوية، ترجمة: حسن حمزة، مراجعة: سلام بزي، المنظمة

العربية للترجمة.

مارسيلو، داسكال:

115. الإتجاهات السيميولوجية المعاصرة، تر: حميد لحداني، محمد العمري، عبد الرحمان

طنكول، محمد الولي، مبارك حنون، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط1،

1987.

ميشال آرفيه و آخرون:

116. السيميائية، أصولها وقواعدها، ترجمة: رشيد بن مالك، منشورات الإختلاف د.ط

الجزائر، 2002.

يلس، مراد شاوش و آخرون:

117. السرديات التطبيقية (مقاربات سيميائية سردية)، ترجمة: عبد الحميد بورايو دار

التنوير، الجزائر، ط1، 2013.

ميلكا، إنتيس:

118. اتجاهات المبحث اللساني، تر: سعيد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد المجلس

الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د.ط، 2000.

المراجع الأجنبية :

119. **A.J.Greimas, J.Courtès**, sémiotique-dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette université, Paris, 1986.
120. **A.J.Greimas**, semantique structurale, recherche de methode Larousse, Paris, 1966
121. **A.J.Greimas**, éléments pour une théorie de l'interprétation du récit mythique in communication N°08.
122. **A.J.Greimas**, du sens, Essais semantiques, éd.Seuil, coll poétique, Paris, 1970.
123. **A.J.Greimas, J.Courtès**, smiotique, dictionnaire raisonné, de la théorie du langage, Hachette, Paris, 1979
124. **A.J.Greimas**, l'actualité du sassurisme en français moderne, 3pp/181-200.
125. **A.J.Greimas**, mauppassant, la sémiotique du texte : Exercices pratiques, Seuil, Paris, 1976.
126. **Anne Henaut**, le pouvoir comme passion, débat du 23 mai 1989 entre A.J.Greimas et P.Riceour, éd, Puf, Paris, 1994.
127. **C.S, Pierce** , écrits sur le signe (rassemblés traduits et commentés par G.Deledalle) Paris seuil, 1984.
128. **C.Brémond**, logique du récit, collection poétique, Seuil Paris, 1973.
129. **F.Restier**, sens et tentualité, éd, Hachette, 1989.
130. **F.Restier**, sémantique interprétative, éd, Puf, 1987.
131. **Gerard Genette**, figures 3, Seuil, Paris, 1973.
132. **Groupe entrevernes**, Analyse sémiotque des textes pul lyon, 1984
133. **Jean-marie Floch** , marketinget communication, sous les signes, les stratégies, PUF, Paris, 2002.



134. **J.C.Coquet**, sémiotique l'école de Paris, Hachette, Paris, 1982.
135. **Jean Claude du bois**, Introduction à la Lexicographie de dictionnaire librairie Larousse, Paris.
136. **Jaques Fontanille**, semiotique et littérature, Essais de Methode, Puf, Paris, 1994.
137. **Levi-Straus (Claude)**, antropologie structurale, 2<sup>ème</sup> éd, Plon, Paris, 1973.
138. **Nicole Evert Desmedt**, le processut introductio à la sémiotique de C.S Pierce, Ed mardage, 1990.
139. **Pierre Guiroud**, «la sèmiologie que sais je ? », N1421 PUF, Paris, 1973, alain Gardan conscience artificielle et système adaptifs, E.Eyrolles, 2002.
140. **Vladimir Propp**, morphologie du conte, Seuil, Paris 1970.

#### الدوريات و المخطوطات:

البازعي، سعد:

141. مستقبل النقد، غربة السياق: من إشكالية المثاقفة في النقد الأدبي العربي الحديث، مجلة عالم الفكر، مج8-ع4، أبريل/يوليو، 2000.

ابراهيم، عبد الله:

142. من وهم الرؤية إلى وهم المنهج، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع67-68.

منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان

ابريز، بشير:

143. علم المصطلح وممارسة البحث في اللغة والأدب، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع02، 2005.

الحرا حشة، منتهى:

144. من مشكلات المصطلح النقدي في الدراسات النقدية العربية الحديثة والمعاصرة، مجلة

اتحاد الجامعات العربية للأدب و العلوم الإنسانية، مج6، ع2 جامعة اليرموك، أربد

الأردن، 2009.

الفيومي، ابراهيم حسين عبد الهادي:

145. إشكالية المصطلح النقدي في مواجهة النص الروائي، مجلة العلوم

الإنسانية، ع22 منشورات جامعة دمشق، يونيو، 1990.

العابد، عبد المجيد:

146. السيميائيات: الجذور والإمتدادات، دراسة في ثلاثية حكاية بحار لحنا مينا مخطوط

أطروحة دكتوراه، إشراف: نصر الدين بن غنيسة، جامعو محمد خيضر بسكرة، الجزائر

2012-2013.

أوصيف، سهام:

147. تأصيل النقد السيميائي عند رشيد بن مالك - المنهج و المصطلح - بحث مقدم لنيل

شهادة الماجستير في النقد الأدبي المعاصر، إشراف: السعيد بوطاجين، المركز الجامعي

(خنشلة)، 2008-2009.

بادي، محمد:

148. سيميائية مدرسة باريس، المكاسب المشاريع (مقاربة إستراتيجية)، عالم الفكر،

م35، ع03، الكويت، يناير/مارس، 2007.

بسو، حمزة:

**149.** إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، قراءة في مشاريع عبد الحميد بورايو، عبد الملك مرتاض، رشيد بن مالك، مخطوط أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، 2018-2019.

بعلي، حفناوي:

**149.** التجربة العربية في مجال السيمياء، دراسة مقارنة مع السيميولوجيا الحديثة الملتقى الوطني الثاني "السيمياء و النص الأدبي"، 15-16 أفريل 2002 جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر.

بلعربي، جمال:

**150.** قراءة في الأسس الإستيمولوجية لسيمائية هيلمسليف من خلال مشروعه التأسيسي حول نظرية اللغة، مخطوط أطروحة دكتوراه، إشراف: رشيد بن مالك جامعة الجزائر، 2011-2012.

بنكراد، سعيد:

**151.** السيميائيات: النشأة و الموضوع، مجلة عالم الفكر، ع:3، م:35، الكويت يناير ومارس، 2007.

**152.** السيميائيات و موضوعها، مجلة علامات، المغرب، ع:16، 2001.

بن مالك، رشيد:

**153.** تجرّتي في مشروع ترجمة " القاموس المعقلن في نظرية اللغة " الملتقى الدولي الثامن "السيمياء و النص الأدبي"، 08-09-10 نوفمبر 2015، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

**154.** إشكالية ترجمة المصطلحات في البحوث السيميائية العربية، مجلة علامات ج53 ع14، سبتمبر 2004.

**155.** المكون السردى في النظرية السيميائية، مجلة فيلادلفيا الثقافية، الأردن، ع06 2010.

156. السيميائية بين النظرية والتطبيق (رواية نوار اللوز نموذجاً)، مخطوط أطروحة دكتوراه إشراف: أ.د. واسيني الأعرج و أ.د. عبد الله بن حلي، جامعة تلمسان 1994-1995
157. البحث السيميائي المعاصر، الواقع والآفاق، مجلة بحوث سيميائية، مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي، جامعة تلمسان ومركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية الجزائر، مطبعة النخلة، ع7-8، 2010-2011.
- بوخلال، عبد الله:
158. مصطلح السيميائية في البحث اللساني العربي الحديث، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها "السيمياء و النص الأدبي"، منشورات حاتم، عنابة 1995.
- بورايو، عبد الحميد:
159. حوارات ومقدمات وافتتاحيات وشهادات (تتعلق بالتراث الشعبي ومنهج التحليل) مخطوط.
- بوطاجين، السعيد:
160. المقاربات السردية، الحالة الجزائرية، ندوة الرواية العربية والنقد، المداخلات والتوصيات، 8-9 يناير 2010، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010.
- بوطيب، عبد العالي:
161. كرماس والسيميائيات السردية، مجلة علامات، ع22، م6، ديسمبر، 1996.
- تاويرت، بشير:
162. أبجديات في فهم النقد السيميائي، محاضرات الملتقى الوطني الثاني " السيمياء و النص الأدبي"، 15-16 أبريل 2002، منشورات جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.
- تويل، هايدي:

**163.** المبادئ التي كان غريماس يبنى عليها السيميائية و النتائج المنهجية التي نجحت عنها،  
الملتقى الدولي السادس "السيمياء و النص الأدبي"، قسم الأدب العربي جامعة محمد  
خيضر، بسكرة، الجزائر.

جريوي، آسيا:

**164.** السيميائية السردية من البنية إلى الدلالة، دراسة في ثلاثية "حكاية بحار" لحنا  
مينامخطوط رسالة دكتوراه، قسم الأجب العربي، جتمعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر  
2012-2013.

رواينية، الطاهر:

**165.** سرديات الخطاب الروائي المغاربي الجديد (مقاربة نظرية تطبيقية)، مخطوط بحث مقدم  
لنيل درجة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، الجزائر، 1999-2000.

سحنين، علي:

**166.** السرديات السيميائية في النقد الجزائري، رشيد بن مالك أنموذجاً، مجلة المخبر أبحاث  
في اللغة والأدب الجزائري، ع11، جامعة بسكرة، الجزائر، 2015.

سريدي، فتيحة:

**167.** السيميائية الغريماسية في تطبيقات عبد الحميد بورايو النقدية، المسار السردية  
و تنظيم المحتوى أنموذجاً، الملتقى الدولي الثامن "السيمياء و النص الأدبي" جامعة محمد  
خيضر، بسكرة، الجزائر، من 8 إلى 10 نوفمبر 2015.

شرشار، عبد القادر:

**168.** خصائص الخطاب في رواية الصراع العربي الصهيوني، دراسة تحليلية، مخطوط رسالة  
دكتوراه دولة، جامعة وهران، 2000-2001.

طواهرية، سامية:

169. التفكير السيميائي عند عبد الملك مرتاض (مقاربة وصفية)، مخطوط رسالة ماجستير

كلية الآداب واللغات، جامعة أدرار، 2014-2015.

طودوروف، تزيفيتان:

170. مقولات الحكاية الأدبية، ترجمة: عبد العزيز شبيل، مجلة العرب و الفكر العالمي، مركز

الإثراء القومي، ع10، ربيع 1990.

عقاق، قادة:

171. السيميائيات السردية وتحليلاتها في النقد العربي المغاربي المعاصر (نظرية غريماس نموذجاً)

- مخطوط دكتوراه دولة - قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سيدي بلعباس

2003-2004.

172. سيميائيات النص السردية في النقد الجزائري المعاصر، مجلة بحوث سيميائية ع3 و4 جوان

وديسمبر 2007، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر.

غريماس وآخرون:

173. النظرية السيميائية، مسار التوليد الدلالي، ترجمة: عبد الحميد بورايو، الجزائر ط1

2013.

فضل، صلاح:

174. بلاغة الخطاب وعلم النص، مجلة عام المعرفة، ع164، المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب، الكويت، 1992.

قمولي، فاطمة:

التحليل السيميائي للخطاب السردية عند عبد الحميد بورايو، مخطوط مذكرة ماجستير، قسم اللغة

و الأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة 2014-2015.

قوتال، فضيلة:

175. معالم السيميائيات المحايثة وحدودها (دراسة نقدية في نظرية غريماس السردية)، بحث

مقدم لنيل شهادة الماجستير في السيميائيات، وتحليل الخطاب، إشراف: د. أحمد

يوسف، جامعة وهران، 2003-2004.

كلينكنبارغ، جون ماري:

176. السيميولوجيا أو السيميائية؟ الموضوعات والأهداف، تر: رشيد بن مالك مجلة بحوث

سيميائية، ع: 3-4، 2007، الجزائر.

كورتاس، جوزيف:

177. الصورة كموضوع للدراسة، تر: عليمة قادري، مجلة بحوث سيميائية، مخبر عادات

وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، ع3 و4، جوان وديسمبر 2007.

لعجال، لكحل:

178. المقاربة السيميائية عند رشيد بن مالك، مخطوط رسالة دكتوراه، إشراف: هاجر

مدقن، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة ورقلة، 2016-2017.

متقدم، مولاي:

179. آليات التحليل النقدي عند عبد المالك مرتاض، قراءة في كتاب "تحليل الخطاب

السردى"، مجلة اللغة العربية و آدابها، مج: 5 ع: 01، أكتوبر 2017، جامعة الوادي،

الجزائر

مطلوب، أحمد:

180. إشكالية مصطلح النقد الأدبي المعاصر، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج2/م5،

1998.

مفتاح، محمد:

181. حول مبادئ سيميائية، مجلة علامات، المغرب، ع: 16، 2001.

182. بعض خصائص الخطاب، مجلة علامات، المغرب، ع9، مارس 2000.
183. عبد الملك مرتاض، القراءة و قراءة القراءة - خوض في إشكالية المفهوم - مجلة علامات ج15، مج14، 1994، جدة، السعودية.
184. التحليل السيميائي، أبعاده و أدواته، مجلة دراسات سيميائية لسانية، ع1، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، 1987.

مقدم، علي:

185. تلقي المنهج السيميائي عند عبد الملك مرتاض - مقارنة وصفية - رسالة ماجستير، تسم الأدب العربي و الفنون، جامعة مستغانم، 2015-2016 .

ملفوف، صالح الدين:

186. التجربة النقدية السيميائية في الجزائر (معالم و أعلام)، محاضرات الملتقى الدولي الثامن "السيمياء و النص الأدبي"، 08-09-10 نوفمبر 2015، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

وغليسي، يوسف:

187. فقه المصطلح السيميائي، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص نموذجاً، مجلة الحياة الثقافية، ع147، سبتمبر 2003، تونس.

188. مفهوم التشاكل (Isotopie) في السيميائيات العربية المعاصرة، محاضرات الملتقى الوطني الرابع "السيمياء و النص الأدبي"، 28-29 نوفمبر 2006 جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

يقطين، سعيد:

189. نظريات السرد و موضوعها في المصطلح السردية، مجلة علامات، ع6 مكناس، المغرب، 1996.



# فهرس الموضوعات

## فهرس الموضوعات

مقدمة.....	أ - ز
مدخل:	
المنهج السيميائي الغربي: الأصول والمرجعيات	2
1- السيميائيات: النشأة، المفهوم، والموضوع	02
1-1- السيميائيات القديمة	02
1-2- السيمياء عند العرب	04
1-3- بين سميولوجيا دي سوسير وسيميائية بيرس	05
1-3-1- سميولوجيا دي سوسير	05
1-3-2- سيميائية بيرس	07
1-4- المصطلح	11
1-5- موضوع السيميائية و غايتها	13
2- الأصول الفلسفية للنقد السيميائي	16
2-1- العلامة عند السفسطائيين	16
2-2- العلامة عند الرواقين	17
2-3- العلامة عند أرسطو، أفلاطون، أوغستين، وآخرين	18
3- الأصول اللسانية للنقد السيميائي	20
4- الأصول الشكلانية للنقد السيميائي	22

## الفصل الأول: نظرية غريماس: المرجعيات، لمفاهيم والمآخذ

- 27 ..... - المرجعيات:
- 29 ..... 1- مدرسة جنيف (فرديناند دي سوسير
- 31 ..... 2- مدرسة كوبنهاغن النسقية (نظرية الكلام
- 34 ..... 3- حلقة براغ (النظام الفونولوجي
- 37 ..... 4- أعمال جورج دوميزال
- 38 ..... 5- أعمال فلادمير بروب
- 42 ..... 6- أعمال كلود ليفي ستراوس
- 45 ..... 7- تصور إ. سوريو
- 46 ..... 8- أنموذج تنيير
- 48 ..... II - المبادئ و المفاهيم الإجرائية
- 49 ..... - السيمياء والسرد
- 55 ..... 1- البنية السطحية
- 55 ..... 1-1-1- المكون السردى
- 56 ..... 1-1-1- النموذج العاملي
- 60 ..... 1-1-2- البرنامج السردى
- 66 ..... 1-2- المكون الخطابي

- 66..... 1-2-2- الأنظمة التصويرية
- 68..... 1-2-2- المسارات التصويرية
- 69..... 1-2-3- الموضوع و الدور الموضوعاتي
- 70..... 2- البنية العميقة: . . .
- 71..... 1-2- الوحدات المعنوية الصغرى..
- 74..... 2-2- التشاكل
- 75..... - التشاكل الدلالي
- 76..... - التشاكل السيميائي
- 77..... 2-3- البنية الأولية والمربع السيميائي
- 85..... **III** - المآخذ على نظرية غريمانس:
- 85..... 1- مآخذ النقاد الغربيين
- 85..... 1-1- نقد جاك فونتاني
- 89..... 1-2- نقد كلود بريمون
- 90..... 1-3- نقد فرانسوا راستيبي
- 93..... 1-4- نقد بول ريكور
- 94..... 1-5- نقد جونتان كيلر
- 96..... 2- مآخذ النقاد العرب

96	1-2- نقد عبد الملك مرتاض
98	2-2- نقد سعيد بنكراد
100	2-3- نقد أحمد يوسف

## الفصل الثاني: تجليات النقد السيميائي السردي الجزائري

### أ- تجليات النقد السيميائي السردي عند "عبد الملك مرتاض"

105	1-روافد التكوين
106	أ- الروافد التراثية
107	ب- الروافد الحداثية
109	ج- المسعى التوفيقي
110	2-المصادر السيميائية:
110	أ- المصادر الغربية
112	ب-المصادر التراثية
113	3-المصطلح النقدي السيميائي عند مرتاض
114	أ- المصطلح الإحيائي
116	ب- المصطلح المشتق
117	ج- المصطلح المترجم
118	د- التعريب
119	4-التجربة النقدية السيميائية عند مرتاض

- 5- تجليات النقد السيميائي السردي في الممارسة التطبيقية.....125
- رواية زقاق المدق - أنموذجاً -
- 5-1- البنى السردية في الرواية.....128
- 5-1-1- البنية الطباقية.....128
- 5-1-2- البنية المعتقداتية.....128
- 5-1-3- البنية الشبقية.....129
- 5-2- التقنيات السردية.....130
- 5-2-1- الشخصية، البناء، والوظائف.....130
- 5-2-2- تقنيات السرد في "زقاق المدق".....134
- 5-2-3- الزمان في "زقاق المدق".....136
- 5-2-4- خصائص الخطاب السردية.....139

### الفصل الثالث: تجليات النقد السيميائي السردي الجزائري

#### ب- تجليات النقد السيميائي السردي عند "رشيد بن مالك" .....149-194

- 1- روافد التجربة السيميائية عند "رشيد بن مالك".....150
- 1-1- الروافد اللسانية والشكلانية .....151
- 1-2- مدرسة باريس السيميائية.....153
- 2- المصطلح السيميائي عند "رشيد بن مالك".....155

- 155 ..... 1-2 - إشكالية المصطلح السيميائي عند "رشيد بن مالك".
- 2-2 - قراءة في قاموس "مصطلحات التحليل السيميائي  
للنصوص" ..... 159
- 159..... 1-2-2 - الشكل
- 161..... 2-2-2 - المضمون
- 174..... 3- الترجمة عند "رشيد بن مالك".
- 178..... 4- المقاربة السيميائية عند "رشيد بن مالك".
- 186..... 5- المقاربة السيميائية التطبيقية (قصة عائشة أنموذجاً).
- 187..... 1-5 - ملخص القصة
- 187..... 2-5 - المقاربة السيميائية للقصة

#### الفصل الرابع: تجليات النقد السيميائي السردي الجزائري

##### ج- تجليات النقد السيميائي عند "عبد الحميد بورايو"

- 196..... أولاً: خطاب الممارسة الممارسة النظرية
- 196..... 1- التعريف بالناقد "عبد الحميد بورايو"
- 196..... 1-1- مؤلفاته
- 197..... 1-2- ترجماته
- 198..... 2- الأصول المعرفية لتجربة "عبد الحميد بورايو" النقدية
- 200..... 1-2- التحليل البنيوي الوظيفي

- 201.....2-2-البنوية الأنتروبولوجية
- 203.....2-3- البنوية التكوينية
- 204.....2-4- السيميائية السردية
- 207.....3-المصطلح السردى السيميائي عند "عبد الحميد بورايو"
- 210.....3-1-مصطلح السيميائية
- 211.....3-2- في البنية السطحية
- 211.....3-2-1- المكون السردى
- 218.....3-2-2- المكون التصويرى
- 219.....3-3- في البنية العميقة
- 219.....3-3-1- المربع السيميائي
- 221.....4- الرؤية النقدية عند "عبد الحميد بورايو"
- 221.....4-1- إشكالية المنهج عند "عبد الحميد بورايو"
- 224.....4-2- التركيب المنهجي، توفيق أم تلفيق؟
- 228.....4-3- بين صرامة المنهج و خصوصية النص
- 230.....4-4- المقاربة المنهجية في التحليل السيميائي عند "عبد الحميد بورايو"
- 236.....5- مستويات الخطاب النقدى السيميائي عند "عبد الحميد بورايو"
- 237.....5-1- خطاب التعريف والتأسيس والتأصيل



248.....-2-5 خطاب الترجمة

## الفصل الخامس: تجليات النقد السيميائي السردى الجزائري

تجليات النقد السيميائي عند عبد الحميد بورايو

ثانيا - خطاب الممارسة التطبيقية

256.....-الحكاية الخرافية للمغرب العربي: دراسة في "معنى المعنى" لمجموعة من الحكايات

□-المسار السردى و تنظيم المحتوى (دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة و ليلة

262.....

III-التحليل السيميائي للخطاب السردى (دراسات لحكايات من "ألف ليلة و ليلة" و "كليلة و

دمنة 275.....

IV -أنموذج تحليلي لقصة "الصبيبة المقتولة ظلماً"..... 283

291.....الخاتمة

296.....ملحق: حوار مع "عبد الحميد بورايو"

312.....ثبت المصادر والمراجع

## الملخص:

لقد حظيت النظرية السيميائية السردية لمدرسة باريس باهتمام لافت من قبل ثلة من النقاد و الباحثين الجزائريين، بعدما لاقت ذلك الرواج الكبير خلال العقود الأخيرة من القرن الماضي لدى الغرب، ثم لدى العرب المغاربيين على وجه الخصوص، و بعدما استطاعت أن تمتلك مقومات ذلك العلم المرتكز على التحليل و التجريب، بهدف الوصول إلى نتائج يمكن تلمسها في مقارنة النص الأدبي السردية.

فكيف تلقى هؤلاء النقاد-الجزائريون- هذه النظرية؟ و ما مدى تمثلهم لها على مختلف المستويات (تنظيرا و ترجمة وتطبيقا)؟

للإجابة على ذلك، وقع اختيارنا على مدونة نقدية مختلفة الرؤى، ممثلة في كل من: عبد الملك مرتاض، رشيد بن مالك، ثم عبد الحميد بورايو-أنموذجا- باعتباره واحدا من الأقطاب الأوائل لهذا التوجه النقدي.

## الكلمات المفتاحية:

النظرية السيميائية- مدرسة باريس السيميائية-النقد السيميائي - عبد الملك مرتاض - رشيد بن مالك - عبد الحميد بورايو

## Abstract :

The narrative semiotic theory of Paris school has received remarkable attention from a group of Algerian critics and researchers, after a great popularity during the last decades of the last century in the West, and then among Maghreb Arabs in particular after it was able to possess the components of that science based on analysis and experimentation, in order to reach results that can be felt in the approach to the literary narrative text. So how did these -Algerian- critics get this theory? And to what extent they represent it at various levels (theorizing, translating and applying), where we choose a critical blog with different visions represented in each of: Abd Elmalek Mortad, Rashid Ben Malek, then Abd Elhamid Bourayou as a model as one of the first poles of this critical trend.

**Key words:** Semiotic theory - Paris Semiotic School - Semiotic criticism - Abd Elmalek Mortad - Rashid Ben Malek - Abd Elhamid Bourayou

## Résumé:

La théorie sémiotique narrative de l'école de Paris a reçu une attention remarquable de la part d'un groupe de critiques et de chercheurs algériens, après avoir rencontré une grande popularité au cours des dernières décennies du siècle dernier en occident, puis parmi les arabes du Maghreb en particulier après avoir pu posséder les composantes de cette science basée sur l'analyse et l'expérimentation .

Afin d'atteindre des résultats visibles dans l'approche du texte littéraire narratif. Comment ces critiques algériens ont-ils reçu cette théorie? Et dans quelle mesure la représentent-ils à différents niveaux (théoriques, traduction, et application)? Où nous avons choisi un blog de critique et vocalisé de visions représenté par : Abdelmalek Mortad, Rachid Ben Malek, après Abdelhamid Bourayou -comme modèle- comme l'un des premiers pôles pour cette orientation critique.

**Mots clés:** La théorie sémiotique- La théorie sémiotique de l'école de Paris- critique sémiotique- Abdelmalek Mortad- Rachid Ben Malek- Abdelhamid Bourayou.